

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء التاسع

فهرس

الجزء التاسع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

مقدمة

القسم الثانى — من مقاصد المكاتبات الإخوانيات ... ،

وهى على سبعة عشر نوطا ٥

النوع الأول — التهانى، وهى على أحد عشر ضربا ٥

الضرب الأول — التهنة بالولايات ٦

» الثانى — » بكرامة السلطان، وأجوبته ٢٥

» الثالث — » بالعود من الحج ٣١

» الرابع — » بالقدوم من السفر ٣٣

» الخامس — » بالشهور والمواسم والأعياد ٣٩

» السادس — » بالزواج والتسرى ٥٤

» السابع — » بالأولاد ٥٦

» الثامن — » بالإبلال من المرض والعافية من السقم ... ٦٣

» التاسع — » بقرب المزار ٧٠

» العاشر — » بتزول المنازل المستجدة ٧١

» الحادى عشر — نوادر التهانى ٧٣

النوع الثانى — من مقاصد المكاتبات التعازى، وهى على أضرب ٨٠

الضرب الأول — التعزية بالأبن ٨٠

» الثانى — » بالبنت ٨٥

» الثالث — » بالأب ٨٦

» الرابع — » بالأم ٨٧

» الخامس — » بالأخ ٨٨

» السادس — » بالزوجة ٩٠

» السابع — التعازى المطلقة ٩٢

صفحة	
النوع الثالث - من مقاصد المكاتبات التهادى والملاطفة ... ١٠٠	
» الرابع - الشفاعات والعنايات ... ١٢٤	
» الخامس - القشوق ... ١٤٢	
» السادس - فى الأستارة ... ١٥٠	
» السابع - فى أختطاب المؤدة وأفتح المكتابة ... ١٥٥	
» الثامن - فى خطية النساء ... ١٥٩	
» التاسع - فى الأستبرضاء والأستعطاف والأعتذار ... ١٦٥	
» العاشر - فى الشكوى ... ١٧٣	
» الحادى عشر - فى أستمحة الحوائج ... ١٧٦	
» الثانى عشر - فى الشكر ... ١٨٣	
» الثالث عشر - فى العتاب ... ١٨٩	
» الرابع عشر - فى العيادة والسؤال عن حال المريض ... ٢٠٣	
» الخامس عشر - فى الذم ... ٢١٧	
» السادس عشر - فى الأخيار ... ٢١٩	
» السابع عشر - فى المداعبة ... ٢٢٥	
الفصل الثامن - فى إخفاء ما فى الكتب من السر، وهو على نوعين ٢٢٩	
النوع الأول - ما يتعلق بالكآبة، وهو على ضربين ... ٢٢٩	
الضرب الأول - ما يتعلق بالمكتوب به ... ٢٢٩	
» الثانى - ما يتعلق بالخط المكتوب ... ٢٣٠	
النوع الثانى - الرموز والإشارات التى لاتعلق لها بالخط والكآبة ٢٤٩	
المقالة الخامسة - فى الولايات، وفيها أربعة أبواب ... ٢٥٢	
الباب الأول - فى بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه	
ثلاثة فصول ... ٢٥٢	

صفحة

الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات ... ٢٥٢

الطبقة الأولى - الخلافة ... ٢٥٢

» الثانية - السلطنة ... ٢٥٢

» الثالثة - الولايات عن الخلق والمملوك وما يكتب عن

السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر

والشام والنجاز، وهي على خمسة أنواع ... ٢٥٢

النوع الأول - ولايات أرباب السيوف ... ٢٥٣

» الثاني - ولاية أرباب الأقلام ... ٢٥٥

» الثالث - ولاية أرباب الوظائف الصناعية ... ٢٥٩

» الرابع - ولايات زعماء أهل التهمة ... ٢٥٩

» الخامس - ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع ... ٢٦٠

الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان

ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات

على سبيل الإجمال ... ٢٦١

الفصل الثالث - من الباب الأول من المقالة الخامسة في بيان

ما يقع به التفاوت في رتب الولايات . وذلك

من مبيعة أوجه ... ٢٦٣

الوجه الأول - الألقاب ، وهي على ثلاثة أنواع ... ٢٦٣

النوع الأول - ألقاب الخلق ... ٢٦٣

» الثاني - » المملوك ... ٢٦٣

» الثالث - ألقاب ذوي الولايات الصادات عن السلطان ... ٢٦٤

الوجه الثاني - ألقاب إستاند الولايات إلى صاحب الوظيفة ... ٢٦٦

» الثالث - الأكتاحات ... ٢٦٨

» الرابع - تمتد التعميد في الخطبة أوفى أثناء الكلام

وأنحاده ... ٢٦٩

صفحة	
٢٦٩	الوجه الخامس - الدماء
٢٧٠	» السادس - طول الكلام وقصره
٢٧١	» السابع - قطع الورق
٢٧٣	الباب الثانى - من المقالة الخامسة فى البيعات، وفيه فصلان
٢٧٣	الفصل الأول - فى معناها...
٢٧٤	» الثانى - فى ذكر تنوع البيعات، وهى نوعان
٢٧٤	النوع الأول - بيعات الخلفاء، وفيها سبعة مقاصد...
٢٧٤	المقصد الأول - فى أصل مشروعيتها
٢٧٥	» الثانى - فى بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية
	» الثالث - فى بيان ما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة
٢٧٦	البيعة...
	» الرابع - فى بيان مواضع الخلاف التى تستدعى الحال
٢٧٩	كتابة المبايعات فيها
	» الخامس - فى بيان صورة ما يكتب فى بيعات الخلفاء،
٢٨٠	وفيه أربعة مذاهب
	المذهب الأول - أن تفتح المبايع بلفظ «تبايع فلانا أمير المؤمنين»
٢٨٠	خطابا لمن تؤخذ عليه البيعة
	» الثانى - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتح المبايع
	بلفظ «من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الامام
٢٨٦	الفلانى» إلى أهل دولته
	» الثالث - أن تفتح البيعة بعد البسملة بخطبة مفتحة
٢٩٨	بالحمد لله الخ
	» الرابع - مما يكتب فى بيعات الخلفاء أن تفتح البيعة
٣٢٠	بلفظ «هذه بيعة الخ

صفحة

المقصد السادس - فيما يكتب في آخر البيعة ... ٣٣١

» السابع - في قطع الورق الذى تكتب فيه البيعة ، والتم

الذى تكتب به ، وكيفية كتابتها وصورة وضعها ٣٣٢

النوع الثانى - من البيعات يبعث للملوك ... ٣٣٧

الباب الثالث - من المقالة الخامسة في العهود ، وفيه فصلان ... ٣٤٨

الفصل الأول - في معنى العهد ... ٣٤٨

» الثانى - في بيان أنواع العهود ، وهى ثلاثة انواع ... ٣٤٩

النوع الأول - عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من

بمانية أوجه ... ٣٤٩

الوجه الأول - في أصل مشروعيتها ... ٣٤٩

» الثانى - في معنى الاستخلاف ... ٣٥٠

» الثالث - فيما يجب على الكاتب مراعاته ... ٣٥١

» الرابع - فيما يكتب في الطرة وهو تلخيص ما يتضمنه

العهد ... ٣٥٧

» الخامس - فيما يكتب لاولياء العهد من الألقاب ... ٣٥٨

» السادس - فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب ٣٥٨

المنهج الأول - أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ «هذا» مثل

هذا ما عهد به فلان لفلان ، والكتاب فيه

طريقتان ... ٣٥٨

الطريقة الاولى - طريقة المتقين ... ٣٥٩

» الثانية - المتأخرين ... ٣٦٨

صفحة

- المذهب الثانى — أن يفتح العهد بعد البسملة بلفظ « من فلان
إلى فلان » ... ٣٧٧
- » الثالث — أن يفتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة
بالحمد لله ... ٣٨٦
- الوجه السابع — فيما يكتب فى مستند عهد ولى الخلافة عن
الخليفة الخ ... ٣٩١
- » الثامن — فى قطع الورق الذى تكتب فيه عهود الخلفاء
والقلم الذى يكتب به ، وكيفية كتابتها وصورة
وضعها ... ٣٩٤
- النوع الثانى — عهود الخلفاء للملك ، ويتعلق النظر به من سبعة
أوجه ... ٣٩٨
- الوجه الأول — فى أصل مشروعاتها ... ٣٩٨
- » الثانى — فى بيان معنى الملك والسلطنة التين يقع العهد بهما ... ٣٩٨
- » الثالث — فيما يجب على الكاتب مراعاته فيه ... ٤٠٥
- » الرابع — فيما يكتب فى الطرة ؛ وهو نمطان ... ٤٠٦
- النمط الأول — ما كان يكتب فى وزارة التفويض فى دولة
الفاطميين ... ٤٠٦
- » الثانى — ما يكتب فى طرة عهود الملوك الآن ... ٤٠٧

(تم فهرس الجزء التاسع من كتاب صبح الأعشى)

صنح الاسع

الجزء التاسع

دار الكتب السلطانية

كتاب

صبح الأسياد

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء التاسع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٤ هـ
١٩١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وملى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثاني

من مقاصد المكاتبات، الإخوانيات

(مما يُكْتَبُ به الرئيس إلى المرعوس والمرعوس إلى الرئيس والنظير إلى النظير)

قال في "مواد البيان" : ولها موقع خطير من حيث تشريك الكافة في الحاجة إليها . قال : والكاتب إذا كان ماهراً، أغرب معانيها، ولطف مبانيها، وتسهل له فيها ما لا يكاد أن يتسهل في الكتب التي لها أمثلة ورسوم لا تتغير ولا تتجاوز، وهي على سبعة عشر نوعاً :

النوع الأول

(الثاني)

قال في "مواد البيان" : كُتِبَ الثاني من الكتب التي تظهر فيها مقادير أفعالهم الكتاب، ومنازلهم من الصناعات، ومواقفهم من البلاغة . وهي من ضروب الكتابة الجلييلة النفيسة، لما في التهتة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية . وأغراضها ومعانيها متشعبة لا تحف عند حد، وإنما ذكر منها الأصول التي تفرعت منها فروع رجعت إليها، وحملت عليها .

قال : ويجب على الكاتب أن يراعى فيها مرتبة المكتوب إليه والمكتوب عنه في الرسالة للاتمة بهما مما لا يسأخ بمثله .
ثم التهاني على أحد عشر ضرباً :

الضرب الأول

(التهنئة بالولايات ، وهي على تسعة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بولاية الوزارة :

١ قد تهتم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الملكة أن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هي أرفع وظائف الملكة وأعلاها رتبة ، وأنها الرتبة الثانية بعد الخلافة . وكانت في زمن الخلفاء تكاد أن تكون كالسلطنة الآن ^(١) ، فهي من الأتباع ومن في معانهم على نحو ما كانت في الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر ، ومن الرؤساء والأكابر بحسب ما تفضيه رتبة المهلة .

وهذه تسخ تهاين من ذلك على ما كان عليه الحال في الزمن القديم .

تهنئة بوزارة : من إنشاء أبي الحسين بن سعد ، كتب بها إلى الوزير محمد بن القاسم بن عبيد رحمه الله ، وهي :

من كانت النعمة — أيد الله الوزير — نافرة عنه ويفتائيه غريبة ، فهي تأوى من الوزير إلى متوى معهود ، وكثيف مجود ؛ وتجاوز منه من يوفى حقها ، ويقابلها بحسن الصحبة لها ؛ ويحوى في الشكر لها يولاه ، والرعاية لما يسترعاها ؛ على شاكاة مضى عليها السلف من أهله ، ونشأ في مثلها الخلف ؛ مقتدياً بالأول الآخر ، وبالماضى

(١) أى التهنئة من الأتباع الخ .

الغائب؛ تشابهاً في كرم الأفعال ، ورعايةً لحقوق الآمال ؛ واعتماداً للرأفة والرحمة ،
ومحمواً بالإنصاف والمَعْنَلَة ؛ إلى ما خَصَّ الله به أهل البيت رضى الله عن الماضين
منهم وأقام عزَّ الباقيين وحراسَتهم : من العلم بالسياسة والدراية بتدبير المملكة ورعاية
الأُمَّة ؛ والهداية فيهم لطرق الحِطَّة ونهج المصلحة .

والحمد لله على ما خَصَّ به الوزير من فضله الذي رفع قدره فيه عن مُساماة
ومشاكاة المُقَدَّار والشَّيْء ^(٢) ، وجعله فيما حباه به نسيج وحده ، وقريع دهره ؛ وجمع
له من مَوَاهِب الخير ، وخصائص الفضل ما أبان به موقعه في الدين ، وأعطاه
معه الولاية من جميع المسلمين .

والحمد لله حمداً مجداً على ما جتده له من رأي أمير المؤمنين وأجنياته ، وعمله
من اختياره وأصطفائه .

والحمد لله على ما منحه من كرامته ، وجتد له من نعمته ، فيما أحاد إلى تدبيره من
وزارته ، وأشرکه فيه من أمانته ؛ احتياطاً منه للملكة ، ونظراً للخاصة والعامة ؛ فإنَّ
عائدة رأيه سَوَتْ بين الضَّعِيف والقَوِي ، ووصلت إلى الدَّائِي والقَصِي ؛ وأعادت
إلى الملُك بهائم ، وإلى الإسلام نُورَه وضيَاءَه ؛ فاكتست الدنيا من الحِطَّة بعد
الإخلاق ، والنِّصْرَة بعد الإِنْهَاج ^(٣) ، ما لم يكن يوجد مثله إلا بالوزير في شَرَف مَنْصِبِه ،
وكرم مُرْكَبِه ؛ فهنا الله الوزير ما آتاه وتابح له قسمة ، ووصل له ما جتد له بالسَّعادة ؛
وأمنه فيه بالزَّيادة ؛ وأعطاه من كلِّ مأمول أعظم حظ وأوفر نصيب وقسم ؛ تراخياً

(١) في الأصل والرواية تدبير وهو تصحيح تخفيف .

(٢) في القاموس "قادرته قابسه وضلت مثل فعله" .

(٣) الإِنْهَاج إلى ، أنظر القاموس في مادة (ن هج) .

في مُدَّة العُمُر، وتناهِياً في دَرَجَةِ العِزِّ؛ واحتياطاً بالمَوْهِبَةِ في العَاجِلَةِ، وفَوْزاً بِالكَرَامَةِ في الآجِلَةِ؛ إِنَّهُ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذَلِكَ : أوردَها في رِسَالَةِهُ ، وَهِيَ :

التَّهْنِئَةُ بِالْوِزِيرِ لِلزَّمَانِ وَأَهْلِهِ بِمَا جَمَّلَهُمْ بِهِ ، وَجَدَّدَ لَهُمْ مِنْ مِيسَمِ الْعِزِّ ، وَسَرَّ لَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ حُلَّةِ الْأَمْنِ بِوِلَايَتِهِ ، وَالنِّعْمَةُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَرِطَائِيهِ عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهِمْ مِنْ مِشَارِكَتِهِ وَحُكْمِهِمْ مِنْ مَعْدَلَتِهِ ظَاهِرَةً ، وَقَدْ عَلَى ذَلِكَ الْحَمْدُ الْفَاضِلُ ، وَالشُّكْرُ الْكَامِلُ . وَلِلْوِزِيرِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالِدَوْلَةِ السَّعِيدَةِ ؛ أَهْنَاهَا مَوْقِعًا ، وَأَسْرَاهَا مَلْبَسًا ، وَأَدْوَمَهَا مُدَّةً ، وَأَجْمَلَهَا نَفْسَةً ؛ وَأَثَرَاهَا مَبُوءًا ، وَأَسْلَبَهَا عُقْبًا ؛ فَنَوْلَاهُ اللَّهُ بِالْمَعُونَةِ وَالْحِرَاسَةِ ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ بِالنَّصْرِ وَالْكِفَايَةِ ؛ وَأَنْهَضَهُ بِمَا قَلَّدَهُ وَأَسْتَرْعَاهُ ، وَبَلَّغَهُ حِمَايَهُ وَمُنَاهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَوْقِعِي مِنْ نَفَقَةِ الْوِزِيرِ يُلْحِقُنِي عِنْدَهُ بِمَنْ مَكَّنْتَهُ الْأَيَّامُ مِنْ قَضَاءِ الْحَقِّ فِي التَّلَقِّيِّ وَالْإِبْعَادِ ، وَيُعَوِّضُنِي بِتَقْضِيهِ لِمَا حُرِمْتُ مِنْهَا حَلَّ ذَبْوِي الْإِخْلَاصَ وَالْإِعْتِدَادَ .

تهنئة أُخْرَى في مِثْل ذَلِكَ : أوردَها في رِسَالَةِهُ أَيْضًا ، وَهِيَ :

وَهَذَا أَوَّلُ يَتْلُوهُ مَا بَعْدَهُ بِلَا تَنَاهٍ وَلَا تَقْصُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِيتِهِ ، بَلْ يَكُونُ مَوْصُولًا لَا يُتْلَعُ مِنْهُ غَايَةٌ إِلَّا شَفَعَتْهَا دَرَجَةُ تَرْفِيٍّ ، تَكُنُّفُ ذَلِكَ كِفَايَةً مِنَ اللَّهِ شَامِلَةً كَامِلَةً ، وَغِيْظَةً فِي الْبَدَنِ وَالْعَاقِبَةِ بِلَا انْقِطَاعٍ ، وَلَا انْتِجَاعٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ الْمُتَقَلِّبُ مِنْهُ بَعْدَ بُلُوغِ الْعُمُرِ مَتْنَاهُ ، إِلَى فَوْزٍ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ . فَهَيْئًا لِلْوِزِيرِ بِمَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعَى فِيهِ مُسَاعَفَةَ الْمِقْدَارِ ، وَلَا يَتَّأَلَّهِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ إِذْ لَا مِثْلَ وَلَا نَظِيرَ لِلْوِزِيرِ : فَضْلًا ظَاهِرًا ، وَعِلْمًا عَلَى الْعُلُومِ مُوَفِّيًّا ، وَمُسَابَقَةً فِي تَغْلِيْبِ الْخِلَافَةِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، وَحَلَبَ الدَّهْرِ شَطْرًا بَعْدَ شَطْرٍ ؛ وَجَمْعًا مِنْ مَالِ السُّلْطَانِ لِمَا كَانَ مُتَقَرِّفًا ، وَحِفْظًا

لما كان ضائها، وحماية لبيضة الملك، وضبطا للتقوى، وتلقيا للخطوب بما يقل حذها،
ويطفي نارها ولهبها وقيم أودها، وما وهب الله في رأيه من فتح البلاد المرجية،
وقمع الأعداء المتغلبة، وسكون الدهماء، وثمول الأمن، وعموم العدل، والله يصل
ذلك بأحسنه .

تهنئة أخرى في مثل ذلك : من إنشاء علي بن خلف في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء حضرة الوزارة السامية، فارعة من المعالي أسمفها مجودا، كارة من
المن أعذبها ورودا، ساحبة من الميامن أرقها برودا، ممتعة بالنعم التي يرأي الشكر
عن حوزتها، ويحامي البشر عن حومتها، مبلغة في أولياتها وأعلتها، قاضية ما ترمى
إليه رحابها، فلا ترى لها وليا إلا لأحب المذهب، ثاقب الكوكب، سامي الطرف،
حامي الآف، ولا علوا إلا ضيق المطرح، وعمر المسرح، صالدة الزند، مقفل الحذ،
راغم العزنين، متولوا للبحين . ولا زالت أزمة الدنيا بيدها حتى تبلغ بآمالها منهاها،
وتجري بآمالها إلى أقصى مداها، [فهى] من أعظم النعم خطرا، وأحسنها على الكافة
أنرا، وأولها بأن يقاض في شكرها، وتسطر الآفاق يدكرها . ولسيدنا الوزير الأجل
براع يستيقظ في صلاحهم وهم هاجعون، وينصب في اللب عنهم وهم وادعون، وبكل
تديهم فيه، إلى مدبر يخاف الله ويتقيه، ويعمل فيمن أسرته بما يرضيه، ولا يمد
يد الإقذار عليهم متسلطا، ولا يتيسع دواعي الهوى فيهم منسقطا، واضعا الأشياء
في حقائقها، سالكها أمثل طرائقها، ملانا من غير ضعف، محاشنا من غير عنف،
قريبا من غير صغر، بعيدا من غير كبر، مرغبا بلا إسراف، مرهبا بانبساط، ناظرا
إلى محقرات الأمور وأطرافها، كما ينظر في معاليمها وأشرافها، آخذا بوفاق الحزم،
متمسكا بملاقى العزم، راميا بفكره من وراء العواقب، خاطما بآرائه أثوف المصاعب،

ناظماً بإيالاته عُقود المصالح، موطناً برأضته ظُهور الجَوَاحِ؛ إنَّ قَفَّ ذَا النُّبُوَّة
 الفريدة، والمَقْوَةُ الوحيد، أَقْتَصَر على ما يُوَافِقُهُ الوَالِدُ الحَدِيدُ، من مُقَوِّمِ الأدب
 [وإنَّ قَبْضَ^(١) على المرتكبين في غَوَايَتِهِ، المُقْلِسُ في عِنَايَتِهِ بِضَبِّ عَلَيْهِ مَجَالَ العَفْوِ،
 وأحاط به أَلِيمُ العَذَابِ والسُّطُو؛ فقد سَكَنَتِ الرِّجَّةُ في عَدْلِهِ، وَأَوْتَتْ حَرَمًا مَنِيحًا من
 ظِلِّهِ؛ وَوَقَّعَتْ أَنَّ الحقَّ بِنَظَرِهِ شَاحِقٌ، والباطلُ سَانِعٌ زَاهِقٌ؛ والإِنْصَافُ مَهْشُوطٌ
 مَنشُورٌ، والإِجْحَافُ مَعْطُوطٌ مَبْثُورٌ؛ والشَّمْلُ مَنْظُومٌ، والشرُّ مَضْمُومٌ. فَتَطَقَّتْ أَسْبَتُهَا
 بِإِحْمَادِهِ، وَأَشْتَلَّتْ أَفْئِدَتُهَا على وِدَادِهِ؛ وَأَنْفَعَتْ أَهْوَاؤُهَا على رِيَاسَتِهِ، وَتَطَابَقَتْ
 أَرَاؤُهَا المَسَاقِفَةُ على دَوَامِ مِبَادَتِهِ؛ وَعَرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنَقَ النَظَرِ في دَوْلَتِهِ؛ وَسَلَّمْ
 أُمُورُ مَمْلَكَتِهِ إلى النَصِيحِ المَأْمُونِ، والتَّجِيحِ المَبِينِ، الذي وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى لِإِخْتِيَارِهِ،
 وَبَسَّرَهُ لِإِصْطِفَائِهِ وَإِثَارِهِ؛ وَأَنَّهُ قَدْ نَاطَ أُمُورَهُ بِنَ لَمْ يَسْتَحِفَّ قَبِيلَ جَمَلِهَا؛ وَيَنْوُ
 بِإِهْظِ نَفْلِهَا؛ فَتَمَتَّعَ بِلَذِيذِ الكَرَى، وَتَوَدَّعَ بَعْدَ السَّيْرِ والسَّرى؛ وَأَلِيمٌ مِنَ المَسَامِ مَلَمٌ
 مُعْضِلٌ، وَحُدُوثٌ حَدِثٌ مُشْكِلٌ. وَهَذِهِ نَعْمَةٌ تُمُّ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ عُمُومُ النِّعَةِ
 إِذَا تَمَّعَ وَتَدَقَّقَ، وَتَشَمَّلَهُمْ كُمُورُ النَّهَارِ إِذَا لَمَعَ وَتَأَلَّقَ؛ وَهَمُّ أَوَّلَى بِالنَّهْثَةِ فِيهَا
 وَشَكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا.

وسيدنا الوزيرُ حَقِيقٌ بِأَن يَهْدِي إِلَيْهِ الدُّعَاءُ المَرْفُوعُ، وَالتَّضَرُّعُ المَسْمُوعُ؛ بِأَن
 يُنْهَضَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا حَمَلَهُ، وَيُعِينَهُ على مَا كَفَّلَهُ؛ وَيَتَوَلَّاهُ بِتَوْفِيقٍ يَشْقُبُ أَنْوَارَهُ،
 وَتَأْيِيدٍ يُطَبِّقُ غَرَارَهُ، وَتَسْدِيدٍ يَحْسُنُ آثَارَهُ؛ وَإِجْرَاءٍ مَا يَتَوَلَّاهُ على أَوْضَحِ سَبِيلِ
 وَأَقْصَدِهِ، وَأَرْجَحِ دَلِيلِ وَأَرْشِدِهِ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَهْتَأَّ بِمَالِهِ عَيَاؤُهُ وَكَلَّهُ، وَلَمُدَّعِيهِ
 صَلَاحَهُ كُلَّهُ. وَالْعَبْدُ يَسْأَلُ اللهَ ضَارِعًا لَدَيْهِ، بِاسْطِ يَدِهِ إِلَيْهِ؛ فِي أَنْ يَقْبَلَ صَاحَ
 أَدْعِيَتِهِ لِحُضرةِ الوِزَارَةِ السَّامِيَةِ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ مَا أَحَلَّهُ فِي مَحَلِّهِ مِنْ رِيَاسَتِهَا، وَأَوْقَعَهُ

في موقعه من سياستها؛ دائماً لا يتزعزع، وخالدا لا يرتجح؛ وأن يؤيدها فيه بما يقضى له بالإحراز والتحويل، ونجيه من الابتزاز والتحويل؛ إنه سميع الدعاء، فقال لما يشاء؛ إن شاء الله تعالى.

الصف الثاني — التهيئة بكفالة السلطنة :

وهذه نسخة من ذلك، كتبت بها عن نائب الشام، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة، وهي بعد الألقاب :

لا زال دائراً بهنائه الفلك، منيراً بضياء عدله ويشره الحلك؛ قوياً بحسن كفالته الملك شاهداً بفضل أسمائه وسماهه الملك، مقسوماً بأمر الله نداءً وبأسه ليحياً من حي وبهلك من هلك؛ تقيلاً يشافه به التراب، ويشاهد شرف مطلعته على السحاب. وينهى قيامه على قدم ولأية ودعاء : هذا يتزل القلب وهذا يصعد إلى الألق، ومقامه على بشرى وحيد منهما الأمن يحل بوصفه النطق كما تحل الأعطاف بالنطق؛ وأنه ورد مثال شريف على يد فلان يتضمن الإشارة العامة، والمصرة الخاصة، والنعمة التي يعود سناً جينها من كل حين لأمه؛ وخبر الخير الذي حيت أزهاره المتصورة نداءً مصراً قول ما يلغنه منافع الشام شامه، بأن المواقف الشريفة — أعز الله تعالى سلطانها — قد قوضت إلى مولانا كفالة الإسلام وبنيته، وكفاية الملك بصالح مؤمنه؛ ونيابة السلطنة الشريفة وما نسقت، وتدير الممالك وما وسقت؛ فيألفا بشرى أبستمت لها غفور البشر، ومصرة استجلى منها من آمن وبهت الذي كفر، وخبراً تلقت الأسماع بريدته منشدته : قل وأعد بأطيب الخبر؛ هنالك أخذ المملوك حظاً من خير بشرى، ونصيبه من مصرة حمد بصباح طربها المشرى؛ وحمد الله تعالى على أن أقام لسلطان البسيطة من يسقط العدل والإحسان لكتابه، ويقطد رعيته

عقودنا نعم إذا تقلد ما وراء سريرته وبابه ، ومن إذا كفل سيفه ممالك الإسلام وثقت
بالبغيم والسلامه ، وإذا كتب قلبه قالت ولا سيما أخبار جند المسلمين : هكذا
تكون العلامه ؛ وجهز المملوك هذه الخدمة ثابتة عنه في تقبيل الأرض ، وعرض
الهناء بين يدي من يسر المملوك بولائه اليوم ويرجو أن يسر به يوم العرض ، ولو وصف
المملوك ما عنده من السرور والشوق لضاق الورق عن تسطير الواجب منه وضاق
الوقت عن أداء العرض ؛ والله تعالى يحدد لمولانا ثمرات الفضل الواضح ، والرأى
الراجح ، والقدر الذي هو على ميزان الكواكب راجح ، ويمتعا كافة الممالك بدولة
سلطانته الذي علم اليث الشريف أنه على الحقيقة الخلف الصالح .

وهذه نسخة تهتة لأمير جاندار بولاية إمرة جاندار ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أبن ثباته ، وهي بعد الألقاب :

أعلى الله ثمارها ومثلها ، وخلد قبولها وإقبالها ، وأجل من الفض الذي تناولته
نعمها وأسبغ به ظلالها ؛ ولا زال في سيفها وعصاها مارب لللك ، وفي بأسها وتدائها
مواقع للنجاة والهلك ؛ ولا برحت القضب من سيوف وغصون : هذه حاكمه
بسعدها حكم الملك ؛ وهذه مسخرة في تجريدتها تسخير القلك ؛ هنيئ غلص في ولاته
ودعائه ، مهن القلب مسرور بما يتجدد من ممرات مولانا وهنائه ؛ وينهى أنه بلغه
مأفاضته الصداقات الشريفة على مولانا من المبرات ، وما جددت له من الممرات ؛
وأما ضاعفت مزيد الإحسان إليه ؛ ودعته أمير جاندار ودت العيص النجومية
لوقمت نفسها بين يديه ؛ وأن المواقف الشريفة قرئت به عينا وأقرت ، وأن الدولة
القاهرة ألفت عصاها إليه واستقرت ؛ وكما سالت إليه العصا في السلم سالت إليه
السيف في الحرب ، وكما قربته في مواقف العدل والإحسان قربته في مواقف
الظن والضرب ؛ فأخذ المملوك حظه من البشرى ، وأوجب على نفسه الفرح

وَتَجِدُ لِقَائِهِ ؛ وَوَدَّ لَوْ حَضَرَ يُشَافِهِ بِهَذَا الْهَنَاءِ الشَّامِلِ ، وَمَثَلُ قَائِمًا لَدَيْهِ بِحَقِّ
التَّهْنِئَةِ الْقِيَامُ الْحَقِيقِيُّ الْكَامِلُ ؛ وَحَيْثُ بُعِدَتْ دَارُهُ ، وَثَانَتْ عَنِ الْعِيَانِ أَخْبَارُهُ ؛
فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوَاصَلَتَهُ بِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَالْمَوَالَاةِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي يَشْهَدُ
بِهَا الْخَاطِرُ الْكَرِيمُ مِرًّا وَجِهَارًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَزِيدَ مَوْلَانَا مِنْ فَضْلِهِ ،
وَيُسِّرَ بِمُتَجَدِّدَاتِ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمْتَعِنَا كَافَّةً الْخَالِكُ بِدَوَامِ سُلْطَانِ هَذِهِ
الدَّوْلَةِ الَّتِي تَمِيلُ بِظُلْمِهِ ، وَغَيَّيَ بَنَصْرِهِ عَنْ فَضْلِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثالث — التهنئة بالإمارة .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك ، أوردتها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهى :

وَهَذَا اللَّهُ الْأَمِيرَ مَوَاهِبِهِ الْهَنِيئَةِ ، وَعَطَايَاهِ السَّوِيَّةِ ؛ وَأَدَامَ تَمَكُّنَهُ وَقُدْرَتَهُ ، وَثَبَّتَ
وَطْأَتَهُ ، وَحَرَسَ مَاخُؤْلَهُ ؛ وَجَعَلَ مَا هَيَّا لَهُ مِنْ مُؤَسَّفِ الْكَرَامَةِ أَيْمَنَ الْأُمُورِ فَاتِحَةً
وَأَسْعَدَهَا عَاقِبَةً ؛ وَوَصَلَ أَيْامَهُ بِأَجْمَلِ الْوِلَايَةِ ، وَأَجَلَ الْكِفَايَةِ ؛ حَتَّى يَتِمَّ [مِنْ]
أَسْبَغِيفَاءِ سَعَادَاتِ الْحُظُوظِ وَحُوزِ الْقِسَمِ وَالْآمَالِ ، [إِلَى] الدَّرَجَةِ الَّتِي تَلِيكَ بِمَا أَفْرَدَهُ
اللَّهُ بِهِ مِنَ الْكَمَالِ ، وَخَصَّ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي جَمِيعِ الْخِصَالِ . وَمَنْ أَفْضَلُ مَا أُعْتَدُّ بِهِ
مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْأَمِيرِ وَبِجَمِيلِ رَأْيِهِ ، وَحَمَلٍ مِنْ طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ ؛ أَنَّى لَا أُخْلُو فِي كُلِّ
وَقْتٍ وَحَالٍ مِنْ بَهْجَةِ تَجَبُّدٍ لِي ، وَمُسَرَّةٍ تَصِلُ لِي ، وَتَتَوَفَّرُ لِي ، بِمَا يُسَبِّحُ الْأَمِيرَ
عَلَى يَدِهِ مِنْ مُسْتَضْعَبِ الْأُمُورِ ، وَمُسْتَغْلَقِ الْخُطُوبِ ؛ الَّتِي تُبْعَدُ عَنْ زُلُوفِهَا ،
وَيُجْعَلُ اللَّهُ بِطَوْلِهِ وَحَوْلِهِ الْأَمِيرَ الْقُدْرَةَ طَلِيهَا ، وَيَتَوَحَّدُ بِالْكِفَايَةِ فِيهَا ؛ فَيَمُوجُ بِجَمِيلِ
تَدْيِيرِهِ وَلَطِيفِ نَظَرِهِ ، وَيَطْرُدُ بِصَاعِدِ تَجَنُّبِهِ وَيُنْ قَهْقِرَتِهِ وَعِزِّ دَوْلَتِهِ ؛ وَذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ ، يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ كُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

الصنف الرابع - التهنئة بولاية الحجة .

وقد كان لها في الزمن القديم المحل الوافر في الدولة وطو الرتبة فيها .

من كلام الأقدمين :

تهنئة من أنشاء أبي الحسين بن سعد، كُتب بها إلى أبي بكر بن ياقوت حين ولى الحجة بعد نكبة أصابته، وهي بعد الصدر :

وقد كانت أنفُسنا معشر عبيد سيدنا وحملنا إمامه، ومؤمل أيامه، في هذه الأحوال التي نقد سيدنا منها في ابتلاء صبره، وأبان فيه قدره، وزاد العارف بفضلته نفوذا في الصبر، وأعاد قوى الارتياح فيه إلى الثقة، فاستوى المنازع والمسلم، وأستوى العالم والمُعاند - نعمة منه تعالى ذكره خصه بها وصانه عن مُشاكلة النظير، ومُزاحمة الأكفاء - على سبيل من القلق والارتياح، والسقوط والارتفاع، جزعا من تلك الحال الغليظة، وإشفاقا على تلك النفس القيسية، وخوفا على معالم البر والتقى، وبقية العلم والحجة، وتاريخ الكرم والندى، أن يدرس متارها، وتطمس آثارها، ولولا ما من الله به من الخلاص منها وما منح بكرمه في طاعتها، لأوشكت أن تأتي عليها وتُحيطها عن مواقيت آجالها، لكنه عظمت الآؤه، وتقدمت أسماؤه، أتى بالأمن والفرج، بعد استيلاء الكرب والوجع، وانتهت أسباب الرجاء والأمل، فعرف سيدنا موقع الخيرة فيما قضاه، وميز له الخيبت من الطيب بمن عاداه وتولاه، وجعل النعمة التي جدها له فيما رده أمير المؤمنين إلى تدبيره من أمر داره ومملكته، وحراسة بيضة رعيته، مشتركة النفع والفائدة، مقسومة الخير والعائده بين كافة الأمة فيما عم من المعلة، وشمل من المصلحة . ولاخ من تبشير الخير، وأمارات البركة، في استقامة أمور البلاد، وصلاح أحوال العباد، وأفرد الله سيدنا بحظ من

المَوْهِبَةِ وَقَانِي فِيهِ عَلَى حُظُوظِ الْأَوْلِيَاءِ، وَزَادَنِي عَلَى سِهَامِ الشُّرَكَاءِ . وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ فِي إِسْعَادِ سَيِّدِنَا بِمَا جَدَّدَهُ لَهُ ، وَتَقْرِيفِهِ بِرَكَّةٍ مُفْتَتَحَةٍ وَبَيْنَ خَاتِمَتِهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي مُبْتَدَأِهِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي عَقْبِهِ ؛ وَتَبْلِيغِهِ مِنْ حَظٍّ مَأْمُولٍ ، وَخَيْرِ مَطْلُوبٍ ؛ وَحَالٍ عَلَيْهِ ، وَرُتْبَةٍ سَيِّئَةٍ ؛ أَفْضَلَ مَا يَلِغُ أَحَدًا أَخْصَصَهُ بِفَضْلِهِ ، وَأَصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِنَّهُ جَوَادٌ مَاجِدٌ . فَإِنَّ رَأْيَ سَيِّدِنَا أَنْ يَتَطَوَّلَ بِإِحْرَاءِ عَبْدِهِ عَلَى كَرِيمِ حَادِثِهِ فِي تَشْرِيفِهِ بِمَكَاتِبِهِ ، وَتَصْرِيفِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، مُحَقِّقًا بِذَلِكَ أَمَلَهُ ، وَزَائِكًا فِي نِعْمَةِ عِنْدِهِ ، فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تهنئة أخرى من ذلك ، من إنشاء علي بن خلف أوردتها في "مواد البيان" هي :
 إِنَّمَا يُهِنَّا بِالْوِلَايَةِ - أَطَالَ اللَّهُ هَهَاءَ الْحَاجِبِ الْجَلِيلِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ - مَنْ
 أَنْبَسَتْ إِلَيْهَا يَدُهُ بَعْدَ أَهْبَاضٍ ، وَأَرْتَفَعَ لَهَا قَدْرُهُ مِنْ انْتِفَاضٍ ؛ وَأَوْجَدَتْهُ الطَّرِيقَ
 إِلَى إِحْرَازِ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَآكْتَنَازِ جَمِيلِ الْبَرَكَةِ وَالنِّسَاءِ ؛ وَأَفْضَتْ بِهِ إِلَى
 أَسْوَاعِ السُّلْطَانِ ، وَأَضْفَاعِ الْأَعْوَانِ ؛ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ اللَّهُ يَدَهُ الطُّوْلَى ، وَقَدَّرَهُ الْأَعْلَى ،
 وَرِيَّاسَتَهُ حَاصِلَةً فِي نَفْسِهِ وَجَوْهَرَهُ ، وَسِيَادَتَهُ مُجْتَنَّةً مِنْ سِنْفِهِ وَعُنْصُرَهُ ؛ فَالْأَوَّلَى -
 إِذَا اسْتَكْنَفِي رَغْبَةً فِي أَنْصَافِهِ وَعَدْلَهُ ، وَحَاجَةً إِلَى مَسَادَةِ وَفَضْلِهِ ؛ وَأَقْفَارًا إِلَى
 فَضْلِ سَيِّدِهِ ، وَأَضْطِرَارًا إِلَى فَاضِلِ سِيَاسَتِهِ - أَنْ تُهِنَّا الرَّعِيَّةُ بِوِلَايَتِهِ ، وَتُسِّرَ الْخَاصَّةُ
 وَالْعَامَّةُ بِمَا عَلَّقَ مِنْ أُمُورِهَا بِكَفَايَتِهِ ؛ وَغَيْرِ بَدْعٍ رُبَّمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) بِالْحَاجِبِ
 الْجَلِيلِ أَمْرَ حُجَابَتِهِ ، وَنَصْبُهُ لِلزَّجْمَةِ ^(٢) عَنْ حَضْرَتِهِ ، وَجَعْلُهُ الْوَسِيطَ وَالسَّفِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 خَوَاصِّ دَوْلَتِهِ ، وَقَدْ وَتَقَى يَمِينَ قَبِيلَتِهِ ، وَأَطْلَعَ عَلَى خُلُوصِ نِيَّتِهِ ، وَسَكَنَ إِلَى صِدْقِ
 طَاعَتِهِ ؛ وَعَرَفَ طَهَارَةَ جَنَّتِهِ ، وَسَلَامَةَ غَيْبِهِ ؛ وَصِدْقَ هَلْجَتِهِ ، وَحَصَافَةَ أَمَانَتِهِ ؛

(١) في الأصول ارتباط ولم تفلح في أيدينا من كتب الله .

(٢) أي المنع والقب قال زعمه مع أي دفعه انظر المصباح .

واعتاده للحق فيما يورد ويصدر ، ويثني ويحيي ؛ وأبتلاه فعرف طيب طعمته ،
وخفة وطائه ؛ ورأته بالضيق المهضوم ، وغلقته على السوف الظلم ؛ [فراى]
أن يحله حل من لا يغب عما شهده ، ولا يرتاب بما سمعه ، على أننى المهنا بكل
نعمة يحدها الله لديه ، وسعادة يسبقها عليه ؛ [ولو أنصفت] لسكنت من الصواب
سننا ، واعتقدت جيلا حسنا : لاستشارى بالأقص من لبوس سيادته ، وتحلى
بالأنصع من عقود رياسته ؛ وإذا كانت رعيته أجدر أن تهنا بولايته ، وتعرف قدر
مالها من الخط في نظره ؛ فانا أعدل من هنائه إلى الدعاء له بأن يبارك الله تعالى
له فيما قلده ، ويوققه فيما ولّاه ، ويسدده ؛ ويلهمه أدخار الثواب والأجر ، وأكتناز الحمد
والشكر ، والمداية إلى سنن الاستقامة ، وما عاد بحجة الخاصة والعامة ؛ وإنهاضه
في خدمة أمير المؤمنين ، والعمل من طاعته بما يزلّف في الدنيا والدين ، والله يستجيب
في الحجاب الجليل هذا الدعاء ويسمعه ، ويتقبله ويرضه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصف الخامس — التهنئة بولاية القضاء .

التهنئة بذلك من كلام الأقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خنف ، أوردتها في "مواد البيان" وهى :
أولى المنح أن يتفاض شكرها والتحت بها ، ويتقارض حمدُها والقيام بواجبها ؛
نعمة شمل عطاؤها ، وعمت أطاؤها ؛ وأشترك الناس فيها أشرك العُوم ، وحلت
منهم في النفع محلّ النيث السجوم . وهذه صورة النعمة في ولاية قاضى القضاة
— أطال الله بقاءه — لما تتضمنه من إثبات العدل والإنصاف ، وأحيسار الجور
والإنحاف ؛ وأعتلاء الحق وظهوره ، واختلاء الباطل وثبوره ؛ وعزّ المظلوم وإدالته ،
وذللّ الظلوم وإذالته ؛ وتمكين المضعوف وأقتداره ، وأخزال السوف وإقيساره .

وإن هتأته حرس الله علاه بموهبة أنى بارقها بجمل الثناء ، وجزيل الجزاء ؛ قد ناه
من تحملها بياهظ الشيء ومتعبه ، وقام من سطها بكل الأدب ومنصبه ، عدلت عن
الأمثل وصَلَّلت عن الطريقة المثلى ؛ لكنى أهنته خصوصاً بالمواهب المختصة به
اختصاص أطواق الحشائم بأعناقها - والمناقب المطيفة به إطفاء كواكب السماء
بتطافها ، فى أن ألف الله القلوب المتباعدة على الإقرار بفضله ، وجمع الأقدلة المتنافية
على الاعتراف بفضور كل محل عن محله ، وجعل كل نعمة تُسبَّح عليه ، ومِنه تُسَدَّى
إليه ، موافقة الآمال والأمانى ، مُقضية للبشائر والتَّهاني : لأنَّ مَنْ أَحَبَّ الْحَقَّ وآثَرَهُ ،
وليس الصَّدق واستشعره ؛ يَنطِقُ بلسان الإرادة والإختيار ، وَمَنْ تَرَكَهُمَا وَقَلَّاهُما ،
وخلَّاهُما وألقاهُما ، يَنطِقُ بلسان الإفتقار والإضطراب والخصائص التى هو فيها
نَسِيجٌ وَحِيدٌ ، وَفِطْرٌ يَوْمُهُ وَغَدُهُ والمحاسن التى هى أَنَامِيٌّ عِيونِ الزَّمانِ ، وَمَبْصِيحُ
أعيانِ الحُسن والإحسان . ثم أُعَوِّدُ فَأَهْنَتْهُ عموماً بالنعم المشتركة الشُّمول ، القضاة
الذُّيول ؛ التى أَقَرَّتِ الْقَضَاءَ فى نِصابه ، وأَعْلَتِ الْحُكْمَ إلى وطنه بعد نُجْعَتِهِ وأَعْتَرَبَهُ ؛
وأَعْلَمَتْهُما فى الرُّتبة الفاضله ، وَقَدَعَتْ بهما أَنْفَ الدُّرَّةِ العالِيَةِ . وأَرْفَعُ يَدِي إلى الله تعالى
داعياً فى إمداد قاضى القضاة بتوفيقى يُسَدِّدُ مَرَامِيه ، وَيُرْشِدُ مَسَاجِيه ؛ وَيَهْتَبُ أَرَاهَهُ
وَيَصَحِّحُهَا ، وَيُلْجِجُ أَحْكَامَهُ وَيُوجِّحُهَا ؛ وَيَخْلُدُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ خُلُودُهَا على الشَّاكِرِينَ ،
وَيُصَرِّهُ بِحُسْنِ الْعَقْلِ فى الدِّينِ والدُّنْيَا ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَقْبَلُ ذَلِكَ وَيَرْفَعُهُ ،
إن شاء الله تعالى .

تهنئة بذلك ، من كلام أهل العصر :

تهنئة من ذلك : أوردنا الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي فى كتابه "زهر الربيع
فى التَّرسُّلِ البديع" وهى :

(١) فى الأصل ويضمها وهى تصحيف لا يناسب المقام .

أَفَقَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامَهُ، وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ؛ وَخَلَّاهُ نَاصِرًا لِلشَّرِيعَةِ الْمَطْهُرَةِ
وَأَدَامَهُ، وَجَدَّدَ سَعْيَهُ وَأَسْعَدَ أَيَّامَهُ؛ وَجَعَلَهُ الْمُسْتَرَشِدَ وَالْمُقْتَنِيَّ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالرَّاشِدَ
وَالْمُسْتَنَجِدَ وَالْمُسْتَنْصِرَ وَالنَّاصِرَ وَالْعَاضِدَ، وَالْحَاكِمَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ (١)

من القضاة الثلاثة الواحد .

الْمَوْلَى يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ تَهْنِئَةً بِتَقْيِيلِهَا، وَأَدَاءً لَوَاجِبِ تَعْظِيمِهَا وَتَجْمِيلِهَا؛ وَيَهْتَفُ
الْمَوْلَى بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُضَاعَفَةِ نَقَادِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعِ مِثْلِهِ، وَإِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ
الشَّرِيفَةِ وَأَقْضِيَّتِهِ؛ وَتَقْلِيدِ أُمُورِ الْإِسْلَامِ، وَتَنْفِذِ أَوَامِرِهِ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِ؛ وَيَهْتَفُ
بِالْمَوْلَى مَنْ رَدَّتْ أُمُورُهُ إِلَيْهِ، وَعَوَّلَ فِي مِلَاحَظَةِ مَصَالِحِهِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ مَوْلَانَا مَا زَالَ
بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَشْهُورًا، وَسَعْبُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَعْيًا مَشْكُورًا؛ وَيَقْطَعُ مَوْلَانَا
جَدِيرَةً بِزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ، وَالْإِحْطِاطِ التَّامِّ؛ بِمِلَاحَظَةِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ وَالْمُسْتَغْنَى، وَالْفُقَهَاءِ
وَالْمُدْرِسِينَ؛ وَسَبْرِ أحوَالِ الثُّوْبَانِ، وَأَنْ لَا يَكْفِيَهُ الْإِعْتِدَادُ عَلَى حَسَنِ الْبِرَّةِ وَطَهَارَةِ
الْأَثْوَابِ؛ بَلْ يُبَيِّنُ فِي الْأَعْلَاحِ عَلَى مَا يَسْتَمِدُّونَهُ النَّظَرَ، وَيُلَاحِظُ كُلًّا مِنْهُمْ إِنْ غَابَ
عَنْ مَجْلِسِهِ أَوْ حَضَرَ؛ فَمَنْ رَأَاهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا يَقْرُبُ
إِلَّا بِأَلْفِي هِيَ أَحْسَنُ مَالِ الْيَتِيمِ؛ فَيَحَقِّقُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَمَلًا، وَلَا يُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا؛ حَرَسَ اللَّهُ الْمَوْلَى وَمَتَّعَ بِحَيَاتِهِ، وَأَعَادَ عَلَى الْكَافَّةِ بَرَكَاتِ صِيَامِهِ الْمَقْبُولِ
وَصَلَاتِهِ؛ وَنَقَعَ الْإِسْلَامَ بِمُسْتَجَابِ دَعْوَاتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف السادس — التهيئة بولاية الدعوة على مذهب الشيعة .

وقد تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلُوكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، بِالْأَمَارِ الْمِصْرِيَّةِ،
ذِكْرُ مَوْضُوعِهَا وَعُلُوُّ رُتَبَتِهَا عَنْهُمْ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا حِفْظًا لِلأَصْلِ وَلِإِحْتِمَالِ وَقُوعِهَا .

(١) يبايض بالأصل بقدر كلمة ولعه حتى يكون من القضاة الخ .

تهنئة من ذلك : من إنشاء علي بن خلف ، أوردها في "مواد البيان" وهي :

أطال الله بقاء داعي الدعاة لصباح من الرحمة يُبلّجه ، وطريق من الحكمة يُظهر
بيانه ، وليل من السنة يترع طيلسانه ؛ وحرمة على الإيمان يُجدد ما أخلق من بروده ،
ويُنظّم ما وهى من عقوده ؛ وعلى المؤمنين يفتح لهم أبواب الرّشاد ، ويهيى إليهم سماء
الإفادة والإمداد . ولا زالت الحقائق مقصودة منه بالميزة التي رشحتة لحفظ مبانيها ،
وأهلتها للعبارة عن معانيها ، حتى يرقىها في الأخلاق ، ويمحو بهار رسوم العناد ، وينشر
بشرها في الآفاق والبلاد . أنا أعذل عن هناء داعي الدعاة - أطال الله بقاءه -
بما عُدّ به من أمر الدعوة الهادية العلوية ، ونُصب له من فرمضاحك المشكلات
عن أسرار الحقائق الإلهية ، والترجمة عن غوامض الحكم الشرعية ، والتوقيف على
موارد الهدى ومشارعه ، والإرشاد إلى مشارق الحق ومطالعته ، إلى هناء الدعوة
وأهلها بما قبضه الله تعالى لهم من محله الرفيع الذي ألحقه العقل نحو هذا الكمال ،
ووطأ له مدارج الترقى والاتصال ؛ فشقت نفسه وشرقت ، وتطلعت على عالم الملكوت
وأشرقت ؛ وجنى بيد التبصرة ثمار الحكمة ، وأستترل بمزول المواد غيوت النعمه ؛
وجرد الضياء من الظلام ، تجريد الأرواح من الأجسام إلى دار السلام ؛ وأستمد
بطيفته موائد علوم عالم اللطافه ؛ وأمد بمركب ألفاظها تحاكم الكافه ، وحلّ في الغبراء
حلّ الغراء في الخضراء ، إن أوصحت سبيل سائر ينجب طريق جائر توصّل بتروعها
غاشية لظلام ، حُسِر عن الحق قناع إبهام ، أوفلت في الجواهر زيادة وثمرة (؟)
أخذت تعاديا (؟) فادّنته اللهم العاملة شرقاً ومُتَمَّا : لما أعلّ بذلك من قدرها وقدرهم ،
وطيب من ذِكْرها وذِكْرهم ؛ وأعطف إلى الدعاء لداعي الدعاة بأن يجعل الله تعالى

ماخُوْلُه من هذه الرِّياسَة رَاهِنًا لَا يُرْتَجَع ، وَمَا تَوَلَّه من هذه السَّيَادَةِ مُسْتَقَرًّا لَا يُنْتَرَع ؛
وَأَنْ يُؤَيِّدَهُ بِالتَّوْفِيقِ ، وَيُعَبِّدَ لَهُ مَنَاجِحَ الصَّحِيقِ ؛ وَيُطْلِقَ لِسَانَهُ بِالْبَيَانِ ، وَيُمِدَّهُ بِرُوحٍ
مِنْهُ فِي نُصْرَةِ الْإِيمَانِ ؛ وَقَدْ حَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِاجَابَةِ دَاعِيهِ ، وَلَا سِيَّامَا دَاعِيَ الدُّعَاةِ
[فَإِنَّهُ] جَدِيرٌ أَنْ يُجَابَ الدُّعَاءُ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال في "موادِّ البيان" : وإنما أوردت هذا المثال بهذه الألفاظ ، لأن ألفاظ
هذا الداعى يجب أن تكون مشتقة من ألفاظ الدعوة ، مناسبة لمنهجها ؛ ولولا ذلك
لأغنى عنه مثال تهتة قاضى القضاة ؛ ومن تأملهما عرَفَ ما بينهما من الفرقان .
الصنف السابع — التهنئة بالتقدمة على الرجال .

رُقْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ :

[من حل] محلِّ سِدى — أطال الله بقاءه — من السُّؤْدَدِ الناطقي الشَّواهد ،
المنتظم المعاقِدِ المتضارِع الطَّارِفِ والتَّالِدِ ، المتَّيِّلِ في الوَلَدِ عن الوالدِ والمُجِدِّ الذي
قَصُرَ عَنْ مُطَاوَلَتِهِ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ ، وَتَطَاوَلَتْ لَهُ الْإِنْعَامُ الْمُخَوَّلُ ؛ وَحَازَ مَا حَازَهُ مِنْ شَرَفِ
الرِّياسَةِ ، وَفَضْلِ السِّيَاسَةِ ، وَالْاِسْتِغْلَالِ بِمُحَقَّقِ مَا تَوَلَّاهُ ، وَتَسْدِيدِ مَا تَوَلَّاهُ وَأَسْتَكْفَاهُ ؛
فَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ أَعْلَى الرُّتَبِ ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَيْهِ الْمَنَازِلُ السَّيِّئَةُ مِنْ كَشْبِ خُطْبَتِهِ الْعُلَا
سَائِقَةٍ عَنْ مَهْرَهَا ، وَتَطَامَنَتْ لَهُ مُوَطَّئَةٌ ظَهَرَهَا ؛ فَلَمْ يَكْتُرْ لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى [أَهْلِ]
عَصْرِهِ فَضْلًا عَنْ قَبِيلَتِهِ ، وَيَتَأَمَّرَ عَلَى جَمِيعِ نَوْعِهِ فَضْلًا عَنْ طَائِفَتِهِ : لِأَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ
بِالرِّبَّةِ وَالطَّبِيعِ ، لَا بِالْأَصْطِلَاحِ وَالْوَضْعِ ؛ فَشَكَرَ الْمَمْلُوكُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى بُرُوعِ هَلَالِهِ
وَأَبْرَاقِهِ ، وَطُلُوعِهِ لِمِيقَاتِ الْعِزِّ وَتَفَاقِهِ ؛ وَمَا لَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا أَقْرَبَ الْعُيُونَ مِنْ سَيَادَتِهِ ،
وَحَقَّقَ الظُّنُونَ فِي سَعَادَتِهِ ؛ خَالِدًا رَاهِنًا ، وَمُقِيمًا قَاطِنًا ؛ وَأَنْ يَزِيدَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ،
وَيُرْقِيَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي دَرَجِ السِّيَادَةِ : لِتَكُونَ هَذِهِ الرِّبَّةُ عَلَى أَمْتِنَاجِ مَرْقَبِهَا ، وَارْتِفَاعِ

مرَّكِبها ؛ أَوَّلَ درجة تَحَطَّأها ، ومترلة فَرَعها وعَلَّأها ؛ ثم لا يزال راقيا فيما يتلوها حتى يَحْتَدِي بكَوَاكِبِ الجُوزاء ، وَيَطْجُودَارَةً عَلَى الحُلَفَاء ، مُهَنَّا غيرَ مَنْقُصٍ ، ومُرِيدًا غيرَ مَنْقُصٍ ؛ والله تعالى يَجِيبُ هذه الأَدْعِيَةَ الواقعةَ مَوَاقِعها ، والمستَحَقَّاتِ المَوْضُوعَةِ مَوَاضِعها .

الصنف الثامن - التهنية بولاية الديوان .

رُقْعَةٌ مِنْ ذَلِكَ :

وَيُنْهِى أَنَّ مِنْ حَلِّ حَمَلٍ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ رَافِلًا فِي بُيُوسِ السَّعَادَةِ ، مَتَحَفِّلًا بِسُلُوسِ السِّيَادَةِ ؛ مَتَقَلًّا فِي رُتَبِ الْمَجْدِ ، مَتَوَقِّلًا إِلَى غَدِنِ الْجَدِّ ؛ مَسْتَوِيًّا عَلَى شِعَابِ الْعِلْمِ ، مَتَمَكِّيًا مِنْ رِقَابِ الْأَعْدَاءِ - فِي الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِحَقُوقِ الْإِضْطِفَاءِ وَالْإِضْطِنَاعِ ؛ وَرُقْعَةً مِنْهُيهِ عَلَى الْكِفَايَةِ وَالْعَفَاءِ ، وَالنَّهْوِ بِثَقِيلِ الْأَعْيَاءِ ؛ خُطْبَتَهُ التَّصَرُّفَاتِ حَامِلَةً عَنْهُ صِدَاقَهَا ، وَقُسُوفَتِهِ الْوَلَايَاتُ مَادَّةً إِلَيْهِ أَعْتَقَهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مَا جَنَّدَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ سَعَادَتِهِ ، وَأَنْجَزَهُ مِنْ مَوَاعِيدِ سِيَادَتِهِ ، الَّتِي كَانَتْ وَاضِحَةً فِي غَمَائِلِ فَضْلِهِ ، لَا تُحِثُّ فِي دَلَائِلِ نُبُلِهِ ، مَكْتُوبَةً فِي صَفَحَاتِ الْأَقْدَارِ ، مَرْقُومَةً بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بَيَاضِ النَّهَارِ ؛ جَنَدِلَ الْمَمْلُوكُ بِذَلِكَ ، جَنَدِلَ الْحَمِيمِ الْمَشَارِكِ ، وَسُرَّ بِهِ سُرُورَ الْخَلِيطِ الْمَشَائِكِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّ الَّذِي تَوَلَّاهُ مَوْلَانَا وَجَدَ [فِيهِ] خَلًّا فَرَقَمَهُ ، وَنَجْمًا فَرَقَمَهُ ، بَلْ لِأَنَّ الْحَقَّ غَالِبَ الْخَطِّ فَعَلَبَهُ ، وَالْوَاجِبَ سَالِبَ الْمُحْكِنِ فَمَسَلَبَهُ ؛ وَأَنَاحَ رِكَابَ الرِّيَاسَةِ فِي الْحُلِّ الْخُصْبِ الَّذِي يَجْمُدُ وَيَرْقِضُهُ ، وَاللهُ تَعَالَى يَنْفَضِّلُ عَلَى رِعْيَتِهِ ، الْمُتَوَطِّئِينَ بِفَاضِلِ سِيَاسَتِهِ ، مِنْ حَيَاتِهِ وَلُطْفِهِ ، وَرَأْفَتِهِ وَعَطْفِهِ ، بِمَا يُسَيِّغُ عَلَيْهِمْ ظِلَالَ الْعَدَلِ ، وَيَقْلِّصُ عَنْهُمْ سُئُولَ الْجُورِ وَالْحَيْفِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

قلت : وكتبْتُ للقرَّ البدرى محمود الكلستانى الشهير بالسراى مهتتا له باستقراره
فى كُتَّابَةِ السَّرِّ الشَّرِيفِ بالديارِ المصريةِ فى الدولةِ الظاهريةِ « برقوق » فى سلطته الأولى :

رَفَعْتَ لِلْمَدِّ مَدًّا وَلَيْتَ بُنْيَانًا * وَشَدَّتْ لِلْفَضْلِ بَعْدَ الْوَهْنِ أَرْكَانًا !
وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ فِي زَهْوٍ وَمَالِكُهُ * يَمِيسُ عُجْبًا، وَهَذَا التَّخْتُ إِيوَانًا !
قَدِمْتَ مِصْرًا فَاسْتَمَنَّاكَ فِي قَرَفِهِ * تَهْزُ بِالْإِشْرَمِ لِقِيَاكَ أَرْدَانًا !
وَعُودِ النَّيْلُ مَدًّا وَاقِفَتْ مُبْتَهَجًا * وَقَدْ رَى الصَّدَّ وَالْإِبَادَ جَيْحَانًا !
أَلْفَاظُكَ الْفَرْصَارَتْ لِلرُّورَى مَثَلًا * وَكُتِبَكَ الزُّهْرُ بَعْدَ اللَّثَمِ تَيْجَانًا !
تَهْوَى قُوسًا إِذَا تَبَدُّوْا فَصَاحَتُهَا * وَتَفْضَحُ الْمِصْقَعُ الْمَلَّاقُ تَحِيَانًا !
قَدْ أَقَمْتَ فِي جَمَازَاتٍ بِلَاغَتُهَا * تُرَكَّا وَرُومًا وَبَعْدَ الْفَرْسِ عُرْبَانًا !
كُلُّ الْمَوَالِي إِذَا وَلَّوْا فَلَا أَسْفَ * إِذْ أَنْتَ بَاقٍ، وَيُسْقَى اللَّهُ مَوْلَانَا !
مَوْلَى بِهِ قَدْ تَسَرَّفْنَا وَبَحَلْنَا * بِوَجْهِهِ، وَلِذِكْرِ الْعَوَمِ أَنْسَانَا !

الصفحة التاسعة - التهنئة بولاية عمل .

أبو القَرَجِ الْبَيْعَاء :

عَرَفَ اللهُ سَيِّدِي بَرَكَةَ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، بِنَيْلِ نَظَرِهِ الْجَمِيلِ، وَحَمِيدِ أَمْرِهِ
الْمُحْرَسِ ؛ وَتَنَاصَرُ سِيَاسَتُهُ الشَّرِيفَةُ بِسِمَةِ رِيَاسَتِهِ ؛ وَوَقَّ رَعِيَّتَهُ لَشُكْرِ مَاوَلِيَّهَا مِنْ
فَائِضِ عَدْلِهِ وَمَحْمُودِ فِعْلِهِ ؛ فَالْأَعْمَالُ مِنْهُ - أَيُّدُهُ اللهُ تَعَالَى - بِالتَّهْنِئَةِ أَوَّلَى، وَبِالتَّطَاوُلِ
بِمَا شَمِلَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ تَتَبِعُهُ أُخْرَى ؛ وَاللهُ بِكَرَمِهِ يَسْمَعُ فِيهِ صَالِحَ الدَّعَاءِ ، وَيَبْلُغُهُ أَيْلَافَ
مُدَدِ الْبَقَاءِ، فِي أَسْبَحِ نِعْمِهِ، وَأَرْفَعِ مَثَلِهِ، وَأَصْلِقِ أَمْنِيَّتِهِ، وَأُنْجِجِ طَلِبَةَ بَيْتِهِ .

وله في مثله :

لولا ما يَسْرُكُ التَّهَانِي من بركات اللّٰه الذي أَرْجُو أَنْ يَسْمَعَ اللهُ فِيكَ صَاحِدَه ،
وَيُجِيبَ أَحْسَنَه ؛ لِأَجْلَلَتَكَ عَنِ التَّهْنِئَةِ بِمُسْتَجِدِّ الْأَعْمَالِ ، وَمُسْتَحْدَثِ الْوِلَايَاتِ ،
لِقُصُورِهَا عَنْ اسْتِحْقَاقِكَ ، وَأَنْحِطَاتِهَا وَإِنْ جَلَّتْ عَنِ أَيْتَرِ وَاجِبَاتِكَ ؛ وَتَجَلَّيْهَا
بِأَنْوَارِ كِفَايَتِكَ ، وَبَرَكَاتِ نَظَرِكَ ، وَمَوَاقِعِ انْصِبَاتِكَ . فَهَنَّاكَ اللهُ نِعْمَةَ الْفَضْلِ الَّتِي
الْوِلَايَةُ أَصْغَرَ آلَاتِهَا ، وَالرَّيَاسَةُ بَعْضُ صِفَاتِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ مَوْهِبَةٍ مُجَلَّدَةٍ ،
وَمِنْحَةٍ مُؤَبَّدَةٍ .

وله في مثله :

سَيِّدِي - أَيُّدَهُ اللهُ - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأَتَبِّهُ ذِكْرًا ؛ وَأَعْظِمُ نُبْلًا ، وَأَشْهَرُ فَضْلًا ؛ مِنْ
أَنْ تُهْنِئَهُ وِلَايَةً وَإِنْ جَلَّ خَطَرُهَا ، وَعَظُمَ قَدْرُهَا ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ تَهْنِئَةُ الْأَعْمَالِ بِفَائِضِ
عِلْمِهِ ، وَالرَّجِيئَةَ بِمَحْمُودِ فَضْلِهِ ، وَالْأَقَالِمَ بِأَثَارِ رِيَاسَتِهِ ، وَالْوِلَايَاتِ بِبَيِّنَاتِ سِيَاسَتِهِ ؛
فَعَرَفَهُ اللهُ يُنَنِّ مَاتَوْلَاهُ ، وَرَعَاهُ فِي سَائِرِ مَا اسْتَرْطَاهُ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِيمَا يُعَانِيهِ ،
وَالْتَسَدِيدِ فِيمَا يُبْرِمُهُ وَيُمِضِيهِ .

الأجوبة عن التهاني بالولايات

قال في "مواد البيان" : هذه الكتب إذا وردت، وجب على المحب أن يستنيط
من كل كتاب منها المعنى الذي يُجيب به . قال : والطريقة المستعملة فيها أَنَّ كِتَابَ
المحب يجب أن يبنى على أَنَّ المهنئ قسمٌ في النعمة المتجددة ، وشريكٌ في المنزلة
المستحدثة ، وَأَنْ الحظَّ الأوفر فيما ناله المهنئ للهنيئ وبركة دُعائه ، وتوقفه لما يردُّ

من حاجاته وتبعاته لينقذها ، نازلا على أخلص خالصته ، وعاملا بشروط مودته ؛ ونحو هذا مما يضارعه . فإن كان المحيَّب رئيسا أو مرعوسا ، وجب أن يرتب الخطاب على ما تقتضيه رتبة كل واحد منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع :

وردت المشرقة الكريمة ، أتم الله على مرسلها نعمته ، وأعلى قدره ومترتبه ؛ وجعل جناح العدا مخفوضا ، وصيَّسه في دعة وخفض ، وقدره للتمييز مرفوعا ، وعدوه للتقصير في انحطاط وخفض ؛ فتلقاها باليمين ، وظنَّها الريح الجنوب لما تجملته من رقة الحنين ؛ وعلم ما أبداه فيها من تفضلاته ، وأعترف بالتقصير عن مجاراته ومجازاته ؛ فشئت سمعه بالفاظ كأنهنَّ اللؤلؤ والمرجان ، وبينت البون الذي بينه وبين غيره تلك الفصاحة والبيان ؛ وقابل أياديه بشكر لسانه ، وجازاه بحسن الدماء عن إحسانه ؛ ولا يقوم بشكر فضله اللسان ولا الجثمان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ .

فأما ما أشار إليه من الهدء بالمكان الذي تولاه ، وأبداه من المحبة التي أوجبت عليه أن يتولاه ، فالله تعالى يعينه على ما هو بصدد ، ويحل الحق والخير جارين على لسانه ويده ؛ ويرزقه اتباع محكم كتابه وسنة رسوله ؛ ويحصل له من الرشد غاية سوله ومأموله ؛ فإن هذه الولاية صعبة المراس ، وجوادها كثير الشماس ؛ لكن يبركت المولى يحصل من الله الأرب ، ويبهل لأوليائه القصد والإسعاد والطلب ؛ أدام الله ظل المولى وأسعده ، وأوضح لديه طريق السعادة ومهده ؛ ومنعه من اللطاف الخفية أفضل ما صوده ؛ بمنه وكرمه .

الضرب الثاني

(التهنئة بكرامة السلطان وأجوبتها)

وفيه ثلاثة أصناف :

الصف الأول — التهنئة بالإتمام والمزيد وليس الخلع وغير ذلك .

من كلام الأقدمين :

ويُنهى أنه اتَّصل بالملوك ما أهل مولانا السلطان مولانا له : من المحلِّ السنيّ ،
والمكان العليّ ، الذي لم يزل موقوفاً عليه ، متشوقاً إليه ، نافرّاً عن كلّ خاطبٍ سواه ،
جامعاً على كلّ راكبٍ إلاّ إياه ، فأقر الله عينَ الملوك بذلك لصِدق ظنه ، وعلم أنّ
ما أصاره الله تعالى إليه من هذه المترلة المنيفة ، والرتبة الشريفة ، مدرجة مُفضي
إلى مدارج ، ومعرجة تنهى إلى معارج ؛ والله تعالى يزيدُ معاليه علواً ، ويضاعف
عمله سُموّاً ، بمِنَّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

ومنه — ويُنهى أنه اتَّصل بالملوك نبأُ الموهبة المتجددة لديه ، والنعمة المُسبغة
عليه ؛ وما اختصّه به مولانا السلطان من الإصطفاء والإيثار ، والاجتياء والإختيار ،
وتقديمه للرتبة الأئمة ، والإئافّة إلى المترلة الخطيرة ؛ فسرّ الملوك للرئاسة إذ أطلها
الله تعالى في محلّها ، وأزَلّها على أهلها ، ووصلها بكفّنها وكافئها ، وسلمَ قوسها إلى راميها ؛
والله تعالى يجعلُ هذه الرتبة أوّلَ مرّقة من مرّاقِي الآمال ، ومكينِ الرُتب التي يفرعها
من رُتب الجلال ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

أدام الله أنصارك، وجعل التقوى شعارك، وألبسه من المحامد أكرم حلّه، وتولّه من المكّارم أحمد حلّه، ولا زالت الخلق تتشرف إذا أفيضت عليه، والمدائح تُستطاب بذكره لاسيّما إذا أنشدت بين يديه .

الخادم يُنوي إلى علم المولى أنه اتصل به خبر أهدى إليه سرورا، ومنحه بهجة وجورا : وهو ما أنعم به المولى السلطان خلد الله سلطانه، وضاعف إحسانه : من تشريفه بخلعته، وما أسبقه عليه من وأرف ظله ووافر نعمته، وأبداه من عنايته بالمولى ومحبة، وقد حصل له من المصرة ما أجذله، وبسط في مضاعفة سعد المولى أمله، فإنه بلغه أنّ هذه الخلعة كالرياض في تضاريتها، وحسن بهجتها، وأنها كلما برقت برق لها البصر، وظلّها حسنها حديقة وقد حلق إليها النظر، وقد جمعت ألوان الأزهار، وأزرى ناصجها في اللطف على تسمية الأحجار، وأسكنت حبا حبات القلوب التي في الصدور، وتمت عن الملبح برائقي المنطوق وفائقي المنشور، وأن ابن سليمان لو راها، لا عترف بأن في ثمنها لكل قتي شرقا لاريب فيه، ونسب البيت المنسوب إليه إلى أعاديه، وأنه لو نظر نظرة تضارها لما جعل لها في الحسن نظيرا، ولو أقامها على وجهه لأرتد لوقته بصيرا، فلذلك أصدر هذه الخدمة مهنية، ومغرية عما حصل له من الترح ومنيته، ولجيد منحه العاطل من مثل هذه الألفاظ محليّة، وتولّه الله في كلّ يوم مصرة وبشرى، وأجرى له على الألسن حمدا وشكرا، وجعله لكل خير أهلا، وشكره تفضلا شاملا وقضلا، ومنعه من العافية بلباس لا يلبى، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني - التهئة يرضا السلطان بعد غضبه .

فمن ذلك :

وَيُنْبِئُ أَنَّهُ اتَّصَلَ بِى مَا جَنَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَوْلَاى - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - مِنْ حُسْنِ
حَاطِفَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ - وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْصَرَفِهِ ؛
وَعَادَتِهِ إِلَى رُبَّتِهِ الَّتِي نَشَرَتْ عَنْهُ دَلَالًا لَا مَلَالَ ، وَهَجَرَتْهُ هَجْرَ الْمُسْتَصْلَحِ الْمُسْتَعْتَبِ ،
لَا هَجْرَ الْقَالِيِ الْمُتَجَنِّبِ ؛ وَكَيْفَ تَقْلَاهُ ، وَهِيَ لَا تَجِدُ لَهَا كُفُوًا سِوَاهُ ؛ وَلِتَوَقَّعِ
الْمَمْلُوكُ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، وَلِيَهْ أُنْ عَوْدَهَا إِلَيْهِ كَعَوْدَةِ الْمُودَعِ [إِلَى مُودِعِهِ] ،
لَا عَوْدَةَ الْمُتَجَنِّبِ إِلَى مَرْتَبِهِ ؛ وَأَنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْأَنْحِرَافِ إِصْلَاحٌ بِأَيْدِيهِ تَهْذِيبٌ
وَتَقْوِيمٌ ، وَخَافِيهِ تَوْقِيرٌ وَتَعْظِيمٌ : لِمَا فِي عِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَرَفِ الرَّثْبَةِ ،
وَالدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِقْرَارِ الْأَثَرِ وَالْقُرْبَةِ ؛ وَحُلُولِهِ عَلَى الصُّبْحِ ، مِنْ أَيْضِ النَّصَالِ ،
وَالْتَقَافِ مِنَ الْعَسَالِ ؛ وَلَا سِيَّما وَرِيَاسَتَهُ مُحْفُوظَةً ، وَسِبَادَتَهُ مُحْفُوظَةً ؛ وَهَيْئَتَهُ
فِي الثَّقُوسِ مَائِلَةً ، وَجَلَالَتِهِ فِي الْقُلُوبِ حَاصِلَةً ؛ وَلَمْ يَرِ الْمَمْلُوكُ أَجَلَ مُوَهِّبَةٍ مِنْ اللَّهِ^(١)
سُبْحَانَهُ مِنْ شُكْرِ سِتْرَتِهِ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَيَحْلِدُهَا ، وَحَدَّ يَرْتَبُهَا وَيَقْبِلُهَا ؛ وَرَغِبْتُ
إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِزَّ الْحَادِثَ لَا بُدَّ لَا يَتَحَوَّلُ ، وَالسَّعْدَ الطَّارِفَ مَا كُنَّا
لَا يَنْتَقِلُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن ذلك :

وَيُنْبِئُ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الزَّمَانِ أَنْ يَكْفَ مَحَابَهُ ثُمَّ يَكْفُ ، وَيَرْفُ نَبَاهَهُ
ثُمَّ يَجِفُّ ؛ وَيَذَرُ حَلَبَهُ ثُمَّ يَنْقَطِعُ ، وَيُقْبِلُ خَيْرُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ ؛ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا سَلَبَ
النِّعْمَةَ مِنْ يَسْتَوْجِبُ إِمْرَارَهَا عَلَيْهِ ، وَأَقْرَعَ الْمَوْهَبَةَ مِنْ يَسْتَحِقُّ اسْتِزَارَهَا لَدَيْهِ ؛

(١) لعل الروايات المذكورة ويكون متعلق بالام في قوله «ولتوقع» الخ تأمل .

كَانَ كَالْغَالِيطِ الَّذِي يُرَاجِعُ نَفْسَهُ فَيَنْدِمُ عَلَى مَا قَرَّبَ، وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَدْرِكَ الْغَلَطَ؛
 مُعْقِبًا ثَبُوتَهُ بِإِنَائِهِ، مُتَعَقِبًا هَفْوَتَهُ بِاسْتِقَالَتِهِ؛ مَاجِيًا إِسَاءَتَهُ بِرَأَبِ مَا ظَنَّمْ، وَأَسْوَأَ مَا كَلَّمَ؛
 وَإِصْلَاحَ مَا أَفْسَدَ، وَتَأْلِيفَ مَا شَرَّدَ . فَلَا جَرَمَ أَنَّ النُّفُوسَ بِإِقْبَالِهِ عَلَى مَنْ هَذِهِ
 صِفَتُهُ وَائْتِهَ، وَالْأَمَالَ لِإِنْصِرَافِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ مُتَحَقِّقَةً؛ وَإِذَا سَلَبَهَا هَرَوَلُ
 فِي إِيدَاعِهَا لَدَيْهِ، وَأَخَذَ [فِي] إِفَاضَتِهَا عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ الْمَمْلُوكُ - مُدَّ عَامِلَ الزَّمَانُ مُوَلَانَا
 بِسُوءِ أَدَبِهِ، وَنَأَى عَنْهُ بِجَانِبِهِ؛ وَقَبَضَ بِنَائِهِ، وَغَيَّرَ طَبِيعَةَ سُلْطَانَتِهِ - حَارِقًا أَنَّ هَذِهِ الْفَعْلَةَ
 فَلْتَةٌ مِنْ فَلَاتِهِ الَّتِي يَتَوَقَّعُ شَرَّهَا، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى مِثْلِهَا؛ وَأَنَّ الْإِسْتِيفَارَ، يُقَوِّدُهُ
 إِلَى الْإِغْتِنَارِ، وَالْإِضْطِرَارِ، يَحْدُوهُ عَلَى رَدِّ مَا أَتْرَعَهُ بِالْإِجْبَارِ : لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْ يَحُلُّ
 مَحْلَ مُوَلَانَا فِي آرْتِبَاعِهِ بِإِيْنَانِهِ، وَتَعَهُّدِهِ بِسُقَى أَغْرَاسِهِ؛ وَفِيَانِهِ بِشُكْرِهِ، وَتَزَكِيَتِهِ بِبِرِّهِ -
 مُتَوَقِّعًا لِأَن تَبْقِظَ عَيْنَهُ، وَيَنْكَشِفَ رَيْتُهُ؛ فَيَرَى مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ، وَيُيَادِرُ لَاسْتِقَالَةَ
 مَا جَنَاهُ؛ حَتَّى طَرَقَ الْبَشِيرُ بِمَا سَهَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْحِسَارِ الْكُرْبَةِ، وَعَوْدِ مُوَلَانَا إِلَى
 شَرَفِ الرُّتْبَةِ؛ وَصِلَاحِ مَا فَسَدَ، وَعَوْدِ السُّلْطَانِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ إِلَى مَا عَاهَدَ؛ وَرُكُونِهِ
 إِلَى حَضْرَتِهِ، وَأَثْلَافِهِ عَنْه رَافِلًا فِي تَشْرِيفِهِ وَمَكْرَمَتِهِ؛ فَكَانَ مُعْتَقِدُ الْمَمْلُوكِ فِيهِ هِلَالًا
 فِي السَّرَارِ فَاهِلًا، وَجَنِينًا فِي الْحَشَا فَاسْتَهْلَ؟ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنَ السَّرُورِ مَا عَمَّ
 جَوَارِحَهُ، وَعَمَرَ جَوَانِحَهُ؛ وَأَطَارَ بِجَنَاحِ الْمَرْحِ، وَالْبَسَ حُلَّةَ الْفَرَجِ؛ إِذْ مَا جَدَّدَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ يَحُلُّ بِهِ فِي الْعُمُومِ، مَحْلَ الْفَيْثِ السَّجُومِ؛ لِأَنَّهُ حَرَسَ اللَّهُ
 عِزَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِعَوَافِقِ اللَّهِ عِنْدَهُ، وَلَا يَكْرَهُ عَلَى عَطَايَاهُ يَدَهُ؛ بَلْ يَمْنَحُ مِمَّا مُنَحَ؛
 وَيُوَلِّي مِمَّا تَوَلَّى، وَلَا يَضُنُّ بِمَالٍ وَلَا جَاهٍ، وَلَا يَقْعُدُ عَنْ أَمَلِهِ وَرَجَائِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
 يَجْعَلُ ذَلِكَ مِمَّا أَقْرَبَهِ الْغُيُوبِ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظُّنُونُ؛ لِأَنَّهُ لَقَدْ أَهْلَكَهُ الْإِيَّامُ وَلَا تَبْلِيهِ،
 وَلَا تَزْوِيهِ الْحَوَادِثُ وَلَا تَوَثَّرَفِيهِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصف الثالث — التهئة بالخلاص من الاعتقال .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جند الله سعدَه ، وضاعفَ جَدَه ؛ وانجحَ قصَدَه ، واعتبَ منهلَه وورَدَه ؛ ولا
أنفَكَ الأيامَ زاهيةَ بَيَاقِه ، والأفئسَ مسرورةَ بِأَرْقَانِه إلى رُتَبَ عَلَيَّه . أصبَرها
تَفْصيحَ عن شَوْقٍ يَجِيزُ عن سَوَاقِه الحَنَانِ ، وقَصُرَ عن طُولِه اللِّسانُ ؛ وسُرورَ تَزَايِدَ
حتى أبكاه ، ولاجَ بمشاهدَةِ طَلْعَتِه السعيدَةِ أَفْرَاه ؛ وثَنِيتهُ بما جَدَدَ الله له بعدَ
الاعتقالِ من الفَرَجِ والفَرَحِ ، ومنَّ به بعدَ ضيقِ الخَوَاطِرِ من الإِبتِهَاجِ والمَرَحِ ؛
فهذه المسرَّةُ ماءٌ زَلَالٌ يَرُدُّ بها الأروَامَ ، وإِنصَامُ مَآثِمَ ، حمدُ الله عليها الخَلاصَ والعَاقِبَ ؛
فالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَوَّضَهُ عن مَآثِمِ الحُزْنِ بِمَآثِمِ السُّرُورِ ، و[عن] ألْهَمَ المَانِعَ عن الوُرُودِ
والصُّدُورِ بِإِشْرَاحِ الصُّدُورِ ؛ فَإِنَّ القُلُوبَ شَعَفَهَا حُبُّهُ وشَفَّعَهَا ، وضاعَفَ لتعويدهِ
أَسَاوَاهَا وأسَفَهَا ؛ بِحَيْثُ آتَرَى المَنَاطِقَ قَلْبُكُ وَطَلَاهَا أَصْفِرَارُ ، وعُطِّلَتْ يَدُ كُلِّ غَانِيَةٍ
من الحُلِيِّ فَما ضَمَّتْها قَلْبٌ ولا مِسْوَارُ ؛ وليسَ الخُطْبَاءُ حَزَنًا وأَلَيْسَتْهُ المَحَارِيرُ ، وكادَتْ
لَفَيَّتِيتهُ وَقَدَّ أَسْمِيهِ تَنْدُبُهُ الجَوَامِعُ وَتَبْكِيهِ المَنَابِرُ ؛ خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ ، وسَهَّلَ لَهُ من خَيْرِي
الدُّنْيَا والآخِرَةِ قَصْدَهُ وإِرَادَتَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الأجوبة عن التهئة بكرامة السلطان ورضاه بعد غضبه

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبة هذه الرفاع مودعة من الثناء
على المهيئ — لحافظته على رسوم المودة وقيامه بشروط الخلّة — ما تقتضيه رتبته ورتبة
الحبيب ، وأنه مشارك له في متجدد النعمة ، مفاوض في حديث المسرة ؛ والتيسر
بالدعاء ، ونحو هذا مما يحسن موقعه عند المبتدئ بالهناء ، ويضعه بحيث وضع
نفسه من الاختصاص بمن كاتبه .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الربيع : [جواب] هناء بخيلة :

أدام الله علاءه ، وشكر الآءه ، وضاعف سئاه ؛ وحيد منته التي أثقلت لكل
معتيف ظهرا وخففت هما ، وأثالث لكل ولي نصيبا من عوارفها وقسما . المملوك
ينهى إلى العلم الكريم ورويد المكتبة التي كسنتها يده حلة جمال ، والبستها ثوب
إفضال ؛ وأعسنتها بكرمها ، وحسنت وجهها بلسان قلبها ؛ فامطرته بحباب جود
أربى على السحاب المتون ، وأوقفته منها على ألفاظ كأمثال اللؤلؤ المكنون ؛ فأجنى
ثمار الفضائل من أغصانها ، وأجنى عروس محاسنها وإحسانها ؛ وفيهم ما أشار إليه
من التهنية بالخلة التي أنعم المولى بها على خادمه وتصدق ، وحقق الأمل في مكارمه
وصدق ، وإنعامه خلده الله دولته ، وأعز نصرته ، قد كثر حتى أعجمه ، وميزه على
كثير من ممالك بته العالي وفضله ؛ وأثاله من المنزلة ما سماها على أمثاله ، ورفى بها
بعد رقة حاله ؛ فانه يخلد سلطانه ، ويثبت بالسعادة أركانه ؛ وهذا بسعادة مولانا
ومساعدته ، ومعاونته ومعاضدته : فإنه كان السبب في الاتصال ببابه أولا وآخرا ،
ومن أغاثه بذلك وأعانه عليه باطنا وظاهرا .

وكل خير توخاني الزمان به * فانت باعته لي او مسبه

(١) في الأصول آتم الله بها خدومه ، ولا معنى له تأمل .

الضرب الثالث (من التهانى التهتة بالعود من الحج)

وهذه نسخ من ذلك يُسج على منوالها .

فمن ذلك :

ويُنهى أنه طرق المملوك البشير يعود مولانا - أطال الله بقاءه - من مقام
الطائفين ، إلى مقام المعفين ، وأورجه من كعبة الإحرام ، إلى كعبة الإكرام ،
وتقلبه من موقف الججاج ، إلى موقف المحتاج ، وحلولة بمنزله الذى هو قبلة ذوى
الآمال ، وعط الرّحال ، بالسعى المشكور ، والحجّ المبرور ، والنسك المقبول ،
والأجر المكتوب ، فحمدت الله تعالى على موهبته ، وسألته زيادته من مكرمه ؛
وأستجحت هذه المكتبة أمام ما أرومته من مشاهدته ، وأرجوه من الاستسعاد
بملاحظته ، وبرد أوار الشوق بخاضرته ، ومجدداً عهد التيمن بميامنه ؛ فإن اقتضى
رأيه العالى أن يعرف المملوك جملة من خبره فى بذته وعوده ؛ ومنقلبه ومتوجهه ؛
وما تفضل الله تعالى به من أمان سبيله ، وهداية دليله ؛ وتخفيف وعناء سفره ،
وتسهيل وطره : لا يمكن إلى ذلك إلى حين التمثل بنظره ، فله الفضل فى ذلك .
والله تعالى يبلغه سؤله ، ويوصله مراده ومأموله ؛ بمنه وكرمه .

ومن ذلك :

ويُنهى أن مولانا لا يزال حاجاً إلى كعبة الحرم ، أو كعبة الكرم ، وطائفاً بشعائر
الوفود ، أو بشعائر الجود ؛ وواقعاً بموقف الاستفتاح ، أو موقف السماح ؛ وناحر
البطن بطنى ، أو ناظر البدر للثى ؛ فلا يرتفع فى حاي من الأحوال بره ، ولا ينقطع عن الله

تعالى ذكُّره ؛ ومن كان بهذه المثابة ، في إحرار الأجر والإتابة ؛ فهو حقيق أن تُعمر بالتهنئة أوقاته وأزماته ، كما عَمَّرَها سعيه وإحسانه ؛ وقد عَرَفَ المملوكُ أنْكَفَاءَهُ - أدام الله علوه - عن مقام الطائفين والعاكفين ، إلى مقام القاصدين والمعتمدين ، وعودته إلى منزله المعمور ، بعد قضائه فريضة السعي المشكور ؛ فعدلت في غاطبته عن الهناء إلى الدناء بأن يتقبل الله تعالى مُسْكَه ويتقل ميزانه ، ويُطلق في حلبة الخيرات عَنَانَهُ ؛ ويُحييه لأجر يُحْمِزه ، وثواب يَكْتِرُهُ ؛ والله تعالى يُجِيبُ ذلك فيه ، ويريه في نفسه وأحبته ما يَرْضِيهِ .

ومن ذلك :

وتُنْهِى أَنَّهُ قد طرَّقني البشير بأنْكَفَاءَ مولانا إلى مقرِّ علائه ، وأنْفِصَالِهِ عن ملاذ النَّسْكَ والعُباد ، إلى معاذ الزَّوَار والقُصَاد ؛ فعرفتُ أَنَّ ذلك النسيم العليل من تِلْقَانِهِ ، وذلك النور الصادع من آلائِهِ ؛ وذلك الأقرار من أسرته وغَايِلِهِ ، وتلك العُدُوبَةُ من شيمه وشماله ؛ فكاد المملوكُ يطير - لو طار قبلي غير ذي مطار - فرحاً ، وأخرقُ الأرض وأبلغُ الجبال لو أمكن ذلك فرحاً ؛ وأتفتح قلبي حتى كادت مهجته تفيضُ سُرُوراً ، وطاش حُلِيِّ حتى تفزقُ مجموعته بهجةً وحُجُوراً ؛ والله تعالى يجعل نعمه موصولةً الحبل ، بمجموعة السُّلَم ؛ بمنه وكرمه .

أبو الفرج البَغَاء :

جعل الله معيك مشكوراً ، وحجك مبروراً ؛ ونسكك مقبُولاً ، وأجرَك مكتوباً ؛ وأجزَلَ من المثوبة جزاءك ، ومن عاجِل الأجر وأجله عطائك ؛ وقرَن بالطاعات عزماتك ، وبالسَّعي إلى الخير نهْضاتك ؛ ووفَّقك من صالح الأعمال ، وزَكَّى الأفعال ، لما يجمعُ كلَّ خير الدارين . ولما طرَّقني البشارة بقُدُومك ، بدأتُ بإهداء الدعاء ، وتجديد

الشكر لله تعالى والثناء ؛ وأستنبط في ذلك المكتبة ، أمام ما أنا [عازم] عليه : من المشاهدة والمخاطبة ؛ ولن أتاخر عن حظي من المسير إليك للتيمن بالنظر إلى غررك ، ومداواة ما نبتت من ألم الشوق بمشاهدتك .

الضرب الرابع (من التهانى ، التهنئة بالقبول من السفر)

من كلام المتقدمين :

على بن خلف :

ويُنبئني أنه أتصل بالملوك خبر توجّه^(١) إلى الناحية الفلانية ، فعرف الملوك أنه قصدها ليخص قاطنيها ، بنصيب من مواهبه ؛ ويقيض على ساكنيها ، بمجالاً من رعايته ؛ ويسوى بينهم وبين من رآه بحياته ، وجبره بنوايله وآلائه ؛ فسألت الله تعالى أن يطيل عمر المكارم بإطالة بقائه ، ويجمع شمل السؤدد بتمام علاله ؛ ثم أتصل بي حوده إلى مقّره ، خفيف الحقايب من وفرة ، ثقيلاً من ثباته وشكره ؛ فحيد الملوك الله تعالى على إسفار سفره عن بلوغ الأوطار ، وانحسار أميته عن أذيال المسار ؛ وما خصه به من السير الشحيح ، والسعى التيجي ؛ والسلامة المفرقة على الوجهة والمقلب ، والمفتّح والمعتقب ؛ ولما عرض للملوك ما قطعته عن مشافهته بالداء ، رفع يده إلى الله تعالى ضارحاً لديه في أن يتولاه في هذا المقدم الميمون ، بالسعد المضمون ؛ وإزالة الأمانى المقرّة للعيون ؛ وأن يمنحه في الحِلِّ والتّرحال ، والقطن والآتيقال^(٢) ، توفيقاً يقارن ويصاحب ، ويسار ويواكب ؛ وأن يجعل ما حوله من نعمه راهناً خالداً ، وما أولاه من مواهبه بادئاً طامداً ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل وجهته وهو تصحيف إذ الوجهة الناحية والجهة وهو غير مراد كما لا يخفى .

(٢) مصدر قطن في كتب اللغة التي بأيدينا على قول لا على فعل .

وله أيضا :

وَيُنْهَى أَنَّهُ طَلَعَ عَلَيْهِ الْبَشِيرُ، طُلُوعَ الْقَمَرِ الْكَبِيرِ، مُؤَذِّنًا بِمَقْدَمِ حَضْرَتِهِ، وَمُعَلِّمًا
بِظُهُورِ طَلْعَتِهِ، وَحُلُولِهِ فِي مَعَانِهِ^(١) الَّذِي هُوَ مَعَانُ الْإِقْبَالِ، وَعَوْنُ الرَّجَالِ، وَقَرَارُهُ
الْأَقْيَالِ، وَحِطُّ الرِّجَالِ، وَقَبْلَةُ الْجُودِ، وَمُعْرَسُ الْوَفُودِ، فَسَأَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقَيِّمَهُ
جَمَالًا لِلْأَيَّامِ، وَثِمَالًا لِلْأَنَامِ، وَعِمَادًا لِلْقَصَادِ، وَغَرَادًا لِلرُّوَادِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُخْلِيهِ
فِي تَصَرُّفَاتِهِ، وَجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وَسَكَاتِهِ، مِنْ سَعْيٍ سَعِيدٍ، وَعَيْشٍ رَغِيدٍ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أبو الفرج البغّاء :

مَنْ كَانَتْ غِيَّةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةً بِغِيَّتِهِ، وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةً بِأَوْبَتِهِ، سَافَرَتْ
الْأَنْفُسُ حَيْثُ كَانَ إِلَيْهِ، وَقَدِمَتِ الْآمَالُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ، وَمَا زَالَتِ الْأَنْفُسُ
إِلَى الْأَمْنِيَّةِ بِقُرْبِهِ مَطْلَعَةً، وَلَوْ رُودُ الشُّرُورِ بِوُرُودِهِ مَتَوَقِّعَةً، إِلَى أَنْ أُنْسِتْ بَدَ
الْوَحْشَةِ بِلِقَائِهِ، وَتَنَسَّحَتْ أَرْجَ مِنْهُ وَفَعَاتِهِ، فَوَصَلَ اللَّهُ قُدُومَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، بِأَضْعَافِ
مَا قَرَّنَ بِهِ مَسِيرَهُ مِنَ السَّلَامَةِ، بِمَحْرُوسًا مِنْ طَوَارِقِ الْخَيْرِ، مَبْلَغًا أَبَدَ الْعُمْرِ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَتْ مَادَّةُ مُرُورِهِ، بِمَقْبِيهِ وَحُضُورِهِ، لَمْ يَجِدْ مَعَ بَيْتِكَ مُؤْنِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ،
وَلَا عَوْضًا يَقُولُ فِي السَّلَوةِ عَلَيْهِ، وَمَا زِلْتُ أَيَّامَ غَيْبِكَ - لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْكَ -
بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا، وَبِالشُّوقِ إِلَيْكَ مُجَالِسًا، أَلَا حَيْثُكَ بِالْفِكْرِ، وَأَشَاهِدُكَ بِاتِّصَالِ الذِّكْرِ،
إِلَى أَنَّ مَنْ اللَّهُ مِنْ أَوْبَتِكَ بِمَا عَظَّمْتَ بِهِ النِّعْمَةَ، وَبَلَّتْ لَدُنِّي مَعَهُ الْمَوْجِبَةُ،
فَوَصَلَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ نَهْضَاتِكَ، وَبِالسَّعَادَةِ حَرَكَاتِكَ، وَبِالتَّوْفِيقِ آرَاءَكَ وَعَزَمَاتِكَ،
وَحَرَسَتِي بِبَقَائِكَ وَبِقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ، وَهَتَأَتِي النِّعْمَةُ الْجَلِيلَةَ بِقُرْبِكَ .

(١) في القاموس واللسان «المان المأبة والمزل» وأوردناه في مادة م ح ن .

وله في مثله :

مَنْ كُنْتَ نِهَآيَةَ أَمْنِيَّتِهِ ، وَقُطِبَ مَسَرَّتُهُ ؛ كَانَ مِنْ نَفْسِهِ مُسْتَوْحِشًا مَعَ بُعْدِكَ ،
وَبَغِيرِهِ مُسْتَأْنِسًا مَعَ قُرْبِكَ ؛ وَمَا زِلْتُ مَعَكَ بِالنِّيَّةِ مُسَافِرًا ، وَبِالشَّوْقِ سَآوِرًا ؛
وَبِالْفِكْرِ مُلَاقِيًا ، وَبِالْأَمَانِيِّ مُتَاجِرًا ؛ إِلَى أَنْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَ مُرُورِي بِأَوْجِكَ ،
وَسَكَنَ نَافِرَ قَلْبِي بِوُدِّكَ ؛ عَلَى الْحَالِ السَّاتِرِ مِنْ كَيْلِ السَّلَامَةِ ، وَوُقُورِ الْكُلْفَةِ ؛
فَأَسْعَدَكَ اللَّهُ بِقَلَمِكَ سَعَادَةً تَكُونُ بِهَا مِنَ الزَّمَانِ مُحْرُوسًا ، وَلِلْإِقْبَالِ مُقَابِلًا ؛
وَبِالْأَمَانِيِّ ظَافِرًا ؛ وَلَا أَوْحِشُ أَنَّ مِنْكَ أَوْطَانَ الْفَضْلِ ، وَعَقْدَ إِخْوَانِكَ بِبَقَائِكَ .
وبقاء النعمة عندك .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ يَمِيدُ عَنْكَ مُنْصَرَفًا ، أَوْ يَرَى مِنْكَ فِي آكْتِسَابِ الْمَعْرِةِ خَلْفًا ؛
لَا سْتَرَاحَ إِلَيْهِ مِنَ أَلَمِ بُعْدِكَ ، وَاسْتَنْجَهَ عَلَى مَرَارَةِ فِرَاقِكَ ؛ لِكَيْكَ أَيْدِكَ اللَّهُ جَمْلَةً
مَسَرَّتُهُ ، وَنِهَآيَةَ أَمْنِيَّتِهِ ، فَلَيْسَ تَتَوَجَّهُ أَمَانِيَّهُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَهْفُ أَمَالُهُ إِلَّا عَلَيْكَ ؛
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَثَرُ بَقِيَّتِكَ أَصَيْنَ إِخْوَانَكَ وَأَوْدَانَكَ ؛ وَأَقَالَكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَوْبَتِكَ
أَضْعَافَ مَا أَكْتَفَيْتَكَ مِنَ الْكِفَايَةِ فِي ظَنَمَتِكَ .

ابن أبي الحِصَال :

سَرَّ اللَّهُ مَوْلَايَ وَرَيْيِسِي ، وَرَبَّ تَشْرِيفِي وَأَنْيِسِي ؛ بِلِقَاءِ الْأَخْبَابِ ، وَأَنْصَالِ
الْأَنْسَابِ ، وَأَوْبَةِ الْغِيَابِ ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَتَصَنَّعُ لِإِقْبَالِهِ ، وَتُقَبِّلُهُ أَوْجُهُ الْعِزِّ
فِي أَقْبَالِهِ ؛ وَتُؤْوِيهِ عَلَى رِغْمِ الْحَاسِدِ حَقَّ جَلَالِهِ .

البُشَيْرِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ أَعْتَازَهُ - بِمَقْدَمِ الْوَزِيرِ فُلَانٍ قَدْ أَوْضَعْتَ رِكَابَهَا ، وَأَنْصَلَ
بِالْفُتُوسِ أَهْلَاقَهَا وَأَسْبَابَهَا ؛ فَهَنِيئًا مَعَشَرَ الْأَوْلِيَاءِ بِسُبُوحِ هَذِهِ النِّعَةِ الْجَلِيلَةِ ، وَالنِّعَةِ

الجزيلة ؛ ولا أستوفى شكر مابه أنى مُعظم قدره ، ومَلَرَمُ برّه ؛ من شئ كَرَف الطيب يُهدى ، ومنهَب في الإنهاض لا يَقْضَى واجبه ولا يؤدى ؛ ولا زالت حياة مولاي تُفدى ، وأفعال برّه سَعْدَى ؛ وقد ثَمَّتْ مواقع أنامله ودأ ، ووردت من محاسن بيانه منهلًا عذبًا [ووردنا] فامتحنى الله بحياته العزيزة الأيام ، الطيبة الإسلام ، الموصولة العهد والذمام ؛ وأقرأ على سيدى من سلاحي ما ليثم يده ، ويقضى حق اليراع [الذى] أنشأ به البر وولده ، والسلام المعاد عليه وعلى جمته ورحمة الله وبركاته .

الشيخ جمال الدين بن نباتة عن نائب الشام إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف ، بالأبواب الشريفة بالديار المصرية ، عند عوده من الكرك إلى الديار المصرية ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، مهتأله بعوده إلى منزله بالديار المصرية ، وأستقراره وعوده إلى كتابة السر الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية ، وهى :

تقبل الباسطة الشريفة إلى آخر الألقاب - لازالت خناصر الحمد على فضل بنائها معقوده ، وما تروى الباس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهوده ، وبوأت السيف مسيرة القصد إلى مناظرة أقلامها المقصوده ؛ قهيبًا يود لو شافه بشفاه مَوْرِدَ الجود من الأنامل ، وكاتب بقره عند المثلوث للتفصيل تُغور الأماثل ؛ فكان يُشافه بشوقه مَوْرِدَا كثير الزمام ، وكان يُكاتب بعقد قبله على يد الفضل عقودا جزيلة الانتظام ، وكان يُحَاكِم جَوْرَ الضم إلى مَنْ أبى الله لجار مشاهدته أَنْ يُضَام . وينهى ما وصل إليه وإلى الأولياء من الشرور ، وما رُفِعَ بينهم وبين الإيتياج من الشرور ، وما طُولِعَ في أخبار المصرة من السطور ؛ بوصول مولانا وَمَنْ معه إلى مساكن العز ساكنين ، ودُخُولهم كدُخُول يوسف عليه السلام وَمَنْ معه إلى مِصر آمينين ؛ وأستقراره

في أشرف مكان ومكانه، واستنصار مصر بأقلامه على العادة فإن هذه سهام وهذه
كناهه؛ وإسفار عمام السفرة عن كوكب علا طالم حرس بيمنه أفق الملك وهذه
وزانه؛ وما كانت إلا غيبة أحمد الله عفاها، وغاية بعيد من الله عز وجل وجلها؛
وقرة شئ الله فترتها فتتقن خنائ المتعصب المشتاق لوجهه الكريم، وبجرة صرف الله
هجيرها فسقى طرمس الإنشاء الذي أبيضت عتاه من الحزن فهو كظيم؛ وما تحاسن
مولانا إلا زينة من زين الدنيا فعليها يتشاكس المتشاكسون، وما مزاج كلماته إلا
من تسديم (وفي ذلك قلينا قيس التنافسون).

فالحمد لله على أن أقر العيون بمعاودة ظلّه الوديف، وعلى أن شفى الصدور
بقربه وأولها صدر السر الشريف؛ وعلى أن أجزل الهناء وقد شمل ظلّه،
وقد كل بابن الفضل فضله؛ وقد بهر سناؤه وسناه، وقد سمع القريب والبعيد
فإن أجدى على مصر مؤرده قد جادت على الشام سماء. وقد أخذ المملوك حظه من
هذه البشرى، ووالى السجود لله شكراً؛ وجهاز خدمته هذه نائبة عنه في تقبيل بنان
إن سماء مولى الكرم بجوا، فقد سماء مربى الملك برأ؛ لازالت الممالك متحفة بيمين
مولانا ظاعناً ومقياً، متصفاً بحمده وحيد سلفه الكريم حديثاً وقديماً؛ نالية على مهمات
الملك بصحبة يته الشريف (وكان فضل الله عليك عظيماً).

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في تهئة بعلوم من سفر:

أدام الله ظلّه، ورفع محله، وشكر إنعامه وفضله؛ وأعز أنصاره، وضاعف
أقنذاره؛ ولا زال مؤيداً في حركاته، مستنداً في سائر فعلاته؛ مصحوباً بالسلامة
في المهامه والفقار، مخلصاً من الله تعالى بالأعوان والأنصار.

المملوك يُنْهَى بعد تقبيل الأرض ، والقيام بما يَجِب من سُنتِه والقرض ؛ علمه
بحلُول ركبائه العالی بمَنّاه ، واستقرارِ خاطره الشريف في محلّه ومثواه ؛ وجمع السَّمَل
بالأهل بعد طول الغيبة ، وبعد القُفُول والآوّه ؛ فتضاعف لذلك فرحه وسُروّه ،
وزال من قلبه قليلُ الهمّ وكثيره ؛ فأنه يمنح المولى أطيّب المنازل ، وأمرَ الرّاحل ؛
ويجعلُ تجارةً مجلّده راحمه ، وأوامرَ دوامِ عزّه لائحته ، حتّى تُشيدَ نفسه الكريمةُ
قولَ أبي الطيّب :

أنا من جميع الناس أطيّب منزلاً * وأمر راحلةً وأزج متجراً !

لَا زَالَتِ الْأَعْيُنُ قَرِيرَةً بِرُؤْيَيْهِ ، وَقُلُوبُ الْإِخْوَانِ قَازَةً بِمُشَاهَدَتِهِ وَالْأَوْجُهُ وَسِيمَةً ،
وَالنَّسَمُ الظَّاعِنَةُ مُقْبِحَةً ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أجوبة التهتهة بالقدوم من السفر

قال في "موادّ البيان" : أجوبةُ هذه الرّقاع ينبغي أن تُبنى على الاعتراف للمُتَنّ
بحقّ تهتهه ، وكرم تحقّقه ، وإطلاعه على الحال في السّفر ، وما أفضت إليه من
السلامة ، والتّأسّف على ما تهمّض من الأيام في مُباعدته ، والتخلّف عن مُباشمته ؛
وأنه لم يزل يذرع الإدلاج ، ويقطع الصّباح ؛ رغبةً في القدوم إليه ، والوفادة عليه ؛
وبلّ الغلّة برؤيته ، وترويح النفس بحاضره ؛ وما يليق بهذا النمط من الكلام .

الضرب الخامس

(من التهنئة بالشهور والمواسم والأعياد)

وهي على ثمانية أصناف :

الصنف الأول - التهنئة بأول العام وعُمره السنة .

من كلام المتقدمين :

تهنئة من ذلك : من إنشاء أبي مسلم محمد بن بحر :

أسعد الله سيدي بعامه ، والفضل منه وما حوى من الأعياد والأيام الخطيرة
وسائر شهوره وأيامه ، ومتصرف أحواله ، وبما يأتي ويكره طيه من زمانه ؛ سعادة
تسوق إليه حظوظ الدين والدنيا كامله ، وتجمع له فوائد الأمدنين تامة وإفيته ؛
وترتب إليه النعم فلا تزال لديه زائدة ناميه ؛ وبلغه بها الأمل ، ومد له في البقاء
إلى أقدس المهل .

ولأبي الحسين بن سعد :

عظم الله على مولاي بركة الشهر والسنة المتجددين ، وهب له فيهما وفيما يتلوها
من أيام عمره ، وأزمان قهره ؛ سعادة تجمع له أشنات الحظوظ ، وتصل لديه مواد
الزيد ؛ وييسر له بلوغ الأمل في كل ما يطالع وينزع ، والأمن من كل ما يراقب
ويحاذر .

وله في مثله :

عظم الله على سيدي بركة الشهر والسنة ، وأعاشه لأمثالها مدة اختلاف الجديدين ،
ومجاور الفرقدين ؛ ممتعا بالنعم السائغة ؛ والمواهب المتردفة ؛ والسعادة والقبلة ،
والعز والمعمرة .

وله في معناه :

جَدَّدَ اللهُ لِسَيِّدِي فِي الْأَيَّامِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُسْتَقْبَلَةِ ^(١) ، وَالْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ وَالْمُنْتَقِلَةِ ؛
حَظُولًا مِنَ السَّعَادَاتِ ، وَأَفْسَاسًا مِنَ الْخَيْرَاتِ ؛ لَا يُحْصَى مَدَّهَا ، وَلَا يَنْقُضِي
مَدَّهَا .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ [عَلَى مَوْلَايَ] بَرَكَةَ الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ الْمُتَجَدِّدِينَ طَيِّبِهِ ، وَعَرَّفَهُ فِيهِمَا
وَفِي الْأَيَّامِ بَعْدَهَا مِنْ حَدَثِ صُنْعِهِ ، وَلَطِيفِ كِفَايَتِهِ ؛ مَا تُكُونُ فِيهِ السَّعَادَةُ ،
وَتُعْظَمُ بِهِ الْمِنَّةُ ، وَتَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

وله في مثله :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ : الْمَاضِي [مِنْ] أَيَّامِهِ وَبَاقِيهَا ، وَهَذِهِ
السَّنَةَ ، وَجَعَلَهَا أَيْمَنَ سَنَةٍ حَالَّتْ طَيِّبُهُ وَأَسْعَدَهَا .
وَمِنْهُ : وَيُنْهَى أَنْ الْمَمْلُوكَ يُحْيِيَ غُرَّةَ الْأَيَّامِ ، بَغْرَةَ الْأَنْفَامِ ؛ وَصَدْرَ الْعَامِ ، بِصَدْرِ
الْجِرَامِ ؛ بَلْ يَحْيِيَ الزَّمْنَ كُلَّهُ نَعْمَ وَأَهْلَهُ بِالْحَضَرَةِ الَّتِي وَاسَتْ الْمَعَالِي .

الصفحة الثاني - التهنئة بشهر رمضان .

من كلام المتقدمين :

لَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ :

جَمَعَ اللهُ لِمَوْلَايَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ شُرُوطَ آمَالِهِ وَأَحْكَامَ أَمَالِيهِ ، فِي حَاضِرِ
أَمْرِهِ وَعَاقِبَتِهِ ، وَعَاجِلِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ ؛ وَأَجَاهُ لِأَمْتَالِهِ بَقَاءً لَا يَنْتَاهِي أَمَدُهُ ، فِي ظِلِّ
عِيشِ رِضَاهُ وَيَحْمَدُهُ .

(١) في الاصول الماضية تأمل .

وله في مثله :

عَرَفَ الله سِدَى بَرَكَةِ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَأَعَاشَهُ لَأَمْثَالِهِ ، مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ،
وَأَخْتَلَفَ الْعَصْرَانِ ؛ مِمَّا بَسَّوْا بِنِجَالِ النَّهْمِ ، مَحْرُوسًا مِنْ حَوَادِثِ الْغَيْرِ ، وَمَوْقِفًا فِي شَهْرِهِ ،
وَأَزْمَانِ دَهْرِهِ ؛ لِأَزْكَى الْأَعْمَالِ ، وَأَرْضَى الْأَحْوَالِ ؛ وَمَقْبُولًا مِنْهُ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ قَرْضِهِ ،
وَيَنْتَقِلُ بِهِ قُرْبَةً إِلَى رَبِّهِ .

وله في مثله :

عَرَفَهُ اللهُ بَرَكَةَ إِهْلَالِهِ ، وَأَبْقَاهُ طَوِيلًا لَأَمْثَالِهِ ؛ مَوْقِفًا فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ ،
وَمُزَاجَةً الْحَقِّ ، وَتَبَادِيَةَ الْقَرْضِ ؛ وَالتَّبَقُّلَ بِالرَّيِّ ، لِمَا يُرْضِيهِ ، وَيَسْتَحِقُّ جَزِيلَ الْمُثُوبَةِ
عَلَيْهِ ؛ مِمَّا بَعْدَهُ بَسْنَى الْمَوَاقِبِ ، وَجَسِيمَ الْفَوَائِدِ ؛ مَعَ آتِصَالِ مُدَّةِ الْعُمْرِ ، وَاجْتِمَاعِ
أُمْنِيَّاتِ الْأَمَلِ .

وله في مثله :

عَرَفَ اللهُ مَوْلَانَا بَرَكَةَ هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيفِ وَأَيَّامِهِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛
وَوَصَلَ لَكَ مَا يَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ ؛ وَتَابِعْ لَكَ الْمَزِيدَ مِنْ مَنَاحِهِ وَأَنْعَامِهِ ؛ وَخَتَمْ
لَكَ بِالسَّعَادَةِ الْعُظْمَى ؛ بَعْدَ الْإِسْتِقَالِ [فِي الْجَاهِ وَالرِّيَاسَةِ إِلَى] أَعْدَدِ الْمَدَى ؛ وَفِي الْعَزِّ
وَالثَّرْوَةِ إِلَى أَقْصَى الْمُنَى .

أبو الفرج البغواء :

جَعَلَ اللهُ مَا أَطَّلَعَهُ مِنْ هَذَا الصِّيَامِ مَقْرُونًا بِأَفْضَلِ قَبُولِ ، مُؤَدِّنًا بِإِدْرَاكِ الْبُغْيَةِ وَنُجْحِ
الْمَأْمُولِ ؛ وَوَقَّعَهُ فِيهِ وَفَى سَائِرِ أَيَّامِهِ ، وَمُسْتَأْنِفِ شُهُورِهِ وَأَعْوَامِهِ ؛ لِأَشْرَفِ الْأَعْمَالِ
وَأَفْضَلِهَا ، وَأَزْكَى الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلِهَا ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنْ رَمَرَفُوعٍ ، وَدَعَايَ مَسْمُوعٍ ؛
وَسَعَى مُشْكُورٍ ، وَأَمِيرٍ مَبْرُورٍ ؛ إِلَى أَنْ يَقْطَعَ فِي أَجَلٍ غَيْطَةٍ وَأَتَمَّ مَسِيرَةِ أَمْثَالِهِ .

وله في مثله :

عَرَفَكَ اللهُ بِرَكَّةِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُعْظَمِ قَدْرَهُ ، الْمُشْرِفِ ذِكْرَهُ ؛ وَوَقَّكَ فِيهِ لِصَالِحِ
الْأَعْمَالِ ، وَزَيَّنِيَ الْأَفْعَالَ ؛ وَقَابَلَ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَبَتَعْظِيمِ الْمُتَوْبَةِ تَهْجُدَكَ وَقِيَامَكَ ؛
وَلَا أَخْلَاكَ فِي سَائِرِ مَا يَقْبَعُهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَلَيْلِهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالشُّهُورِ ؛ مِنْ أَجْرِ
تَذَنُّرِهِ ، وَأَثَرِ تَشْكُرِهِ .

قلت : ومما كتبت به تهنئة بالصوم للقرن الأشرف الناصري محمد بن البارزي
كاتب السر الشريف المؤيدى بالملك الإسلامية ، في سنة ست عشرة وثمانمائة نفلاً :
أَيَا كَاتِبَ السَّرِّ الشَّرِيفِ وَمَنْ بِهِ * تَمِيسُ نَوَاحِي مِصْرَتَيْهَا مَعَ الشَّامِ !
وَمَنْ جَلَّتِ الْجُلَى كُتَاتُ كُتْبِهِ ، * وَمَنْ نَابَ عَنْ وَقْعِ السُّيُوفِ بِالْقَلَامِ !
تَهْنِ بِهَذَا الصَّوْمِ وَالْعِيدِ بَعْدَهُ ، * وَمِنْ بَعْدِهِ بِالْعِيدِ وَالْعَامِ فَالْعَامِ !
وَتَرَفَّى رُفَى الشَّمْسِ فِي أَوْجِ سَعْدِهَا * وَتَبَقَّى بَقَاءَ النَّصْرِ فِي فَيْضِ إِنْعَامِ !

الصفحة الثالث — ما يصلح تهنئة لكل شهر من سائر الشهور .

لأبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ بِرَكَّةِ إِحْلَالِهِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْثَالِهِ ، أَطْوَلَ الْمُلَّةِ ، مِمَّا بِأَدْوَمِ النِّعْمَةِ ، وَمَشْفَعًا (؟)
بِأَفْضَلِ الْأَمَلِ وَالْأَمْنِيَّةِ .

وله : أسعد الله سيدي بانصرامه وإحلال ما بعده ، وأبقاه ما بقي الزمان ممتعا
بالعز والنعمه ؛ محروسا من الآفات المخوفة ، والحوادث المخلوذة .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سِيدِي بِرَكَّةِ الْمَاضِيِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ [وَالْأَعْوَامِ]
وَالشُّهُورِ ، وَوَصَلَ لَهُ السَّعَادَةَ بِأَنْصَابِهَا ، وَجَلَدَ لَهُ النَّعْمَةَ بِتَجَلُّدِهَا .

وله : عَظَّمَ اللهُ بَرَكَهٗ أَنْسِلَاحِهٖ ، وَأَهْلَلَ مَايَسْلُوهُ ؛ مُجِدِّدًا لَكَ بِجَعْدِهِ فَوَائِدَ الْخَيْرَاتِ ، وَأَقْسَامَ الْبَرَكَاتِ ؛ تَكُونُ فِيهَا الْمُدَّةُ ، وَتَطُولُ بِهَا النِّعْمَةُ .

وله : أَسْعَدَكَ اللهُ بِأَهْلَالِهِ ، وَأَعَاشَكَ أَبَدًا لِأَمْتَالِهِ ؛ مُمْتَعًا بِلَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعْمَةِ ، وَاجْتِمَاعِ أَسْبَابِ الرِّخَاءِ وَشُرُوطِ الْمَحَبَّةِ ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

[وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَاتَ هَذَا الشَّهْرِ وَمَايَتْلُوهُ ، وَبَلَّغَهُ مَايُحَاوِلُهُ وَيَسْتَحْوِجُهُ ؛ فِي مَسْتَأْنِفِ الشُّهُورِ ، وَمُؤْتَنَفِ الشُّهُورِ ؛ مُضَاعَفًا لَهُ الْعِزُّ وَالْثَّابِتُ ، وَمَوْصُولًا لَهُ أَصْلُ النِّعْمَةِ بِجُسْنِ الْمَزِيدِ^(١) .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى مَوْلَايَ بَرَكَهٗ الشَّهْرِ ، وَأَدَامَ لَهُ سَلَامَةَ النَّهْرِ ؛ مَوْفُورًا مِنَ الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ ، قَبِيرَ مَشْهُورِ بَنَوَائِبِ الزَّمَانِ .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهٗ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، وَالسَّيِّئِ وَالْأَخْقَابِ ؛ وَجَمَعَ لَهُ الْمَوَاقِبَ كَامِلَةً ، وَالْفَوَائِدَ فَاضِلَةً ؛ دِينًا وَدُنْيَا ، وَحَاضِرَةً وَعُقْبَى .

وله : عَظَّمَ اللهُ عَلَيْكَ بَرَكَتَهُ ، وَعَرَّفَكَ يُمْنَهُ وَسَعَادَتَهُ ؛ وَجَدَّدَ لَكَ الْخَيْرَاتِ ، بِتَجْدِيدِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ؛ حَتَّى تُحَوِّزَ مِنْهَا أَسْنَى الْحُظُوظِ وَتَبْلُغَ مِمَّا تَمَنَّاهُ أَفْصَى النَّيَّاتِ .

الصفحة الرابع — التهنئة بعيد الفطر .

من كلام المتقدمين :

لأنبي الحسين بن سعد :

عَظَّمَ اللهُ عَلَى سَيِّدِي بَرَكَهٗ هَذَا الْعِيدِ ، وَأَعَاشَهُ لِأَمْتَالِهِ ؛ مِنْ الْأَعْيَادِ الْمَشْهُودَةِ ، وَالْأَيَّامِ الْجَدِيدَةِ ، [فِي] أَهْلِ عَيْشٍ وَأَرْغَمِهِ ، وَأَطْوَلِ مَدَى وَأَبْعَدِهِ .

(١) الزيادة في بعض النسخ .

أبو الفرج البقاء :

أسعدك الله بهذا الفطر الجديد ، والعيد السعيد ، ووصل أيامك بعده بأكل
السعادات ، وأجل البركات ، وجعل ما أسلفته من الدماء مقبولا مسموعا ،
ومن التهجد زائجا مرفوعا ، ولا أخلك من نعمة يحرس الشكر ممتها ، ولا يخلق
النهر جلتها .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

المولى أدام الله نعمه ، وحرس شيمه ، هو سيد الأفاضل ، ورئيس الأمائل ؛
وحسنه الزمان ، وليث الأقران ؛ وهو في الأنام ، كالأعياد في الأيام ، فإن الأنام ليل
والمولى المصباح بل الصباح ، وسائر الأيام أجساد وسائر الأعياد هي الأرواح ؛ فإذا
كان المولى قد رُعي على أبناء جنسه ، ويوم العيد على غده وأمه ؛ فقد صار كل
منكا إلى صاحبه يتقرب ، ويلزم ويلزب ، وهو أحق الناس بأن يهجه مقدمه ، وأن
يهي بيومه الذي هو مجمع السرور وموئمه .

والخادم يفتي المولى بهذا العيد ، واليوم السعيد ؛ فإنه وافى في أوإن الربيع وزمانه ،
ليباهي بغصن قده أغصان بانه ؛ ويستشيق في صدره وورده ، رائحة ريحانه وورده ؛
ويختال في رياضه وحدائه ، ويلاحظ بهجة أزهاره وشقائقه ؛ والعيد والربيع ضيفان
ومكريم المولى جديرة بإكرام الضيف ، والتمتع بالملاد فيهما قبل رجليهما وقنوم حر
الصيف ؛ وأن يحسن وجه عيسه ، بحلولة في مغناه وجوده ؛ بما يوليه لعقائه من
إنعامه وجوده ؛ لازالت الأعياد تهني ببقائه ، والسنة الأيام تشكر سوايغ نعامه ؛
وتحمد جزيل عطائه ، وتطيق بولائه وشانه ، أبدا ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وما كتبتُ به مهتًا للقر الأشراف الناصري محمد بن البارزى صاحب
دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية في الدولة المؤيدية «شيخ» بيد الفطر
نظما ، بعد أن سألتُه حاجة قصضاها ، وأسئلى إلى الجائزة على تتر كتبتُه له .

سألتُ نظامَ الملِكِ كاتبَ سرِّه * إزالةَ ضنكِ أرهفِ الدهرِ حده !
لنَّ يجاهِ زَعزَعِ الأرضِ وقته ، * وجادَ ببالٍ لا يرى الفقرَ بسده .
وبالبارزى أزدانَ وصفِ مكارِمِ * فاشبهَ في فضلِ أباهِ وسده !
فبيناهُ صومُ ثمَّ عيدُ مَسرَّةِ * وطالعُ إقبالٍ يُبارِكُ سَعده !
ورفعَ دُعاءَ لا يُغيبُ تَسايُها ، * وطيبُ ثناءِ خاتَمِ الملِكِ نَدَه !

الصفحة الخامس - التهيئة بيد الأخصى .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

كناي والنحر — نحر الله أعداءَ مولاى وحُسادَ نعمته ، وأمتعه بمواهبه عنده ،
وبارك له في أعياده ومجده أيامه ، بركة تَقْظِمُ السَّعادات ، وتُضمِّنُ الخيرات ؛
متصلة غير مُقطَّعة ، وراهنه غير فائنه .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

تَهَنَّ فأيامُ السُّرورِ أوَاهِلُ * وكلُّ خَوْفٍ عن جَنابِكَ راحِلُ !
ونجَمُكَ من فوقِ الكواكِبِ طالعُ ، * ونجْمُ امرئٍ يَسْأَلُ مُمْلوكُ آفِلُ !

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي عَمَّ جُودُهُ : * فَدَتَكَ الْعَوَالِي وَالْجِيَادُ الصَّوَاهِلُ !
تَمَتَّعَ بِعِيدِ النَّعْرِ ، وَافَلَكَ خَاضِعًا * يُحَقِّقُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ آمِلُ !
وَدُمَّ كَايَتِ الْأَعْدَاءِ وَأَبْقَى مُحَلَّدًا * عَلَى الْمَلَالِ عَا ، بِالرَّجِيَةِ عَادِلُ !
لَقَدْ رَاقَ مَدْحِي فِي مَعَالِيكَ مِثْلَ مَا * صَنَفْتَ مِنْكَ أَوْصَافُ وَرَقَتْ شَمَائِلُ !

جَعَلَهُ اللَّهُ أَرْكَ الأَعْيَادِ وَأَسْعَدَهَا ، وَأَيْمَنَ الأَيَّامِ وَأَعْجَدَهَا ، وَأَجَمَلَ الأَوْقَاتِ وَأَلْذَهَا
وَأَرْغَدَهَا ، وَلَا بَرَحَ مَسْرُورًا مُسْتَبْشِرًا ، مَنْصُورًا عَلَى الأَعْدَاءِ مُقْتَنِرًا ، مُسْعُودًا مُجُودًا ،
مُعَانًا بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ مَعْضُودًا ، مُهَنَّا بِالسُّعُودِ الْجَدِيدَةِ ، وَالْجُلُودِ السَّعِيدَةِ ، وَالْقُوَّةِ
وَالنَّاصِرِ ، وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ :

وَلَا زَالَتْ الأَعْيَادُ لِإِسْكَ بَعْدَهُ * [فَتَخْلَعُ ^(١) غُرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدًا ،
فَذَا الْيَوْمَ فِي الأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى * كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا !

وَأَعَادَهُ عَلَى الْمَوْلَى فِي صِحَّةٍ دَائِمَةٍ ، وَسَلَامَةٍ مُلَازِمَةٍ ، وَأَصَارِ عِيدِهِ مُطِيعًا لِأَوَامِرِهِ
كَسَائِرِ الْعِيدِ ، وَعَيْدِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَسْرَةِ بِبَقَائِهِ لَهَا كَالْعِيدِ ، وَالْأَيَّامِ بِهِ ضَاحِكَةً
الْمُبَاسَمِ ، وَالْأَعْوَامَ بِحِمْلَةِ الْمَوَاسِمِ ، وَمَتَعْنَا بِدَوَامِ حَيَاتِهِ ، وَأَسْتَجْلَاءَ بِحَمِيلِ صِفَاتِهِ ،
وَأَسْتَحْلَاءَ بِمَدَائِحِهِ بِإِنْسَادِ حَقَائِقِهِ ، وَأَرَاهُ تَحْرُ أَعَادِيهِ ، يَنْ يَدِيهِ كَأَضَاحِيهِ ، وَأَصَارَ الْحُجِّ
إِلَى بَابِهِ خَافِرًا سَيِّئَاتِ الْإِنْفَالِ وَالْإِصْدَامِ ، وَمُيَسِّمًا لُبْسَ الْخَيْطِ مِنْ إِنْعَامِهِ الْعَامِ ؛
إِلَيْهِ أَلِيسَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ أَجْمَلَ حُلَّهُ ، وَمَنْعَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ أَحْسَنَ خَلَّهُ .

الصَّنْفُ السَّادِسُ — التَّهْنِئَةُ بِعِيدِ الْغَدِيرِ مِنَ أَعْيَادِ الشَّيْعَةِ :

وَكَانَ لَمْ بِهِ أَهْتَامٌ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ . وَالطَّرِيقُ فِي التَّهْنِئَةِ بِهِ
عَلَى نَحْوِ غَيْرِهِ مِنَ الأَعْيَادِ .

(١) يَبَاضُ بِالْأَصْلِ وَالصَّحِيحُ مِنَ الْمَقَامِ .

ما يصلح تهنئة لكلِّ عيد .

أبو الفرج البغدادى :

لولا العادة المشهورة ، والسنة المأثورة ، بالإفاضة فى الدعاء ، والمشاهدة بالتهنئة والتناء ، فى مثل هذا اليوم الشريف قدره ، الرفيع ذكره ، لكان أيدى الله دون رؤساء النهر ، وملوك العصر يحل عن التهنئة : إذ كانت سائر أيامه بما يودعها من أفعال الخير معظمه ، وبما ينشأ من المحامد مكرمه ، فبلى الله أمثاله عروفاً فى نفسه ونعمته ، محفوفاً فى سلطانه ودولته ، موفياً على أمانته ، مذكراً غائتها فيما يؤمله ويرتجيه .

وله فى مثله :

عزفك الله بمن هذا العيد وبركته ، وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكلها ، وأفسح المئد وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأرفعها ، وحرم منحك من المحلور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور .

الصنف السابع — التهنئة بالنبيروز .

وهو من أجل أعياد الفرس ، على ما همتم ذكره فى الكلام على أعياد الأمم ، فى المقالة الأولى . وكان للكتاب به اهتمام فى أوائل الدولة العباسية بالعراق ، جريا على ما كان عليه الفرس من قديم الزمان .

وفيه لأبى الحسين بن سعد :

هذا يوم شرفته العجم ، ورعى ذمامه الكرم ، وهو من أسلاف سيدى ذوى النباهة ، وأخلافه ذوى الطهارة ، بين منبش رشمه ، وموذى حقه ، وكاس له بقبول

آتسايه إليه جمالاً يبقى على الأيام، وحالاً يتفق بها لدى الأنام؛ فليس أحد أحق بالتهنئة [به] من سنة آبائهم، وشيئته الآؤه؛ فصارت إلى أوليته نسبتته، وبكرم بحبيته عصمته .

وفيه له : هذا - أيد الله سيدي - يوم عظمه السآف من العجم ، وسيدي وارث سنة الكرم ؛ وللسادة على العيد في هذا اليوم رسم في الإلطف ، وعليها لهم حق في القبول والإسعاف ؛ وقد بعثت بما حضر جارياً على سنة الخدمه ، وعادلاً عن طريق الحشمه ؛ ومقتصرأ على ما أوسع له الحال ، وما يوجبهُ قدر سيدي من المبالغة في الاحتفال ، فإن رأى أن يُشرف عبده بالاحتفال إليه ، وإجرائه تجزئ الأئس عنده ، فعل ، إن شاء الله تعالى .

وفيه للكرخي :

هذا يوم نسموه العجم ، ويستعجم في العرب ؛ تشرقاً له وأعتراقاً بفضلته ، وأقتداءً بأهله ؛ وأخذاً بثبتهم فيه ، فلهن لإحراز الدولة في العز [متزلاً] بحيث لا يُرام ، ولا يضام ؛ ولا ترقى إليه الأمانى ، ولا يطمع في مساواته المساوي ؛ وإنهم بعد تصرف الدولة على حبيد آثارها ، وجميل الذكر فيها ؛ أعلام تُضرب بهم الأمثال ، وترهُو بأيامهم الأيام ؛ وآثارهم تُفتنى ، وأعيادهم تُنتظر ؛ يتأهب لها قبل الأوان ، ويعرف فيها أثر الزمان ؛ وإنك منهم في الذروة السامية ، والرؤية العاليه ؛ وبحل لا تار معه على حرة في الخشوع لك ، والتعلق بمجلك . وقد وجدتُ الأتباع عند ساداتها في مثل هذا اليوم على عادة في الإلطف جسمتها ، وسيّرت بها على أقوام منحهم ظهور الدعوى فيها ، فأقبل قائلهم يقول : « لو كان باب الإهداء مفتوحاً غير مسدود ،

(١) مراده أن العرب آتبت العجم في تنظيمه تأمل . (٢) قد بلغ الصريح من هذا ميله حتى لا يكاد يفهم والمراد أن دولة القرس أحرزت من العز متزلاً بحيث الخ تأمل .

ومباحاً غير ممنوع؛ لانتحفت بالفراب الأعصم، والكبريت الأحمر، والأبقي العقوق،
وبينض الأتوق». وقد بعثت بهدية لا تُرد (يعنى الدماء).

وفيه : من كان محلك من العز، ونباهة الذكر، وارتفاع الدرجة، وعلو المتراب،
وسعة البلد، وبعد الأمد، لم يتقرب متعلّ بالعلم والأدب إليه في يوم جديد
إلا بصالح الشاء، وحسن الثناء.

وفيه : لو أنحنّا هذا انتظاراً لوجود ما نستحقّه، لانتفضت أيّمانا، بل أعمارنا،
قبل أن نقضى لك حقاً، أو نُؤدّى عن أنفسنا فرها : لارتفاع قدرك عما نحويه
أيدينا، وعلو حالِك عما تبلغه آمالنا؛ وقد أفتدبت بسنة الخدم والأولياء في الأعياد،
وأوضحّت العذر في ترك الاجتهاد؛ وبعثت في هذا اليوم، الذى أسأل الله أن يعيده
عليك ألف عام، في تمام من العز، وعلو من القدر، وتمام من السرور، ومزيد
من النعمة

الصنف الثامن - التهنية بالمهرجانات.

وهو أحد أعياد الفرس، على ما تقدم ذكره في المقالة الأولى، في الكلام على أعياد
الأئم. وكان للكُتاب من الاحتفال بالتهنية به في أوائل الدولة العباسية ما لم بالتبوز.
فيه - لأبي الحسين بن سعد :

لسيدى على في الأعياد المشهورة، والأيام الجليدة؛ عادة اختلّني عن بعضها
في هذا الفصل، كلال الطبع عن البعض؛ ووقوع الخطر (٩) برضه من الثناء نظماً
وتراً، ومن الإهداء عرضاً وبراً؛ دواء تريد قيمته على الأخلاق الثمينه، وموقعه على
الذخائر النفيسة، ولطفه على التحف البديعه؛ فأسعد الله سيدي بهذا اليوم سعادة
تقيم، ولا تريم؛ وتريد، ولا تريد؛ وسوطن، ولا تظنن؛ وتجمع حظوظاً من

الخيرات، وفوائد من البركات؛ يتصل سنّها، ولا ينتهي أملّها؛ وأبقاه في أسبغ من
وأرفع رتبة وأرغد عيشة، مكنوناً بحراسة يحييه [وآله] عوادي الزمان، وتصرف
عنهما طوارق الحداث؛ ما طرد الليل النهار، وطلع نجم وفار؛ وصل ذلك - أيد الله
مبدي - فإن الحِرص على إقامة الرسم والتطير من إضاعة الحق بعثاني على مراجعة
القرينه، واستكاد الروية؛ فاسعفا بما قلته الضرورة؛ ولم أطلع في إهدائه سلطان
الحشمة؛ وفضل سيدي يتسع لقبول الميسور، وتحسين القبيح؛ والله المعين على
تأدية حقه، والقيام بواجب فرضه .

وله فيه أيضاً، إلى من منع أن تهدي إليه فيه هدية .

لو كنت فحّصت باب الإلطف، ونهجت إليه سبيلاً؛ لتنازع أولياؤك قصب
السبق وتتافسوا في السرف؛ فبان للجهت فضله، وأتمس العذر في التقصير ملتصقه؛
وعمت المنحة كآتهم بما يظهر من مواقعهم، ويتكشف من أحوالهم؛ ليكنك
حظرت ذلك حظراً استوى فيه الفرقان في الحكم، وأمتد فيه على قوى الخلق
الستر؛ ولم تحظر الدماء، إذ حظرت الإهداء؛ فانا أهديه ضرورة واختياراً،
وإعلاتاً وأسراراً؛ فاسمك الله بهذا العيد الجديد، الذي زاد بك في قدره، وشرّفه
بأن جعلك من أربابه وولاه أمره .

أبو الفرج البيهقي :

هذا اليوم من غرر النهور المشهورة، وفضائل الأزمينة المذمورة؛ معطّم
في العهد الكسروي، مستغرق في العصر العربي؛ باعث على عمارة المودات،
مخصوص بالانسياط في الملاحظات، ولست أستريده - أيده الله - من يربو إليه،
ولا تطول إلى يسديده؛ غير إدخال في جملة من بسطته الآتسه، وتقفته المحبة؛

وتقرَّبْتُ منه بوكيد الحشمه، في قبول ما إن شَرَّفَ بقبوله، كان كثيراً مع قلته، جليلاً مع تزارته؛ فإن رأى أن يقوى منه جهتي، ويُقابل بقبول ما أنقذته رغبتي، فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله :

قد أطعْتُ في الإنسِاطِ إليك دواعي الثَّمة، وسلَّكْتُ في التَّحَرُّمِ بك سُبُلَ الأَفسه، وتوصَّلتُ بملاطفَتِكَ إلى حَسَمِ موادِّ الحشمه؛ فاستشبهتُ على قفِّي بك فيا أخذتُه بفارقة الحفله، وكُلَّفَ المكآره؛ ^(١) فإن رأيت أن تكلفني في قبلي إلى سعة أخلاقك، وتسلك في ذلك أخصرَ طريقٍ إلى ما أخطبُه من مودتك، وأزاحمُ عليه في إخالِكَ؛ فعلت، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله :

هذا اليومَ —أيَّد الله سيدي— من أعياد المُرَّوه، ومَوَاسِمِ القُتَّوه، وأوطانِ السرور، ومحاسنِ الأزمنةِ والدَّهورِ؛ بَلَّغَه [الله]. أمثالُه في أنْفَرِ عيش وأَسْبَحِ سلامه؛ وأبْسَطِ قُدْرَه، وأَكْلِ مَسْرَه؛ وقد تَوَبَّعتُ إلى الاقْتِداءِ فيه بأدبه، والأخذِ بمعرفة قُروضه بملحبه؛ وأطعْتُ في الإنسِاطِ إليه دواعي الثَّمة، وأنقذتُ ما اعتمدتُ في قبوله على مكانٍ منه، عانداً بالتقليل من كُلفِ المكآره، ومستعجل الكلفة؛ فإن رأى أن يأتي فيا آتسسته ما يُناسبُ شَرَفَ طبعه، وسعة أخلاقه؛ فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله :

لو كانت المَلْاطَفَاتُ بحسبِ الرُّتبِ وقدرِ المنازلِ، لما آنَسَطَتْ قُدْرَةُ ولا آنَسَحَ إمكانُ لما يستحقُّه بُنْى محله؛ وواجباتُ رِياستِه؛ ولكُنْتُ من بين حَلَمه ضعيف المنة عن خِلمتِه في هذا اليومِ السعيد؛ بَلَّغَه الله أمثالَه في أنفسحِ أجَل، وأبجحِ أَمَل،

(١) كذا في الأصل ولعله «الكلفة».

بما يَخْدُمُهُ بِهِ دَوْرُ الْخِطَمَاتِ الْوَكِيلَةِ عِنْدَهُ، الْمَكِينَةِ لَدَيْهِ، غَيْرَ أَنِّي أُثْنِي مِنْهُ أَيْدِيَهُ أَهْلَهُ
بِحُلٍّ قَلِيلٍ عَلَى عِلْمِهِ بِإِخْلَاصِي فِي وَلَايَتِهِ، وَأَنْتَسَابِي إِلَى جُمْلَتِهِ، وَأَخْتِلَاطِي بِأَنْسَابِهِ،
فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيرَنِي فِي قَبُولِ ذَلِكَ عَلَى مُسْنَةِ أَمثَالِهِ مِنْ دَوْرِ الْجَلَالَةِ، عِنْدَ أَمثَالِي
مِنَ الْأَوَّلِيَاءِ وَالْحَاشِيَةِ، فَعَلَّ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَتْ الْمَدَايَا لَا تَقْبَلُ مَا لَمْ تُنَاسِبْ فِي تَقَاسَةِ الْقَدْرِ، وَجَلَالَةِ الذِّكْرِ، مَحَلٌّ مِنْ
يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ، وَمِثْلُهُ مِنْ أَهْدَاها إِلَيْهِ عَلَيْهِ، لَمَا سَمَتْ هِمَّةٌ، وَلَا أَسَعَتْ قُدْرَةٌ،
لَمَا يَسْتَحِقُّهُ - أَيْدِيَهُ - بِأَيْسَرِ وَاجِبَاتِهِ، وَأَصْفَرِ مَقَرَّضَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّ الْأَنْسَةَ
بِتَقْضِهِ، وَالْإِعْتِدَادَ بِسَالِفِ تَطَوُّلِهِ، وَالتَّحَقُّقَ بِخِدْمَتِهِ، وَالْأَنْتَسَابَ إِلَى جُمْلَتِهِ،
بَسَطْنِي إِلَى إِفَادَهِ مَا إِنْ شَرَفْنِي بِقَبُولِهِ كَانَ مَعِ قَلْتِهِ كَثِيرًا، وَمَعَ زَرَارَتِهِ جَلِيلًا، فَإِنْ
رَأَى أَنْ يَقْوَى بِذَلِكَ مِنْ تَقَاتِي، وَيَحْصِمَ مَادَّةَ أَحْتِشَاشِي، فَعَلَّ .

أجوبة التهتهة بالمواضع والأعياد

قال في "مواد البيان" : هذه الكتبُ والرِّقَاعُ مضمونُها الهناءُ بالمَوْصِمِ الْجَدِيدِ،
وَالدَّعَاءُ لَهُنَا فِيهِ بِتَمْلِيهِ . قال : وهذا المعنى مُقَاوَضٌ بَيْنَ الْمَهْنَى وَالْمَهْنَى، وَيَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ أَجْوِبَتُهَا مُشْتَقَّةً مِنْهَا . ثم قال : وقد يَتَصَرَّفُ الْكُتَّابُ فِيهَا إِذَا كَاتَبُوا الرُّؤَسَاءَ
تَصَرُّفًا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحَكْمِ .

وهذه أمثلة من ذلك :

أبو الفرج البغدادى :

سَمِعَ اللَّهُ دُعَاؤَكَ، وَبَدَأَ فِي تَقْبُلِ الْمَسْأَلَةِ بِكَ، وَأَجْزَلَ مِنْ أَقْسَامِهِ حَقُّكَ، وَبَلَّغَكَ
أَمْثَالَهُ فِي أَفْصَحِ مُدَدِ الْبَقَاءِ، وَزَادَ فِيهَا خَوْلَكَ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالنِّعَمَاءِ، وَلَا أَخْلَانِي
مِنْ رِّكَ، وَأَنْهَضْنِي بِوَاجِبَاتِكَ .

وله في مثله :

كُلُّ يَوْمٍ أَسْعَدُهُ بِمِشَاهِدَتِكَ ، وَأَقْطَعُهُ فِي ظِلِّ مَوْدَتِكَ ، حَقِيقُ الْإِنْحَادِ ، مُوفٍ عَلَى تَحَامِينِ الْأَعْيَادِ ؛ فَسَمِعَ اللَّهُ دُعَاكَ ، وَأَطَالَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ بَقَاكَ ؛ وَجَعَلَ سَائِرَ أَيَّامِكَ مَقْرُونَةً بِالسَّعَادَاتِ ، مُوصُولَةً بِتَنَاصُرِ الْبَرَكَاتِ .

من زهر الربيع :

يُخْدِمُ الْحِلْسَ الْعَالِيَّ جَعَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى الْأَقْدَارِ سَامِيَاً ، وَبِجَزِيلِ نَوَالِهِ عَلَى مَنْ هَامَ بِهِ مِنَ الْعَفَاةِ هَامِيَاً ؛ وَنَصَرَ نَصْرًا عَزِيزَاً ، وَأَسْكَنَهُ مِنْ حِرَاسَتِهِ حَصْنًا حَصِينَاً وَتَرَا حَرِيرَاً ؛ وَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَالِيَةَ الْحَيِّدِ بِوُجُودِهِ ، وَالْأَيْدِي تَهْشُ إِلَى تَسَاوُلِ أَيَْادِهِ وَجُودِهِ ؛ وَأَخْبَارُ الْمَكَارِمِ عَنْهُ مَرْوِيَّةٌ وَإِلَيْهِ مَعْرُوقَةٌ ؛ وَأَيَّاتُ فَضْلِهِ وَفَضَائِلُهُ بِكُلِّ لِسَانٍ مَتَّقُوهُ .

وَيُنْهَى إِلَى عِلْمِهِ وَرُودَ مَشْرِقِهِ الَّتِي حَلَّتِ الْإِسْمَاعَ عِنْدَ مَا حَلَّتْ ، وَبَمَثْنٍ عَنِ الرِّيَاضِ لَمَّا جُلِّيَتْ عَرُوسُ فَضْلِهَا وَجَلَّتْ ؛ وَزَهَتْ عَلَى زُهْوِهَا ، بِرَقْمِ سُطُورِهَا ؛ وَطِيبَ عَرْفَهَا وَتَشَرَّهَا ، بِمَا فَاحَ مِنْ طَيِّبِهَا عِنْدَ تَشَرُّهَا ؛ وَفَاقَتْ حُسْنَهَا وَبَهْجَتَهَا ، بِرَاقِ بَرَامَةِ عِبَارَتِهَا ؛ وَبِعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ مِنْ فُرُوضِ إِكْرَامِهَا وَالسَّنَنِ ، وَالْمُشْيِ فِي تَجَمُّلِهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ مِنْ مُوَالَاةِ السَّنَنِ ، وَعِلْمِهِ بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْهَتَاءِ بِالْعِيدِ ، وَالْوَيْمِ السَّعِيدِ ؛ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِذَلِكَ إِحْسَانُهُ الَّذِي مَا بَرَحَ مَتَحَقِّقًا بِجَمِيلِهِ وَبِجَزِيلِهِ ، وَشَاكِراً لِكَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الْبُشْرَى ، وَالْمَسْرَةُ الْكُبْرَى ؛ لَيْسَ لِلْعِيدِ مُبْقِرُهُ ، وَلَا لِهَذَا الْهَنَاءِ مُجَرِّدُهُ ؛ بَلْ لِبَقَاءِ الْمَوْتَى وَدَوَامِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَتَحْلِيدِ سَيَادَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَيْنٌ وَلِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانٌ ، وَهُوَ رُوحٌ وَالْأَيَّامُ وَالْأَنْثَامُ جُثَانٌ ؛ فَالْمَلُوكُ بِبَقَائِهِ كُلِّ

يوم يتجدد له عيدٌ جديد ، ويتضاعف له جدٌ سعيد ؛ حرسَ الله شرفه الرفيع من الأذى ، وأراه في عين أعاديه جدًّا ناثًا وسلم لحظه المحروس من القذى ؛ وأصار أيامه كلها أيام هناء ، وبداية سعادته بغير حدٍّ وانتهاء .

الضرب السادس

(التهتهة بالزواج والتسرى)

من كلام المتقدمين :

أبو الفرج البغاه :

وصل الله هذا الإتصال السعيد ، والمقد الحميم ؛ بأحد العواقب ، وأجمل المنح والمواهب ؛ وجعل شمل تمررتك به مثمًا ، وسبب أنسك بإقباله متظًا ؛ وعرفك به تنجّل البركات ، وتناصّر الخيرات ؛ ولا أخلاك فيه من التهاى بئجاء الأولاد ، وكبت بكثرة عندك مسائر الحساد ؛ وهنأى النعمة الجليلة بإخائك ، وعضدنى وسائر إخوانك ببقائك .

وله فى مثله :

قرن الله بالخير ما عقدت ، وبالسعادة ما جددت ، وبجميل العاقبة ما أضدت ، وعزفك بركات هذا الإتصال ، ولا أخلاك فيه من مواد السعادة والإقبال ؛ وعضدك بالبررة من عقيقك ، والسادة من ذريتك .

وله فى مثله :

إنى وإن كنت متحفًا بلحف مودتك ، ومتمسكًا بصمم أخوتك ؛ أولى بالتهتهة بما يحنث لك من ورود نعمة ، وأتصال موهبه ؛ فإنى ما أجد فرض الدعاء لك

ساقطاً ، ولا واجب الشكر لله تعالى على ما أولاني فيك زائلاً ؛ فعرفك الله بركة هذا
الاتصال الحميد ، والاتقان السعيد ؛ وجعله للسرور مكثرًا ، وباليمن مهنرًا ؛ وأحياك
للتهاني بمثله في السادة من ولدك ، والتجباء من ذريتك .

وله في مثله :

وصل الله هذا الاتصال الميمون بأريج البركات وأفضليها ، وأتجج الطلبات
وأكلها ؛ وأحمد بذاه وعقباه ، وبلغك الآمال في سائر ما تهواه ؛ وأحياك للتهاني
بأمثاله في البررة من ولدك ، والتجباء من عقبك .

من كلام المتأخرين :

للشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

جعل الله الخيرة له فيما يدره ويأتيه ؛ والنجاح مقرونًا بما يُعیده من الأوامر ويُسديده ؛
والألسنة شاكرة ما يؤليه من الإنعام ويُسديده . صدرت هذه الخدمة معربة عن
ثناء تاريج عرّفه ، وولاء أعجز الألسنة شرحه ووصفه ؛ وتهنئة بهذه الوصلة المباركة
جعلها الله للاتصال بالسعادة سببًا ، ومحصلة من الخيرات مرآما وإقرأ وأربابا ؛
وعرّفه بركة هذا العرس الذي أصبح الخيرة فينا به مُعرّسا ، ونور الشمس من ضياء
بهجته مقتبسا ؛ فحمد الله على هذه الوصلة سرا وجهرا ، ونشكره أن جعل بينه
وبين السعد نسبًا وصهرًا ؛ منح الله المولى الرقاء والبيتين ، والعمر الذي يفي الأيام
والسنتين ؛ ورزقه إسماعًا دائمًا وإسماعدا ، وأراه أولاد أولاده آباء بل أجدادا ؛
إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهنئة بالزواج والتسرى

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تكون شكراً لله على العناية والاهتمام ، و [مشملة على] الإبانة عن موقع دعائه من التبرك والتمنن به ، إلا أن تكون البداية بمعنى يخرج عما هذا جوابه ، فيلبي أن يجاب عنه بما يقتضى الإجابة عن ذلك .

الضرب السابع

(من التهنئة بالولاد، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول — التهنئة بالبين .

ما أورده أبو الحسين بن سعد في ترسله .

إنه ليس من نعم الله وقرائد قسمه وإن حسن موقعها ، ولطف محلها ؛ نعمه تعدل النعمة في الولد ، لأنها في العدد ، وزياتها في قوة العضد ؛ وما يتعجل من عظيم بهجتها ، ويرجى من باقي ذكرها في الخلوفا والأعقاب ، ولا حق بركتها في الدماء والاستغفار .

ومنه : إنه ليس من النعم نعمه ثمينة النعمة في الولد ، لزيادتها في قوة العضد ، وحسن موقعها في الخلف والعقب ؛ وأتصل بي خبر مولود فسرتني ماوصل الله به من العارفة إليك ، وشركتك في جميل الموهبة فيه شركة من له مالك وولي ماعليك ؛ وسألت الله أن يوزعك شكر النعمة ويؤنس بهذا المولود رعبك ، ويكثر به صدك ؛ ويظم بركته ويمن طائره عليك ، ويزيد به في النعمة كذلك ، يفعل الله ذلك بمنه وطوله .

وفيه لابی الحسین بن سعد إلى أبی مُسلم بن بحر یَهْتَهُ بِابْنِ حَدَّثَ لَهُ :
فَأَمَّا مَا جَدَّ اللَّهُ مِنْ النِّعْمَةِ فِي الْقَادِمِ وَالْمَوْحُوبِ لَكَ وَلَدًا وَأُنْسًا ، وَلَنَا سِنْدًا
وَدُنْخَرًا ، قَدْ جَلَّ قَدْرُ هَذِهِ الْمَوْهِبَةِ عَنْ أَنْ يُحَاطَ لَهَا بِوَصْفٍ ، أَوْ يُؤْفَى لَهَا بِشُكْرِ .
وفيه لعلی بن خلف :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ بُرُوعُ تَجَمُّعٍ سَعِيدٍ فِي مَشَارِقِ إِقْبَالِهِ ، مُؤَذِّنٍ بِأَنْسَاقِ مُمُوتِهِ
وَبِحَالِهِ ؛ فَأَحْدَثَ مِنَ الْجَلَالِ وَالْإِسْتِشَارِ بِمَقْدَمِهِ ، وَالتَّبَرُّكِ وَالتَّيَمُّنِ بِقَدَمِهِ ؛
مَا تَلَاثَلَتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ أَنْوَارُهُ ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ آثَارُهُ ؛ وَسَالَتْ اللَّهُ تَعَالَى رَاغِبًا إِلَيْهِ
فِي أَنْ يُرَفِّقَهُ سَعَادَةَ مَوْلَاهُ ، وَيَمُنَّ مَوْفِدَهُ ؛ وَيَعْمَلَهُ شَاكًا لِمَضْبَعِهِ ، وَمُؤَرِّيًا لَزَنَدِهِ ؛
وَيَشْفَعَهُ وَالسَّادَةَ السَّابِقِينَ ، بِجُيَاءٍ مُتَلَاحِقِينَ ؛ يَبْلَجُونَ فِي نِطَاقِ سَعَادَتِهِ ، وَيُتَوَسَّمُونَ
فِي آفَاقِ سِيَادَتِهِ ؛ وَيَصْبُونُ سِلَكُهُمْ مِنَ الْأَهْصَامِ ، وَيَتَلَهَّمُ مِنَ الْإِنْهَادَامِ ؛ وَيُقْبِهِمْ
غُرَرًا فِي وَجْهِهِ الْأَيَّامِ ، وَأَقَارًا فِي صَفَحَاتِ الظُّلَامِ ؛ بِمَنَّةٍ وَفَضْلِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وفيه له : وَيُنْهَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ يُشْكِرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أُنْزِلَهُ عِنْدَ مَوْلَانَا مِنْ حَوَارِفِهِ ،
وَأَخْتَصَبَهُ بِهِ مِنْ لَطَائِفِهِ ؛ شُكْرًا مِنْ شَارَكَهُ فِي النِّعْمَةِ الْمُسَبَّغَةِ عَلَيْهِ ، وَأَتَمَّ إِلَى خَيْرِ
السَّنَدِ الْمُتَجَدِّدِ لِمَوْلَانَا ، فَطَارَ الْمَمْلُوكُ بِخَوَافِ السُّرُورِ وَمَقَادِمِهِ ، وَأَخَذَ مِنَ الْإِتِّهَاجِ بِأَوْفَى
فَنَسَمِهِ ؛ وَسَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لَهُ فِي حَظِيَّتِهِ ، وَيُرْدِفَهُ بِزِيَادَتِهِ ؛ وَيُوقِّرَ عِلْدَهُ ،
وَيُسَدِّدَ بِصَالِحِ الْوَلَدِ عَضُدَهُ ؛ وَيُجَنِّبَهُ مِنْ هَذَا الْقَادِمِ ثِمَارَ الْمَمَرَّةِ ، وَيُرَى حَيْثَ مِنْهُ
أَقْرَبُهُ ؛ وَيَشْفَعُ الْمُنْتَمَةَ فِي مَوْهِبَتِهِ بِإِطَالَةِ مُدَّتِهِ .

وفيه : وَيُنْهَى أَنْ أَفْضَلَ النِّعَمِ مَوْقِعًا ، وَأَشْرَفَهَا خَطَرًا ، وَمَوْضِعًا ؛ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى
فِي الْوَلَدِ : لَزِمَاتُهَا فِي الْعَدَدِ وَقُوَّةُ الْعَضُدِ ؛ وَمَا يُتَجَبَّلُ مِنْ عِظَمِ جَاهِلِهَا وَزِينَتِهَا ،
وَيُرِجَى مِنْ حُسْنِ مَا لَبَّيَ وَعَاقِبَتِهَا ؛ فِي حِفْظِ النَّسَبِ وَالْأَصْلِ ، وَحُسْنِ الْخِلَافَةِ عَلَى

الأهل ؛ وبحيل الذِّكر والثَّناء ، ومتَّعِل الاستِغفارِ والدُّعاء ؛ وقد اتَّصل بالملوك بُزوغُ
هلالِ سماءِ المجد ، ومتعلِّق الإقبال والسَّعد ؛ فاشترقت الأيامُ بإِشراقه ، ووثقت
الآمالُ باجتلائه وأنَّساقه ؛ فقام المملوكُ عن مولانا بِشُكر هذه النعمة المتجدِّدة ،
والموهبةِ الراهنة الخالدة ؛ وهنَّأتُ نفسي بها ، وأخذتُ بحظي منها ؛ والله تعالى يَعْرِفُه
يَمِّنُ المولود من أطهرِ والدَّة وأطيبِ والد ؛ ويُمَرِّ به منزله ، ويؤنس ببقائه رحله ؛
ويبلغُ بحبيبه . من الآمال فيه ، ما يُلْغَم في المساجد أبيه ؛ إن شاء الله تعالى .

وفيه : ويُنهي أن نَمِّ الله تعالى وإن كانت على مولانا متظاهره ، ولديه متناصرة ؛
فقد كان المملوكُ رَغِبُ إلى الله تعالى في أن يُجِلَّ الأيامُ من تَسْلِه ، بَمَن يحفظُ عليها
شرفَ أصله ، ويحفظُه بعد العُمُر الطويل في نُبْله وكرَمِ فعله ؛ ولكم اتَّصل بالملوك
نَبأُ هذا الهلالِ البازغ في سَمائه ، المُقرَّعون أوليائه ، الخُصَّيبُ لظُنُونِ أعدائه ؛
حمِدْتُ الله تعالى على موهبته ، وسألتُه لإقرارِ نعمته ؛ وأن يُعرِف مولانا بركةَ قَدَمه ،
ويُمنَّ مَقْدمه ؛ ويوقِّرَ حظَّه من زيادته ، وسعادةِ وقادته ، وأن يحلَّه برًّا حقًّا ، مباركًا
رَضِيًّا ؛ ويُفَسِّح في أَجله ، ويُبلِّغه فيه أمله ؛ إن شاء الله تعالى .

من كلام المتأخِّرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

هَمَّلتُ بالإِسْماءِ والإِسْماءِ * وقَعَدَ أَمْرِي في العِدَا بِنَقْدِ !

وَبَقِيَتِ ما بَقِيَ الزَّمانُ مَهْمًا * وَوَقِيَتِ شَرَّ قِسْمَةِ الحُسَّادِ !

يا مالِكَ الرِّقِّ الَّذِي أَصْحَى لَنَا * من جُودِهِ الأطْوافُ في الأَجْيادِ !

خُلِّدتَ في عَيْشٍ هَنِيٍّ أَخْضَرَ * يَسْطُو بِبَيْضِ طَبَّا ومُتَمَرِّ صِعادِ ،

حَتَّى يَخاطِبَكَ الزَّمانُ مُبَشِّرًا : * مُتَعَّتْ بِالإِخوانِ والأَوْلادِ !

جَدَدَ اللَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ مَسْرَّةٌ وَبُشْرَى ، وَأَطَابَ لَعُونَهُ عَرَفَا وَتَشْرَأ ؛ وَشَدَّ لَهُ بَوْلَهُ السَّعِيدِ الطَّلَعَةِ أَزْرًا وَأَسْرًا ، وَبَسَّرَ بِهِ الْهَمُومَ عَنِ الْقُلُوبِ وَأَصَارَهَا لَدَيْهِ أَسْرَى ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَعَالَى يُقَالُ : سُبْحَانَ الَّذِي جَعَلَهُ أَسْرَى .

الْمَمْلُوكُ يَخْتَلِمُ الْمَوْلَى وَيَهْتِنُ وَيُسْكِرُهُ ، وَيُظْلِمُهُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْإِثْتِهَاجِ لِلْسَّبَبِ الَّذِي يُنْبِيهِ وَيَذْكُرُهُ ؛ وَهُوَ أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِهِ قُدُومُ الْمَسَافِرِ لِإِسْفَارِ الْبَدَنِ ، وَظُهُورُ مَبْنِيِّ الْفَتْرِ الَّذِي جَاءَ لِأَهْلِهِ بِأَمَانٍ مِنْ صُرُوفِ الْبَحْرِ ؛ وَهُوَ الْوَلَدُ الْعَزِيزُ الْمَوْفِقُ الْجَيِّبُ ، فَلَانِ ، أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَيْحًا مَشْكُورًا مُجُودًا ، مَنْصُورًا بِسَيْفِ بَحْدِهِ وَسِنَانِ سَعْدِهِ مَسْعُودًا ؛ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَعِلَّاهُ ، وَأَطْلَى نَجْمَهُ وَخَلَّدَ شَرْقَهُ وَبَهَّاهُ ، وَضَاعَفَ سَنَاءَهُ وَسَنَاهُ ؛ وَأَرَانَا مِنْهُ مَا أَرَانَا مِنَ السَّعَادَةِ فِي أَبِيهِ ، فَسُرُّوا بِهَاجِ بِهِهِ النِّعْمَةِ غَايَةً السُّرُورِ وَالْإِثْتِهَاجِ ، وَأَتَضَّحَّحْ لَهُ فِي شُكْرِ إِحْسَانِ الْمَوْلَى وَحُسْنِ وَلَدِهِ كُلِّ طَرِيقٍ وَمِنْهَاجٍ ؛ وَسَالِ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُطَوِّلَ لَهُ عُمْرًا ، وَيَجْعَلَ لَهُ إِسْعَادَ الْوَلَدِ وَإِسْعَافَهُ ذُنُورًا ، لِيَرْتَمَا فِي رِيَاضِ الدِّعَةِ فِي حِمَّةٍ وَسَلَامَةٍ ، وَيَجْعَلَ فِي فَنَاءِ الْعُلَا لَهَا دَارَ إِقَامَةٍ ؛ وَيُثَلِّفَا مِنَ السَّعَادَةِ دَرَجَةً لِاتِّزِيمِ عَالِيَةٍ وَلَا تَرَامَ ، وَتَخَضَّعَ لَهَا اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ؛ وَيُرَشِّقَا بِسِهَامِ الصُّرُوفِ وَيَطْمَتِنَا بِأَسْتِنَاهَا ، وَيَقْهَمَا دَوَاءَ الْآيَامِ لَهَا مِنْ صُدُورِهَا وَيَسْمَعَاهَا مِنْ أَلْسِنَتِهَا ؛ غَاطِبَةً لِأَبِيهِ ، وَمَنْشَلَةً لِسَائِرِ أَهْلِهِ وَبَحِيَّةً :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا ، * حَتَّى تَرَى نَجْمَكَ هَذَا جَدًّا

الصف الثاني - التهئة بالبنات .

من كلام المتقدمين :

أبو الحسين بن سعد :

النِّعْمَةُ نِعْمَتَانِ : إِحْدَاهُمَا تُعَجِّلُ الْأَنْسَ ، وَالْآخَرَى تَنْخِرُ الْأَجْرَ ؛ وَعَلَى حَسَبِ

مَا تَسْتَلْقِي بِهِ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى ظَاهِرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالتَّسْلِيمِ فِيَا يَجْرِي بِجَرَى بَعْضِ الْمَكْرُوهِ ؛
يَكُونُ الْمُنْتَاعُ عَاجِلًا ، وَالتَّوَابُ آجِلًا ؛ وَمَا قَدَّمْتُ الْقَوْلَ [إِلَّا] لِأَنَّ ظَنَنْتَهُ يَعْزُضُ
لَكَ مِنَ الْوُجُومِ فِي هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ ، فِي الْمَوْلُودَةِ الَّتِي أَرْجُو أَنْ يَعْظُمَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا ، وَيَحْمِلَهَا
أَيْمَنَ مَوْلُودٍ فِي عَصْرِهَا ، وَدَالَّةً عَلَى سَعَادَةِ أَيْمَانِهَا وَجَدَّهَا ؛ وَ[لَنْ] كَانَ فِي الطَّبِيعِ حُبُّ
الذِّكْرِ وَالشَّغْفُ بِالْبَيْنِ ، فَإِنَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهُنَّ بِالْأَيْمَنِ مَعْرُوفَاتٌ ؛ وَبِالْبَرَكَاتِ
مَوْصُوفَاتٌ ، وَبِالذِّكْرِ فِي أَثَرِهِنَّ مُبَشِّرَاتٌ ؛ فَهَذَا اللَّهُ النِّعْمَةُ فِيهَا تَهْنِئَةٌ لَا تَقْضِي
سَعَادَتَهَا ، وَلَا يَعْزُضُ النِّقْصُ وَالتَّقْدِيرُ شَيْئًا مِنْهَا ؛ وَأَيُّ هَذِهِ الصَّبِيَّةِ مِمَّنَّا أَبُوهَا بِهَا ،
وَمُنْشَأُ لَهَا الْحُظُّ مِنْ سَعَادَتِهَا ؛ وَبَلَّغْنَا أَفْضَلَ مَبَالِغِ الصَّالِحَاتِ الْفَائِتَاتِ مِنْ أُمَمَاتِهَا ؛
وَجَعَلْنَا فِي مَوْلِدِهَا أَصْلَقَ دَلِيلٍ عَلَى طَوْلِ عُمرِ أَيْمَانِهَا وَسَعَادَةِ جَدِّهَا ، وَتَضَاعَفَ نِعْمَ اللَّهُ
عِنْدَهُ ؛ إِنَّهُ لَطِيفٌ جَوَادٌ .

أَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرٍ :

مَرْحَبًا بِكُورِ النِّسَاءِ ، وَبِكُورِ الْأَوْلَادِ ، وَحَقِيلَةَ الْخَبَاءِ ، وَالْمَأْمُولَةَ لِلْبَرَكَاتِ ، وَالْمَشْهُورَةَ
بِالْأَيْمَنِ ؛ وَقَدْ جَرَّبْنَا فَوْجِدَانَهُ مَعْهُودًا مَسْعُودًا ؛ وَاقِهِ يَرْفُكُ أَضْعَافَ مَا عَرَفَ
مَنْ قَبْلَكَ ، وَيُشَارِكُكَ فِي مَا رَزَقَكَ ؛ وَيُنْشِئُ لَكَ بَأْخَ لِلْوِلْدَةِ وَيَجْعَلُهُ رَدِيقَهَا ،
وَفِي الْخَيْرِ قَرِينَهَا وَشَرِيكَهَا .

عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ :

وَيُنْهِي أَنْ الْمُلُوكَ أَنْصَلَ بِهِ أَرْتِمَاضُ مَوْلَانَا بِمَقْدَمِ الْكَرِيمَةِ الْوَالِدَةِ ، بِطَالِعِ
السَّعَادَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ فَجِئِبَ الْمُلُوكُ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ مَوْلَانَا مَعَ كَمَالِ نُبْلِهِ ،

(١) المراد به الضيق انظر القاموس .

(٢) يريد قلقة وعدم أطمأنه .

وشرف عقله وعلمه ؛ فإن الله تعالى جلّ اسمه يقول : ﴿يَسْأَلُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً مِنَّا وَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ وإن ما جتده الله تعالى من مواهبه جدير أن يتلقى بالسرور والفرح ، لا بالاستياء والترح ؛ لاسيما والدّ كثر إننا نتفضل على الأنبياء بنجاته ، لا بجليلته وصورته ؛ وقد يقع في الإنث من هو أشرف من الذكور طبعا ، وأجزل عائداً وقفاً ؛ وقد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رزق العبد الأنثى نادى مناد من السماء : يا أهل الدار أنشروا بالرزق ؛ وإذا رزق ذكراً نادى مناد من السماء : يا أهل الدار أنشروا بالعزّ » فليستقبل مولانا الرزق بالشكر فإن العزّ يتبعه ، ولا يعارض الله تعالى في إرادته ؛ ولا يستقبل شيئا من هبته ؛ والله تعالى يعرفه بمن عهودها ، وسعادة قلوبها ، وأن يسره بعدها بلخوة متتابعين متلاحقين ؛ يؤيدون أمره ، ويحيون بعد العمر الأطول ذكروه .

أبو الفرج البغاء :

لو كان الإنسان متصرفاً في أمره بإرادته ، قادراً على إدراك مشيئته ؛ لبطلت دلائل قدره ، واستعالت حقائق صنعه ؛ ودرست معالم الآمال ، وتساوى الناس ببلوغ الأحوال ؛ غير أنّ الأمر لما كان بغير مشيئته مصنوعاً ، وعلى ما عتبه ظهر في الابداء مطبوعاً ؛ كان المخرج له إلى الوجود من العدم ، فيما أرتضاه له غير متهم ؛ ومولانا - أيده الله - مع كمال فضله ، وبهاهي عقله ؛ وحنّة قطنته ، وثاقب معرفته ؛ أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو يتسخط مواهبه الصادرة إليه ؛ فيرمقها بنواظر الكفر ، ويسلك بها غير مذاهب الشكر .

وقد أنصّل بالملوك خبر المولودة كرم الله غرتها ، وأطال ملتتها ، وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها ؛ وما كان من تغيره عند اتّصاح الخبر ، وإنكار ما اختاره

له سابق القدر، فحجب الملوكة من ذلك واستنكره، من مولانا وأنكره؛ لضيق العذر في مثله عليه . وقد علم مولانا أنهم أقرب إلى القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب فقال جل من قائل : (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ) وما سَمَاءُ الله هبة فهو بالشكر أولى، ويحسن التقبل أخرى ؛ ولكم نسب أفدن ، وشرف استعدثن ؛ من طرق الأنهار ، والاتصال بالآخيار . والملمس من الذكر نجابته ، لأصورته وولادته ؛ ولكم ذكر الأئمة أكرم منه طبعاً ، وأظهر منه نقلاً ؛ فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويحدث الشكر على ما وهب منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هو الأشبه ببصيرته ، والاولى بمثله ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث — التهئة بالتوهم .

أحسن ما رأيت من ذلك قول بعض الشعراء مما كتب به إلى بعض أصحابه ، وقد ولده له ذكر وأثنى من جارية سوداء ، وهو قوله :

وخصبك رب العرش منها بتوهم * ومن ظلمات البحر استخرج الدرر !
وارك أحصى وارتا عسلم جابر * فأعطاك من ألقابه الشمس والقمر !

الأجوبة عن التهئة بالأولاد

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرقاع يجب أن تثنى على شكر اهتمام المهني ورعايته ، والاعتداد بعنايته ؛ وأن الزيادة في تجدد المهني [به] زيادة في عنده ، وأن نصيبه من تحرك السرور فيما يخص إليه من المواهب كصيبه : لتأسيهما في الإخاء ، وتوافيهما في الصفاء ، وأن تراعى مع ذلك مرتبة المهني والمهني ، وينتفى الخطاب على ما يقتضيه كل منهما .

وهذا مثال من ذلك :

زهر الريح :

ويُنهى ورود الكلاب الذى تَشْرَفُ المملوكُ بِوُروده ، وأشرقت الأيام بكل
سُعوده ، وأزغمت بيلاعته مِعْطَسَ مُتَاوِيه وحُصوده ؛ فشكراً يَدَى من أنعم بإرساله ،
وأكتمى بالوقوف طيه حُلَّة من حُللِ غفوه وجماله ؛ وبالغ فى إكجله ، حتى وقفت
إجلالاً له بين يديه ، ثم تلا آيات حُسْنِهِ على أذنيه ؛ فوجدته مشتملاً على إحسانٍ
لم يسبقه إلى مثله أحد ، ومن أودعها فيه فلا يُحصيها حُصر ولا عَدَد ؛ فهيج بِوُروده
رئيس الأشواق ، وتقلد بإنعام مُرسله كما قللت الحمايم بالأطواق ، ووجد لوعة
لا يُحسن وصفها لسان اليراع فى الأوراق ؛ وعلم ما أشار إليه المولى من التهته
بالولد الجديد ، بل بأصغر الخدم والعبيد ؛ وما أبداه من الإبتهاج لميلاده ، وأظهره
من التفضيل المعروف من آياته الكرام وأجداده ؛ ولم لا يكون الأمر كذلك
والوالد مملوكه ، وهو مملوك السادة الأجلّاء أولاده ؛ حرس الله مجده ومنعه بثوب
مكارمه ، وحفظ قدر محاربه ورفع كلمة مساليمه ؛ ولا زال ممالئكم تترد تريد
الأيام ، وسعادته باقية بقاء الأعوام ، وعين العناية تحرسه فى حالى السفر والمقام ؛
إن شاء الله تعالى .

الضرب الثامن

(من التهانى التهته بالإنزال من المرض والعافية من السقم)

من ذلك :

ويُنهى أنه مازالت أجسام أهل الصبا ، تشترك فى الأسقام والوفاق ، كما تشترك
أنفسهم فى التخالص والتواف ؛ ولما ألم بولانا هذا الألم الذى تفضل الله تعالى

بإماطينه ، ومن فيه على السؤدد بحراسة مولانا وجياطينه ؛ قرأته حالاً في جوارحي ،
 محرقاً لجوانيحي ؛ ممازجاً لأعضائي ، مملّكا لأتواني ؛ ولئن كنت قد تملت من ذلك
 عيأ ، وأرتقيت من ثمله مرقى صعباً ؛ فقد تخرت بمأسسته ، وأحدث طبعي على
 مشاكلته ؛ وشكرت الله تعالى إذ جعلني شعبة من مرحته ، وجيلة من طيبته ؛ وعلّ
 مأسرته من إقالته وإنعاشه ، ومضافاته وإنشاشه ؛ وسألت الله تعالى أن يبقيه نوراً
 يوضح مغرب الدهر ومشرقه ، ودراً يرضع قود المجد ومفرقه ؛ ويحسن الدفاع عن
 حوائثه ، وهو سبحانه يُجيب ذلك ويتقبله ، ويرفعه ويسمعه ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله ،

المملوكُ يُبقي مولاة خاصة إذ جعله الله تعالى من صفوة أوليائه ، وخالصة أحبائه ؛
 الذين يطيعهم اختياراً ، ويقاومهم اختياراً : ليجمع لهم بين تمحيص وزهر ، ومضاعفة
 أجرهم ؛ والحض على طاعته ، والإنصراف عن معصيته ؛ ويُبقي الكافة عامة بالموهبة
 في نوره المطلعة لأمل الإقبال ، المروية لِمَاحِل الآمال ؛ ثم أعطف على حمد الله
 على ما آمن به من إبلاله ، ويسره من استقلاله ؛ والرغبة إليه في أن يمنحه صحة مُخلد
 وتقيم ، وطافية ترهن ولا تريم ؛ وأن يحميه من عوارض الأقسام ، ويصونه من حوادث
 الأيام ؛ بفضله وجوده ، إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البغداد :

أفضل ما يقرع إليه العبد المخلص ، والمولى المتخصص ؛ فيما يتوب سيده ويوم
 ولي نعمته ، الداء المقتَرَن بصدق النية ، وصفاء الطوية [فالحمد لله الذي من بالصحة]
 وتصدق بالإقالة ، وتدارك بجمل المدافعة ؛ وعم سائر خلت به أيده الله بالنعمة ، وأعادته

إلى أجل عاداته من السلامة والصحة، فائرا بمُدخر الأجر، متعبداً بمستأنف الشكر، فلا أخلاه الله من زيادة فيما يؤليه، ولا قصّداً بسماع سوء فيه؛ وحرس من الغير مهيجته، ومن المحذور نعمته .

وله في مثله :

ما كنت أعلم أنّ عافيتي مقرونة بعافيتك، ولا سلامتي مضافة لسلامتك؛ إلى أن تحققت ذلك من مشاركتي إياك في حالتي الألم والصحة، والمرض والمعنة؛ فالحمد لله الذي شرف طبيعتي بمناسبتك، وجعل خلقي بسلامتك؛ فيما شاء وسرّ، وإياه تعالى أشكر على ما خصني به من كمال عافيتك، وسبوغ سلامتك وسرعة إقبالتي؛ وبه - جلّ اسمه - أثبت في مزيدك من تظاهر النعم، وتوفر القسم .

وله في مثله :

ولولا أنّ متضمن كتابك قرن ذكر المرض الهاجم عليك، بذكر ما وهبه الله لك من عود السلامة إليك؛ لما اقتصر بي القلق على [ما] دون المسير نحوك، والمبادرة لمشاهدتك؛ غير أنّ السكون إلى ما أذهاه كتابك سابق الجزع، والطمانينة إلى ما وهبه الله من كفايتك حالت دون الهلع؛ فالحمد لله الذي من بالإفالة، وقصّدتك بالسلامة وعمّ بالكفاية؛ وهو وليّ حراستك وحراستى فيك .

وله في مثله :

سيدنا في سائر ما يذكره الله من هجوم ألم مؤذّن بصحة، وأعراض غنية مؤدية إلى منهة؛ مرّ موقّ بالعافية، محروس من الله جلّ اسمه بالحفظ والكلام؛ فهو مع العلة فائز بذخائر الأجر، ومع العافية موفق لا يستراة الشكر؛ فالحمد لله الذي عقد الكرم ببقائه، وشفى مرض الآمال بشفائه؛ وكفاه اعتراض الخوف، وعوارض الصروف .

وله في مثله :

مَا أَتَقَرَّدَ جِسْمُكَ بِالْعِلَّةِ ثُونٌ قَلْبِي ، وَلَا أَخْتَصِّتَ نَفْسَكَ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى -
بِمُعَانَاةِ الْمَرَضِ ثُونٌ نَفْسِي ؛ وَلَمْ أَزَلْ بِالْقَلْبِ تَالِيَا ، وَفِي سَائِرِ مَاشِكُوتهُ بِالثَّنِيَّةِ مُسَاوِيَا ؛
إِلَى أَنْ كَشَفَ اللَّهُ الْغُمَّةَ ، وَأَقَالَ الْعَثَرَةَ ، وَنَفَسَ الْكُرْبَةَ ؛ وَمَنْ بِالسَّلَامَةِ ، وَتَصَدَّقَ
بِالْكِفَايَةِ ؛ وَأَوْجَبَ بِالْعَافِيَةِ عَلَيْنَا جَمِيعًا فُرُوضَ الشُّكْرِ ، بَعْدَ مَا ادَّخَرَهُ لَكَ بِالْأَلَمِ مِنْ
كَثْرَةِ الْأَجْرِ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا يُؤَدِّي إِلَى حِرَاسَةِ مَاخَوَّلَكَ ، وَيُؤَدِّنُ بِالْمَزِيدِ
فِيَا مَنَعَكَ .

ومن كلام المتأخرين :

أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَ الْجَنَابِ الْقُلَانِي ، وَلَا زَالَتْ شُمُوسُ أَيَامِهِ لَا تَخَافُ كُسُوفًا وَلَا أَقُولًا ،
وَأَقَامَرُ لِيَالِيهِ تَقَرَّسَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَحَمِيهِ فُرُوعًا وَأَصُولًا .

الْمَمْلُوكُ يَحْتُمُ خِصْمَةً مَنْ يَحْمِلُ جَمِيلًا ، وَتَالٍ مِنْ تَفَضُّلِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ جَزِيلًا .
وَيُنْبِي مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ السُّرُورِ بِعَافِيَةِ مَوْلَانَا ، فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى مَا جَنَّدَ مِنَ النِّعْمَةِ
التَّامَّةِ ، وَتَمَحَّجَ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ الْعَامَّةِ ؛ حِينَ أَعَادَ الْبَدْرَ إِلَى كَيْلَالِهِ ، وَالسُّرُورَ إِلَى أُنْتَمِ
أَحْوَالِهِ ؛ وَمَا كَانَتْ إِلَّا غَلْطَةً مِنَ النَّهْرِ فَاسْتَدْرَكَهَا ، وَصَفَقَةً خَارِجَةً عَنْ يَدِهِ فَمَلَكَهَا ؛
فَقَرَّرَتْ بِذَلِكَ الْعُيُونُ ، وَتَحَقَّقَتْ فِي بُلُوغِ الْأَمَلِ الظُّنُونُ ؛ وَاجْتَبَرَتْ قَلْبُهُ بَعْدَهَا وَهَنَ ،
وَعَادَ جَفَنُهُ بَعْدَ الْأَرْقِ إِلَى الْوَسَنِ ؛ وَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ .
وَلَقَدْ كَانَ يَتَمَتَّى الْمَمْلُوكُ لَوْ فَازَ مِنَ الرُّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ بِحَظِّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتَمَلَّى بِمُشَاهَدَةِ
وَجْهِهِ الْكَرِيمِ فَإِنَّ فِيهِ الْبُيُوتَةَ وَالْوَطَرَ .

وَالْمَمْلُوكُ فَا يَحْدُ نَفْسَهُ إِلَّا مِنَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفْسَهُمْ لِحُبَّتِهِ وَأَعْدَوْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُسَرُّ الْأَوْلِيَاءَ بِتَضَاعُفِ سُعُودِهِ ، وَيُدِيمُ بِهِجَةَ الْأَيَّامِ بِمُيُونِ وَجُودِهِ ؛ وَيُطِيلُ

في مثله ويحرسها من الغير، ويحرس أحوال مزاجه الكريم على القساؤون المعتبر،
ويكني أوليائه ومحبيه فيه كل مكروه وحذر؛ إن شاء الله تعالى .

من زهر الربيع :

ولما شكوت، أشتكى كل ما * على الأرض وأهترق وغرب!

لأنك قلب لحسم الزمان * وما فتح جسم إذا أحل قلب!

حرس الله جنابه، وأسبل عليه رداء السعد وأثوابه؛ ومنعه يرود العافية وجلبابها،
وفتح له إلى نيل السعادة سائر أبوابها؛ ومنعه الكفاية والأمن في مربه، والعافية
في جسمه من قلق كل مريض وركبه؛ وجمع له بين الثواب والأجر، وجازاهم بجزيل
الثمران عن جميل الصبر .

الملوك ينشر نفسه ومولاه بما من الله به من صحة مزاجه الكريم، والإبلال من
مرض كاد يذركشوس الجسم على كل صديق حميم؛ ويحمد الله على عافيه حمدا
جزيلا، ويشكره عليها بكرة وأصيلا؛ فإنه قد عوفي لعافيته المجد والكرم، وزال عنه إلى
أعدائه الألم؛ فالمولى حفظ الله صحتته من السقم، وحماه من ألم ألم؛ وجعل سعادته
تزايد على تمر الأنفاس، وجسده سالما من الأذى كسلامة عرضه من الأدناس؛
إن شاء الله تعالى .

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وفي الله من الأسواء شخصه الكريم، وشمله النظيم؛ وقلب محبه الذي هو في كل
وادي من أودية الإشفاق يميم .

ولا زالت الصحةُ قريته حتى لا يعتل في منزله غيرُ مُرود النسيم . ويصفُ شوقاً
يزيد بالأنفاسِ وقداءً ، ويحتد للأحشاءِ وجداً ، ويساير القلبَ المغرمَ فيمد له من
مذاب الإِنتظارِ مَناءً .

وينهى أنه جهز هذه الخدمةَ ناثبةً عنه في استِجلاءِ وجهِ أكرم الأحياءِ ، وتُصاغ
اليَدُ التي أقلامُ كُتُبها في شكوى البعادِ أطيبه ؛ مبديةً إلى العلمِ الكريمِ أنه مع ما كان
يكابذه من الأشواقِ ، ويعالجه من خواطر الإِشفاقِ ، بلغه ضِعْفُ الجسدِ الموقِّ ،
وطرِضُ الألمِ الذي استطار من جوانحِ المحبين بقاءً ؛ فلا يسألُ الجناحُ الكريمُ عن
قلبِ نائمٍ ، وصدرِ صامتٍ بالمُهمومِ ولكنه يجراح الأشجانَ تكلمً ، ولسانٍ أنشد :

الْأَلَيْتَنِي مَحَلَّتْ مَا يَكُ مِنْ ضَيِّ * عَلَى أَنْ لِي مِنْهُ الْأَذَى وَلَكِ الْأَجْرُ !

ثم لطف الله تعالى وعجل خبر العافية المأمولة ، والصحةِ المُقبلةِ عقيبَ الدَّعواتِ
المقبولةِ ؛ فبالها مسرةٌ شملتْ ، ومبرةٌ كُلتْ ؛ وتهتشةٌ جمعتْ قلوبَ الأوداءِ وجمَلَتْ ،
وأعضاءَ قَدَتْهَا عِيُونُ الْمَهَا فَتَقَلَّتْ عنها صِغَاتِ السَّقَامِ وجمَلَتْ ؛ وطافيةٌ حَوَلَتْ إلى
قلوبِ الأعداءِ المَرَضِ ، وجوهرٍ جسيمٍ طاهرٍ زال [عنه] بأُسِ الرِّضِ ؛ فهتفتاً له
بهذه الصحةِ المتوافرةِ الوافيةِ ، والحمدُ لله ثم الحمدُ لله على أن جمعَ بين حُصولِ الأجرِ
ووصولِ العافيةِ ، وعلى أن حفظَ ذاته الكريمةَ وحفظَها هو المقَدمةُ الكافيةُ الشافيةُ :

وتقاممُ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ * قَسِيماً فَكَانَ أَجْلُهُمْ قَسِيماً أَنَا !

والله تعالى يُسبِّغُ عليه ظلالَ نِعَمِهِ ، ويحفظُله حيثُ كان في نَفْسِهِ وأهْلِهِ وَخَدَمِهِ ؛
وكما سرَّ الأحبابَ بحِجْرِ طافِيَتِهِ كذلك يُسرُّهم ببيانِ مَقَدَمِهِ .

أجوبة التهته بالإبلال من المرض والعافية

قال في "مواد البيان" : أجوبة هذه الرّفاع يجب أن تكون مبينة على وصف الألف وصورته وما تفضل الله تعالى به من إمامته ، وشكر المهني باهتمامه وعنايته . وهذه أمثلة من ذلك :

من زهر الربيع :

أدام الله نعمته ، وشكر مته ، وأدال دولته ؛ وأعلى قدره وكلمته ، وحم على الألسنة شكره والقلوب محبته . ولا زالت التهانى من جهته وإفده ، والبشائر وإراده .

ونهى ورود الكتاب الذى أعدته يد المعالى فساد كريما ، وشاهد حسن منظره فصار وجهه وسميا ؛ وأنه وقف عليه ، وأحاط علما بكل ما أشار المولى إليه ؛ فذكره أنسا كان بخيمته لم يقسه ، وجد له وجدا ما زال يجيد في قلبه ونفسه عينه ونفسه ؛ ونشر من ماثره الماثورة ، فضائله المرقومة في صفائح الصّحائف المسطورة ؛ ماشف به وشرف ، وشوق إلى لقاءه وشوق ؛ وأقام البرهان على ذكي فطنته ، وزكي فطرتيه ؛ وطعم ما أنعم به وتفضل ، وأحسن وتقول : من تهته المملوك بالإبلال من مرضه ، والبر من سقمه ، والتخلص من يدى وجعه وألمه ؛ وسرورود كريم مشرقه ، أعظم من سروره يلياس قوب عافيته ؛ وبدوام مجده وسعادته ، أكثر من صحة من أجه واستقامته : فإن مكارم المولى كالحدايق الناضرة ، ومترانه أعز في القلوب من الأحداق الناظرة .

فالحمد لله الذى من بالعافية من ذلك المرض ، والداء الذى ألم بمرضيه فاحتوى منهما على الجوهر والعرض ؛ وطال حتى أسامه من نفسه وعواده ، وآتته من الحياة

لولا لطف الله والله لطيف بعباده ؛ وهذا ببركة المولى ودعايته الذى كان يرفعه ،
والخواطر والاسماع مع بُعد الشقة تشهد به وتسمعه ؛ جعل الله التهانى مع الأبد
واردة منه وإليه ، وشكر إنعامه وأتم نعمته عليه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وكتبت للقر العلاءى علاء الدين الكرعى وهو يومئذ كاتب المر الشرف
فى الدولة الظاهرية « برقوق » فى سلطته الثانية ، وقد برأ من مرض نظا :

أَفْدِيهِ مِنْ جَسَدٍ قَدْ صَحَّ مِنْ سَقَمٍ * فَبَاتَ جَوْهَرُهُ خَالٍ مِنَ الْعَرَضِ !
فَاسْتَبَشَّرَتْ بَعْلَى الْقَوْمِ شَيْعَتَهُ * وَمَاتَ حَامِلُهُ بِالسَّقَمِ وَالْمَرَضِ !

الضرب التاسع (التهنئة بقرب المزار)

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

قَرَّبَ اللَّهُ مَزَارَهُ ، وَأَذْنَى جَوَارِهِ ، وَأَطْلَعَ أَعْوَانَهُ وَنَصَرَ أَنْصَارَهُ . وَلَا زَالَتْ
الْأَنْفُسُ لِقُرْبِهِ مَسْرُورَةً ، وَرَايَاتُ مَجْدِهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَأَحْزَابِ الْإِسْلَامِ بِهَيْبَتِهِ عَلَى
أَعْدَاءِ الدِّينِ مَنصُورَةً .

الْمَمْلُوكُ يَقْبَلُ الْبَاسِطَةَ الْعَالِيَةَ بِسَطِّ اللَّهِ ظِلِّهَا ، وَشَكَرَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ فَضْلَهَا . وَنُهِى أَنَّهُ
أَتَّصَلَ بِهِ طَيْبُ أَخْبَارِهِ ، وَقُرْبُ مَزَارِهِ ، فَتَضَاعَفَ شَوْقُهُ ، وَتَزَايَدَ تَوَقُّعُهُ ، وَهَيَّجَتْ
صَبَابَتُهُ لَاجِبَهُ ، وَسَهَّلَتْ لِي نَيْلَ الْمَسَرَّةِ طُرُقَهُ وَمَتَابِعَهُ :

وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْمًا * إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ !

فَاللَّهُ يَقْرُبُ مِنْ أَمَدِ التَّلَاقِ بَعِيدًا ، وَيَجْعَلُ رِجَاءَ الْاجْتِمَاعِ بِخِدْمَتِهِ قَشِيًا جَدِيدًا .

الضرب العاشر (التهنئة بقول النازل المستجلة)

فمن ذلك [من إنشاء] علي بن خلف :

أشرف المنازل رُفَعه ، وأرفقها بُقِعَه ، وأرفعها رَفَعَه ؛ ما آتَخذُه مولانا لنفسه
موطنًا ، وجعله بقوله فيه حرماً آمناً ؛ وصبره بِمُجِيبِ مكارمه للعفاة مَرَادًا ومَقْصِداً ،
ومُجْعِزٍ نوافله للظلمة مَشْرِعا ومَوْرِداً ؛ وللسؤدد مجده مَعْقِلا ، وللرياسة بشرقه
مَتَرِلا ؛ والله تعالى يَمُجِّلُ هذه الدار التي تديرها وحلها ، وحط بها رحله ونزلها ؛ ماهولة
ببقائه ، آمنة بسبوغ نعماته ؛ حاضرة بسعاده ، مشيدة بتناصر عزه وزيادته ؛ لا تُحْطِئُها
حوادثُ الآمال ؛ ولا تَقْطَعُها دِيمُ الإقبال ؛ ويعرفه من بركاتها ، ويُنِ عَتَبَتِها ، ما يقضى
بامتداد الأجل ، وأنفاس الأمل ؛ وبلوغ الأمان ، واتصال التَّهاني ؛ بمنه وكرمه ؛
إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

ويُنهى أنه قد اتصل بالملوك تحوُّل مولانا إلى المنزل المنشأ الجديد ، ذى الطالع
السعيد ، والطائر الحميد ؛ فسألتُ الله تعالى أن يُيَوِّثَه منه البُؤَا الكَرِيم ، ويمتعه فيه
بالدعة والنعم ؛ والتماء والمزيد ، والعيش الرغيد ؛ ويعمله واصلاً لحبله ، ماهولاً
بأهله ؛ ويعرفه بركة عَتَبَتِه ، ويملكه بيئاته ونضارته ؛ وحصل للملوك السُّرُورُ بأن بلغه
الله الوطر ، في سُكْنى ماعمر ؛ وأثاله الأمل والاكتناذ بخيمته ، والسُّرُورُ باقتضاض
حُذْرَتِه ؛ إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك :

مولانا - أمتع الله بوجوده - غنى عن الهناء بمثل يَتَرَلِه ومحلَّ يحُلُّه ، إذ الله
مُسَبِّحاته وتعالى قد كثر أوطانه وأُدرِه ، وبلغه في تمام عمارتها وأنفاسها وطوره ؛

وخصه بأفضليها معانا ، واشرفها مكانا ، والمستوجب في الحقيقة للهتاء هو الموضع الذي اختاره دارا ، وأرتضاه مستقرا ؛ وعرف الملوك أنتقاله - لازال ينتقل في بروج السعد ، ويأوي إلى ظل ظليل من المجد - إلى الدار الفلانية لازالت جامعة لشعله ، مانوسة بأهله ؛ فعدل عن خنمته بالهتاء ، إلى إخلاص اللطاء ، بأن يعرفه الله تعالى يمينها وبركتها ، ويريه إقبالها وسعادتها ؛ ويقرن تحوله إليها بأمن طائر ، وأبرك طالع ؛ فإن للحركات أوقافا محمودة ومثبومة : فإذا آغنى الله تعالى بعبده من عيده ، وفرض له نصيبا من تأييده ؛ وفقه للحركة في الزمن السعيد ، والوقت الحميد ؛ لتكون مصاريه مشاكلة لمبادئه ، وأعجازه مشابهة لهواديده ؛ والله تعالى يجعل بابها محطاً للقصد ، ومناخا للوقاد ؛ ومزارا للعفاء ، وملذا [للعناء ^(١)] ويصل بها حبله ، ويُنشئ بها طفله ؛ ويضاضف باستيطانها أنفسه ، ويسر بقبولها نفسه ؛ إن شاء الله تعالى .

أبو الفرج البيهقي :

أسعد المنازل وأشرف المواطن ما استوطنه أيده الله وتبواه ، وتخيرته لنفسه وأرتضاه ؛ فندا بشخصه وطرن الإقبال ، وبفائض كرمه حرم الآمال ؛ وبشرفه للسؤدد معقلا ، وببئله للرياسة منزلا ؛ فعرفه الله بمن هذه الدار المعمورة بمحول البركات ، المحفوفة بتناصر السعادات ؛ وجعلها وكل ربح يقطنه ، وعمل يسكنه ؛ مبشرا بامتداد بقائه ، وأهلا بالزيادة في ثمائه .

وله في مثله :

كل وطن يحله - أيده الله - ويطننه ، ومحلّ يتخير ويكنه ، مقصود بالشكر والثناء ، أهل بالحمد والثناء ؛ لا يتخطاه متوارد الآمال ، ولا تنقطع عنه مواد الإقبال ؛

(١) يياض بالاصل والصحيح من المقام .

ولذلك صار هذا المنزل السعيد من فضائل الأرض ومحاسنها، وتُجَمِّعُ الآمال ومعادنها؛
فعرّفه الله بيمينه وبركته، وإقباله وسعادته؛ وقرن انتقاله إليه بأَسْبَحَ نعمه، وأَكَل
سَلَامَةٍ وَأَبْطَسَ قُدْرَةٍ وَأَعْلَى رُتْبَةٍ .

وله في مثله :

عرّفه الله [من] بركة هذا المنزل المورود، والفناء المقصود، ما يُوفِّي على سالتب
ما أولاه من تكامل البركات، وتناصُر السَّعَادَاتِ؛ وجعل مستقره فيه مقروناً بمُنَى
الحلال، وتناجُب الإقبال؛ في أَمْسَحِ المَدَدِ وأطولها، وأَنْجَحِ المَطَالِبِ وأفضلها؛ وعمر
أوطان المكارم بإقباله، وعَضَّدَ الأمانِيَّ بأَسْوَاعِ نَعْمَاتِهِ .

أجوبة التهنية بقرب المزار، وتزوي المنازل المستجدة

قال في "مواد البيان" : أجوبه هذه الرِّقَاعِ يجب أن تُتَنَبَّأَ على الاعتداد للهوى
بتمهده، والشكركه على تَوَدُّده؛ والأبتهاج بهنائه، والتبرك بدعائه؛ وأن المستجدة خير
مباين لمزله، ولا خارج عن أحكام محله؛ وأنَّ تمام بركته، أن يُؤْنِسَ فيه زيارته؛
وما يشابه هذا .

الضرب الحادى عشر

(نَوَادِرُ التَّهَانِي، وهى خمسة أصناف)

الصفنُ الأول — تهنة الذمى بإسلامه .

فمن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد فى ترسله، وهو :

وما زالتْ حالُكَ ممثلةً لنا بحيلِ ما وهبَ اللهُ فيكَ حتى كأنَّكَ لم تزلْ بالإسلامِ
مُؤْمِسُوماً، وإن كنتَ على غيرِهِ مُقِيمَاً؛ وقد كُنَّا مؤمِّلِينَ لِمَا صِرْتَ إليه، ومُشْفِقِينَ لَكَ

مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاؤُنَا يَسْتَعْلَى عَلَيَّ رَجَائًا ، أَمَتِ السَّعَادَةُ فِيكَ بِمَا لَمْ تَزَلِ الْأَنْفُسُ تَعُدُّ مِنْكَ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي تَوَلَّىكَ فِي رَأْيِكَ ، وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رُشْدِكَ ؛ أَنْ يُؤَهِّلَكَ لِمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ يُؤَيِّتَكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَيَقِيَكَ عَذَابَ النَّارِ .
وَمِنْ ذَلِكَ ، مِنْ كَلَامِ أَبِي الْعَيْنَاءِ :

وَلْتَهَيِّتْكَ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِي أَخَوَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَوَّزَ قُدْحَكَ [وَأ] عَلَى كَتَبِكَ ، وَأَقْدَمَ مِنَ النَّارِ شِلْوُكَ ؛ وَخَلَصَكَ مِنْ أَلْسِنِ الشُّكِّ ، وَحَيْرَةِ الشُّرْكِ ؛ فَأَصْبَحْتَ قَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَذْيَارِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْأَحَادِ الْجَمْعَ ؛ وَبِقِبْلَةِ الشَّامِ ، الْبَيْتَ الْحَرَامَ ؛ وَبِتَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ ، صِحَّةَ التَّنْزِيلِ ؛ وَبِإِثْنَانِ الْمُشْرِكِينَ ، قِبْلَةَ الْمُؤَحِّدِينَ ؛ وَبِحُكْمِ الْأُسْقُفِّ رَأْسِ الْمُطِيعِينَ [حَكَمَ] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ فَهَتَاكَ اللَّهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ وَذَكَرَكَ شُكْرَهُ ، وَزَادَكَ بِالشُّكْرِ مِنْ فَضْلِهِ .

أَجْوِبَةُ التَّهْنِئَةِ بِإِسْلَامِ ذِي

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : أَجْوِبَةُ هَذِهِ الرَّقَاعِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى شُكْرِ الْمُهَنْتَى لِلَّهِ ، وَاعْتِرَافِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْدهُ ، وَأَبْتِهَاجِهِ بِمَازَجَتِهِ فِي الدِّينِ ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ أَهْلَهُ إِخْوَانًا مُتَصَافِينَ ، وَخُلَائِفًا مُتَوَافِينَ ، وَمَنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَبِإِمَامَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (١) مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَنَحْوِ هَذَا .

الصَّنْفُ الثَّانِي . - التَّهْنِئَةُ بِالْخِلَافَةِ وَخُرُوجِ الْقِيَمَةِ .

فَمِنْ ذَلِكَ تَهْنِئَةُ لِأَمِيرِ بَيْتَانَ وَلَدَيْنِ لَهُ :

فَمِنْ خَصَائِصِ مَا حَبَّاهُ اللَّهُ بَعْدَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ - نَفْسُ اللَّهِ مُدَّتْهَا ؛ وَوَسَّعَ لَهُ مُهْلَتَهَا ، وَأَقْبَلَ الْأَعْدَادَ دُونَ فَتَائِهَا ، وَالْأَعْمَارَ دُونَ تَصَرُّفِهَا وَآتَمَاتِهَا : [مِنْ] الْفَضَائِلِ .

(١) الحاشية جمع حيفة وهي الضحية والنعمة أنظر اللسان في ج ١٠ مادة ح س ف .

المشهوره ، والمحاسن المذكوره ؛ والمتأقب المأثوره ، وأقسام الفضل الذى يتقضى
دون نصرته (؟) منازلَه وصف الواصف إذا أفرط ، ويتهى دون أيسرها أمل الآمل
إذا اشتط - ما وهب الله له من أولاد سادة فضلهم فى الأخلاق والصور ، وأكلهم
فى الأجسام والمرر ؛ وقدمهم فى العقول والأنعام ؛ والقراخ والألباب ، ولم يحصل
للعايب فيهم سيمه ، ولا لإيثار بينهم شركه ؛ حتى يكون مسئلاً لم قصب العلا
والمفانر ، وصدور الأيمرة والمنابر ؛ من غير منازع ، ولا مقارع ، ولا مساهم ،
ولا مقاسم ، وزادهم من التماء فى اللثه والبركه واليمن بما يؤذن الحاضر منه بالغابر ،
ويدل البادى على الآخر ؛ وقدما من الله تعالى ذكره لهم بأوفى السعادات ، وأكل
الخيرات وأعلى الدرجات ؛ أرجو أن يجعل الله التنجح قريبه ، والنجاحة ذريعته ؛
وما أولاه فيهم فى هذه الحال الحادثة التى يصدق الله بها أداء الفريضة ، وكآل
الشريعة ؛ ويقع التطير بالحنان ، الذى جعله الله من شروط الإيمان ، وفرضه على
جميع الأديان : من السلامة على عظم الخطر ، وشدة الفرر ؛ فى إمضاء الحديد على
أعضاء ناعمه ، وإيصال الألم إلى قلوب وإدمة ، لم تقارع نصبا ، ولم تمان نصبا ؛
وأجتمع فيه إلى رقة الصبا ، وضعف الأسر والقوى ؛ أعتياد الرحمة ، ومخالفة الترفه
والتقل بين الشهوات ؛ على أن كل واحد من الأميرين شهيد المعركة أعزّل حاسرا ،
وباشر الحرب مقرا محاطرا ؛ فثبت لوقع السلاح ، وصبر على ألم الحراج ، وألح
بلاء الفارس المدبج ، والكي المتقع ؛ ثم خرج خروج شبل الليث ، وفرخ العقاب ،
كالفدح المثل والشهاب الساطع ، والنجم الثاقب ؛ وكان فلان أكثرهما تثيرا فى وجه
قرنه ، وسطوة على منازل ؛ وكل قد حصل فوق الخصل ، وحوى فضيلة السبق ؛
وأستحق أسم البأس والشدة ، وحلية البسالة والتجده .

ومن ذلك ما أورده أبو الحسين بن سعد في كتابه :

الحمد لله الذي كَسَاكَ بِالْبَيْضَةِ حُلَّةَ الْوَقَارِ ، وَرَدَّكَ رِيَاءَ ذِي السَّمْتِ مِنَ الْأَبْرَارِ
وَالْأَخْيَارِ ؛ وَصَانَكَ عَنْ بَيْعِمْ الصَّبَا ، وَمَطَامِعِ أَهْلِ الْهَوَى ؛ بِمَا جَلَّلَكَ مِنَ الْحَيَةِ
الْبَيْهَةِ ، وَأَلْبَسَكَ مِنْ لِبَاسِ ذَوِي اللَّبِّ وَالرَّوْيَةِ ؛ وَالْحَقَّكَ فِي مَتَصَرِّفَاتِهِ مِنْ يَسْتَقِلُّ
بِنَفْسِهِ سَاعِيًا ، وَيَسْتَفْنِي عَنْ مَحَبَّةِ حَافِظًا ؛ وَيَجْعَلُ مَا جَلَّ مِنْ صُورَتِكَ ، وَكُلَّ مِنْ
أَدَاتِكَ وَأَلْيِكَ ؛ قِرْنًا لِمَنْ جَادَ بِكَ ، وَخَصْمًا لِمَنْ نَازَعَكَ ؛ وَبَقِيَ عَنْكَ ذِلَّةُ الْإِحْقَارِ ، مِنْ
أَهْلِ الْمَرَاتِبِ وَالْإِخْطَارِ ؛ تَسْتَوِي [بِهِمْ] فِي الْمَجَالِسِ الْحَافِلَةِ ، وَتَجْرِي بِجُرَاهِمِ فِي الْمَشَاهِدِ
الْجَامِعَةِ ؛ مَسْمُوعًا قَوْلُكَ إِذَا قُلْتَ ، وَمُصْنَفِي إِلَيْكَ إِذَا نَطَقْتَ ؛ آمِنًا مِنْ أَنْصَرَفِ
الْأَبْصَارِ عَنْكَ لِقُرْبِ وَلَادِكَ ، وَمِنْ [عَدَمِ] الْإِسْتِمَاعِ لِحَدِيثِكَ لِقِلَّةِ الثِّقَةِ بِسَدَادِكَ ؛
وَجَارِيًا تَجْرِي بِكَلِمَةِ الرِّجَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، إِلَى أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ غَيَّكَ بِالْمُحَنَةِ ؛ وَتُعْطَى
الْمَهَابَةُ مِنَ الدَّاعِرِ الْعَادِي ، وَمِنْ السَّجِّعِ الضَّارِي ؛ وَلَوْ كَانَ عَارِيًا مِنْ هَذِهِ الْكُسُوفِ
الشَّرِيفَةِ ، وَالْحِلْيَةِ الْمَلْحُوظَةِ ؛ لَسَبَقَتْ إِلَى الْإِزْدِرَاءِ بِالْأَعْيُنِ ، وَالْإِسْتِغْفَارِ بِالْقُلُوبِ
وَالْأَلْسُنِ ؛ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ : مِنَ الْبَيْهَةِ وَالْإِنْسَانِ ؛ ثُمَّ لَا يُحِشُّ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةَ عَلَى
الدَّفْعِ عَنْهَا عَوْلًا مِنْ صِرْعَتِهِ ثَبَاتًا (؟) عَلَى يَدِهَا فِيهِ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَبَاكَ
بِمَرْتَبَتِهَا فِي جَمَالِ غَشَاكَ^(١) ، وَكَلَامِ أَتَاكَ ؛ فَلْيُصَدِّقْ بِهَا اعْتِرَافُكَ وَشُكْرُكَ ، وَلْيُحَسِّنْ تَنَاوُكَ
وَتَشْكُرُكَ ؛ قَضَاءَ لِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَاسْتِزَادَارًا فِي الْمَزِيدِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ .

الصنف الثالث - التهنئة بالمرض .

أبو الفرج البيهاء :

فِي ذِكْرِ اللَّهِ سَيِّدِي بِهَذَا الْعَارِضِ - أَمَّا طَلَعُ اللَّهِ وَصَرَفَهُ ، وَجَعَلَ صَحَّةَ الْإِبْدِ خَلْقَهُ -
مَادَّلَ عَلَى مَلَا حَظَّنَهُ لِأَيَّاهُ بِالْعَنَاءِ ، لِمَقَاطِئِهِ مِنْ مِسْنَةِ الْعَقْلَةِ ؛ إِذْ كَانَ تَعَالَى لَا يُدَكَّرُ

(١) غشى فلان فلانا إذا كفاهه بنشوه . قاموس .

بطروق الآلام ، وتثبيبه العظّات ، غير الصّفوة من عبّاده ، الخيرة من أوليائه ؛ فهتاه
الله الفوزَ بأجرٍ مأيّانيه ، وحملَ عنه بالطافه قتلَ ما هو فيه ؛ وأعقبَ ما اختصّه
من ذخائرِ المثوبة والأجرِ بعافيةٍ تقتضيه ؛ ولأسلبَ الدنيا جمالَ بقائه ، ولا تقلّ ظله
عن كافّةِ خدَمِهِ وأوليائه .

الصنف الرابع — التهنئة بالصّرف عن الولاية .

أبو الفرج البغّاء :

مَنْ حَلَّ مَحَلَّهُ — أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى — مِنْ رُتَبِ الرِّيَاسَةِ وَالتُّبُلِّ ، كَانَ مَعْقِلًا فِي حَالَتِي
الْوِلَايَةِ وَالْعَزْلِ ؛ لَا يَقْدَحُ فِي قَدْرِهِ تَغْيِيرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَنْقُلُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْفَضْلِ
تَثْقُلُ الْأَعْمَالِ ؛ إِذْ كَانَ أَسَدِيحَاشِهَا لِلْفَائِتِ مِنْ بَرَكَاتِ نَظَرِهِ ، بِحَسَبِ أَنْسَاهَا كَانَ
بِمَا أَفَادَتْهُ مِنْ مُجُودِ أَثَرِهِ . فَهَتَاهُ اللهُ نِعْمَةَ الْكِفَايَةِ ، وَأَوْزَعَهُ شُكْرًا أَحْسَنَ مِنْ
التَّزَاهَةِ وَالصَّبِيَانَةِ ؛ وَلَا أَخْلَاهُ مِنَ التَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَتَسَرِّفَاتِهِ ، وَالْخَيْرِ الضَّامِنَةِ
لِمَوَاقِبِ إِرَادَاتِهِ .

وله في مثله :

لَوْ كَانَ لِمُسْتَحَلَّتِ الْأَعْمَالِ وَمُسْتَجِدِّ الْوِلَايَاتِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا اخْتَصَّكَ بِهِ
مِنْ كَمَالِ الْفَضْلِ ، وَمَأْمُورِ التُّبُلِّ ، لَخَازِنَا أَنْتَقَالَ ذَلِكَ بِانْتِقَالِ مَا كُنْتَ تُتَوَلَّاهُ بِمُجُودِ
كِفَايَتِكَ ، وَتَحَوَّلَهُ بِنَوَاطِرِ تَزَاهِيكَ وَصِيَانَتِكَ ؛ خَيْرٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَكَ بِالْفَضْلِ
مُتَقَمِّصًا ، وَبِالْحَمَامِدِ مَتَخَصِّصًا ؛ فَلَا أَسْفَ فَيَا تَنْظُرُ فِيهِ عَلَيْكَ لَا مِثْلَكَ ، وَالْفَائِدَةُ فَيَا
تَتَقَلَّدُهُ بِكَ لَا لَكَ ؛ وَلِذَلِكَ كُنْتَ بِالصَّوْفِ مَهْمًا مَمْرُورًا ، كَمَا كُنْتَ فِي الْوِلَايَةِ مَجُودًا
مَشْكُورًا ؛ فَلَا أَخْلَاكَ اللهُ مِنْ تَوَاصُلِ آلَامِهِ ، وَظَهَارِ تَعَاهِهِ ؛ فِي سَائِرِ مَا تُجَرِّمُهُ
وَتُعْضِيهِ ، وَتَعْتَمِدُهُ وَتَرْتَبِيهِ .

أبو الحسين بن سعد - عمن تولى عملاً إلى من صرف عنه :
 قد قُلتُ العملَ بناحيك ، فهناك الله تجديد ولايتك ، وأنفذتُ خليفتي لخلافتك ؛
 فلا تُخلِه من تبصيرك وهدايتك ، إلى أن يُمِّنَ الله بزيارتك .
 تهتة بصرف عن ولاية :

لو كانت رياسة سيدي مجنبة من عُروش الولايات ، وسيادته خارجة عن سائج
 التصرفات ، لأشفق أوليائه من زوالها بمزايتهما ، وحذروا من اتّباعها بنقلهما ؛ لكن
 ماؤمهم به من الكمال ، وعلا به من رتب الجلال ؛ موجود في غرخته وجود الفريد
 في السيف المأثور ، والألاء في النور ؛ وإذا تصرف ، أورد الله الرعية من مشارعها
 نطافاً ، وأسبغ عليهم من ظلها عطافاً ؛ وإذا أنصرف غير مُسبِّلٍ قَلْص ، وعيش
 رائم تنصص ؛ والأسف على العمل السليب من حُلِّ مياسته الفاضله ، العاطل
 من حلي سيرته العادله ؛ ولهذا أصبح - أيده الله - بالعدل متهجاً مشهوراً ؛ كما كان
 في الولاية محموداً مشكوراً ؛ وأطلقت السنة أوليائه ، في هئاته ، بما وهبه الله من الرفاهية
 والدعة ، وحطه عنه من الأثقال المُقلقة ؛ ولا سيما وقد علم الخاص والعام أن الأعمال
 إذا ردت إليه ، وعول فيها عليه ؛ تسلم المودع وديعته ، والناشد ضائته ؛ وإذا عدل
 فيها إلى غيره تناولها تناول الفاصب ، وأسئلتى عليها استيلاء السالب ؛ فلا تزال نازعة
 إلى ربها ، متطلعة إلى خطبها ؛ حتى تعود إلى محلها ، وترجع إلى نصليها ؛ والله تعالى
 أسأل أن يقضى لمولانا ببُلُوغ الأوطار ؛ إن شاء الله تعالى .

أجوبة التهتة بالصرف عن الولاية والخدمة

قال في "مواد البيان" : يجب أن تكون أجوبتها مبنية على شكر الاهتمام والإعتماد
 بالمشاركة في الأحوال ، مع وقوع ماورد من الخطاب الموقع اللطيف ، وما ينتظم
 في هذا السلك .

جواب مَنْ ورد عليه كتابٌ من وَلِي مكانه في معنى ذلك .
فمرت ذلك :

ما أنصرفت عني نعمةً أُهديت إليك، ولا خلوتُ من كرامةٍ أشتلت طيك؛ وإني
لأجدُ صرْفِي بك ولايةً ثانية، وحلّة من الوزر وإقيد؛ لما أمله بكائك من حيد
العاقبة وحسن انخامه .

الصفحة الخامسة — تهتئة من تزوجت أمه بزواجها .

قد تقدّم في أول المقالة الأولى في حكاية طائف الكلام مع عمرو بن مسعدة وزير
المأمون^(١)، أنه قال يُكتب إليه :

أما بعد، فإنّ الأمور تجري على خلافِ عَمَابِ المخلوقين [والله يختار لعباده]^(٢)، فخار
الله لك في قبضها [إليه، فإن القبور أكرم الأكفاء]^(٣) والسلام .

أبو الفرج البغدادى: وقد أمره سيف الدولة ابن حمدان بالكتابة في معنى ذلك أمتحانه :
مَنْ سَلَكَ إِلَيْكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - سَبِيلَ الْإِنْسِاطِ، لم يستَوْعِرْ مَسْلكاً من
المخاطبة فيما يحسن الإقْباض عن ذِكْر مثله . وأتصل بى ما كان من خبر الواجبة
الحق عليك، المنسوبة بعد نسبك إليها إليك - وقر الله صياتها - في اختيارها مآلولا أنّ
الأفْس تَنَّاكَرْهُ، وشرع المروعة يحظره ؛ لكنّ في مثله بالرضا أولى، وبالأعتداد
بما جتده الله في صياتها أخرى؛ فلا يُسَخِّطُكَ من ذلك مَارِضِيهِ وجوبُ الشرع،
وحسنه أدبُ الديانة ؛ ومُبْلَحُ الله أحقُّ أن يَنْبَغَ، وإراك أن تكونَ من مآلِ عِدَمِ
اختياره تسَخِّطُ اختيار القدر له، والسلام :

(١) تقدم في ج ١ ص ١٤٢ "وزير المصم" .

(٢) الزيادة مما تقدم في ج ١ ص ١٤٥ .

النوع الثاني

(من مقاصد المكاتبات التعازي)

قال في "موادّ البيان" : المكاتبَةُ في التعزية بالأحداث العارضة في هذه الدنيا واسعة المجال : لما تتضمنهُ من الإرشاد إلى الصبر، والتسليم إلى الله جلّت قدرته، وتسلية المعزى عما يُسلبه بمشاركة السابقين فيه، ووَعْدِهِ بِحُسْنِ الْعَوْدِ في الجزاء عنه، إلى غير ذلك مما يتنظم في هذا المعنى . قال : والكاتبُ إذا كان جيدَ القرينة حسنَ التأني فيها، بلغ المراد . ثم قال : وحكمها حكم التّهاني من الرئيس إلى المرؤوس ومن المرؤوس إلى الرئيس ومن النظير إلى النظير .
ثم التعزية على أَصْرَب :

الضرب الأول

(التعزية بالآل)

أبلغ ما كُتِبَ به في ذلك ما كتب به النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، معزياً له بآبِنِ له مات، فيا ذكره أبو الحسين بن سعد في ترسله، وأبو جعفر الثعالب في صناعة الكُتُب، وهو :

« من محمد رسول الله إلى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ :

« سلامٌ عليك، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو »

« أما بعد، فعظمَ اللهُ لك الأجر، وألهمَكَ الصبر، ورزقنا وإياكَ »

« الشكر . ثم إنَّ أنفسنا وأهلينا وموالاتنا من مَوَاهِبِ الله السنية، وعوارِفِهِ »

(١) في أصولنا بالقاء ورواية المستطرف (وعوارِفه) أى بالياء جمع عارية .

«المستودعة ، تمتع بها إلى أجلٍ مغلود ، وتقبض لوقتٍ معلوم ،»
 «ثم أقرض علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ، وكان أبك من ،»
 «مواهب الله الهنية ، وعوارفه المستودعة ؛ متعك به في غبطة وسرور ،»
 «وقبضه منك بأجرٍ كثير : الصلاة والرحمة والهدى إن صبرت ،»
 «وأحسنبت ؛ فلا تجمعن عليك يأعدا خصلتين^(١) إن يحيط بحررك ،»
 «صبرك فتندم على ما فاتك ؛ فلو قلدت على ثواب مصيبتك قد أطفعت ،»
 «ربك وتجزت موعوده ، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه . وأعلم ،»
 «أن الجزع لا يرد ميتا ، ولا يدفع حزنا ؛ فأحسن الجزاء وتجز الموعود ،»
 «وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد .»

من كلام المتأخرين :

تعزية بولد . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهى بعد الألقاب .

وأحسن عزاءه بأعز فقيد ، وأحب حبيب ووليد ؛ وعوض بجيل الصبر جوانحه
 التى سئلت عن الأمى فقالت : ثابت ويزيد . صدرت هذه المفاوضة تهدي إليه
 سلاما يمز عليه أن يتبع بالتعزية ، وشاء يسق طيه أن يطارج حاتم بجعه المطربة
 بهائم الشجو المبكية المنكية ؛ وتوضح لعلمه ورود مكاتبته المؤلة ، فوقفتا عليها إلا أن
 الدفعة ملوقفت ، وخواطر الإشفاق طيه وعلى من عنده طفت حرقها وما أنفقت ؛

(١) فى أصولنا بالقاه . ورواية المستطرف (وعواريه) أى بالياء جمع عارية .

(٢) أى قد التراب وقده الولد . وإليه يشير من مزى عمر بن عبد العزيز بأنه قال :

وعوضت أجرا من قهيد فلا يكن * قهيدك لا يأتى وأجرك يذهب

وعلمنا ما شرّحه ولم يشرح الصدر على العادة - من وفاة الولد فلان، سبق الله عهده
 وولّده، وقصر وجهه ونعمد بالرضوان خاله وحده، وما بقى إلا التمسك بأسباب
 الصبر، والتفويض إلى من له الأمر؛ والدنيا طريق والآخرة دارٌ ودليلها القبر؛
 ولله من تثبته وازرع، والاجتماع بالأحبة الراحلين واقع؛ إن لم يصيروا إلينا صرنا
 إليهم، وإن لم يقدّموا في الدار الفانية علينا قدّمنا في الدار الباقية عليهم؛ نسأل الله
 تعالى أن يجمعنا في مستقر رحته، ويحضرنّا مع الأطفال أو مع المتطفلين ولا يمتحن جنته؛
 والله تعالى يبارك بالصبر الجميل قلبه، ولا يجمع عليه فقد الثواب وقد الإحبة .

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

رزقه الله تعالى ثباتاً على رزيته وصبراً، وجعل له مع كل عسر يسراً؛ وأبقاه
 مفعدي بالأنفس والنفاس، وكان له أعظم حافظ من نوب الدهر وأجل حارس .
 المملوك ينهى علمه بهذه النازلة التي فتنت القلوب والأبصار، وكادت أن تفرق
 بين الأرواح والأجساد؛ وأذلت ذخائر العيون، وأبتدلت من المدايع كل مصون؛
 وأذابت المهج تحرقاً وظهياً، وجعلت كل قلب في نارٍ الأمل والأسف متقلباً؛
 وهي وفاة ولده الذي صغر سنه، وتزايد لفقده هم المملوك وحزنه :

وَجَنَّتْكَ لَا يُمْكِي عَلَى قَدْرِ سِنِّهِ * وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ الْخَيْلَةِ وَالْأَصْلِ !

وكان الأمل يحتمل بأنه يشدّ للولي أزره، ويشرح بيرة صدره؛ ويؤثّل مجده؛
 ويبقى الذكّر الجميل بعده؛ ففقد من بين أترابه، وذوى عند ما أتبع غصن شبايه؛
 وغيب منظره الوسيم في لحده وأترابه؛ وسيدنا يعلم أن الموت منهل لا بد من ورده،
 وآبن آدم زرّع لا بد من حصده؛ وأنّ المنية تشمل الصغير والكبير، والخليل والخفير،

(١) هو مصدر كالورود عن آبن سيده أظفر اللسان (ج ٤ ص ٤٧١) .

والنبي والفقيه ؛ فينبني له أستعمل صبره ، والأستبشار بمضاعفة أجره ؛ والله يمتعه
بأهله وطول عمره .

وله :

هني وما هني عليك بنافع ! * كلاً ولا وجدي ولا حرقاتي !
يا من قضى قضى سروري بعنه * ومحدرت أسفاً له عباراتي !
عقد التجلّد حلها قرط الأمل * والقلب موقوف على الحسرات !
لو كنت ممن يشتري أو يقتدى * لفسدت بالآرواح والمهجيات !
كنت الممدّ لنصرتي في شدتي * فقضى الحمام فرقة وشتات !
والله لا أنسيك تدبك والبكا * أبداً مدى الأفاس والخطات !
ويسوءني أن عشت بعدك ساعة * أسفاً لفقدك ميتاً وحياتي .

أعظم الله أجر مولانا ومنعه صبراً جميلاً ، وأجراً جزيلاً ، وشاء عرض الشقة
لثباته على هذه الفادحة طويلاً ، وجعل هذه الرزية خاتمة الرزايا ، ومحضة جميع
الذنوب والخطايا ؛ ولا يلقه بعدها في قرّة عين ، ولا أورد محبوباً شغف به قلبه الكريم
منهل الحمام ولا سقاء كأس الحين .

الملوك قبل الإساط الذي ماتي لتشر المعلقة منسوطاً ، وكل أمل يره منوطاً .
ويتهيء إلى العلم الشريف علمه بهذه المصيبة التي أصابت قوادكل حب فاصمته ،
وطرقت سمع كل ولي فاصمته ؛ وولجت كل قلب فاحرقته صباة وحرّاً ، ومرّت
على الصلّد فصدمته ولو كان حرّاً ؛ وهي وفاة فلان سقى الله عهدته ، وأسكن الرحمة
تراه وجليده ؛ فشق أسفاً على المفقود جيب كل جنان وطوى الأجداد على جراحها ،
وحسّر الأجساد على أرواحها :

وَمَا هِيَ إِلَّا تَكْبَةٌ أَوْ نَكْبَةٌ * أَهَاجَتْ سَعِيرًا فِي الْحَنَاءِ يَتَلَهَّبُ !
 فَلَا جَنْسَ إِلَّا بِالتَّحَرُّقِ ذَائِبُ * وَلَا قَلْبَ إِلَّا فِي الْأَمْسِ يَتَقَلَّبُ !
 بَكَى كُلُّ جَفْنٍ مَصْرَعِ السِّيفِ فَأَعْتَلَتْ * عَيُونَُ عَلَيْهِ فِي الْأَبَاطِحِ تَسْكُبُ !
 لَقَدْ هَالُ عُدَالِي بِكَائِي تَعْجَبُ * وَإِنَّ بُكَائِي بَعْدَ قَعْدِهِ أَعْجَبُ !
 فَلَوَرَامُ قُسٍّ وَضَفَّ حُزْنِي وَلَوْعَتِي * لَقَصَّرَ فِي أَوْصَافِهِ حِينَ يُسْهَبُ !
 فَوَاللَّهِ لَا جَعَتْ جُفُونِي مِنَ الْبُكَاءِ * وَإِنْ زَادَ عُدَالِي الْعِتَابَ وَأَطْبَعُوا !
 ولهذا أصدر المملوك هذه المطالعة يدعو لمولانا فيها ويُعْزِيهِ ، وينتدب قعده بالسنة
 الأقاليم وَيُشِيرُهُ ؛ وَيُبَشِّرُهُ بِمَا وَدَّ اللَّهُ الصَّابِرِينَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الرِّزْيَةِ وَيُسَلِّيه ؛
 فإِذَا نَازِلَةٌ بَجَعَتْ بَعْضُنِي رَطِيبٌ ، وَقِيْرَفُلٌ مِنَ الشَّيْبَةِ فِي ثَوْبٍ قَشِيبٍ ، وَصَدَعَتْ
 الْقُلُوبُ بِقَعْدٍ حَبِيبٍ وَأَيُّ حَبِيبٍ :

وَالْمَوْتُ تَقَادُّ عَلَى كَفِّهِ * جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْحَيَادُ !

وبعد ، فلمملوك في هذه الرزية مشاركة كادت تُبَايِنُ بَيْنَ رُوحِهِ وَالْجَسَدِ ،
 وَهُوَ الْمُصِيبُ لَهُذِهِ الْمَصِيبَةِ مَا تَجِدُهُ الْوَالِهَةُ عَلَى قَعْدِ الْوَلَدِ ؛ لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ قَرَارٌ ، وَلَا يُجِيعُهُ
 مِنْ يَدِ الْحُزْنِ فِرَارٌ ؛ دَابُّهُ الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ ، وَحُزْنُهُ الْمَرِيضُ الطَّوِيلُ ؛ فَوَا ضَعْفَاهُ
 عَنْ حَمْلِ هَذَا الْمُصَافِ ، وَوَا أَسْفَاهُ عَلَى مُسَافِرٍ لَا يُنْتَظَرُ لَهُ قُدُومٌ وَلَا إِيَابٌ ؛ وَوَا عَجْبَاهُ
 لِضَيْدَيْنِ اجْتَمَعَا لَوَالِدِهِ الْكَرِيمِ الْجَنَابِ !

تَحُونُ الْمَتَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ * وَتَتَصَرَّهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ !

وعلى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ أَجْدَرُ مِنْ أَسْتَعَانَ عَلَى هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِصَبْرِهِ ، وَشَرَحَ لِمَا قَدْ قُدِّرَ
 فَسَبَّحَ صَدْرَهُ ، وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَفُرْهِ ؛ فَمَا كَانَ إِلَّا أَحَدَ الْعُمَرَاءِ قَدْ
 خَلَفَهُ عُمَرُ ، وَثَانِي الْقَمَرَيْنِ أَفَلَّ فِقَامَ مَقَامِهِ هَلَالٌ قَدَمٍ مِنْ سَفَرٍ ؛ وَفِي بَقَاءِ الْمَوْلَى

ما يوجب التسليم للقدر والقضاء، والشكر لله تعالى في حالتي الشدة والرخاء؛ جعله الله في حِرْز لا يزال حريزاً مكيثاً، وحِصْن على نِزَم الأيام حَصِيناً .
وله : أعظمَ الله أجره ، وأطال عُمره؛ وشرح صدره ، وأجزل صبره ، ونَحْرله نَهْره .

المملوك يُنْهَى أنه أتصل به خبرٌ صدع قلبه ، وسَرَق رُقادَه ولَبَّه ، وضاعف أسفَه وكرَّبه ؛ وهو [موت] فلان تَمَنَّاهُ الله برحمته ، وأهمى عليه سَحَابَ مَغْفَرته ؛ وعامله بِلُطْفه ، وجعل الخيرة له في حَتْفه ؛ فَشَقَّ ذَلِك قلبه وعَظَم عليه ، وقارب لشديد حُرْته أن يصل إلى ما وصل المرحومُ إليه ؛ لِكِنَّه ثَبَّت نفسه وثَبَّطها ، ورفع يَدَه بالدعاء للولئ وبَسَّطها ؛ وصال الله أن يطيل بقاءه ، ويُحْسِن عَزَاه ، ويَحْرُس من أزمات الزمان ، فإنه إذا سلم كان الناس في السَّلامة والأمان ؛ ويجعلُه عن كل فائتٍ عَوْضاً ، كما أصاره جَوْهرها وجعل غيره من الأثام عَرَضاً ؛ ولقد جَلَّت هذه الرزية على كُلِّ جَنَاب ، ودخل حُرْتها إلى كُلِّ قلب من كُلِّ باب ؛ جعل الله أجره للولئ من أعظم الذخائر ، ومنه الحياة الأبدية التي لا تَنْتَهِي إلى أَمَد ولا آخِر ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(التعزية بالبت)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال المغربي :

الشيخ فلان عَزَاه الله على احتسابه ، وجعل الثواب المَرْقَبَ أَفْضَلَ أَقْنَانَه وأَكْتَسَابَه . مُعْزِيَه عن فَلَانة كَيْدَه . ومُسَاهِمَه في أَرْقَه ومُسَهِّدَه ، والقات في عَصْد صَبْرِهِ الجَمِيل وجَلَدَه ؛ فلان . فَأَتَى كِتْبَه - كتب الله لكم خيراً يُنْجِي جَزَعَكُمْ ،

وَحَسَنَ مَنَاجِمَ الْفَقْدَى الْجَمِيلِ وَمَتَرَعَكُمْ - عِنْدَ مَا وَصَلْتَنِي وَفَاةُ أَبْنَيْكُمْ الْمَرْحُومَةِ نَفْعَهَا اللَّهُ بِإِيمَانِهَا، وَتَقَاهَا بِرُوحِ الْجَنَّةِ وَرِيحَانِهَا؛ وَهِيَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَإِنْ أَلَمَّكَ فَقْدُهَا، وَأَوْجَعَكَ أَنْ أَسْأَثَرِهَا لِحُثِّهَا؛ فَلْيُعَزِّكَ عَنْهَا مُصَابُنَا بِنَيْتِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَلِّكَ يَا نَاً جَمِيعاً بِمَدْرَجَةِ الْجَنَامِ؛ أَفْتَجِدُ عَلَى الْأَرْضِ خَالِداً، وَقَدِيمَا نَتَكُنَّا وَلِيداً نَجِيباً وَوَالِداً، فَمَنْ خُلِقَ لِلْفَنَاءِ، وَأَخْتَلَسَ بِمِرَّ السَّامَاتِ وَالْآثَاءِ، جَدِيدٌ أَنْ يَتَّعِظَ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْزَنَ لِلْجَنَابِ مَنْ ذَهَبَ مِنْ دَوْرَى أَتَمَّهُ؛ فَاحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ رَجَحْتَ مِيزَانَكَ، وَصَحِّمْتَ لَكَ يَوْمَ الْمَعَادِ جَنَانَكَ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقُنَا احْتِسَاباً جَمِيعاً وَصَبْرًا، وَيُؤْنِسُكَ وَقَدْ اخْتَارَكَ الصَّهْرَ قَبْرًا، وَيَعْظُمُ لَكَ ثَوَابًا جَزِيلًا عَلَى مُصَابِكَ وَأَجْرًا؛ وَيُؤَيِّمُ قَبِيلَتَكَ بِالرَّحْمَى، وَيَسْتَكْبِ عَلَى جَدِّهَا مَرَّتَهَا الْأَوْكُفَ الْأَفْهَى، وَيُؤَيِّدُكَ إِلَى كَنْفِهِ الْأَعْظَمِ الْأَفْهَى، بِنَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا رَبَّ فِيزِهِ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الضرب الثالث

(التمزية بالأب)

من كلام المتقدمين :

ابن أبي الخصال معزاً بوذير :

يَا سَيِّدِي وَوَاحِدِي، وَحَلَّ الْإِبْنُ الْمُبْرُورُ، وَالْأَخُ الْمَشْكُورُ، عِنْدِي؛ أَعَزُّكَ اللَّهُ بِالْتَّقْوَى، وَرَضَّاكَ بِمَا قَضَى، وَأَمَلْتُكَ بِالنُّعْمَى، وَتَمَلَّكَ بِالْحُسْنَى؛ كَتَبْتَهُ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - وَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكَ الْكَرِيمَ بِمَا نَقَذَ بِهِ الْقَدَرُ الَّذِي هُوَ فِي الْعِبَادِ حَقٌّ، وَلَهُ فِي كُلِّ عُنُقٍ حَقٌّ؛ فِي الْوَزِيرِ الْفَقِيهِ الشَّهِيدِ أَبِيكَ كَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ، وَجَعَلَ الْحُسْنَى الَّتِي أَمَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ مَقَرَّهُ وَمَأْوَاهُ؛ فَاسِفْتُ كُلَّ الْأَسَفِ لِفَقْدَانِهِ، وَقَدْ كَانَ عَيْنَ زَمَانِهِ،

وَعُمْدَةَ إِخْوَانِهِ ؛ تَعَمُّدَهُ اللَّهُ بِفُقْرَانِهِ ، وَقَفْلَهُ إِلَى رِضْوَانِهِ ؛ وَتَوَكَّلَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ -
غَايَةَ الْأَحْيَاءِ ، وَسَبِيلُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَحْبَاءِ ؛ كَانَ عَلَى رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا - حَتْمًا مُقَضًيًا ،
وَوَعْدًا مَأْتِيًّا ، وَالْأَسْوَدُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي عَثَرَةِ الْقَضْفَاضِ ، وَرَهَةِ الْقَبَاضِ ، وَأَنَّهُ حُتِمَ لَهُ
بِالْخَيْرِ وَالْإِقْبَاضِ ؛ وَكَانَ آخِرُ ذَلِكَ [الْحَسْبُ] الْقَدِيمِ ، وَالْجَلِيلِ الْكَرِيمِ ؛ وَقَدْ أَمَرَكَ الْخَيْرُ
فَافْعَلْ مَا أَمَرَتْ بِهِ وَكُنْ كَمَا ظَنَنْتَ وَقَدَّرَكَ وَتَرَكَكَ ؛ وَإِنَّكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تُسَدُّ سَنَدَهُ ،
وَتُبْلَغُ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ حُضْرَهُ السَّابِقِ وَشَدَّهُ ، وَتُعَدُّ لِلْأَيَّامِ مِنَ الْجَدِّ وَالْإِعْتِرَامِ مَا أَعَدَّهُ ؛
وَإِخْوَتُكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَكَ أَظْهَارُ وَأَعْضَادُ ، وَفِيهِمْ غَرَضٌ وَمُضَادٌ ؛ فَاشْتَمِلْ
عَلَيْهِمْ ، وَأَرْفُقْ بِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يُتَرَلَّوْنَكَ بِمِثْلِ أَيْهِمْ ، وَيَحْدُ أَخْلَاقَهُ وَصَوْنَهُ فِيهِمْ ؛ وَأَمَا
مَا أَحَقَّقَهُ مِنْ تَكْرَمِكَ ، وَأَرَاهُ مِنْ تَفَضُّلِكَ وَتَهْدِيكَ ؛ فَفَنَى تَهْدُ بِهِ نَفْسُكَ ،
وَيُدْرِكُهُ يَقِينُكَ وَحَسَنُكَ ؛ أَشَدَّ بِهِ أَعْتَاءً ، وَأَجْمَلُ لَهُ أَسْتَوَاءً ، وَأَوْفَى عَنْكَ رَدْمًا
وَعَفَاءً ؛ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُصَاطِّينَ فِي خِلَالِهِ ، وَالْمُتَقَلِّينَ فِي ظِلَالِهِ ، وَأَمَّنَّا مِنَ الزَّمَانِ
وَأَخْتَلَفَ أَحْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَالسَّلَامِ .

الضرب الرابع

(التمزيه بالأم)

أبو محمد بن عبد البر المغربي :

مَا مَاتَ مَنْ أَنْتَ بَعْدَهُ خَلْفٌ * وَالْكُلُّ فِي الْبَعْضِ غَيْرُ مُتَمَتِّعٍ !

كَتَبَ عَبْدُ الْقَيْنِ ، مِنَ الْأَمِيِّ لِأَجَلِهِ بَعْضَ مَا يُبَيِّنُ ؛ الْمُنْطَوِيُّ عَلَى قَلْبٍ تَقَطَّنَ
الْقُلُوبُ سُلُوكًا وَلَا يَطْمَئِنُّ ؛ فَلَان : بَعْدَ وَصُولِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بَصْدَجٌ يُضْمِي الْقُلُوبَ ،
وَقَدْ أَهْرَاءَ الْجُيُوبِ ، وَيَتَرَكُ الْأَحْيَاءَ مَصْرَعِينَ عَلَى الْجُنُوبِ ، فَوْقَ الْعَبْدِ عَلَيْهِ
مُتَفَرِّقُ الْمَدَامِعِ ، مَتَحَرِّقُ الْأَضَالِحِ ، وَائْتِيَا سَامِعًا نَجَا الْأَبْصَارِ وَأَمْسَى الْمَسَامِعِ ؛ فَيَأْسَفِي

لَخَطْبَ ضَعْفِ رُكْنِ الْجِدِّ وَكَانَ وَثِيقًا ، وَصَوَّحَ رَوْضَ الْفَضْلِ وَكَانَ وَرِيقًا ؛
وَنَقَصَ حَسَنَ الصَّبْرِ وَلَمْ يَزَلْ صَدِيقًا ، وَتَرَكَ الْعَبْدَ خَلِيقًا بِهَذَا الْقَوْلِ وَمِثْلِهِ مَعَهُ حَقِيقًا ؛
فَأَمَّا لِذَيْنِ وَمَرُوءَةٍ فُقِدَا فِي قَرْنٍ ، وَعَلَى صَوْنٍ وَعَفَافٍ أُدْرِجَا فِي كَفْنٍ ، وَحَصَانِ رَزَانٍ
لَا تُعْرِفُ بَوْصَمَةَ وَلَا تُزَنُّ ؛ لَقَدْ أَصَمَّ بِهَا النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعُ ، وَأَرَقَّ مِشَاءَ الْفُؤَادِ
وَأَرَقَّ الْمَذْمَعِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ قَلْبًا لِلصَّبْرِ إِلَّا صِدْقُهُ ، وَلَا أَنْفًا لِلسُّلُوكِ إِلَّا جِدْعُهُ ؛ وَلَا بَابًا لِلتَّعَزُّيِ
إِلَّا أَرْتَجَهُ ، وَلَا عَقِيمًا لِلتَّأْسُفِ إِلَّا أَتَجَّهُ ؛ وَلَوْ قِيلَ فِي الْمَوْتِ فِدَاً وَصَحَّ أَنْ يُؤْخَذَ
فِيهِ فِدَاءٌ لَمَا خَلَصَ إِلَيْكَ وَلَا أَلَمَ ، وَلَا عَلَا كُفْرٌ فِي صُرُوفِ الْمَنَآيَا الْخَفِيفَةِ سَلَمَ ؛
لَكِنْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَعْمَ الْحَرْقَةُ ، وَتَسْتَوِيَ عَلَى الْوَقْتِ الْفَرْقَةُ .

الضرب الخامس

(التعزية بالأخ)

أبو محمد بن عبد البر :

وَكُتِبَتْ وَالْأَنْفُسُ مَرْتَمِضَةٌ ، وَالْعَيْنُ غَيْرُ مَقْتَمِضَةٍ ؛ وَالْأَنْفَاسُ تَتَصَعَّدُ ، وَالْأَحْزَانُ
تَتَأَكَّدُ ؛ أَمَسًا لِلصَّبَابِ الَّذِي حَمَّ وَخَمَّ ، وَأَسْمَعَ نَعِيَهُ فَاصِمًا ؛ وَقَالَ لِلْفَرْحِ : كُفَّ مِنْ
عَيْنَاكَ ، وَلِلتَّرَجِّحِ أَنْتَظِرَ لَأَوَانِكَ ؛ بَوَاقَةُ [الفردي] الَّذِي فِي رَأْسِهِ نُورٌ ، وَسِدَادُ الْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ
وَسِدَادُ الثُّغُورِ ؛ وَالْفَسْدُ الَّذِي شَهِدَ الرِّجَالُ بِفَضْلِهِ ؛ وَعَقِمَ النِّسَاءُ فَانْجَبَى بِمِثْلِهِ ؛
أَبَى فُلَانٌ صِنُونَكُمْ ، السَّابِقُ الَّذِي لَا يُجَارَى ، وَالشَّارِقُ الَّذِي لَا يُسَارَى ؛ وَالنَّيْتُ الَّذِي
عَمَّ الْمُنَيْلُ وَالْمُسْتَنْبِلُ ، وَاللَّيْتُ الَّذِي وَرَدَ الْقُرَاتِ زَيْمُهُ وَالنَّيْلُ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ ! تَسْلِيمًا لِلْقَدَرِ وَإِنْ سَاءَ ، وَشَيْلًا لِلْمَرْءِ وَمِثْلِينَ وَالرُّؤْسَاءِ ؛ فَإِنَّهُ مُصَابًا تَرَكَ كُلَّ رَأْسٍ
أَمِيًّا ، وَأَوْدَعَ صَمِيمَ كُلِّ فُؤَادٍ مُكَلًّا صَمِيمًا ؛ لَقَدْ أَنْصَلَ الشِّمْرَ الْأَهَانِمَ ، وَأَعْمَدَ الْبَيْضَ
الصُّوَامِرَ ؛ وَعَطَّلَ الْكَتَابَ وَالْمَقَاتِبَ ، وَأَوْحَشَ الْمَقَاوِزَ وَالسَّبَاسِبَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ مَشِيدَ

عَلَا إِلَّا هَلَهُ، وَلَا مَدِيدَ ثَنَاءٍ إِلَّا صَلَهُ؛ وَلَمْ لَا وَهُوَ الشَّخْصُ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بِشَرِّ كَثِيرٍ،
وَيُنْكِيهِ قَلَمٌ وَحُسَامٌ وَمَيْتَرٌ وَمَسِيرٌ؛ وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَرُ بِهِ جَمِيعًا، وَتُوسِعُهُ مَحْضُ الصَّفَاءِ
وَصَفْوُ الثَّنَاءِ تَوَرِّعًا وَتَشْيِيمًا؛ وَفَارَقَهُ فِرَاقُ الصَّدْرِ جَلَدَهُ، وَالْمَصَابِ جَلَدَهُ؛ فَوَاسَفَى
لُرُزْنِهِ مَا أَظْفَعَهُ مَوْقِعًا! وَوَاخَرًا لِيَوْمِهِ مَا أَظْلَمَهُ مَطْلَمًا! وَوَاخَرًا لِنَعْيِهِ مَا أَشْتَعَهُ
مَرَأَى وَمُسَمَعًا!!! فَتَنَ بَحْرَتِ الدَّمُوعِ لَهُ دِيمَا، وَأَضْمَرَتْ الضَّلُوعُ بِهِ مَضْطَرَمًا؛
لَمَّا أَدَّتْ حَقَّهُ وَلَا كَرَّيْتِ، وَلَا دَانَتْ بَعْضُ الْوَاجِبِ فِيهِ وَلَا أَقْرَبْتِ؛ وَلَوْلَا أَنَّ
الْمَنِيَّةَ مَنَهْلٌ لَا يُجَلُّ وَإِرْدُهُ، وَمَعْلَمٌ يَهْدِي إِلَيْهِ عَلَى أَهْدَى تَمْتُّ مُبَاعِدُهُ؛ لَمْ يَبْقَ
فِي أَنْفُسٍ مَطْمَعٌ، وَلَا لَحْزَنٌ مُسْتَلَفٌ، وَلَكَانَ الثَّانِي كُلُّ غَيْرِ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ؛ وَمَا أَنْتُمْ
أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمَكْرَمُ مِمَّنْ يُبَلِّغُهُ عَلَى دُخْرٍ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، يَكْتَسِبُهُ، وَصَبْرٍ فِي الرُّزْءِ
الْفَادِحِ، يَحْتَسِبُهُ، فَصَبْرًا فَاكْتُنُونَ ظَايَةَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُصْبِحِينَ، وَالنَّبَا الَّذِي يُسَلِّمُ دَوَّقًا
وَلَوْ بَعْدَ حِينَ؛ وَهُوَ تَعَالَى الْمُسْتَوَّلُ أَنْ يَرْفَعَ بِمَكَانِكُمْ هَذَا الْخَرَقَ الْمُنْتَعِ، وَيَصِلَ
بِحَبَائِكُمْ ذَلِكَ الشَّمْلَ الْمُنْصَدِعَ.

ابن أبي الخصال :

الشَّيْخُ فَلَانٌ أَبَقَاهُ اللَّهُ يَتْلُو الْأَرْزَاءَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَبِحَمِيلِ الْإِحْسَابِ، وَيَتَقَاضَى
بِالْتَعَزَى مَرْتَقِبَ الْأَجْرِ، وَمُتَنَظِّرَ الثَّوَابِ، مُعْزِيهِ فِي أَخِيهِ الْكَرِيمِ طِينًا، الْعَظِيمِ مُصَابَهُ
الْفَادِحُ لَعِينًا؛ فَلَانٌ : فَإِنِّي كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ صَبْرًا تَجْلُونَ دُخْرَهُ، وَأَوْجِبَ
لَكُمْ عَزَاءً تَحْمَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنَهُ وَأَمْرَهُ - عِنْدَ مَا وَصَلَ مِنْ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَبِي فَلَانٍ
أَخِيكُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ وَنَقَصَهُ، وَجَسَّمْ جُرْعَ الْحَمَامِ الْمَقْطُومَةِ وَغُصَصَهُ؛
فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!! أَسْتَسْلِمَا لِقَدْرِهِ وَقَضَائِهِ، وَأَخْذًا فِيمَا يَدْنِي وَيَقْرُبُ
مِنْ لِرِاضَائِهِ؛ وَمَا نَحْنُ إِلَّا بَنُو الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ دَرَجُوا، وَسَخَّرُجَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا
قَبَلْنَا تَحَرَّجُوا؛ جَعَلَنَا اللَّهُ جَمِيعًا عَنْ يَنْظَرِ لِعَادِهِ، وَيَحْمِلُ التَّقْوَى خَيْرَ مَا أَوْعَاهُ بِجَدَادِهِ؛

وسلَّك بنا نَهْجَ هِدَايَتِهِ وطَرِيقَ رَشَادِهِ . وهو جَلَّ وَعَلَا يُنْزِلُ لَكُمْ عَلَى مُصَابِكُمْ ثَوَابًا عَمِيمًا مَوْفُورًا ، وَيَجْعَلُ قَبْدَكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نُورًا ؛ وَيُلْقِيهِ فِي دَارِ الْفِرْدَوْسِ مُلْكًا كَبِيرًا وَجُورًا ؛ وَلَوْلَا كَذَا لَسِرْتُ إِلَيْكُمْ لِأُعَزِّزَكُمْ شِفَاهَا ، وَأَحَدَنَّكُمْ عَنْ ضُلُوعِ أَحْرَقَ هَذَا الْمَصَابُ حَشَاهَا ؛ لَكِنْ أَمْتَأَلُ أَمْرَهُ الْمُطَاعَ ، حَمَلَ عَلَى الْبِدَارِ إِلَى مَا أَمَرَهُ وَالْإِسْرَاعَ ؛ وَاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُدِيمُ لَنَا بِكُمْ الْإِمْتَاعَ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، وَالسَّلَامَ .

الضرب السادس

(التعزية بالزوجة)

من كلام المتقدمين :

أبو محمد بن عبد البر :

وقد تَقَرَّرَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، وَثَبَتَ ثُبُوتًا لَا يَمُوتُ إِلَّا بِمَلَلٍ بِالْأَرْثِيَابِ ، أَنَّ الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ دَائِرَةٌ ، وَمَعْبَرَةٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنْ سَاكِنَهَا وَإِنْ طَالَ ثَمَرُهُ ، وَطَارَ فِي انْتِلَاقَيْنِ أَمْرُهُ ، لَدَيْنِغَ سَمَمًا ؛ وَصَرِيحَ سَهْمٍ ، فَمَا تُضْحِكُ إِلَّا لَتُنْبِكِي ، وَلَا تُؤْنِسُ إِلَّا لَتُنْبِكِي ؛ وَقَدْ نَفَذَ الْقَبْدَرُ الَّذِي مَالَهُ رَدٌّ ، وَلَا مِنْهُ بَدْءٌ بِوَفَاةِ فَلَانَةٍ أَلْحَقَهَا اللَّهُ رِضْوَانَهُ ، وَأَسْكَنَهَا بِفَضْلِهِ الْمَرْجُوعِ جَنَّتَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ !! تَأَسِّيًّا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ ، وَتَسْلِيًّا عَنْ مَاءِ الدَّمْعِ السَّالِغِ ، وَزَنْدِ الْقَلْبِ الْقَادِحِ . وَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهَا عَقِيلَةً مَعْدُومَةَ الْمَثَلِ ، مَفْقُودَةً الدِّينِ وَالْعِفَّةِ فِي هَذَا الْحَيْلِ ؛ مَحَلَّةً مِنْ دُعَاءِ الْفُقَرَاءِ ، وَنِشَاءِ الصُّلَحَاءِ ، بِالْفَرَّةِ الشَّادِخَةِ وَالنَّحِيلِ ؛ لَقَدْ ذَهَبَ لِنَعَابِهَا الرَّفْقُ وَالْحَنَانُ ، وَعُدِمَ لَعَدَمِهَا الشَّيْمُ الْبَرَّةُ وَالْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ ؛ وَإِنْ قَسَمَ نَحْوُهَا لَا يُرْفَعُ ، وَغَلَّةٌ لَا تُنْقَعُ ؛ وَخُطْبٌ لَا يَزِيلُ النَّهْرُ يُتَذَكَّرُ فَيُصَدَّقُ ، وَلَوْلَا الْعِلْمُ بَأَنَّ الْفَلَّاحَ بِهَا أَمْرٌ كَاتِنٌ ، وَأَنَّ الْمَخْلَقَ فِي الدُّنْيَا لَا مَحَالَةَ عَنْهَا .

بائن ؛ وأن الثقل للآخرة لا تنتقلك نسمه ونعائن ، لما بقيت صبابه دمع
إلا أرفضت ، ولا دعامه صبر إلا آفقت ؛ ولكان الحزن غير ما نسمع وترى ، والوجد
فوق ما يحرى وبحرى ، لكن لا معنى الحزن لما يقع فيه الاشتراك ، ولا وجه للأسف
على ما لا يصح فيه الاستدراك . وما أتم بحمد الله من يذكر بما هو فيه أذكر ،
ولا من ينبه على ما هو بالنبه عليه أخلق وأجدر ؛ ولولا أن البعازى مما أطرد به
العمل ، ومنه الصالحون الأول ، لما سلك سبيله معكم وأتم من قدر الأمور
قدرها ، وطم أن الحياة ولو طالت فالمرت أثرها ؛ وإذا لم يكن من الموت بد ، ولم يمنع
منه صد ولا سد ؛ فالصبر خير من الجزع ، وأدل على كرم المتعنى والمتزع ، وأحرى
بأن يكون الثواب جزيل ، والجزاء حسنا جميلا ؛ والله يقيكم أتم البقاء ، ويرقيكم
أتم الارتفاع .

ابن أبي الخصال :

الشيخ الأجل فلان - أنس الله وحشته ، وجند على فقيدته رحمة . معزيه عن
أهله المالكة وسكنه ؛ ومساهمه بأوجب حزن في القلوب وأسكنه . فلان :
فإنا كتبناه عن دموع تصوب وتسير ، وضلوع تحفق من وجبها وتضطرب ،
وأنس يشرد منا ويحجب ، بموت فلانة رحما الله التي أودعت في جوارحنا من النكل
ما أودعت ، ورضت أكلنا بمصابها وصدعت ، عزانا الله جميعا فيها ، وأولاهنا نعيما
في الفردوس الأعلى وترفيها ، وأعقبنا من الوحشة أنسا ، وتمر بالرحمى جدنا مباركا
ورمسا ؛ وجعلنا كلاً من يدع عن الانحطاط إلى الدنيا نفسا ، بمنه وكرمه .

من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

لَمَّا عَلمَ مَملوكُ المَجلسِ السامى أَطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وأَظَـمَ أَجرَهُ وأَـحـسَنَ عَـزَّاءَهُ ، وفَـاةَ
السيدةِ المَرحومةِ سَـقَى اللهُ عَهدَها عَهداً يَبُلُّ الثَـرى ، وجعلَ الرَحمَةَ لِمَن نَزَلَتْ بِهِ لها
القَـرَى ؛ تَأَلَّمَ لَفَقَـدَها غَايَةَ الأَلَمِ ، ووجدَ حُرُوقَ كَـسَـتِهِ ثوبىَ ضَـئىٍّ وَسَـمٍّ ؛ وَحُـزْناً لا يَـعـبُرُ عَنْهُ
بِـعـبـارةٍ بَيَّانَةٍ ، ولا يَـسـتَوِـعُ بَصَفَهُ بِلِسانِ قَلبِهِ وَبَيَّانَةٍ :

وَلَوْ كَانَتِ النِّسَاءُ كُنَّ فَقَدْ نَأَى * لَفَضَّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ !

والمولى أَوَّلَى من عَزَى نَفْسَهُ ، وَأَسْتَحَسَنَ رِداءَ الصبرِ ولُبْسَهُ ؛ وعلِمَ أَنَّ المَوتَ
غَـرِـمٌ لا يَـنْجِـى مِنْهُ كَثَرَةُ المِطالِ ، ولا يَدْفَعُ بِالْأَطْلالِ والأَبْطالِ ؛ وَأَنَّهُ إِذا طالَبَ
بِنِـمَّةٍ كانَ أَلَدُ الخِصامِ ، وَإِذا حارِبَ فَعَلَ بِيَدِهِ ما لا تَـفَعَلُهُ الحِـكْمَةُ بِحِـدِّ الحِـسامِ .

الضرب السابع

(التمازى المطلقة مما يصلح لإيراده فى كل صنف)

من ذلك ، من ترسل أبى الحسين بن سعد :

مَنْ صَحِبَ الأَيامَ وَقَلَّبَ فى آثانِها ، أَعْتَوَرَتْهُ أَحدَثُها ، وأَخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أَحكامُها :
بَينَ مَسَرَّةٍ وَمَسَـاةٍ يَتَحَيَّانِ ، وَفَرَحَةٍ وَتَـوَحُّـةٍ يَتَنَـاوِيانِ [وكانَ] فِـما تَأْتِيهِ مِنْ مَحَبُّوبِها عَلى
غَـيرِ تَقَدُّمٍ مِنْ دَوامِهِ وَأَتِّصالِهِ ، ولا أَمْنٍ مِنْ تَـغْيِيرِهِ وَأَتِّقالِهِ ؛ حَتَّى تَمُوتَ السَلامَةُ حَـسْرَةً ،
وتَـسْتَحِيلَ النِّعْمَةُ مِـنْجَنَةً ؛ والسَعيدُ مَنْ وَفَّقَ فى كُلِّ حالٍ لِحَظِّهِ ، وَأَعْيَنَ عَلى ما فِيهِ
سَلامَةُ دِينِهِ : مِنَ الشُّكْرِ عَلى المَـوهِبةِ ، والصَبْرِ عَلى النَـازِلَةِ ، وَتَهْدِيقِ حَقِّ اللهِ تَعَالَى

في حال اليقظة والرزية . ولم تكن بالفعيعة به مفردا عني وإن كان النسب قربة منك ، والرسم تصله بك : لما كنت أوجه من حقه ، وأرعه من مودته ، وأخصه بالاعتداد فيه دون أداني أهلي والثقة من إخواني ؛ ففضي رحمه الله أقوى ما كان الأمل فيه ، وأكل ما كان عليه في لبه وأدبه ، وأجتماع فهمه وكمال هديه ، وانتظام أسباب الخير وأدوات الفضل فيه .

ومنه : لا ينكر للعبد أن يتناول مولاه عند وقوع المحنة في أهل خاصته ، ويحسون ريب المنون من حاشيته ، بالتعزية عن مصيبته ، والإخبار عما يحضه من ألم يفتنه وعظم رزيقه ، لاسيما إذا كان بحيث لا يرى شخصه في الباكين ، ولا تسمع صرخته بين المتفجعين ، ولو سعت على حلقتي .

ومن ذلك :

إن الله تعالى أمر أهل طاعته ، بتزيل هذه الدنيا بمرئيتها من إهانتها ، وسوى بين البر والفاجر في رغائبها ومصائبها ، ولم يجعل العطية دليلا على رضاه ، ولا الرزية دليلا على سخطه ، ولكنه ألزم كل واحد من أهل الرضا والسخط من نعمها بنصيب ، وسقام من حوادثها بدتوب : ليتلى أهل رضاه في أهون البارين عليه ، ويحسن لهم الجزاء في أشكرهما لديه ، ولذلك حبب إليهم الزهادة في زهيد فائقاتها ، وممنوح زهرتها ، ومماها لعبا ولها : لئلا يعلقوا بحطامها ، وينغمسوا في آثامها ، وختمها بالموت الذي كتبه على خلقته ، وسوى بينهم في سكره : (ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) . ويقرهم بدار يقى الموت ويقون فيها بئده ، كما قنوا في هذه الدار وبقي الموت بئهم ، فإن تأخر الأجل فلأى غايه ، وإن تناول الأمد فلأى نياه ؛ ولابد أن يلحق التالي الماضي ، والأثقب بالسالف ، وهذه حال نصب الأفكار ، وتلقاء الأبصار ، لاحتاج أن يرتاض الصبر على آلامها ،

والتحمل لمُعْضَلَاتِ سِهَامِهَا، والجَزَعُ عند وَقُوعِهَا قَادِحٌ فِي الْبَصَائِرِ وَالْأَفْهَامِ، دَالٌّ عَلَى الْجَهْلِ بِالْيَلْبَالِي وَالْأَيَّامِ، وَقَدْ طَرَقَ الْمَلُوكَ نَاعِي فَلَانْ فَهَدَّ جَلَدِي، وَقَتَّتْ كَيْدِي، لَا أَرْتَابُهَا لِحَادِثَةٍ : لِأَنَّهَا لَوْلَمْ تُكُنْ فِيهِ لِكَانَتْ فِي الْمَلُوكِ، وَلَوْ لَمْ تَطْرُقْ إِلَيْهِ لَتَطَرَّقَتْ إِلَى الْمَدْرَكِ (؟) وَلَكِنْ الْأَسْفُ عَلَى عَطَلِ الزَّمَانِ مِنْ حِلْيَةِ فَضْلِهِ، وَتَعَرِّيهِ مِنْ حُلَّةِ تَبْلِهِ، وَخُلُوعِ رَأْسِهِ مِنَ الْأُنْسِ بِمَثَلِهِ، وَمَانَالِ مَيْدِي لَفَقْدِهِ، وَتَجَلُّهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَرْغَبُ الْمَلُوكُ أَنْ يَرْبِطَ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ، وَيُوقِّعَهُ لَتَنْجِزَ مَا وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ مِنَ الْأَجْرِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

على بن خلف :

رُقْعَةٌ : لَيْسَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَيْدِي - خَيْرٌ مِنَ التَّسْلِيمِ إِلَى اللَّهِ وَالرَّضَا بِقَضَائِهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى بَلَاءِهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى مَدَحَ الصَّابِرِينَ فِي كِتَابِهِ، وَوَعَدَهُمْ بِصَلَوَاتِهِ. فَقَالَ جَل قَائِلًا : « أَلَيْسَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » . وَقَالَ جَل قَائِلًا : « وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ » . وَلَمْ تَزَلِ الْأَوْلِيَاءُ مِنَ الْقِدَمَاءِ يُحْضِنُونَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُمْ لَا يَرْجُونَ عَلَيْهِ نَوَابًا؛ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْجَزَعِ وَلَا يَخَافُونَ عَلَيْهِ عِقَابًا؛ وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ وَتَدَاوَلَهَا، وَالْأَحْوَالَ وَتَحَوَّلَهَا، وَسَمِعَ صَوْتَهُ لِلنَّوَابِ، وَصَبَرَ عَلَى تَجَرُّعِ الْمَصَائِبِ، وَمَنْ أَقْتَرَّ بِطَوْلِ السَّلَامَةِ، وَطَمِعَ فِي الْإِسْتِمْرَارِ وَالْإِقَامَةِ .

رُقْعَةٌ : وَقَدْ اتَّصَلَ بِالْمَلُوكِ خَيْرُ الْفَجِيعَةِ بِفَلَانٍ، فَأَفِضْتَ الْمَدَامَ، وَتَضَعَضَعْتَ الْأَضَالَعَ؛ وَزَفَرْتَ الْأَنْفَاسَ، وَهَمَلْتَ الْحَوَاسَ؛ وَأَذَابَ الطَّرْفَ

(١) لَمْ يَذْكُرْ فِي الْأَصْلِ لِهَذَا الشَّرْطِ جَوَابًا وَيَمُنُّ أَخَذَهُ مِنَ الْمَقَامِ أَيْ «قَدْ حَادَلَ مَحَالًا» وَضَلَّ فِي سَبِيلِهِ ضَلَالًا أَوْ تَحَوَّلَ .

سَوَادُهُ عَلَى الْوَجَنَاتِ بَدَلًا مِنَ الْأَنْفَاسِ ، وَخَلَّتِ الْقُلُوبُ سُودَانَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ ،
عَوَضًا عَنْ جَلَالِيبِ الْحِدَادِ ؛ وَغَضَّتِ الْأَنَامِلُ جَزَا ، وَمُرَّتْ نِيَابُ تَعَجُّبَا
وَتَوَجُّعَا ؛ وَكُلُّ هَذَا وَإِنْ فَارَقَ حَمِيدُ التَّمَسُّكِ ، وَوَافَقَ ذَمِيمُ التَّهَالُكِ ، غَيْرُ مُؤِفٍّ بِحَقِّ
ذَلِكَ الدَّارِجِ الَّذِي بَلَغَ الْعَالَى وَهُوَ فِي مَهْدِهِ ، وَشَدَّ دَعَاتِمَ الْفَضْلِ وَلَمْ يَبْلُغْ أَوَانَ
رُشْدِهِ ؛ وَعَلِمَ سَيْدِي أَنَّ غَايَةَ الْجَاذِعِ وَلَيْتَ صَدَعَتِ الْمَصِيبَةُ قَلْبَهُ ، وَأَطَاشَتِ
الْفَجِيعَةُ لُبَّهُ ، الصَّبْرُ وَالسُّلُوءُ ؛ وَأَنَّ نِهَايَةَ الْفَلَاقِ وَإِنْ هَجَمَتْ عَلَيْهِ الْحُرْقَةُ بِمَا لَا تَتَوَفَّرُ عَلَيْهِ
الْأَضَالِيعُ ، وَلَا تَنَامَسُكَ مَعَهُ الْمَدَامِيعُ ، الْقَرَارُ وَالْمُتَدَوُّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُرِيهِ بَعْدَ هَذَا
الرُّزْءِ رُزْءًا يَنْفَتَاهُ ، وَيَنْقُلُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَى حَاسِدِيهِ وَأَعْدَائِهِ .

رقعة : مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْأَقْصَى لَأَخْطِئَ سِهَامُهَا ، وَالْأَقْدَارَ لَأُرْدَ أَحْكَامُهَا ، سَلَّمَ
الْأَمْرَ فِي السَّرَّاءِ وَالْقَضَاءِ ، وَرَضَى بِمَا مَنَاهُ فِي الْبَلَاءِ وَالْإِبْدَاءِ ؛ وَلَا سِيَّامَا فِي مُصِيبَةِ
الْمَوْتِ الَّتِي سَوَى بَيْنَ الْخَلِيقَةِ فِي تَجْرِيعِ صَائِيهَا ، وَأَقْصَحَامِ عَقَابِهَا ؛ وَقَدْ أَتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ
خَبَرُ الْحَادِثِ الْفَاصِمِ لِعُرَى الْجَلَدِ ، الْبَارِحِ فِي الْجَلَدِ . فَاسْتَحَالَتْ فِي عَيْنِ الْمَمْلُوكِ^(١)
الْأَحْوَالُ ، وَمَالَتْ عَنْه الْأَمَالُ ، وَرَأَى السَّمَاءَ وَقَدْ تَكَدَّرَ جُوزُهَا ، وَالشَّمْسَ وَقَدْ تَمَكَّرَ
ضَوْوُهَا ، وَالسَّحَابَ وَقَدْ أَخْلَفَ نُوْهَا ، وَالتَّهَارَ وَقَدْ أَظْلَمَ ، وَاللَّيْلَ وَقَدْ أَدْلَمَ ، وَالنَّسِيمَ
وَقَدْ رَكَدَ ، وَالْمَعِينَ وَقَدْ جَمَدَ ، وَالزَّمَانَ وَقَدْ سَهَمَتْ وَجْهَتَهُ ، وَتُسَلِّبَتْ حَلِيقَتَهُ ،
وَأَفْرَجَتْ قَبْضَتَهُ عَنِ التَّمَسُّكِ ، وَقَبَضَتْ عَلَى التَّهَالُكِ ، وَعَدَلَتْ عَنِ التَّجَلُّدِ ، إِلَى
التَّبَلُّدِ ؛ ثُمَّ أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةِ لَحْيَتَيْهِ ، وَهَيِّبَ سِنَةَ رُؤْيَتِهِ ، فَسَلَّمَ قَهَ رَاضِيًا بِأَقْصَرِيَّتِهِ ،
رَاغِبًا فِي مَثْوَوَاتِهِ .

(١) لعله البادح والبلح والبلح بالاممال والاجمال الثق والمراد ظاهر .

أبو الفرج البغدادى :

إذا كان أيده الله أهدي في النعم إلى مئبل الشكر، وأعرف في المحن بطرق الصبر؛ فكيف نحاذر عليه من المصائب، ونذكره التسليم لمحتوم التوائب؛ والمصيبة بفلان أعظم من أن نهدى فيها إلى سلوة غير مستفادة منه، أو تقتدى في العزاء بغير مانأخذه عنه؛ إذ كانت قلوبنا تبع قلبه - سره الله - في طروق السراء والضراء، وحالتي الشدة والرخاء. وأحسن [الله] عن القجعة عزاءه، وأجزل من المثوبة عطاءه؛ ولا شغله عن حلاوة شكر النعم بمرارة الصبر على ورود المحن، وجعل ما نقل الماضي إليه، أنفع له ولسيدي من الجزع عليه.

وله في مثله :

أصل في خبر المصيبة بقتد الحسرة، وسكب العبرة، وأضرم الحرقعة، وضاعف اللوعة، وكان الأسف عليه، بقدر تشوف الآمال كانت إليه : فإننا لله وإنا إليه راجعون ! أخذنا بأمره، وتسلياً لحكمه، ورضاً بمواقع أقضيته، وأحسن الله في العزاء هدايته، وحرس من فتن المصائب بصيرته، وحمل عن قلبه ما أظله من ثقل المصيبة وعظم الرزية.

ولا أزال على جملة من القلق إلى أن يرد على كتابه - أيده الله - بما أكون فيه بأديه مقتدياً، وبهداياته إلى سبيل العزاء والصبر مهتدياً؛ فإن رأى إجرائي من تشريفه بذلك على مشكور العادة، فعل، إن شاء الله تعالى.

وله في مثله :

أشراك القلوب فيما ألم بقلب سيدي بحسب تساويها في المصرة بما سره، إذ كان لا يختص دون أوليائه بنعمه، ولا ينفرد دون مؤمليه بحلول موهبه، والمصيبة بفلان

- وإن جَلَّ موقعها وعظمت الفجیعة [بها] - جَلَلٌ مع سُقوط الأقدارِ دُونَهُ ،
وتجاوُزها عنه ، ومُسامحتها به ، فلا شغلَ الله قلبه بملحها بمرارة الصبر عما تُوجبه النعم
من حلاوة الشكر ، ولا جاوره برزية في حميم ولا نعمة .

وله في مثله :

بصبرتك إلى العزاء تهديك ، وأغباطك بثواب الله يُسليكَ ، وعلمك بقلة الفناء
عن الجزع يثنيكَ ، وجمعنا بك في الصبر مقتلون ، ولرايك في الرضا بما آختره الله
تعالى متبعون ؛ فحملَ الله عن قلبك قَملَ المصيبة ، وحرسَ يقينكَ من اعتراض
الشبهة ، وأحسن إلى جميل الصبر هدايتك ، وتولى من قَنِّ المحن رباطك ، وجعل
ما نقلَ الماضي إليه ، أفتحَ لك وله من الأسف عليه .

وله في مثله :

اتصل بي خبر المصيبة فأضرمَ الحشره ، وسكبَ العبرة ، وقدحَ اللوعة ، وأمرتني
الدنمة ، وكانت مشاركتي لِمَاك في المصيبة به ، والفجیعة لفقدته ، بحسب اختصاصي
بمواهب الله عندك ، وأغباطي بمنحه لديك ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون !! تسلياً
لألمزه ، وأتقياناً لحبكه ، ورضاً بمواقع أقداره ، وأحسن الله على العزاء توفيقك ،
وإلى السَّلوَة إرشادك ، ولا أخلاك فيما تطرَّقك به مصيبةٌ من مصابيح الصبر ،
وفيما تقد به عليك نعمةٌ من الاستزادة بالشكر ؛ وحرَمك في نفسك وأحببتك ، ودوى
عنائك ونعمتك .

(١) أى بمرهين على حد قول امرئ القيس لما قتل أبوه :

بقتل بنى أسد دهم * الأكل شيء سواء جال

(٢) في التماموس « ورمى الشيء استغربه كاستراء » .

وله في مثله :

قدرك أكبر ، وبصيرتك أنور ؛ وفقتك بالله تعالى أعظم من اعتراض الشكوك
عليك فيما يطرُقك من عِظاته بالحوادث وإن عظمت ، والمحِن وإن جَلَّتْ ؛ اختيارا
بالمصائب لصبرك ، وبما يُظهره عليك من النعم لشُكرك ، ومثلُك أيدك الله من قابل
الفتيحة فلان - إذ كانت من الواجب المحتوم - بأحسن عزاء وأفضل تسليم ، غير
مرتائب بما اختاره الله له ولك فيه ، فعظم الله به أجرك وحرك وحرّس فيك .

الأجوبة عن التعازي

قال في "مواد اليان" : أجوبة التعازي يجب أن تُقنى على وقوف المعزى على
كتاب المعزى ، وأن إرشاده تقع فُتته ، وعظمه تقع طُته ، وتبصيره سكن أواره ،
وتدكيره أحمد ناره ، وتبنيه أيقظ منه بحسن النزاء غافلا ، وهدى إلى الصبر ذاهلا ،
وحسن عنده الرزية بعد جهامتها ، ودمت نفسه للصيبة بعد فدّامتها ، فسلم الله تعالى
متأدبا بأدبه ، وعمل بالحكم مقتديا بمنهجه ، وغالب الرزء بالعزم ، وأخذ فيه بالحزم ؛
وسأل الله تعالى أن يُحسن له العوض في رده ، ويعمله له خلفا ممن أُصيب بفقده ؛
ونحو هذا مما يفرط في سلكه .

جواب عن تعزية : من زهر الربيع :

أعز الله سيدنا وأسعده ، وسهل له طريق المسرة ومهّده ، وصان عن حوادث
الأيام حجابا ، وعن طوارق الحداث جنابة ؛ وجعله في حِمى عن عوارض الغير
والغرر ، وأصار أيامه بحسنة لوجوه الأيام كالنور .

ورد الكتاب الذى أنعم بإرساله ، بل المشرف الذى كسته اليد العالمة حلة من حلل جماله ، فوقف عليه وفيه وتذكر به إحسانه الذى لا ينسا ، وتفضلته الذى لا يعرف سواه ؛ فاما التعزية بفلان ، فإنه رديء لفظها قوته ، وبلى بماء حسنها غلته ؛ وصبره على حادثه بفلان بعد أن عز عليه العزاء وأعوزه ، وطلب وعده من صبره فما أنجزه : لأنه كان وجد الموت المذكور حزنا ما استطاع له تركا ، وقصد لموته خلا مثله يباح عليه ويؤمى ؛ وفى بقاء مولانا مرة تطرد كل حزن ، وفى بهاء طفته عوض عن كل منظر حسن ، جعله الله ساميا على أثرابه ، مقدما على أضرابه ؛ ما سميت الأسماء على الأفعال ، وتقدم الحلال على الاستقبال .

آخر : ضاعف الله بقاءه وأطال عمره ، وشرح لإهداء المكريم صدره ، وأهدى نبيه وأمره ، ولا زال إلى أولياته محسنا ، وفصله يحصل لمحبيه غاية الشول والمضى ؛ ورد مشرفه المعزى ب وفاة فلان سقى الله عهدته عهدا رضوانه ، وأسكنه فى غرف غفرانه ، بخبر مصابا ، وفتح إلى الصبر أبوابا ، وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا ؛ وسكن نفسه ، وذكره إحسانه الذى لم ينسه ، وأزال الوحشة وزاد أنسه ، بعد أن كان فقد المذكور قد هد ركنه وقت عضده ، وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمده ؛ وألبسه رداء الكتاب ، على ترابه الذى أصبح تحت التراب ، وصديقه الموصوف بالصدق ، الذى فاق سناء ذلك الأثق ؛ جعله الله أصلا فى تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع ، وسبقا قهر به وليه الحوادث التى تروع ؛ إن شاء الله تعالى .

آخر : جعل الله أجره عظيما كقدره ، والقلوب جمعة على حبه كاجتماع الألسنة على شكره .

المملوك يُعلمه بؤرود كتابه الكريم المعزى بفلان - قدس الله روحه، وأمطر بحائب
الرحمة صريحه - عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لذيد الوسن؛ ومن زائد
الاكتئاب، ما كاد يحرمه التقمص بثوب الثواب؛ بحيث إنه عوض بالزن الأسود
عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لئس الأبيض طعم الموت الأحمر، وأنه صممه
إليه ضم المحبوب، وأبتهج به آتبهج من ظفرباية السؤل والمطلوب؛ فأغمدت
الكتابة خوفا من قلبه مبيقا، وأزالت الدنيا الدنية عنه حيقها؛ وعزى نفسه
وسلاها، وشغل إحسانه عن نحاسن محا الموت سناها؛ فوفض من توجهه مافرضته
حادثته، وسلك منها غير المنهج الذي فقتت فيه حشاها ومهجته؛ فالله تعالى يكفينا
مانحاذره في المجلس ويحرس سناها، ويديم سعدته وعلاها .

النوع الثالث

(من مقاصد المكتبات التهادي والملاطفة)

قال في "مواد البيان" : رِقَاعُ التَّهَادِي يجب أن تُودَع من الألفاظ المستحسنَة
ما يُعْمَدُ لِقَبُولِ المِلاطِفَةِ والمِبرَةِ التي تُفِيزُ في المِوَدَّةِ . قال : ويُنَبِّئُ أن يُطَرِّفَ الكاتِبُ
إذا كان مُهْدِيًا أو مُسْتَهْدِيًا ؛ وقد جَرَتْ العادةُ أن تُودَع هذه الرِقاَعُ من أوصافِ
الشَّيْءِ المُهْدَى ما يَحْسُنُ في نَفْسِ المُهْدَى إِلَيْهِ . قال : ويُنَبِّئُ لِمَنْ ذَهَبَ هذا
المُنْهَبُ أن لا يَتِمِدَ فَخِيمَ هِدِيَّتِهِ ، ولا الإِشارةُ إلى جَلالةِ خَطَرِها ، فإنَّ ذلك يُنِيلُ
بشروطِ المُروءَةِ ويَتَمامُ الكُرْماءِ

ثم هي على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ مع التّقدّم إلى المُلُوك من أهل مملكتهم)

إلى القائمين بإبصال التّقسيمة إلى المَلِك وكاتب السّر ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن نباتة : إلى كاتب السّر بالأبواب السلطانية صحبة مقدّمة
من نائب الشام إلى السلطان :

لأزالت أعلامها لتتاج الفضل مُقدّمه ، ولمّا كُض الكرم والبأس جِياداً مُسوّمه ؛
ولكاتب المَلِك من كُتبه أعلاماً بشعارها العبّاسيّ مُعلّنه ، وفي يد صاحبه من أصحاب
اليمين ، والذين كَفَرُوا بآياتِ الله ونعيمها من أصحاب المشأمة ؛ تهيّل حُبّ لا تُنسخُ
عقودُ وآله المُحكّمه ، ولا تُنسخُ إلّا في الكُتب عقودُ شأنه المنظمه ، ولا تطوفُ
الأشواقُ بيتَ قلبه إلّا وهي من مَلابس السُّلوان المحرم مُحرّمه .

ويُنهى أنه قد اختارَ من حَناية مولانا بمقاصده أحسنَ الخير ، وبُورِكَ له
في قصدها (ومن بُورِكَ له في شيء فليزِمه) كما جاء الخير ؛ وقد جهّز فلانا إلى الأبواب
الشريفة خلد الله سلطانها بتقدّمته على العادة في كلّ سنة ، وأتبع سفارة مولانا بين
يَدَيِ المواقِفِ الشريفة فاتّبع من القول أحسنه ؛ وسأل حُسنَ نظر مولانا الذي إذا
لاحظَ قصداً أظنّه وسعدنا حينه ، وقد جهّز المملوك برسم مولانا ما هو بمقتضى الورقة
المجهّزة عطفها ، المؤمّلة وإن كانت ورقةً قطّعها ، وسأل مقابلتها بالخبر الذي يحسب
الأملَ حسابَه ، ويستفتحُ بينانِ القلمِ بابَه ، والإصغاء لما يُملئ من رسائل الشوق
فإنّها من رسائل إخوان الصفا المستطابة ، لا يرح القاصدون مَرَحِينَ بأيام مولانا
وحقّ لهم أن يمرّحوا ، تالين نسبة بيته ورُحمى الله على يده : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَبِذَلِكَ يُفْرَحُوا ﴾ .

وله إليه أيضا مع الجهاز الشريف السلطاني :

أمتعها الله من خيرى الدنيا والآخرة بكرم الأمرين ، وبشرف الدارين ، وصرها بما يجهز في الثناء والثواب من الوفرين ، وأعلى منارها المحلق إلى السماء على وكرك النشرين . ولا زالت الآمال لا تبحح حتى تبلغ من تلك اليلدين مجمع البحرين ؛ تهيل مخلص في الولاء والدعاء ، مستشهد بالخواطر الكريمة على ثبوت الأدعاء ، واردة لموارد النعم قبل صدور بل قبل ورود الرضاء .

وينهى أنه ليس للملوك فيما يؤمله ويتأمله ، ويفصله من عقود المطالب ويجهله ؛ غير إحسان مولانا الذى لا يميل على طول الإيناس والإلباس ، وعواريف يتسه المستجدة تالية : (إن الله لئذ فضل على الناس) . وقد جهز الملوك الولد فلانا بالجهاز المبارك إلى الأبواب الشرفية خلف الله سلطانها ، وملأ به جواهر حبات القلوب ورينحاتها ، وهو على قدر الملوك ومقداره ، لا على قدر مراده واختياره ؛ ولو أن المراد مما يجهله العبد إلى سيده ، ويقدمه من سيد الحال وليده ، على قدر المحمول إليه ، والمقدم بين يديه ، لضعفت قوى أكثر العبيد عن ذلك ، ويس من الرضوان جهدهم المسالك ؛ وإنما على العبيد أن تنصب على قدرتها الحال ، وعلى السادات أن تصرف بعوامل الخبر مستقبل الأعمال . وعلم مولانا الكريم محيط بتقل الملوك في هذه السنين من بلد إلى بلد ، ومن أمد كلفه إلى أمد ، وبما حصل في ذلك من التمتع في إقطاعات كاد أن يحنى عليها الذى أخنى على ليد . وكان الملوك يود لو كان هذا المحمول من الجهاز من جواهر النجوم المشورة ، وأخية السعد الماثورة ، وجميع ما زين للناس من الشهوات المذكورة ، أضعاف أضعافه الآن ، بل أضعاف أضعاف ما حمل الأتولون من فلان وفلان ؛ كالحسن بن مهمل مع الجهة الماثونية التي حلل ذمها ، وأبن طولون مع المتصديفة التي كثر هذا الثبت قطرها ، والساماني

وما أدراك، والسَّجُوقُ وما أسراك، وجميع ما تضمته التواريخ التي لو طابَتْ تاريخ هذه الدولة الشريفة عنت في الحال لحبده، وكان كلُّ جلد منها يموت للهبة في جلده: لما خلّدت أيامها الشريفة من أخبار حُكْمها وخبرها، وكرمها وبرها، وعطفها على ممالك بيتها الشريف: تتقبلُ ميسورهم، وتُكَلِّ سرورهم؛ وعللاً يُجِوش الإشرافُ صُدورهم، وتبلغهم من همم مظلّوهم؛ وتُخِيل على زاهرات نجايهم ودياحين قلوبهم :

ولولم تُطعمه نياتُ القلوب * لما قيل الله أعمالها.

والملوك يسأل من إحسان مولانا الذي ألقاه، ومعروفه الذي عرفه، ملاحظة الولد فلان بين يدي المواقف الشريفة خلّد الله سلطانها، وإقامة عُدِّ الملوك بباريه التي أحلَّ الله سحرها وبياتها ؛ فإلى الملوك في مقاصده مثل مودة مولانا الوايفة المتوافيه، ومقدمة عبارته الكافية الشافية ؛ والله تعالى يُعين على شكر منته، والقيام بفرائض حمده وسننه ؛ والنهوض بأوصاف أياديه التي يُترد بها قلمُ الكُتّاب كما يُترد القمرى على قننه .

الضرب الثاني

(ما يكتب مع الهدية عند بثها)

وهو على عشرة أصناف :

الصنف الأول — ما يكتب مع إهداء الخليل .

على بن خلف : في إهداء جَوَادٍ أَنَّهُمْ أَغْرَّ حَجَل .

وقد خدم الملوك ركابه الأكرم ، بجوادٍ أَنَّهُمْ مُطَهَّم ، قد سَلَبَ الليلَ غيابه وكواكبه ، فأشْمَلَ بأيديه ، وتحلَّ بنجومه ، وأطلع من غُمرته السَّادجة قرأً متصلاً

بالحِجْرَة ، وتحملي من رُمْتِه بالثُرَيَّا أو الثَّرَه ، صافِي القَمِيص ، مُحْوِض الفُصُوص ،
 حديد النَاطِر ، صليب الحَافِر ، وَثِيق القَصَب ، نَفِي العَصَب ، قَصِير المَطَا ، جَعَد
 النِّسَا ، كَانَمَا أَتَعَلَّتْ بِالرَّيَّاحِ الأَرْبَعِ أَرْبَعَه ، وَأَصْنَعِي لَأَسْتَرِاقِ السَّمْعِ مَسْمَعَه ،
 إِنْ تَرُكْ سَارَ ، وَإِنْ غَمَزَ طَارَ ، وَإِنْ تُحْيِ أَخْرَفَ ، وَإِنْ أَسْتَوْقِفَ وَقِفَ ، أَدِيبُ
 نَجِيب ، مَتَيْنِ صَلِيب ، صَبُورُ شُكُور ، وَاقِه تَعَالَى يَجْعَلُ السَّعَادَةَ مَطْلَعَ غُرَّتِه ، وَالْإِهْبَالَ
 مَعْقِدَ نَاصِيَتِه .

من كلام المتأخرين :

كتاب عن نائب الشام إلى الملك الصالح : شمس الدين صاحب مريدَيْنِ قَرِينِ خِيلٍ
 مُنْعَمٍ بِهَا إِلَيْهِ ، عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ : عَمَادِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ
 بْنِ قَلَاوُونَ - مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ بَعْدَ الْإِقْلَابِ .

وَأَجْرِي بِالنَّصْرِ جِيَادَه ، وَبِالنَّظَرِ مُرَادَه ، وَعَلَى عَوَائِدِ السَّعْدِ مَطَالِحَ شَمْسِه الَّتِي
 يُسَمِّيهَا عَرُفُ الْمَلَكَه بِلَادَه ؛ وَلَا زَالَتْ مُتَبَرِّجَةً بِسَعَادَةِ شَمْسِه الْأَحْلَاكِ ، نَظِيمَةً بِنُزْ
 عَامِدِه الْأَسْلَاكِ ، مَائِلَةً خِيُولُ سَعْدِهِ حَتَّى حُمِرَ السَّوَابِقُ مِنَ الْبُرُوقِ وَالشُّهُبِ السَّوَاحِغِ
 فِي الْأَقْلَاكِ .

الْمَلُوكُ يَقْبَلُ الْيَدَ الَّتِي إِذَا بُسِطَتْ فَلَا تَنْجُودَ وَتُسْتَلَمُ ؛ وَإِذَا قُبِضَتْ فَهِيَ سَيْفٌ
 أَوْ قَلَمٌ .

وَيُنْبِئُ بَعْدَ لَوَايَ وَثَاءِ الْإِخْلَاصِ شَارِعَيْنِ ، وَفِي الضَّائِرِ وَالْأَفَاقِ سَابِحَيْنِ ، وَأَشْتِيَاقٍ
 وَعَهْدٍ كَانَا أَحَقَّ بِالْإِتْمَاعِ لِأَسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَكَانَ أَبُوَاهُمَا صَالِحَيْنِ ؛ أَنَّ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ
 زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرَفًا ، وَرَدَّ يَتَضَمَّنُ تَشْرِيفَ مَوْلَانَا عَلَى الْعَادَةِ وَإِعْقَامَه ، وَأَسْتَقْرَارَ
 مَكَاتِنِهِ مِنَ الْخَوَاطِرِ الشَّرِيفَةِ فِي دَارِ مُقَامِهِ ؛ وَأَسْتِمْرَارَ كَرَامَتِهِ مِنَ الْآرَاءِ الْمُعْظَمَةِ

(١) هي بالضم يابض في طرف أفق القوس . قاموس .

ولا يُتَكْرَم الصالح والصالح استمرار الكرامة ، وأن الصّدقات الشرفيّة أنعمت على
مولانا بثلاثة أروس من الخيل كلثمة الراح ، إلا أن حبّها عرق سبقتها ، وثلاثة
الشجر (١) كما قال الطائي تساوى شرف تمّرها وزهرها وعرفها ؛ ما منها إلا من تقصّر
الرياح أن تسلك بحّته ، والبروق أن تتبع نهجه . ومن تودّ الثريا أن تكون لحامه
والهلال أن يكون سرجه . ومن يطمّر كالغمام ويركض كالسيل . ومن كتلت حلاه
وليس حلة القنار فتش على الحالتين في الخطين مُسِيل الذيل . ومن عُقد بناصيته كل
الخيل وعقده له لواء القنار على كل الخيل : من كل خضراء مُعجبة فهي على المجاز
حديقه ، وكل أحمر سايقي فهو البرق على الحقيقه ، وكل أصفر شقي إلا أن الرياح
من مجاراته على نفسها شفيقه . وكيف لا يُسبّه بالشفق وهو من الأصائل ، وكيف
لا يفتخر العسكري بهذه الخيل وختاصر عدها في الحسن أوائل ؛ قد صُرِفَتْ وجوهها
المقبلة ، لباب مولانا أحسن المصارف ، وكثبت عوارف الفضل في معارفه المسبلة ،
فناهيك منها بكتاب عوارف المعارف ؛ ووصل لمولانا بذلك مشال شريف ؛ ورسم
للملوك تجهيزها مع من يراه ؛ وقد جهز الملوك لخدمة مولانا الخيل المذكورة مع المثال
الشريف محبة فلان ، ومولانا أدرى بنقعات رياض الحيد بهذه الديم المطلة ؛
وبالتقيل في الأرض التي هي سماء حوافر هذه الخيل التي هي أهله ؛ وأولى أن
يشرف الملوك بمهماته ، ويؤنس لحظه لطيف اليقظة من مشرقاته ، والله تعالى
يحمّد لمعالیه في كل قصد مُنجحاً ، ويعلی لمجده في كل حال قُدْحاً ؛ ويروّع الأعداء

(١) كذا في الأصل باستعمال من في غير المائل .

(٢) في الأصل يطمّر كالغمام ولله مصحف عما أثبتناه يقال تَطَرَّت الخيل إذا جاءت مسرعة يسير
بعضها بعضاً تأمل .

(٣) في الأصل ويجاد مجده تأمل .

من خطوات خيله في بلادهم بالمغيرات صُبْحًا ، ومن خطوات ذكره في قلوبهم بالمغريات قَدْحًا .

وفي معناه :

يَقْبَلُ البَاسِطَةَ الشَّرِيفَةَ أَعْلَى اللَّهِ شَأْنَهَا ، وَجَمَلَ بَقَائِهَا زَمَانَهَا ، وَضَاعَفَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ رِجَاهَا وَإِحْسَانَهَا .

وَيَنْبَغِي : أَنَّهُ آتِنَاجُ جَوَادًا أَعْجَبَهُ ، وَطَرَفًا أَتَقَبَّحَهُ ، وَقَدْ قَدَّمَهُ لَوَلِيٍّ نِعْمَتِهِ ، وَمَالِكٍ عَهْدَتِهِ : لِأَنَّ الْكَرَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِ الْكَرَامِ ، وَالَّذِي يَصْلُحُ لِلْوَلِيِّ عَلَى الْعَبْدِ حَرَامٌ ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ التَّوْفِيقَ ضِيَاءَ غُرَّتِهِ ، وَالْيَمْنَ مَعْقِدَ نَاصِيَتِهِ ، وَالْإِقْبَالَ تَجَمُّلَ أَوْظَفَتِهِ ، وَالسَّعَادَةَ مَوْضِعَ الْجُلُوسِ مِنْ صُورَتِهِ ، وَالْمَمْلُوكُ يُسَالُ الْإِنْعَامَ بِقَبُولِهِ ، وَ[أَنْ] يَبْلُغَهُ مِنْ ذَلِكَ [غَايَةَ] مَأْمُولِهِ ، مُضَافًا إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ سَابِقُ إِحْسَانِهِ الْعَمِيمِ ، وَفَضْلِهِ الْجَلِيمِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ بَعِيْنُهُ الَّتِي لَا تَنَامُ ، آمِينَ .

الأجوبة بوصول الخيل

جوابٌ عن نائب الشام إلى أميرأخورد بالأبواب الشريفة ، عن وصول خيل إليه من الإنعام الشريف - من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الألقاب :

لَا زَالَتْ مَبْشَرَةٌ بِأَعْظَمِ الْخَيْرِ وَكَرَامِ الْخَيْلِ ، مَيَّسَرَةٌ لِلنَّعْمَاءِ بِسَوَائِقِ السَّيْرِ كَدَوَاقِ السَّيْلِ ، مُسْفِرَةٌ عَنْ إِيجَادِ سَوَائِجٍ إِلَّا أَنَّهَا فِي الْفَخَّارِ وَالشَّيَةِ ضَافِيَةُ الذَّنْبِلِ ، سَفِيرَةٌ فِي الْجَوَادِ بِكُلِّ جَوَادٍ تَبْتِمُّ غُرَّتُهُ أَبْشَامَ النَّهَارِ وَيُدْرِكُ طَلَبَهُ إِدْرَاكُ اللَّيْلِ ؛ تَقْيِيلًا يَسْتَقْبِقُ أَسْتَبَاقَ الْحَيَادِ ؛ وَيَنْسِقُ عَلَى الدَّرَجِ أَتْسَاقَ الْعُقُودِ عَلَى الْأَجْيَادِ .

(١) النعم والمنة والعسى والنعماء ما ينعم به فكل الصواب الاتمام .

وَيُنْهِى بَعْدَ ثَوَاءٍ وَوَلَاءٍ : هَذَا يَهَيِّمُ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَهَذَا يَهَيِّمُ بِمَثَلِهِ كُلُّ وَادٍ ؛ وَرُودُ
مَشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةِ بِمَا مَلَأَ الْقَلْبَ مَسَرَّةً ، وَالْعَيْنَ قُرَّةً ، وَدَرَجَ عِلْمِ الْقَيْلِ مِنْ نُجْبِ
الْخَلِيلِ السَّيَّارَةِ مَسْتَهْلٍ وَغُرَّةً ؛ فَقَابَلَهَا الْمَمْلُوكُ بِتَقْيِيلِهِ ، وَقَامَ لَهَا عَلَى قَدَمِ تَجْيِيلِهِ ؛
ثُمَّ قَامَ إِلَى الْخَلِيلِ الشَّرِيفَةِ الْمُنْعَمِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَبَّلَ مِنْ حَوَافِرِهَا أَهْلَةً ثُمَّ مِنْ غُرَرِهَا
نُجُومًا ، وَتَأَمَّلَ شَبَابَتَهَا الْبَرْقِيَّةَ وَاسْتَمْطَرَ مِنَ السُّعُودِ غُيُومًا ؛ فَأَدْنَتْ لَهُ مِنَ الْإِقْبَالِ أَمْدَ
قَاصِيهَا ، وَظَلَّ بِمَثَلِهِ الْخَلِيرُ الْمَعْقُودُ بِتَوَاصِيهَا ؛ وَتَضَاعَفَتْ أَدْعِيَتُهُ الصَّالِحَةُ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ
الْقَاهِرَةِ الصَّالِحِيَّةِ زَادَهَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْوَقْتُ الَّذِي مَلَأَ الدُّنْيَا بِسَحَابِ جُودِهِ
وَرِيَّاحِ جِيَادِهِ وَرِيَّاضِ عَنَلِهِ ؛ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَا يَفْنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَوْلَا شُهُودُ
الْمَعْدِ الشَّهِيدِيُّ لَقَالَ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَأَعَدَّ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْخَلِيلِ لِيُقْنِي
عَلَيْهَا بِالْقِتَالِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالتَّثَلُّثِ ، وَيَسْتَخَفَّ بِهَا آجَالَ الْأَعْدَاءِ مِنْ بَنَى
مَالِكِهِ : فَلَمَّا مِنْ قَوَاتِ الْعِزِّ وَالْعِزِّ الْحَيِّثِ ؛ وَمَا هِيَ إِلَّا كَوَاكِبٍ سَمَدٍ تَمْلِكُهَا أَسْتَهَا
الْوَقَادِهِ ، وَزَهْرَاتٍ حَسَنٍ حَيْثُ بِهَا عَلَى الْبُعْدِ سِفَارَتُهُ الْمَعْتَادَةِ ؛ لِأَبْرَحَ مَوْلَانَا بِقَلْدِ
بِعْنَانِيَّتِهِ وَإِعَانَتِهِ الْمُنْتَنِ الْجِسَامِ ، وَيَنْصُرُ بِمَزَامِيهِ الْقَاطِعَةِ ، وَكَيْفَ لَا يَنْصُرُ وَيَقْطَعُ
وَهُوَ الْحَسَامُ ؟ .

وله في جواب وصول أكديش وبارز [وكوهية] :

لَا زَالَ جَزِيلًا مَسَاجُهُ ، جَمِيلًا مِنَ الْحَمْدِ رَبَّاحُهُ ، جَلِيلًا رُهُ الَّذِي يُشْهَدُ بِهِ طَائِرُ
الْخَيْرِ وَيَمْنُهُ وَطَائِلُ الْخَلِيلِ وَتَجْمَاعُهُ . هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَخْفِقُ جَنَاحُهُ ،
وَتُشْرِقُ غُرَرُهُ وَأَوْضَاعُهُ ؛ وَتَوْصَحُّ لَعْلَمِهِ الْكَرِيمُ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ سَرْمَةِ الْإِحْتِثَاتِ ،
طَائِرَةٌ يَمْنُ طَرَسُهَا وَهَدْيُهَا بِأَجْنِحَةٍ مَتْنَى وَثَلَاثَ ؛ فَخَصَّلَ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا ، وَتَجَمَّدَ
عَهْدُ الْإِرْتِيَّاحِ لِنَبَاهِهَا ؛ وَفَهَّمْنَا مَا لَمْ تَزَلْ فَهَّمُهُ مِنْ وَدِّ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَرَهِّ الْمُتَعَالَى ؛

ووفاء عهدہ الذی تلقّاه الحامدُ بآمالی الحبِّ لا بآمالی القالی، ووصل الأكديش الايكر
ظاهراً حُسْنُهُ، سافراً عن وفق المراد يُعْنُهُ؛ تَجَمَّلُ به المَوَاقِبُ، ومُثَاشِيهِ الرِّياحُ
وبعضُها من خلفه جَنَائِبُ؛ وكذلك وصل البازي والكُوْهِيةُ، وكلاهما يَدِيعُ
الأوصاف، سريعُ الإِفْطَافِ لأزاهير الطير والاختِطَافِ، يَسْبِقُ الطُّرْفَ بِجَنَاحِهِ
اللُّمُوحِ، ويستَعِجِلُ من الأُفُقِ وارِدَ الرِّزْقِ المُنْجُوحِ؛ ويُوَاصِلُ الخَيْرَ والمَلِكِ إلى المَطْلُخِ،
فكأنَّ حَوَاجِحَ كاش تَدُلُّوْا إليه وتروح؛ لا بَرَحَ إحسانُ الجَنابِ العالی وإِصْلا، وذِكْرُهُ
في ضمير الإِعتِداد حَاصِلاً؛ وحُكْمُ سَمَاحَتِهِ وَتَجَاجُتِهِ بِاسْتِحْضَاقِ الثَّنَاءِ فَاصِلاً .

جواب بوصول جوارح :

كُتِبَ به عن نائب الشام، جواباً لمطالعة وردت على نائب الشام من الصالح
صاحب ماريدين من بقايا بني أرتقي، صحبة سناقر، هدية للصالح إسماعيل بن الناصر
محمد بن قلاوون : صاحب الديار المصرية . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :
وأيدِهم السَّوَاجِحُ، ونِعَمَ السَّوَاجِحُ، وشِمْه التي تَنْظُمُ منها عليه دُرُ الحامد
والمُتَدَحِّحُ؛ وشكر هداياه التي منها جوارح طير تَحْفِقُ لِفِرطِ أَسْمَحَانِهَا الجَوَارِحُ .
ولا زال من أجنحة نصره حتى السَّمَاءِ الرَّامِحُ؛ ومن جُنُودِ سَعْدِهِ للأولياء سَعْدُ
السُّعُودِ، وفي الأعداء سَعْدُ الدَّعَاجِ؛ ومن جِيَادِ رِكَابِهِ الشُّهْبُ إلا أنها شُهْبُ الأَفْلاكِ
السَّوَاجِحُ؛ ولا بَرَحَ سُلْطَانُ البَسِيطَةِ مَكَافِئاً عَمَلَ قَلْبِهِ الوَفِيُّ، ولا يَنْكُرُ العَمَلُ بِالقُلُوبِ
يَنَ الصَّالِحِ والصَّالِحُ .

المملوك يقبل الأرض التي تستمد السحب من سمائها، وتستمد منازل الأنجم للتعلم
من أنواتها؛ تقيلاً يودع ورق الرسائل أزاهيره، ويطلع في ليالي السطور زواهره،
ويتخفى أيدي الحروف إلى أن يصل إلى أجياد المتأخر جواهره .

وَيُنْهَى - بعد دعاء صالح ، إذا جُئِدَ تَجَمُّدٌ ، وولاءٌ ناجح ، إذا انعطف تأكد ، وشاء سانج ، إذا سرى لا يتوقف إلا أن تسيمة في الآفاق يتردد ، وأرياح لما يرد من أخبار دياره السارة إذا شافه سروره سمع الولي شهيد وسمع الحاسد تشهد ، حيث يتلقى ببلاده النجح والمقاصد ، وصلات البر والعوائد ، ووُفُود الآمال من كل أوب : فديار بكر ديار زيد وعمرو وخالد - وروود المشرف الكريم ، بل الغيث السائر ينجذب المقيم ، على يد فلان ونعم السيد المائلة لأيدي البر العيم ، ونعم المشرف الوارد عن مقر : هذا للأمل كهف وهذا للتأمل رقيم ، ففضه المملوك عن علامة أسم لحسنها وسوم ، ولها رسوم ، وأستجلى مواقع تلك الأنامل المضية وأقسم على فضلها بمواقع النجوم ، وأتهى إلى الإشارات العالیه ، وعلم ما كان القلب بعلمه من ضائر الود الحالية لا الخالية ، وقابل كل أمر حسن بما يجب من مذاهب الود المتواليه ، ووصلت السناقر النير مسنا فضلها ، الميبر في معارك الصيد شباً فصلها ، القائمة في كوايسر الطير مقام الملوك الأكاسرة إلا في حكمها وصلها ، لاجرم أنها إذا دخلت آفاق طير أفسستها وجعلت أعره أهلها أدله ، ولذا أفضت على سرب وخش جذبتها من دم الأوردة بأرسان حيث كستها من قوادم الأجمة أجله ، لا يسأل كاسرها في الطيور بأى ذنب قُلت ، ولا يجملها جانب الطير والوحش إذا عانته فيأعجبا لها على أيدي البشر كيف جملت ، تُظل الصيد فلا عجب أن يفرح بها من ظله ، وتكتب علائم الثمن والظفر بما في لونها من شبه الخط وشكله ، نعم الجالبة للخير والمآثر ، والسارة بما يُخيف المتصيدات وكيف لا ؟ وعلى رؤوسها الطير ، أزاير حُسن لا يدع أن يكون لها كآثم ، وبوارق العزم لاجرم أن أجنحتها نعام ، ونواقل البأس والكرم عن مرسلها فمهما جمعه الشجاعة فرقة المكارم . أستجلاها المملوك بعد ألفاظ المشرف الكريم فقال : (تلك الرياض وهذه السحب ،

وتلك الأنوار الهادية وهذه في أفق مظارها الشهب) ، وجهر المملوك المطالعة المحصرة
للأبواب الشريفة أعلاها الله وشرفها على يد فلان المذكور فقول بالإنكرام والكرم ،
ومثل بالمواقف الشريفة مثولا رقى بهمته إلى الكواكب لا بحر ، وذكر بصالح
بيت الارتقاء صالح بيت أرقى حتى أنشد :

فهل درى البيت أتى بعد فراقه * ما سررت من حريم إلا إلى حرم !

وقد عاد معلما من البشر بما يراه مولانا عليه ، معلما بما هتتم من نجوى الإنعام
بين يديه ، حاملا من كرم وجاه يمدان الأولياء في يوم نزل وللأعداء في يوم نزال ، قائلا
برياء سعيه المؤمن : (يا صالح قد كنت فينا مرحوا قبل هذا) ولن نزال ، والله تعالى
يُجزي كرم مولانا على عوائد إسماعده ، ويحرُس بعينه وملائكته نفاسة نفسه وبلاده ،
ويُدخله بأئمه ومُسماه لدى الدنيا والآخرة في الصالحين من عباده .

وله جواب بوصول بازين :

ولا زالت بزاة كرمه على الحمد مطله ، وسحائبه مستبلة ، وهممه مستقلة بأعباء
المكارم وإن كانت لكثير ما يديه مستقلة . هذه المفاوضة تُهدى إليه من السلام
أجله ، وتوضح لعلمه الكريم وُصول مكاتبته العالية فوقتنا عليها ، وعوذناها بكلمات
الثناء السامة من خلقها ومن بين ينها ، وعلما ما لم نزل نعلمه من موالاته وآلاته
المُسند في الشكر عنها والمُسند في الولاء إليها ، ووصل كلا البازين الحسين الحسينين
كانهما فرقا سماء قد آجتماعا ، وقرأ حُسن طلعا ، وعلى محاسن الصيد أطلعا ، يَسْران
القلوب والأبصار ، ويُحمل كل منهما على اليمين فيحصل به اليسار ، وما هما بأقل
إحسانه الأسنى ، وبره الأهنى ، وأيديه التي أبى الكرم إلا أن ترد مثنى مثنى . وعلم
اعتناده عن الكوهمية التي كانت أدنرها فتفتت ، ولو أقيمت بها أسواق الصيد

نَفَقَتْ ، وأرسل بروايتها تحقيقاً لَدَعْوَى المكارم التي من زمانٍ تحَقَّقَتْ ؛ والله تعالى
يَشْكُرُهُ ، ويملاذ بِذِكْرِهِ بحرَ الثناء وبرّه .

وله جوابٌ بوصول كَوَهِيتَيْنِ على يدِ شخصٍ أسَمَهُ بِأَشَق :

لَا زَالَتِ المحامدُ من مَصَائِدِ إنعامه ، وفوائدِ إِيامه ؛ ونعماتِ البأسِ والكرَمِ من
قُصْبِ سُيوفه وأَقلامه ؛ تَهْيِيلِ معترفٍ بِإحسانها ، معترفٍ من مَوَارِدِ آمِنَتَانِها ؛ متَحِفٍ
منها بِعَالِي مُخِفٍ تَدُلُّ على مَكَانِها في التَّفَضُّلِ وإمكَانِها .

وَيُنْهِى وَرُودَ مُشْرِفِ مولانا الكَرِيمِ على يدِ الولدِ « بِأَشَق » فيأله بِأَشَقُّ . جاء
بِكُوهِيَّتَيْنِ جَمِيتَيْنِ ، وطائرٍ لِلشَّرْمَةِ وهو حَامِلٌ مِثْنَيْنِ جَلِيتَيْنِ ؛ وقد وصلتا و [كُنَّا] هما
حَسْبَةُ الخُبْرِ والخُبْرِ ، حِمْدَةُ الْوَرْدِ والصَّدْرِ ، يَحْسُنُ مَسْرَى كُلِّ مِنْهُمَا وَسِيْرُهُ ؛ وَيَجْمَلُ هِمَا
بَابُ الشُّكْرِ خَانَاهُ ومَصْدَرُهَا وَيَكْثُرُ خَيْرُ الْمَطِيْعِ وَمِيزُهُ ، فَدَّ الْمَلُوكُ إِلَيْهَا يَدَ الْمُتَحَمِّلَةِ
الْحَسَامِلَةِ ، وَإِلَى الْمَشْرِفِ الْكَرِيمِ يَدَ الْمُتَوَلِّئَةِ الْمُتَنَازِلَةِ ؛ وعلم ما تَضَمَّنَتْهُ من الْحُسْنِ
وَالْإِحْسَانِ ، وَذِكْرِ المَوَالَاةِ التي يَحْكُمُ بِهَا الْقَلْبُ الْعَالِمُ قَبْلَ شَهَادَةِ اللِّسَانِ ؛ وَأَعْتِذَارِ
مَوْلَانَا عَنْ تَعَدُّرِ وَجُودِ الشَّاهِدِينَ ؛ وَكُلِّ إِحْسَانٍ مَوْلَانَا شَيْءٍ كَافٍ ، وَكُلِّ مَوَارِدِ
نِعْمَةٍ هِيَ صَافِي ؛ وَمَافَاتِ مَقْصِدٍ وَإِنْعَامِ مَوْلَانَا وَرَاءَ طَلَبِهِ وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ ، وَلَا فَرْقَ
مَطْلُوبٍ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ سَعْدُ مَوْلَانَا مَقْرُونًا فِي صَفْدِهِ ؛ والله تعالى يَشْكُرُ عَوَائِدَ فَضْلِهِ ،
وَلَا يَضْحِكُ الْآمَالِ الْمُتَجَنِّةِ [إِلَيْهِ] مِنْ ظِلِّهِ .

جواب بوصول طيور، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَشَكَرَ هَدَايَاهُ الْمُتَقَبِّلَةَ ، وَتَجَايَاهُ التي هي بِأَفْوَاهِ المحامدِ مُقْبِلَةَ ، وَلَا زَالِ بَدْرٍ سَعَادَتِهِ
الْمَأْمُولَةِ وَطَائِرِ هِدْيَتِهِ الْمُتَأَمَّلَةِ .

صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالى تُهْدَى إليه من السلام أتمه، ومن الشاء أتمه؛ وتوضَّح لعلمه الكريم وُرودَ مكاتِبته الكريمه، ومكارمه العيميه؛ وطُيورِ هديته التى كُلُّ منها فى الحُسْنِ بدرتِمْ، وظهرتْ ظُهورَ البدرِ لِتَمامه فأبَتْ محاسنها أَنْ تُنكُتِمْ، الحُسْنُ وَرُودُها، وَرُعى بِفضلِ التلطُّفِ والتَّوَدُّدِ مقصودُها؛ وأقبلتْ تلكَ الطُيورُ التَّمتيةُ تامةُ الإنعام، دالَّةٌ يُبَيِّنُ طائرُها على بركة عامَّة وكيف لا؟ وقد جاءت بيضاءً عندَ شهورِ العام؛ وألَّهُ تعالى يزيده من فضله، ويُجْرِى الأقدارَ بالسُّعودِ الشاملة لجمعه بالجامعة لِشَمْلِهِ؛ إن شاء الله تعالى .

جواب فى المعنى، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتة أيضا :

لزالَتِ الجَوارِحُ شاهدةً بِره، والجَوائِجُ حائمةُ الجَناحِ على شَرِيفِ ذِكْرِهِ، والمحامدُ من مَصابِدِ أَقلامِهِ وِرماحِهِ فى السَّلمِ والحَرْبِ : فإِما بِقَوادِمِ مُمَرِّهِ ، وإِما بِمَناسِرِ مُمَرِّهِ ؛ تَقْيِيلًا يَبْعَثُهُ على أَجَنَّةِ أَوراقِ الرِّسائلِ ، وَتَبصِيْدُ بِهِ على البُعْدِ مِشافَهَةً تلكَ الأَناملِ الجَلالِ .

وَيُنهى بِعدِ دُعاءٍ، مُخَلِّقًا إلى السَّماءِ كَلِماتُهُ الحَسَنَةَ ، وَوَلَّاهُ وَشَاءَ : هذا تَحْفِيقُ بِشَوْقِهِ أَجَنَّةُ القُلُوبِ، وهذا تَحْفِيقُ بِذِكْرِهِ أَجَنَّةُ الأَلْسِنَةِ - أَنَّ كَلابَ مولانا وَرَدَ على المملوكِ فأورَدَ طَليه المَسارَ؛ و[مَلَأَ] يَدَهُ بالمِبارِ، ومِصابِدُهُ بالمِيزِ، وَمَنازِلُهُ بِالخَيْرِ، وآمالُهُ بِأَمالى الكَرَمِ لَدَى السُّرُحاتِ المُنشَرَجِ بِأَيَةٍ (وَعَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ) فَقابِلَهُ المملوكُ بِتَقْيِيلِهِ؛ وَواصلَ فَضْلَ الإِعْتِدادِ بِتَفْضِيلِهِ ، وَحصلَ مِنْ هَذا بِأَياها وَهَذاها على جَملةِ الإِحسانِ وَتَفْصِيلِهِ؛ وَاتَّهى إلى الإِشاراتِ العالِيَةِ التى زَكَّتْ على العِيانِ وَتَأَمَّلَهُ وَأَرَبَّتْ على الجَنانِ وَتَأَمَّلَهُ .

فَأَمَّا الْإِنْسَامُ بِالْكُوهَيْنِ اللَّتَيْنِ مَاقَلَفَ الْبَحْرِ إِلَى السَّاحِلِ أَهْبَى مِنْ دُرِّهِمَا
الْمَكُونَةِ ، وَأَزْهَرَ مِنْ وَجْهِهِمَا الْمُبَارَكَةِ الْمَيُونَةِ ، فَقَدْ وَصَلَ كِلَا الطَّائِرَيْنِ يَمْنَةً ،
وَالسَّابِقَيْنِ بَمَنَّةٍ ، وَالنَّائِسَيْنِ فِي جَوْ السَّمَاءِ الْآتَيْنِ مِنَ الصُّيُودِ بِأَوْفَى مِنْ قَطَرَاتِ مَوْنِهِ ،
وَأَسْتَقْبَلَ الْمَمْلُوكُ مِنْهُمَا وَجْهَهُ الْمَسَارَ ، وَحَمَلَتْ يَمْنَتُهُ الثَّرْوَةَ وَحَمَلَتْ حُلَى الْيَسَارِ ؛
وَتَنَاولَتْ يَدَهُ يَدَى إِحْسَانٍ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ وَالسَّامِعِينَ ؛ وَاسْتُخْلِجَ لِلشُّكْرِ خَافَهُ وَلِحِفْظِ
مِطْبَخِ بِلَادِ عِيُونَ الْمُشْبَعِينَ وَالْجَائِعِينَ ؛ وَقَالَ صَنُغُ أَفْهَ لِمَصْنَعَتِهِمَا : ائْتِيَا بِصُيُودِ السَّمَاءِ
طَوْعًا أَوْ كَرْهًا (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) . قَدْ كَتَبَتْ بِالْيَمْنِ فِي مِطْأَوَى رِيشِهَا أَشْيَاءَ الْخُرُوفِ ؛
وَقَطَعَتْ الْجُودُ لِنَلِكِ الْأَحْرَفِ أَنْ تَقْرَى مَا تَهْتَرَى عَوَاصِي الطَّيْرِ لَهُ بِطَاقَةِ تَقْيِيدِ السَّابِجِ
فِي طَلْقِهِ ، وَيَعُودُ مُطْلَقُهَا وَقَدْ أَلْزَمَ نَجَاحَ الطَّيْرِ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانَ
مَوْلَانَا الَّذِي أَلْخَفَ الْأَمَلَ جَنَاحَهُ ، وَالْقَصْدَ نَجَاحَهُ ؛ وَرَبَّهُ الَّذِي أَحْمَدُ فِي سِوَانِ
الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهِ مَسَاءً وَصَبَاحَهُ ؛ وَعَلِمَ مَا أَشَارَ مَوْلَانَا إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ وَأَمْرُهُ هَلُمَّ
اللَّهُ تَعَالَى فِي الْخَاطِطِ حَاضِرٌ ، وَمَا يُؤْتِرُ شُغْلَهُ عَنْ إِهْمَالِ وَطَائِبِ الْإِهْمَالِ غَايِرٌ ؛
وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ فُلَانٍ أَمِيرِ شِكَاكِهِ وَأَمِيرِ شُكْرِهِ الْمَمْلُوكِ ، وَتَقَدَّمَ بِخَلَّاصِ حَقِّهِ ،
وَأَسْتَنْزَلَ بِهَدْيِهِ قَضَاءَ الشُّغْلِ مِنْ أَفْقِهِ ؛ لِأَبْرِحَ مَوْلَانَا مِمَّا تَلَّ الْأَوَامِرَ ، هَامِي مُجِبِّ
الرِّهْأَمَوَامِرَ ، مَجْنِدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ تُعْنَى ، مَالِكًا بِهَدَايَاهِ قُلُوبَ حَمِيَّةٍ وَبُيُوتَهُمْ نَجْمًا وَلَجَاءَ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله جواب في وصول طيور العَقَقِ :

لَا زَالَتْ مُتَّصِلَةً مِنْ إِرْفَاقِهَا وَإِرْفَاقِهَا ، نَازِلَةً عَلَى حُكْمِهَا [الْأَشْيَاءُ] حَتَّى
الطَّيْرِ الْعَاقَةِ مِنْ آفَاقِهَا ؛ خَافَقَةً أَعْلَامُ نَصَرَهَا بِالْأَجْنَحَةِ مُؤَمَّنَةً لِنُظُونِ الْقَاصِدِينَ مِنْ

إخفايها ، تهيّل مُطليق لسانَ الحِمدِ على عوائِدِ إطلاقِها ، تُجَنِّي ثمرات الإحسان من غُصُون أَقلامِها وغُصُون أوراقِها .

ويُنهي وَرُودَ مشرّف مولانا العالی علیٰ يَدِ الولدِ فلانٍ فوقَ الملوكِ عليه ، وعلم من جميل الاحتفالِ ما أشار إليه ، وأنه موقَّع على المقصود من طُيور العقيق فأوقعها من مطارِها ، وأستزَلَّها من أوكار أَقفاها وأُفقى أوكارِها ، وأرسلها قِرِينَ مشرّفه الكريم ، وقد حُقَّ الأمل بعقدِها النّظيم ؛ ووصلت سبعة كمدد أيام الجمعة الكاملة ، والكواكِبِ المائلة ؛ والسَّمُواتِ لاجرم أن تُحَبَّ يَمْنِها هامله ، حسنة الشّكل الموصوف والوصف وإن كان مع عُقُوبه المألوف ، طائفة لأوامر توقيعه فاعقَّ منها شيءٌ غير تَضَعف آسِمِها المعروف ، لابرَحِ إحسانِ مولانا متنتونا ، وبرّه الجزيل متبرّعا ، وغُصْنُ قلبه بأنواع المكارم متفرّعا .

وله جواب بوصولِ تِماتٍ ، وإودِ صِفَى ، وطلبِ إمرةِ عشرة :

حمى الله تلك النّعمة من الفير ، وأطلّعها عليه بأيمن الفُرّ ، ولا بِرح طائرَ مَنْه كوصفه أبيض الخُبرِ والخُبر . هذه المفاوضةُ إلى الجَنابِ الكريم تُهْدِي إليه سلامًا يَشوق الصّباح ، وثاءَ خُفّاقِ الجَنّاح ؛ وتَوْصِّعُ لعلّه الكريم وَرُودَ مكاتِبته الكريمة جميلة القوائد ، جليّة المصايد ، تَمِيّة البُثورِ المتناولة من متال القراقِد ، فوقفتنا بالأشواق عليها ، وعطفنا على العادة بتأكيدِ الوَلاءِ إليها ؛ ووصلت تلك التّماتُ واضحة الأنوار ، لائحة كيباض النّوار ، تامّة تمام ميقاتِ مُوسى عليه السلام إلا أنّها لياضيها كأربعين نهار ؛ وكذلك البَطّ الصّيفي كأيام الحجّ عشرة كاملة ، مفرّضا على عَشْرَتها ولأء القلوب المتألمة الآلمه ، صِيبِيَّةٌ مملوءةٌ بحاسن الألوان التي هي بغيرِ مثلِ مائله ؛ وحصل الاعتدَادُ بِره ، زالَ زَدياد لحمده وشُكره ، وفهمنا ما ذكره من إمرةِ العشرة التي آنحطت

عن فلان، وقد طالعنا بأمرها، وعجلنا بذكرها، وزجرو أن يسجل بأمانتها المستظرة، وأن يقابل بمخاوف أعلامها خوافق بطله فقابل عشرة بعشرة، والله تعالى يسجل لمآليه الصعود، ويؤكد لتساعيه السُّعود؛ إن شاء الله تعالى.

الأجوبة عن وصول الصيود ولحومها

جواب عن نائب الشام إلى نائب حلب بوصول [لحم] طير صيد قديد وصحبة يطبخ أخضر، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة . وهو بعد الألقاب :

لأزالت تقتصص المحامد بعباياه المكره، وأوايد الصيد برماياه المقترة، ورقاب الإنس والوحش : إماما بسهام نعمة المتواترة، وإماما بسهام قسيه المؤثرة؛ ولا يرحل نفعات مكارمه، تشهد أن المسك بعض دم الغزال، وسرحات عزائم، تمتد في صيد الوحش لقرى نزيل أو في صيد الأعداء لتقرير نزال؛ ثقيلًا تنعطف أجياد الأطباء لمحاولة عقوده، وتردح أنواه الأولياء على مشافهة وروده .

وينهى بعد ولآء تقوم الخواطر الكريمة في دعواه مقام شهوده، وشوق لا تزال السمات الشمالية قاضية باستمرار وفوده - أتك مشرف مولانا الكريم ورد على المملوك على يد فلان وصحبته الإنعام المتجدد، وإن كان قديما في المعنى، والهم القديد، وإن كان أطرى من الروض النضير حسنا، والسمين المحبوب وإن كان كحال عداه الذين تقلد جسامهم في الحياة قبل الممات حزنا، فقابل المملوك المشرف الكريم، بتقيل أحرفه، والإنعام العيم، بقبول مسعده ومُسعفه؛ وطافهما يموائح آماله، وأخذ الكتاب والبركا يقال يمينه وشماله، فيالها من طباء تمسق وإن بليت محاسنها، وغزلان تفازل وإن بادت عيونها إلا أنه ما باد حب من يعاينها، وصيود توصف وإن قصدها قصد السهام بطلن، ويتق قرونها القتال والقسي نالها :

(كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) . سَلَكْتَ خِيُولَ مَوْلَانَا لَقَنْصَهَا الْمَصَابِعَ
وَأَتَحْنَهَا إِلَّا كَلُونُ سَهْلًا ، وَتَصَيِّدُهَا مِنَ الْفَلَاةِ وَأَصْطَادُهَا الْقَاعُدُونَ مِنَ الْمِقْلَى ؛
ووصل معه الطَّيْخُ الْأَخْضَرُ فَشَبَّهَ بِثَارِ الْجَنَّةِ الْمَشْبُوهُونَ ؛ وَقِيلَ : هَكَذَا تَرْيَبُ مَا كَلَى
الْجَنَّةُ لَمْ فِيهَا فَاكُهُ وَلَمْ طَيْرٌ يَمَاسْتَهُونَ ؛ لَا زَالَتْ مِنْ مَوْلَانَا مَشْرُوحَةٌ
مَشْرُوعَةٌ ، وَثَمَرَاتُ نِعَمِهِ مِنَ الدُّنْيَا كَثُرَتْ أَهْلُ الْجَنَّةِ غَيْرَ مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ؛
بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

أَجْوِبَةُ هَذَا يَا الْفَوَاكِهِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

جوابٌ وُصُولِ مَشْمِشِ لَوْلُؤِيٍّ وَدَغْمِشِيٍّ مِنْ حِمَاةٍ .

بَسَطَ اللَّهُ ظِلَّهَا وَنَدَّاهَا ، وَأَطْلَعَ بِأَيْمَنِ نُجُومَ هَدْيِهَا وَهَدَّاهَا ؛ وَلَا زَالَتْ مُوَاهِبُ
بَحْرِهَا لَوْلُؤِيَّةً ، وَشَوَاهِدُ يَمِينِهَا كَوَكِيَّةً ، وَثَمَرَاتُ جُودِهَا فَضِيَّةَ الْأَعْيَانِ ذَهَبِيَّةً ، تَقْيِيلًا
حَلَّتْ مَوَاقِعُهُ ، وَجَلَّتْ مَطَالَعُهُ .

وَيَنْهَى بَعْدَ وِلَايَةٍ وَحِيدَةٍ : هَذَا قَدْ ثَبَّتَتْ فِي الْقَلْبِ شَرِيعَتُهُ وَهَذَا قَدْ عُدَّتْ
فِي السَّمْعِ مِشَارَعُهُ ، أَنَّ مَشْرِفَةَ مَوْلَانَا الْكَرِيمَةَ وَرَدَّتْ عَلَى الْمُلُوكِ تَتَضَمَّنُ الْحُسْنَ
وَالْإِحْسَانَ ، وَيَمِينُ الْبِرِّ الشَّامِلُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ؛ وَعَهْدُ الْحُبِّ الَّتِي حَكَمَتْ فِيهِ بِعَامِلِهَا
الْقُلُوبُ فَمَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ لِإِسَانٍ ؛ فَقَابِلُهَا الْمُلُوكُ مَقْبَلًا ، وَأَسْتَجْلِي وَجْهَ الْوَدِّ وَالْإِحْسَانِ
مُقْبَلًا ؛ وَوَصَلَ الْمَشْمِشُ الَّذِي شَفَى لَوْلُؤِيَّةً نَظَرَ النَّاطِرِينَ ، وَنَوْعُهُ الْآخِرُ الدَّغْمِشِيَّ
الَّذِي هُوَ الشَّهْدُ بِحَسَنِهِ وَلَا يَدَغْمِشُ بِاسْمِهِ عَلَى الْحَاضِرِينَ ، فَتَبَاوَلَ الْمُلُوكُ عَوَارِفَ
رِيَّةٍ الْمَعْرُوفِ وَالْمُبْتَكِرِ ، وَاسْتَضَاءَ نُجُومُهُ الْمَتَرَدِّدَةَ مُنْشِدًا قَوْلَ الْمَعْرِي : (كَمْ دُرُنْ ،
وَكَمْ يُرُنْ هَذِهِ الْأَكْرُ) ، وَقَالَ : شَكَرَ اللَّهُ هَذِهِ الْمَنِّ الْحُلُوةَ الثَّمَرَاتِ ، الْمُتَّصِلَةَ

الخطرات ؛ وهذه البحاني التي طابت أصولها وفروعها فلا أبعدن الله من شجرات ،
وحيا حماة وما جلبت ، وجنبت ذلك الوادي وما أنجبت ؛ وحدائق ذلك العاصي
الذي أطاع ببركة مولانا فأثبت أحلى وأحل ما نبت ؛ وقد جهز المملوك هذه الخدمة
منطوية على وظائف الحيد المستجابه ، ولطائف الحب المستفاده ؛ ومحمد المنى التي
لا تزال من مولانا حادة ومن المحبين شهاده . لا يرحى يد مولانا الكريمة إن بسطت
فيوائد إنعامها ، وإن قبضت فعل سيوفها لمصالح القول وأقلامها ، وإن زهت
فروع المكارم ، تساقطت ثمرات برها من زهرات أكلامها .

جواب بوصول مشيش ويطبخ حلي ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباته .

ويبقى بعد ولاء وشاء : لهذا في الإجماع أزهى وأزهر ثمره ، ولهذا في القلوب
أزنى وأرفع تجرد وروء المشرف الكريم على يد فلان بما ملأ السمع من أخبار
مولانا المرتبة سرورا ، والعين من آثار يده الكريمة نورا ، والفم من هدايا المشيش
الحموي كئوس لثة كان مزاجها كأفورا ؛ فقبل المملوك أسطره مستحيا مواقع
رشفاته ، وقابله بعوائد المحامد مستجليا عوائد آفتاداته وصلاته ؛ ومد يده وفكره
فالتقط النجوم المشرقة من هداياه وكلماته ، وتهدل جواهر المبرات الحسنة المحسنة ،
والثمرات التي جاءت بدرية القدوم وإن كانت نجومية الهيئات المكونة ؛ واستصوب
نتائج الغيث فقال : لعل هذه بنادق قوس المماء الملوثة ، وصفا وطاب ظاهرها
وقلبها وكذا تكون صفات ذوي القلوب المؤمنة ؛ والمؤمن حلوى لاجرم ، والحموي
على تحميمه الخراساني أولى بفصاحة الفنار والكرم ؛ لا زالت فلات من مولانا
مستجاده ، ونعمه لاسيما المشيشية مستراة ؛ وآفتاداته المشهورة لدى ممالكه

وَحْيِيهِ مِنْهُ عَادَةٌ وَمِنْهُمْ نَهَادُهُ؛ وَجَاءَتْ فَاهُكُهُ الْبَطِيخُ الْحَلِيٌّ وَقَدْ رَضَعَ حَلَبَ النَّهَامِ
فَأَنْجَبَ، وَأَسْتَوَى بَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ فِي الْحُسْنِ فَأَنْجَبَ مِنْ حِينَ أَعْشَبَ؛ وَأَسْتَطَابَ
الذَّوْقُ وَالشَّمُّ مَطْعَمُهُ وَأَنْفَاسُهُ، وَوُصِفَ بِالرُّعُوسِ فَضَمَّهُ كُلُّ مَتَلَقٍّ وَقَبْلَ رَأْسِهِ؛
وَقَالَ: نِعَمَ الْهَدِيَّةِ السَّرِيَّةِ، وَالْفَاكِهَةِ الَّتِي طَلَعَتْ حُرْزًا [ها] هَلَالِيَّةً وَثَمَرَتَا بَدْرِيَّةٍ.

جوابٌ عن وصولِ بَطِيخِ حَلِيٍّ، من إنشائه أيضاً، [وهو] بعد الانقلاب :

وَشَكَرَ تَجَاوِيهِ الَّتِي عَلَتْ، وَهَدَايَاهُ الَّتِي تَكَرَّرَتْ خَلَّتْ، وَأَقْنَادَاتِهِ الَّتِي طَابَ ظَاهِرُهَا
وَبَاطِنُهَا فَكَأَنَهَا مِنْ أَخْلَاقِهِ الْجَمِيلَةِ تَهَلَّتْ؛ أَصْدَرْنَاهَا تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا يَتَقَدَّمُ
كَهْدِيَّتِهِ نَسِيمُهُ الْعَاطِرُ، وَثَنَاءٌ يَنْتِجُ أَطْيَابَ الثَّمَرِ مَقْدَمَاتُ غَيْثِهِ الْمَاطِرُ، وَتَوْصُّعٌ لَعْلِهِ
الْكَرِيمِ أَنَّ مَكَاتِبَهُ الْكَرِيمَةَ وَرَدَتْ خَسَنَتْ بِالْوُدِّ مَشَافَهَتَهَا، وَأَقْرَبَتْ فِي الْأَسْمَاعِ فَاهُكَهَا
وَمُقَاكَمَتَهَا، وَوَصَلَ الْبَطِيخُ فَتَه دُرِّ حَلَبِهِ وَدُرِّ جَلَبِهِ، لَقَدْ حَسُنَتْ فِي مَلَادِّ الْمَطَامِ
طَرِيقَتُهُ الْمَرْضِيَّةِ، وَلَقَدْ أَشْبَهَ الْقَنَادِيلَ بِتَكْوِينِهِ وَفَتِيلَةَ عِرْقِهِ فَلَا جَرَمَ أَنَّ قَنَادِيلَهُ
عِنْدَ الشُّكْرِ مُضِيَّةٌ، وَلَقَدْ مَلَأَ خَبْرَهُ وَخُبْرَهُ مِثْنَ الْبَصَرِ وَأَذَّنَ الْمُصْبِغَ، وَلَقَدْ خُلِقَ دَوَاءً
لِلْأَجْسَامِ حَتَّى صَحَّ قَوْلُ الْحَلِيِّينَ لِلْأَرْمِدِ: دَوَاؤُكَ الْبَطِيخُ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ إِحْسَانِ الْجَنَابِ
الْعَالِي، وَرَّهَ الْمُتَوَالِي؛ وَعَلَى الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ وَمَنْ عِنْدَهُمَا سَلَامُ الْمَحَبِّ الْمُتَغَالِي، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَحْفَظُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا وَهَبَ، وَيَرْزُقُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَرْزُقُ الظَّنَّ فِيهِمْ
مَا حِسِبَ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وله أيضاً جواب بوصولِ بَطِيخِ حَلِيٍّ، وهو بعد الانقلاب :

وَشَكَرَ إِحْسَانَهُ الَّذِي حَلَا مَذَاقَهُ، وَزَكَّتْ أَعْرَاقَهُ، وَحَيَّا عَلَى الْبُعْدِ تَحِيَّةَ طَبِئَةٍ
نَفَعَتْ بِهَا أَزْهَارُ الْكَلَابِ وَأَثْمَرَتْ أَوْراقُهُ؛ هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا طَبِئًا
كَهْدِيَّتِهِ، وَثَنَاءً زَائِكًا كَطَوِئَتِهِ، وَتَوْصُّعٌ لَعْلِهِ الْكَرِيمِ وَرُودَ مَكَاتِبِهِ الْجَامِعَةِ حَسَنَ

الأقوال والأفعال، المطلعة بوارِدِ غَمَامِهَا أطيَبَ الثمرِى الحال؛ فأحيَتْ ولَاءَ حاشى
لوجوده من العدم، وجَدَّدت عهد البشر - وما بالهد من قدم - ووصل البطيخ
الحلبي أصله، الحموى فصله، النمشي ضمّه وشمه وأكله، الصلي لا سيمًا من الأهلّة
الجمجمة شكله؛ فكُرمَ مطلقًا، وحسُنَ من الأقواءِ موقعا؛ وعمَ الحاضرين نوالًا،
وأشتملهم بمطف الإحسان أشتمالًا، وأخذ للعلم السكين :

فقطع بالبرق شمس الضحى * وناول كُـلَّ هلال هلالا

لابلّ أهلة كثر تعدّادها، وكرّر تردّادها، ورصد قُرْبها ولا تقول كما يقول أصحاب
الهيئة أبعادها؛ فشكر الله إحسانَ الجَنابِ العالى حاضِرًا وظائبًا، وبرّه الذى يُطْلِع
كلّ وقت من هداياه وتُكتبه أهلة وكواكبًا، ومرباه الذى قل عن ملوك كانت
منازلهم لعماد رَوْضا وكانت أيديهم للكرم محائبًا؛ إن شاء الله تعالى .

وله جواب بوصول قصب سكر وأترج وُقْفاً :

لازالت أوصاف شيمها، تُطرب كما يُطرب القصب، والطف كرمها، مما ينفدى
الجسد وينعش الروح ويشفي الوصب، وأصناف نعيمها من الخلو إلى الحامض
مما يُعدي الأيدي المتناولة فهي على الأعداء تنصب؛ تقيّل محبّ حلت له المنن
فتناولها، ومواقع اللثم فجاج إليها وعاجلها .

ويُنهى ورود مشرف مولانا الكريم، على يد فلان يتضمّن الحسن والإحسان،
والبرّ المأثور بكلّ فم المشكور بكلّ لسان، فقابلهُ المملوك بما يجب من الخدمة لمثله،
ولاقاه بوائد تحمّد عوائد فضله، ووصل قريته الإنعام الذى تنوع فنونا وأفاننا،
وملا فم الشراب خاناه سكرًا ويد المطبخ إحسانًا؛ وذكر نبأه الطرابشى عهود الديار
المصريه، وأوقات الأُنس بخدمة مولانا السيّد؛ سقى لها من أوقات وعهود، وشكرًا

لجود مولانا الذى هو فى كلِّ وادٍ موجود ؛ ولتديره الشمسيُّ الذى احيا الله به على
عباده عناصرَ هذا الوجود، ولا يريحت مكارمه متنوّعه، ونعم اياديه متفرّعة : فمنها
ماحلاً فرعه فاصبح لكلِّ حُلُو أصلاً ؛ ومنها ما طاب ريحه وطعمه فكان للؤمن
مثلاً ؛ ومنها ما لذّ طعامه الشهيُّ فما هو مما يُجبر وإن كان كما يُقلى .

وله جواب بوصول باكورة خيار ومُلُوخية :

لا زالت تشرح بمكارمها الصُّلور، وتفتح بركاتِ الأعوام والشمور؛ وتفتح من
لطايف منها كلَّ جماعة السرور، وتفتح فى هداياها المستقبّة الى الأولياء خيار
الأمور ؛ فتيسلَّ حُبَّ لا تُغَيِّر ولاه الشهور، ماشٍ من طريق المصافاة والمصافاة
فى نُورٍ على نُور .

ويُثيى وُرد مشرقة مولانا على يد فلان تتضمن المعهود من ولّائه وآلائه ؛
والمشهود المشهود من إحسان نداءه قبل نداءه ؛ فقابلها المملوكُ مقابلة الشيق الى قرب
الديار، المُنمى فى المحبة قلبه تلواه قبل شرط الخيار، ووصلت لطائف هديته
الخضرة النضرة، وطرائف الفضل الباكورة كعاني اللفظ المبكّره ؛ فتتميز المملوكُ
الفاكهة قبل أوانها الديدع، ورصد من أفلاك العلب فى ذى الحجة غرة ربيع ؛
وتفأمل بالهدية الجمعة الأحباب فى أن يعود الشمل وهو جميع ؛ وقد عاد فلان حاملاً
من رسائل الشوق والشكر ما يؤدّيه بين أيدي مولانا الكريمه، ويحمدُ بذكره جهود
الأنس القديمه ؛ لا يرجح مولانا سابق الكرم، محضّر المراجع بيض النعم .

قلت : وكتبت جواباً لبعض الأصحاب وقد أهدى لي سمكاً :

أهدى لنا سمكاً قد طاب مطعمه * أكرم به سمكاً لم يسكن البركا !
لا شك أنّ له بالبحر شاكلة * والبحر عابده أن يهدى السمكاً !

الضرب الثاني

(من كُتِبَ التهادى الاستهداء)

وأعلم أن كل ما يُكْتَب مع إهدائه قد يُكْتَب مع استهدائه، إلا أن الغالب مما جرت به عادة الكُتُب في الاستهداء طلب الأشياء المستغرفة الخفيفة المنّة دون ما يعظم خطره، اللهم إلا أن يكون الاستهداء من الملوك ونحوهم فيطلب فيه ما جلّ وعظم.

والذى جرت عادة الكُتُب بالكتابة في استهدائه على أصناف :

الصنف الأول — آلات الكتابة : من الأَدْوِيَّة^(١) والمداد والأقلام :

مما تقدم ذكره في الإهداء .

أبو الفرج البيهقي في استهداء دواة :

أَفْسُ الذَّخَائِرِ وَأَشْرَفُ الْأَمَالِ مَا كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِلصَّنَاعَةِ وَالْحُظْوَةِ سَبَبًا ؛
وَبِالدَّوِيِّ تَجَنُّى ثَمَرُ الصَّنَاعَةِ ، وَيَحْتَلِبُ دُرُ الْكِتَابَةِ ، وَقَدْ أَوْحَشَ الْمُلُوكُ النَّهْرُ مِمَّا
كَتَبْتُ أَقْلِيهِ مِنْ تَفَاسِهَا ، وَضَائِقِهِ فِي وُجُودِ الرِّضَى عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْهَا ، فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا
أَنْ يُمِيطَ بَعْضَ مَا يَسْتَخْدِمُهُ مِنْ حَالِيهَا أَوْ عَاطِلَهَا سِمَةً عَطَلَةَ الْمُلُوكَ ، وَيَسْمَحَ بِإِهْدَائِهَا
لِأَهْلِ تَصْرِيفِهِ وَيَقَابِلَ بِالشُّجْعِ وَالْقَبْلِ رَغْبَتَهُ ، فَعَلَّ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في استهداء مداد :

التَّسَانُفُ — أَيْدِكَ اللَّهُ — فِي أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ وَآلَاتِ الصَّنَاعَةِ بِحَسَبِ التَّفَاسُخِ
فِي ظُهُورِ النِّعْمَةِ ، وَالتَّخْيِيرِ لِيَانِ الْإِمْكَانِ وَالْقُدْرَةِ ، وَإِلَّا فَسَارُّ الدَّوِيِّ — سَوَاءٌ فِيمَا تُصْدِرُهُ

(١) لعل الصواب من الدوى انظر القاموس .

الأقلام عنها ، وتسميه بطون الكتب منها ؛ وأولى آياتها بأن تتوفر العناية عليه ، وينصرف التغيير بالضرورة إليه ؛ المداد الذي هو ينبوع الآداب ، وعائد الكُتب ، ومادة الأفهام ، وشرب الأقلام ؛ فجعلها الله بواجب القضيّة والحكم ، في سبب وصفه من الحمد والذم ؛ ومازلت لنفاس الأخلاق موطننا ، ولنجع الإخوان في المحل معدنا ؛ ولا مئيل بي عن استماحة خرائيك عمرها الله الممكن من جيده ، فإن رأيت أن تستنقذ دوائى من تحول العطلا ، وتزده قلبي عن ظلم الغلة ، وتكشف عنها سمة النقصان وانحلّه ، فعلت ؛ إن شاء الله تعالى .

على بن خلف ، فى مثله :

أولى ما أنيسط فى استبدائه ، وتسمع [نفسى] فى استماحتيه واستجدائه ، ما كان ناقما لغلة الأقلام ، مقبدا لشوارد الأفهام ، محبرا لبرود البيان ، حاليبا فى معارض الحسنى والإحسان ، وكتبت هذه الشكوى أطال الله بقاء سيدي ؛

الصنف الثانى - الشراب .

فى استبداء مشروب .

أبو الفرج البغاء :

أنا - أيد الله سيدي - ومن ساعني الدهر بزيارته من إخواني وأوليائه ، عضدا لله جمعنا ببقائه ، وقوف بحيث يقف بنا اختياره : من القبول والآنسباط ، ويرتضيه لنا إيثاره : من الهم والسرور ، لأن الأمر فى ذلك مما يؤلينا من المساعدة بالممكن من المشروب إليه ، والاعتاد دون كل أحد فى اجتماع شمل المسرة لنا به عليه ، فإن رأى أن يكلفني إلى أولى الظنين به وأحقهما بمأثور قوتّه ، فعل .

وله في مثله :

أَلَطَفَ الْمَنِّ مَوْضِعًا ، وَأَجَلَّهَا مِنَ الْأَنْفُسِ مَوْقِعًا ، مَا عَمَّرَ أَوْطَانِ الْمَسْرَةِ ، وَطَرَدَ
عَوَارِضَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ ؛ وَجَمَعَ تَمَثُّلَ الْمَوَدَّةِ وَالْأَلْفَةِ ، وَأَدَّى إِلَى اجْتِنَاءِ ثَمَرَةِ اللَّذَّةِ ؛
وَبَذَخَاتِرِكَ مِنَ الْمَشْرُوبِ مَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ [مَا] يَسْتَرْقُ حُرَّ الشُّكْرِ ، وَيُحْزِرُ قَصَبَ
السَّبْقِ إِلَى الثَّنَاءِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجِدَ بِالْمَكِينِ مِنْهُ مَرْوَعِي ، عَلَى قَضَاءِ
حَقٍّ مِنْ أَجِبَ الْمَنَّةِ عَلَى بَرِيَارِي ؛ فَعَلْتَ .

وله في مثله :

مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ نَسَبًا ، وَلِلْعَلَّةِ قُوَّةَ قُطْبًا ، لَمْ تَفْزَعْ الْقُلُوبُ مِنَ الْهَمِّ إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَلَمْ تَعُولِ الْأَنْفُسُ فِي اسْتِخَاةِ الْمَسَارِ إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ طَرَّقِي مِنْ إِخْوَانِي مَنْ كَانَ
الدَّهْرُ يَمَاطِلُنِي بِزِيَارَتِهِ ، وَيَنْفَسُ عَلَيَّ بِقُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ ؛ فَصَادَفَنِي مِنَ الْمَشْرُوبِ
مُعِيرًا ، وَوَجَدْتُ الْإِنْسَاطَ فِي آتِمَاسِهِ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى مَتَعَدَّرًا ، وَإِلَى تَفَضُّلِكَ
تَفَزَّعَ مَرْوَعِي فِي الْإِسْعَافِ مِنْهُ بِمَا يَلُمُّ شَعَتِ الْأَلْفَةِ ، وَيَجْمَعُ تَمَثُّلَ الْمَسْرَةِ ؛ وَيَجْعَلُنَا
لَكَ فِي رِيقِ الْاِحْتِنَادِ بِالْمِنَّةِ ، وَيَقْضِي عَنِّي بِتَفَضُّلِكَ حَقُوقَ الْمَوَدَّةِ .

على بن خلف :

قَدْ آتَيْتُمْ لَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيْدِي مَجْلَسٍ وَاقِفٍ بَيْنَ النَّشَاطِ وَالْقُتُورِ ، وَالْكَاتِبَةِ
وَالشُّرُورِ ؛ لِقُرُوبِ نُجُومِ الْخَمْرِ عَنْ مَمَاتِهِ ، وَعَظَلِهِ مِنْ حُلِيِّ نُورِهِ وَلَا لَانِهِ ؛ وَقَدْ عَوَّلْنَا
فِي إِطْلَاقِهِ إِلَى إِحْدَى الْجَهْتَيْنِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَا زِمَامَهُ بِيَدَيْهِ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يَرْوِجَ أَنْكَارَنَا
بَشْيْءَ مِنْ رَاحَةِ الْمُنَاسِبَةِ عَبْقًا وَحَقًّا لِأَخْلَاقِهِ وَأَعْرَاقِهِ ؛ فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) في "القاموس" مادة ن ف س «وقس به كفرج ضن وعليه بخير حمد» .

وله في مثله :

أَفْضَلُ مَا أَهْدَى سَيِّدِي مَا أَهْدَى السُّرُورَ إِلَى أَحِبَّتِهِ ، وَنَظَّمَ شَمْلَ الْمُتَحَقِّقِينَ بِخِصْمَتِهِ ؛
وَحَسَمَ عَنْهُمْ هَوَاجِسَ الْفِكْرِ ، وَأَعْدَاهُمْ عَلَى النَّحْرِ ؛ وَقَدْ جَمَعَنَا مَجْلَسٌ وَهَبْنَاهُ لِلنَّشَاءِ
عَلَيْهِ ، وَزُقْتُ عِرَائِسُ الْخَمْرِ إِلَيْهِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ إِيَّاهُ بِمَا يُكَمِّلُ نَشَاطَنَا ، وَيَتِمُّ
أَنْبِسَاطَنَا ، فَلْيَعْرِ هُمُومَنَا بِشَيْءٍ مِنْ عُقَارِهِ ، وَيَنْظِمِ [جَمْعَنَا] فِي سِلَكَ أَيْدِيهِ وَمَبَارِهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الرابع

(الشِّفَاعَاتُ وَالْعِنَايَاتُ)

قال في "موادِّ البيان" : وهذه الكتب إنما تصدر عن ذَوِي الرِّبِّ وَالْأَخْطَارِ ،
وَالْمَنَازِلِ وَالْأَقْدَارِ ، الَّذِينَ يُتَوَسَّلُ بِجَاهِهِمْ إِلَى نَيْلِ الْمَطْلُوبِ وَدَرْكِ الرَّاغِبِ .

قال : والمتمسك فيها ممن تُنْفَذُ إِلَيْهِ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ : إِمَّا بِذَلِّ مَالِهِ وَلَا يَسْتِزِلُّ
مَالَهُ إِلَّا ذُو مَرُوءَةٍ يَقْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ حَقًّا فِيهِ لِقَاصِدِيهِ ؛ وَإِمَّا بِذَلِّ جَاهِهِ وَفِي بَذَلِ
الْجَاهِ إِزَاقَةُ مَاءِ الْوَجْهِ وَالتَّعَرُّضُ لِمَوْقِفِ الرَّدِّ ؛ وَإِمَّا الْأَسْتِزَالُ عَنْ تَخَيُّمَةِ وَمَوْجِدَةِ
فِي التَّزَوُّلِ عَنْهَا كَفَّ حَذَّ الْفَضْبِ وَعَضَّ طَرْفَ الْحَقِّقِ ، وَهِيَ صَعْبَانِ إِلَّا عَلَى مَنْ
فَضَّلَ حَالَهُ ، وَلَطَّفَ فُهُمَهُ .

ثم قال : وَالْكَاتِبُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلَطُّفِ فِيهِمَا وَإِيْدَاعِيهِمَا مِنْ انْخِلَاطَابِ مَا يَخْرُجُ بِهِ
الشَّافِعُ عَنْ صُورَةِ الْمُتَعَلِّلِ عَلَى الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ بِمَا كَلَّفَهُ إِيَّاهُ ، وَيُؤَدِّي إِلَى بُلُوغِ غَرَضِ
الْمَشْفُوعِ لَهُ وَنِجَاحِ مَطْلَبِهِ ؛ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ أَنْ قَالَ : وَسَبِيلُ مَا كَانَ فِي أَسْتِمَاحَةِ الْمَسْأَلِ ،
أَنْ يُبْنَى عَلَى الْإِبَانَةِ عَنْ مَوْجِعِ الْإِفْضَالِ ، وَفَضِيلَةِ النَّوَالِ ؛ وَأَعْتِنَا فُرْصَ الْإِفْتِدَارِ ،

فى مَعُونَةِ الْأَحْرَارِ ، وَمَا جَارَى هَذَا - وَسَبِيلُ مَا كَانَ مِنْهُمَا فِى طَلِبِ الْاِسْتِفَاعِ بِالْجَاهِ
أَنْ يُنْبِئَ عَلَى هَرِّ الْأَرْبِجَةِ لِاصْطِنَاعِ الصَّنَاعِ ، وَتَعْمَلُ الْمَشَاقِّ فِى تَحْلِيدِ الْمَنِّ ، وَأَذْخَارِ
الْفِعْلِ الْحَسَنِ ، وَاعْتِنَامِ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ - وَسَبِيلُ مَا كَانَ مِنْهُمَا فِى الْاِسْتِزَالِ عَنْ
السَّخَائِمِ أَنْ يُنْبِئَ عَلَى الْمَلَاظَقَةِ ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى فَضِيلَةِ الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ عَنْ الْخِلَاطِئِ ،
وَمَا فِى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السَّمْعَةِ فِى الْعَاجِلِ ، وَمَتَوَقَّرِ الْمُتَوَبِّةِ فِى الْآجِلِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَذَكَرَ أَنَّ أَحْسَنَ مَا قَصِدَ فِى هَذَا الْفَنِّ مَسْلَكُ الْإِيْجَازِ وَالْاِخْتِصَارِ ، وَأَنْ يُسَلَّكَ بِهِ
مَسْلَكُ الرِّفَاقِ الْقِصَارِ الْمُجْمَلِ ، لَا الْكُثْبِ الطُّوَالَ الْمُفَصَّلِ ؛ وَأَنْ يُرْجَعَ فِيمَا يُودَعُهُ إِلَى
قَدْرِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ فِيهِ ، وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مُرْتَاضًا مَا هِرَا لَمْ يَضِلَّ عَنْ تَنْزِيلِ كُلِّ
شَيْءٍ [فِى] مَزَلَّتِهِ ، وَتَرْتِيْبِهِ فِى مَرْتَبَتِهِ .

قُلْتُ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُطَاقَى هَذَا النُّوعَ مَا رَأَيْتُهُ فِى بَعْضِ الْمَصْنُوعَاتِ : أَنْ عَمِرُوا
أَبْنَ مَسْعُودَةَ وَزَيْرَ الْمَأْمُونِ كَتَبَ إِلَى الْمَأْمُونِ فِى رُقْعَةٍ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ فَلَانًا سَأَلَنِي أَنْ أَشْفَعَ لَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّي لَمْ أُلْبَغْ عِنْدَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَبْلَغَ الشَّفَاعَةِ - فَلَمَّا وَصَلَتِ الرُّقْعَةُ إِلَى الْمَأْمُونِ وَقَعَ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ :
قَدْ قَهَمْتُ تَصْرِيحَكَ بِهِ وَتَعْرِيفَكَ بِنَفْسِكَ ، وَأَجَبْتُكَ إِلَيْهِمَا وَأَحْفَظُكَ بِهِمَا .

مِنْ كَلَامِ الْمُتَقَلِّدِينَ :

الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ :

كَتَبَ إِلَىكَ كَلْبٌ مَعَنِي بَيْنَ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقَى بَيْنَ كَتَبَ إِلَيْهِ ، وَلَنْ يَضِيعَ حَامِلُهُ
مِنْ عَنَاءِ وَثْقَةٍ ، وَالسَّلَامُ .

أبو الحسين بن سعد :

وقد توجه إليك فلان بقصد فيه مستجمع ، وأمل فيما قبلك مُبَسِّط ، وليس بعد إصابتك عنده ، وضعا وعندنا متحملا للبد الحسنه إلا اقتراض ذلك منه ومنا في أمره على أن يترقى حاجته ، وتخفيف من مؤنته ؛ فإن رأيت أن تأتي في ذلك بما يشبه أمه وظنه ، وتوجب عليه الحق به ، ونشكر لك منه مايقب عندنا ، بأنك بحيث تأتي الفضل وتنتهي الصلة ؛ [فعلت] إن شاء الله تعالى .

آخر : معرفتي بأنك لا تتجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب ، تحلني على مسألتك ماأنت مُوجِبٌ له ، والذكرى تنفع المؤمنين ، ولولا ذلك لاستغنى صاحب كظمي عنه ؛ فإن كان ذنبه صغيرا فالصغير يُخرج من حسنه ، وإن كان كبيرا فالعفو يسعه . وكأني متقاض لك تقديم العفو على العقوبة ، والحسنة على السيئة ، والإستصلاح على القوة في التأديب .

طفال بن شبة :

وأحق من يعطف على أهل البيوتات ، ويحود لهم بما يتقوا ذكره ، ويحسن به ذنره ، مثلك ؛ وقد وجهت إليك فلانا ، وهو من ذوى قراباتي ، وذوى الهيئة من أشرقي ، وعرضته لمعرفتك ، وأحببت أن تليسه نعمتك وتصرفه إلى وقد أودعني ولأياه ماتجده باقيا على البشر الجميل في الغيب والحضر .

ولنيره :

وقد جعلك الله غيانا ، وجعل عندك لمؤمليك وراجي رفدك ، أبلغ ذريعة من كرمك وفضلك ؛ وقد أصبحت مقزع كل ذي هم ، وملجأ كل ذي أرب ، وموضع كل أمل ، وأصبحت ملتقى السبل ، وجمع الأصناف المختلفة ، والطوائف المتصرفة .

أبو مسلم محمد بن بحر :

قد شهرتني باصطناعك [حتى] تكافأ في معرفة خبرها أهل بلدان المشرق والمغرب . والذين عرفوني فصدق منهم مفتبط بذلك لي ، وشريك في النعمة به علي ، وقوى الظهور بما منحني الله من رأيك ؛ وإذا نابت بعضهم نائبة يرجوك لكشفها ولم يكن له إليك طريق يذنيه ولا حرمة تقربه وتطفك عليه ، سألني الشفاعة له إليك ؛ ففعلت ذلك مديلاً بما اعتقدته من الشكر على نعمتك عندي ، والإخلاص في طاعتك المفروضة علي ؛ وأما بتسويقك إياي ما رقيت إليه من درجة الشافع لغيره ، والسائل (٩) في طريقه وذوي الحق عليه : لتكون قد أكلت على النعمة ، ووكّلت لدى العارفة ، واستممت عندي الصبيحة .

أبو الخطّاب بن الصّابي :

أبسط الشفاعة وجّها ، وأقرّبها نجماً ، وأوقعها في القلوب ، وأسرعها إلى القبول ، ما وقع من أقسام ثلاثة : من إدلال السائل بحسن الظن ، وأرتياح المسئول إلى فعل الخير ، واستحقاق المسئول فيه لقضاء الحق ؛ فإذا اجتمع لها ذلك كانت الثقة بها زائده ، والفتوة لها رائده ، والفضل عليها قائمها ، والنجاح بها قادماً ؛ وكان الشكر من أقلّ موجداتها ، والمِنَّة من أجلّ مدخوراتها .

وله : إن دلّ المملوك فيصنق المودة ، أو عول فعل حسن النية ، أو استظهر بقديم الحرمة ، أو استنصر فبكرم الرعاية ، ووراء ذلك همه من مولانا بعيدة المرامي ، طويّلة المساعي ، شائعة الأتف ، سابعة الطرف ، توجد الآمال سراحاً ، وتوسعها نجاحاً ، وتأخذها نحاصاً ، وترثها بطاناً ، وتورثها هزلاً وتصلبها سماناً ؛ وثقة مني

(١) لم يرد هذا الجمع في كتب اللغة التي بأيدينا والقياس على طائفة رحمان لا ياباه .

قد أحكم عقدها الزمان، وأوثق شدتها الإمتحان، فصارت لأعراض المملوك رائده، وفي قوة نفسه زائده؛ فالمملوك من آجتماع هذه الأقسام، ووجوب ما تقتضيه من الأحكام، بين ظن جميل لا مجال للشك عليه، ووقين صحيح لاوصول للآرتياب إليه .

آخر : ولئن كان المملوك أسرف في مجارى التثقيب على مولانا ، فإن المملوك لم يرد بعضا من دواعى الأمل فيه ، فإن المظنون من قوة مولانا رائد الثقة بجميل نيته ، ولن يعدم النجاح من أتمد على القوة والثقة .

آخر : وينبى أن المملوك إن أدل ، فبحق لدى مولانا أكده ، أو أسترسل ، فبفضل منه عوده ، وبين الدلالة من المملوك والعادة من مولانا موضع لنجاح الحاجة ، وبلوغ الإفادة ، وقد فصل المملوك ما تعلق به واثقا بالكرم من مولانا ؛ فليقل مولانا ما تعلق به محققا للأمل فيه .

آخر : وينبى أن المملوك إن أنبسط ، فبذل بالحرمة الوكيدة ، وموّل على النية الكريمة ، أو أقبض ، فلهية الإقدام على مولانا ومراعاة التخليف عنه ، ولفضله فيما بين ذلك مسلك وغلبة تسلط يدعو إلى حسن الظن بمولانا ، ويوثقان من وجود النجاح لنية .

آخر : بذل الجاه فى إعانة الضعيف ، وإعانة المهفوف ، والترويح عن المضغوط ، والتفريح عن المكروب المكود ؛ كبذل المال فى إسعاف المعسر ، وإسعاد المقتدر ، ومواساة المحروم ، والتعطيف على المزحوم ، وما فى الحالتين إلا ما للديانة له ضامنه ، والمروءة له قائمه ؛ والحق به مستوجب ، والأجر به مكتسب ، والصنعة به معتقده ، والثبوت به ممتنره .

آخر: وينهى أن حرمة الحواريين أوجب الحرمات حقاً، وأحكما عقداً، وأخصها بالعناية، وأحقها بالرعاية، وما رعاها إلا ذو قندير عظيم، وخلاو كرم، وأصيل عريق، وعهد وثيق. وفلان من يضرب بدألتها، ويمت بوسيلتها، ويتفخر بذمتها، ويتعلق بعصمتها، ويستهذا وزراً مانها، وذخراً نافعا، وعدة موجودة عند الحاجة؛ وله أمر يذكره مشافهة، فإن رأى مولانا أن يحقق من ظنه ما كان جليلاً، ويصدق من أمله ما كان فضلاً مولانا إليه سبيلاً، فهو الممهود من إحسانه، والمؤمل من فضله.

آخر: من سافر إلى سيدي بامله ورغبته، ومث إلى حضرته بوفادته ومجهرته، فقد استغنى عن الشافع، وكفى أمر الوسائل والذرائع؛ وحامل كتابي هذا قد تجشم القلوم إليه، وتمسك بنمام الوفاة عليه؛ مع ما يتحقق به من حق المشاركة في الصنعة، ويستوجبه بفضيلة الكفاية والأمانة؛ وإنما أصدر المملوك هذه الخدمة على يده ممهدة لأنسه، ومقوية لنفسه؛ وإذا مثل بحضرته، ونظره بين نبأته؛ فقد نقي عن الشفاعة وبلغ الإرادة.

آخر: وينهى أن ما يفرضه مولانا لمن أمه بالرجاء، ومث له بإخلاص الجهد والثناء؛ من إندار أخلاف الإفضال، وتحقيق الرغبات والآمال، يغني قاصديه عن الشفاعات والوسائل، ويكفي أمليه تحمل الذرائع والمسائل؛ والواصل إليه بهذه الرقعة فلان؛ ومولانا يعرف حقه على المملوك وماله من الموات لديه؛ وقد توجه إلى حضرته، راجياً أن يلحظه من ظل سعادته ما يتكفل بمصلحته، ويقضي على الزمن بإعدائه ومعونته؛ ومولانا أحق من تولاه بحسن خلافته فيه، والتفضل على المملوك بتحقيق ما يرجيه.

أُتِرَ في معتقل : عِلْمُ المملوكِ بَأَنِّ مولانا لا يتعلدَّى في العقاب موضع الإصلاح والتأديب ، ولا يتجاوزُ في الغضبِ موقعَ التَّقْوِيمِ والتَّهْذِيبِ ؛ عملاً بالعدل ، وتمسكاً بالفضل ؛ يبعثه على تنبيهه لما أغفله ، وأقْياده لما أصَّله ؛ وفلانٌ قد تطاولَ اعتقاله : فإن كان جُرمُه صغيراً فقد ظلم في القصاص ، وإن كان كبيراً فقد استحقَّ الخلاص ، والمسئول من إحسانه أن يُماوِدَ جميل عادته ، ويُراجِعَ كريمَ شيمته ؛ فيعملَ في أمره بالعدل ، إذا لم يره أهلاً للفضل ؛ وإن كانت حقوقه متأكِّده ، وحرمة مؤكَّده ؛ فلا يحسن أن يُضَاعَ ويُحْفَر ، ولا ينبغي أن يُجْعَدَ ويُتَكَرَّ ؛ وهو حُرٌّ أن يحقِّقَ الظنَّ فيه ، ويقابل هذا السؤال بما يقتضيه .

آخر : على حَسَبِ أخطار الودائع يكونُ الإشفاقُ عليها ، والشكرُ من صرف رعايته إليها ؛ وقد كان المملوكُ أودَعَ كَفَّ مِرْوَعته ، وفناء هَمَّتْه ، فلان ؛ وهو دُرَّةُ الحسنِ الفريدة ، ونادرةُ النهرِ الثمينة ؛ والجامعُ لأسبابِ المحامدِ بفضائله ومناقبه ، والناظمُ لثَمَرِ المآثرِ بجلِّه وأدبه ؛ مع ما خُصَّ به من المعرفة بقدر الصبغة ، والتعويض بالشكرِ عن قليلِ العارفة ؛ والمملوكُ يرجو أن يكونَ مولانا قد أحسنَ خِلاقته فيه ، ونزله من حياطته وتوَلَّيه ، بما يُوجِبُه مكانته من المملوكِ ويقتضيه ؛ متعوِّضاً من شكر المملوكِ وشُكْرِهِ بما هو خَلِيقٌ أن يَطْلُوقَ أجيادَ مَعَالِيهِ ، وينتظِمَ في سِلْكِ مَسَاعِيهِ .

رقعة — ونبئني أن الأيام ، إذا قعلتْ بالكِرام ، فانزلتهم بعد السَّعة ضيقاً ، أوجبتهم إلى التَّخْيِيلِ على من يُمْتَنون إليه بسالفِ الخِلمَةِ طريفاً ؛ ومن تحدَّاه الزمن بنكده ، وعوضه ببؤسه من رَغَدِه ، فلان ؛ وكان قد فَرَّجَ إلى جماعة من الخُلَلا ، وأتقاهم بالأمانِ والإحسان ، فألقىَ وُعداً جميلاً ، ومطلاً طويلاً ؛ فعدَّلَ عنهم

إلى سيدى وعزل عنهم إليه، وتوجه إليه معتمداً بعد الله في مقصده عليه؛ همة
بفضل غيره، وحسن أثره؛ وتجل عبودية المملوك هذه ذريعة تبسط له من مولانا
محبته، وتوصله إلى ما يرجوه من معروفه وتلاه . وما أولى مولانا بأن يحقق ظن
المملوك وظنه، ويمجوز شكره وشكره؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة - وينهى أن رغبة سيدى في إسداء المعروف، وغوث الملهوف،
تبعث على السفر إليه، والتقدم بالطلبات عليه؛ والله تعالى يواصل المنح لديه،
كما وصلها من يديه؛ وقد سبقت له عوارف لا ينساها المملوك، ولا يؤمل جزاءها
إلا بمرفوع الدماء، وكرم الثناء؛ حتى تقتضى ضرارها، وتستدعى نظائرها، وحامل
عبوديتي هذه، فلان؛ والمملوك يرضى لمولانا لسان شكره، كما يرضاه لتحمل بره؛
وقد ركض ظهر الأمل إلى حضرته، ووثق ببلوغ الوطر من جهته؛ وأن ينظم
في سلك من أسبغت عليه عوارفه، وعمته لطائفه؛ وعزز ذلك باستصحاب كتاب
المملوك إلى بابه، وتقديمه ذريعة في الترام حقه وإيجابه .

رقعة - من كان سيدى شافعه أنبسط في المني، ولم يرض بغير الملا؛ وقد علم
مولانا أن للشفاعة أحوالاً ثلاثاً؛ حالاً تخص الشافع، وحالاً تخص المستشفع؛
وحالاً تخص [المشفوع إليه] ولكل حد يجب الانتهاء إليه، ولا يجوز التقصير فيه؛
فعلى المستشفع آرياد أخصب جانب، وأسكب صحاب، وقصد الجهة التي لا تصد
عن البنية سائلاً، ولا ترد عن الأمل أملاً، وأن ينهض بالشكر على العارفة، ويحدث
بالتم عنه في الأحوال الطارفة؛ وعلى الشافع أن يهريق ماء وجهه في السؤال،

(١) غار الرجل يغوره ويقيره قمه فالمراد بفضل قمه تأمل .

(٢) في الأصل الشفع وهو غير مناسب .

وَيُجَرِّدُ رَغْبَتَهُ فِي تَسْهِيلِ الْمَنْعَالِ ، وَيَسْتَعِدُّ أَنْ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ الْمَقْتَرَضِ ، وَالِدِّينِ الْمَقْتَرَضِ ، وَيَتَكَلَّلُ بِالْقِيَامِ بِمَا يَسْتَدْعِي مِنْهُ مِنَ الْمَكَافَاهِ ، وَيُتِمِّسُ مِنَ الْعَوَاضِ وَالْمُجَازَاهِ . وَعَلَى الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّافِعَ وَالْمُسْتَشْفِعَ مَا قَصَدَاهُ إِلَّا بَعْدَ الثَّقَةِ بِأَحَدِيَّتِهِ ، وَلَا اعْتِمَادَهُ إِلَّا بَعْدَ السُّكُونِ إِلَى أَرْحَبِيَّتِهِ ؛ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْمَسَ مَتَّجِرُهُمَا ، وَلَا يُضَيِّعَ سَفَرُهُمَا ، وَقَدْ أَجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثُ لِلرَّئِيسِ الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ ، وَلِيسَيِّدِي الشَّافِعِ ، وَلِخَادِمَةِ الْمُسْتَشْفِعِ بِهِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَزَمَةٌ مِنْهُ تَهْزُ أَفْنَانَ الْإِقْبَالِ فَتَسَاقُطُ أَعْمَارُهَا ، وَتُنْشَى عَوَارِضُ الْأَمَالِ فِيهَا تُفْتَاهُ قَطَارُهَا .

أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ :

وَمُوصَّلُ كِتَابِي هَذَا خَفِيُّ عَنْ شَفَاعَتِي لَهُ بِمَا يَمُتُّ مِنْ حُرْمَاتِ الرِّغْبَةِ إِلَيْكَ ، وَالْوُقُوفِ دُونَ كُلِّ مَقْصِدٍ عَلَيْكَ ، وَبِمَا يَشْفَعُ ذَلِكَ مِنَ التَّقَدُّمِ فِي الصَّنَاعَةِ ، وَالتَّوَصُّلِ بِوَجْهِهِ الْكَفَايَةِ ؛ وَإِنَّمَا زَوَّدْتُهُ هَذِهِ الْأَحْرُفَ لِأَتَقَرَّبَ بِهِ بِابِ الْأَنْسَةِ ، وَأُسَهِّلَ السَّبِيلَ إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْخَلْقَةِ ؛ وَأَدُلُّ بِهَا عَلَى مَا تَكْشِفُ مِنْهُ الْمُطَاوَلَةُ وَالْخَلِيعَةُ ؛ وَأَنْتَ أَيْدِكَ اللَّهُ وَلِيَّ التَّطَوُّلِ بِالتَّقَدُّمِ فِي إِيْنَانِهِ وَبَسْطِهِ فِي الْخِدْمَةِ بِمَا يَسْتَرِيدُ لَهُ مَجْمُودَ الْأَتْرَفِيَا مِنْ حُسْنِ النَّظَرِ وَجَمِيلِ الرَّأْيِ .

وَلَهُ فِي مِثْلِهِ :

وَمُوصَّلُ كِتَابِي فِيمَا يُؤَمِّلُهُ مِنْكَ وَيُؤَلِّفُهُ بِكَ مِمَّا سَكَتُكَ مِنْ رَجَائِكَ بِأَوْكِدِ ذِمَّةٍ ، وَمِنْ شَفَاعَتِي بِأَوْجِبِ حُرْمَةٍ ، وَمَهْمَا مَتَّ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ظُهُودِ كِفَايَةٍ أَوْ تَقَدُّمٍ فِي صِنَاعَةٍ كَانَ غَيْرِ ضَائِعٍ عِنْدَ رِعَايَتِكَ ، وَلَا مَجْهُولٍ مَعَ تَبْقِظِ عِنَايَتِكَ ؛ وَأَرْجُو أَنْ يُحِلَّ مِنْ تَقَبُّلِكَ ، بِحَيْثُ أَحَلَّهُ حُسْنُ النَّظَرِ تَطَوُّلُكَ .

وله في مثله :

وفي عليك ما أخذ به نفسي ، وأروض به أخلاقى : من الإقباض عن التمسع
إلى مسالة ، والاحتشام من الانبساط فى حاجة ، مادلك على موضع فلان ومكانه
من أين ترى بواجبات حقوقه ، وسالف موآته ؛ ولئلك سمحت بالكاتب له إليك ؛
وفارقت رسمى بالثقل فى قضاء حقك عليك ؛ وقد قصد تحرك بأمله ، واختارك
لرجائه ؛ وقد ترك بلوغ البقية ، واختصر بسفاهتى إلى فضلك السبيل إلى إدراك
الحجة ؛ فإن رأيت أن تأتى فى باب ما يسره فضلك ، ويُناسب ويكدقته بك ؛
وأنى أشركه فى الشكر وأسأله فى الإعتداد ، فعلت .

آخر :

رَأَيْتُ الْمَسَاكِينَ قَدْ أَجْمَعُوا * عَلَى أَنَّكَ الْوَزْرُ الْمُعْتَمَدُ !

فَأَنْتَ لِطِفْلِهِمْ وَالِدٌ * وَأَنْتَ لِشَيْخِهِمْ كَالْوَلَدِ !

السلام العيم ورحمة الله وبركاته على من جعله الله للساكين ظلًا قيمهم ، وطلا
يسقيهم ، ونعمة تعمهم ، ورحمة تضمهم ؛ أبو فلان ، أجاه الله فى عزرة نالده طارفه ،
وسعادة لآزال طارفة بكل عارفه .

من أقامه الله مقامك أيها الشيخ المبرور بالترقى بالفقراء ، والإحسان إلى الضعفاء ،
لم يعدم مريضاً يقصده فى الشفاء ، ولا يعدم فيضاً يعتمد على اكتفاء ، لا سيما إذا
توسل وحده ، وتسقح بمن لا يضيع عمل عامل عنده ، ومتحملها فلان قص الفقر
جناحه ، وأخى عليه الدهر وأجتاحه ؛ ولما رأى الفقراء ببركم مرفقين ، وعلى

شكركم متفقين ؛ أتم حسن الظن بالمتن ، ولم يقدم شفيها دنيويا ، ولا طريقا واضحا سوييا ؛ وأتم أيها الشيخ الموقر تزييلونه منزلة سواه ، ممن توى مثواه ؛ وتوى فيكم من الأجر والشكر ما تواه ؛ إن شاء الله تعالى ؛ والسلام الكريم العميم ، ينحس جنابكم ورحمة الله وبركاته :

فالله سبحانه يفيك في دعة * وحسن حال وتيسير وإقبال !

مقدم المجد في عز وفي كرم * مؤمل النفع من جاءه ومن مال !

الشفاعات من كلام المتأخرين :

الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

شفاعة في استخدام كاتب درج :

جعل الله تعالى دوره رجة العراص ، وسعادته في الأزياد وأعاديه في الإنقاص ؛ والدعاء لإحسانه مقرونا بصنق النية والإخلاص :

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فلاني سألت الله فيك وقد فعل !

صدرت هذه الخدمة تستمطر بحاب كرمه ، وهامي ديمه ، وتسأل بحيل شيمه ، في معنى مملوك المولى وداعيه ، والشارك لأبيديه ، والملازم على رواية أخبار فضائله وبها ؛ وأشره فضله وثها ؛ فإنه من بيت كريم التجار ، زائد الصغار ؛ وله على مولانا حق خدمة ؛ وهو يمت بسالف معرفة ؛ وعبة المملوك له شديده ، والصحبة بينهما قديمة وشقة المودة جديده ؛ ولولا ذلك ما نقل على خدمته ، وتجه على المولى بمكاتبة ، وقد توجه إلى بابه العالي مهاجرا ، وناداه لسان جوده قلباه وأجابه مبادرا ؛ وغرضه أن يكون كاتباً بين يديه ، ومملوكاً تفع عين العناية عليه ؛ وهو من الكرام

الكتابين ، والراغبين في الانتظام في سلك خديمه والمؤثرين ، وصفاته بالجميل موصوفه ، وقصاحته معروفة ، وقلمه الذي يلم طفر المهمات ويكف كف الحدان ، ولسانه الذي ينفي بسبائه عن حد السنان ؛ ورأيه المقدم في الهيءة على شجاعة الشجعان ؛ فإذا أتم المولى باستخدامه ، وتحقيق مرامه ، كان قد وضع الثى في محله ، وصنع المعروف مع أهله ؛ وببض وجه المملوك وشفاعته ، وصلح الأمل في إحسانه ومروءته ، ورأيه العالي ؛ إن شاء الله تعالى .

وله شفاعه في استخدام جندى :

لا زال بره مظلوماً ، وجوده مخطوباً ؛ وذكر إحسانه في الملأ الأمل مكتوباً ؛ ولا برحت رياض جوده أزهر وأنصر من روض الربا ، ويده البيضاء ترقم له في سواد القلوب سطور حمد أحسن من نور تفتحه الصبا . هذه الخصلة صدرت على يد فلان تُهدى إلى المولى سلام المملوك وتحيته ، ودعاء الصالح الذى أخلص فيه نيته ؛ وتبشع إليه في تزييله في الحلقة المنصورة وأستخدامه ، وترتيبه في سلك جيشه المؤيد وانتظامه ؛ فإنه من الأجناد الحيد ، وذوى الجلد على الجلال ؛ وهو الغشتم الذى لا يرد ، والشهم الذى لا يصد ؛ والباسل الذى لا تحصر بسائنه بوصف ولا تحدد ، والنقيب الميمون الفرقة والقبيله ، الموصوف فى الهيءة بحزم الكهول وجمل ذوى الشيبه . والمولى وإن كان بحمد الله خير محتاج إلى مساعد ، ولا مفتر إلى معاضد ؛ فإن أسقته لا يحجب عن روح محتجب ، ونفسه الشريفة تقوم وحدها يوم الكفاح مقام حسكر لحب ؛ وقلبه يفتنه عن الأطلاب والأبطال ، وجيوش سطوته لا تنكفه المقام فى منازل التزال ؛ فإن المملوك يعلم أن نفسه الشريفة تهوى تريد عسكره وجنده ، وترعى حرمة قاصده وقصده ، فلهذا توصل بسفع وتر الشفاعه ؛ وتوصل إلى إزالة

صَرَخَ حاله بِكَثْرَةِ الضَّرَاعِ ؛ فإِذَا أُنِّمَ المولى يَقْبُولُ شِفَاعَةَ المملوكِ فيه ؛ وَحَقَّقَ لَهُ مِنَ العِنَايَةِ مَا يُؤْمَلُهُ وَيَرْجِيهِ ؛ كَانَ قَدْ شَدَّ لِلسَّارِ إِلَيْهِ مَا أَضْعَفَتِ العُظْلَةُ مِنْ مِثْلِهِ ، وَقَدْ المملوكَ للمولى جَمِيلَ مِثْلِهِ .

شِفَاعَةُ فِي رَدِّ مَعزُولٍ إِلَى وِلَايَتِهِ :

يَقْبَلُ الْيَدَ الْعَالِيَةَ لِأَزَالَتِ مَقْبَلِهِ ، وَلِإِسْدَاءِ الْخَيْرِ إِلَى أَهْلِهِ مَوْهَلِهِ ، وَبِأَيَادِيهَا عَلَى الْكَافَّةِ مُتَفَضِّلُهُ .

وَيَنْبِى مِلَازِمَتُهُ عَلَى شُكْرِ مَوَاهِبِهِ ، وَنَشْرِ فُضَائِلِهِ الْجَسِيمَةِ وَمَنَاقِبِهِ ؛ وَحَمْدِهِ كَرِيمِ شَيْمِهِ ، وَالْإِعْتِزَالِ مِنْ تَثْقِيلِهِ عَلَى خِدْمَةِ المولى بِجَلَمِهِ ، وَسُؤَالِ إِنْعَامِهِ بِوَجْهِهِ مَكَاتِبَتِهِ وَلِسَانِ قَلْبِهِ ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ يَحْقُقُهُ مِنْ كَرِيمِ نِجَارِهِ ، وَشِدَّةَ تَطَلُّبِهِ لِإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ وَلِإِشَارِهِ ؛ وَالْمَوْجِبُ لِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ وَسُؤَالِ مَكَارِمِهِ ، وَاسْتِمطَارِ صَحَابِ ضَرَّاحِهِ ، مَا بَلَّغَهُ مِنْ عَزَلِ مَمْلُوكِ المولى وَعَيْنِهِ ، وَوَصَفِ جَمِيلِ أَوْصَافِهِ بِلِسَانِ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ ، فَلَانِ ؛ أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِحْسَانَ المولى وَإِنْعَامَهُ ، وَخَلَّدَ لَنَا وَلَهُ تَوَكُّلَهُ وَأَيَّامَهُ ؛ فَإِنَّهُ صَاحِبُ المملوكِ وَصَدِيقُهُ ، وَشَرِيكُهُ فِي الدُّعَاءِ لِمَوْلَانَا وَرَفِيقُهُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْعُدُولِ الْأُمْنَاءِ ، وَالتَّقَاتِ الْأَهْيَاءِ ؛ وَهُوَ قَلِيلُ الْحَنَةِ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، لَا يَجِدُ حِيلَةً إِذَا بَطَلَ بِخِلَافِ مَا يُحْكِي عَنْ الْبَطَالِ ؛ وَقَدْ تَشَفَّعَ بِالمملوكِ وَمَكَاتِبَتِهِ فِي مِلَاحِظَةِ المولى لَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِرَدِّهِ إِلَى جِهَةِ وِلَايَتِهِ ؛ فَهَذَا كَتَبَ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ فِي مَعْنَاهِ السُّؤَالَ ، وَعَلَّقَ بِتَحْصِيلِ أَمَلِهِ الْآمَالَ ؛ يَعْلَمُ ذَلِكَ مَوْقِعًا .

شِفَاعَةُ فِي خِلَاصِ مَنْعُوجٍ :

فَسَّحَ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ ، وَسَهَّلَ آدَاءَ مَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِ نِعْمَتِهِ ؛ وَأَزَلَمَ الْأَلْسِنَةَ بِحَمْدِهِ وَالْقُلُوبَ بِمُحَبَّتِهِ ؛ وَجَعَلَهُ مَقَرِّجًا كُلِّ كَرْبٍ ، وَمَسْهَلًا مِنَ الْمَقَاصِدِ كُلِّ صَعَبٍ .

وبعد، فإنَّ كَافَّةَ الْأُمَّةِ قد تحققت رحمة قلب المولى ورافته، وتيقنت إحسانه ومُروءته، وأنه يُؤثِّرُ إِعَانَةً كُلَّ عَيْنٍ وإِغَاثَةً كُلَّ مَلْهُوفٍ، وأنه لَا يُنْسِكُ إِلَّا بِالْإِحْسَانِ وَلَا يُنْزِعُ إِلَّا بِالْمُرُوفِ، بحيثُ سارت بِحُسْنِ سِيرَتِهِ الرُّكَّابُ عَوْضًا عَنِ الرُّجَّانِ، ودرأت مكارمه عن الأولياء نُوبَ الزَّمانِ؛ وعَلَا على حَاتِمٍ فُلُو تَشَبُّهٍ بِكَرَمِهِ لَقْنَا لَهُ :
(مَرَّعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ) . وللملوك من إحسانه أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وهو يُرَقَّلُ من جُودِهِ في نُوبٍ قَشِيبٍ؛ وقد أَشْتَهَرَ مَا يُعَامَلُ بِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ، وَأَنَّ قِسْمَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ أَوْفَرُ الْأَخْصَامِ؛ وكان يُمدُّ من جملة الْعَبِيدِ فَاصْبَحَ مُضَافًا إِلَى الْأَنْزَامِ؛ وهذا مما يُوجب على الملوك أَنْ يَنْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ فِي تَخْلِيدِ دَوْلَتِهِ وَيَتَضَرَّعَ، وَحَلِمَ مَوْلَانَا أَنَّهُ إِذَا شَفَعَ إِلَيْهِ فِي مُذْنِبٍ أَنْ يُسْقَعَ؛ وهو يُسْقَعُ إِلَيْهِ فِي مَمْلُوكِهِ وَعَبْدِهِ، وَالْمَلَاذِمِ عَلَى رَفْعِ رَايَاتِ بَعْدِهِ وَتِلَاوَةِ آيَاتِ حَمْدِهِ، فَلَنَ؛ رَزَقَهُ اللَّهُ رِضَا الْخَوَاطِرِ الشَّرِيفَةِ، وَأَسْبَلَ عَلَيْهِ حُلَّةَ عَفْوِهِ الْمُنِيفَةِ عَلَى الْحُلَلِ يَظْلَاهَا الْكَثِيفَةُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ طَالَتْ مَدَّةُ حَبْسِهِ، وَأَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ؛ وَالْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ كَنَ لَا تُذَنْبُ، وَالْمُعْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ جُودِهِ يَرَوَى دُونَ أَنْ يَشْرَبَ؛ وَالطَّالِبُ لِرَبِّهِ يَنَالُ سُؤْلَهُ وَالْمَطْلَبُ؛ فَإِنَّ حَسَنَ فِي رَأْيِهِ الْعَالَى زَادَهُ اللَّهُ عِلَاءً، وَضَاعَفَ لَهُ سَنَاءً، الْمَشَى عَلَى مَنَارِ جُودِهِ وَمِنْهَاجِهِ، وَرُوزُ أَمْرِهِ الْمُطَاعَ بِإِطْلَاقِهِ وَإِنْجِرَاجِهِ، أَخْتَمَ أَجْرَهُ، وَجَبَرَ كَمَرَهُ، وَرَجَّحَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ دُعَاءَهُ الصَّالِحَ وَشُكْرَهُ؛ وَكَانَ قَدْ أَنْهَى عَلَى الْمَمْلُوكِ بَقْبُولِ شَفَاعَتِهِ إِلَيْهِ، وَفَعَلَ مَا يُوجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ النَّتَاءَ عَلَيْهِ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِيُّ .

شفاعة بسبب خلاص حق :

يَخْتُمُ الْمَجْلِسُ السَّابِقَ لَاتَّقِيَّ بِالتَّجَايَاتِ تَحْتُمُوا، وَحَبْلُ سَعْدِهِ مَبْرُومًا، وَدُرُّ الْمَدَائِحِ بِحَيْدِ جُودِهِ مَنْظُومًا، وَعَلَيْهِ بَيْنَ الْأَخْصَامِ قَاضِيًا فَإِ يَتْرَكَ ظَالِمًا وَلَا مَقْلُومًا .

(١) في الاصلين «ودارت مكارمه على الأولياء» ويظهر أنه تصحيف من التامع .

ولا زالت الآمال متعلقة بيهته ، متوطة بسعيد عزمته ؛ راجية خلاص كل حق
 ممن هو في جهته . وتوضح لعلمه أن فلانا أدام الله سعادته ، وخلد سيادته ، ذكر أن له
 ديناً في جهة غريم مُطالٍ مُدافع ، وخَصَمُ مُمانع ؛ وقد جعل هذه الخدمة ذريعة
 إلى خلاص حقه ، وخالف إلى الوصول إلى عناية المولى أقرب طرقه ؛ وهو جدير
 بالتقدم بإحضار غريمه وعاقبته ، وأخذ مالمولوك في ذمته ، وأن لا يُفسح له
 في تأخيرهِ ؛ ولا يُسمح بقليل الصبر ولا كثيرهِ ؛ فإنه يعلم أن المولى المشار إليه
 واجب الخدمة ، وإفر الحرمة ؛ وقد تعلق أمه في خلاص حقه بالمولى ، ولا يُحارب
 عن هذه الخدمة بلو ولولا ، بل يتدل جهته ، ويُطلق في تحصيل الغرض لسان
 الاجتهاد ويده ؛ ويعتمد من الإهتمام ما يليق بأمثاله ، ويبيض وجه الشافع وسؤاله ،
 موفقاً . شعر :

ولو كان [لى] في حاجتي ألف شافع * لما كان فيهم مثل جودك شافع

شفاعة فيمن اسمه سراج الدين إلى من اسمه جمال الدين :

الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وينهى بعد ولاه يحكم على القلوب شافع جماله ، وشاء يحر على اكلام الزهر فضل
 أذيله : أن العلوم الكريمة محيطة بإحباب حق من هاجر إلى بابها ، وشكا غلة الفاقة
 إلى منهل منهل سحابها ؛ وأن المائل بهذه الخدمة ، فلان ؛ ذكر احتياجه إلى عاطفة
 من عواطف مولانا التي شملت ، وطارفة من عوارفه التي لو أستمكت من غررها
 الليالى لما أظلمت ولا ظلمت ؛ وأن يده وظيفة شهادة بيت لحم بتواقيع شريفة
 نظرت في حاله ، ونشرت حال عياله وأطفاله ، وأن تم من ينزعه في جهته المعتاده ،

وَيَقْصِدُ تَزَعَهُ وَالزَّرْعَ عَنْ تِلْكَ الشَّهَادَةِ الْمُسْطَرَّةِ أَخَفَّ مِنْ تَزَعِ الشَّهَادَةِ ، وَمَوْلَانَا أَوَّلَى مَنْ رَجِمَ مِنْهُ ضَعْفًا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ عَطْفًا ؛ وَدَارَكَ بِكُومِهِ هَذَا السَّرَاجَ قَبْلَ أَنْ يُطْفِئَ ؛ وَرَعَى سِيرَةَ مَبَاشِرَتِهِ الْحَسَنَةِ الْآثَارَ ، وَأَعْتَمَّ أَدْعِيَتَهُ وَأَدْعِيَةَ أَوْلَادِهِ الَّذِينَ هُمْ كَقَطْعِ الشَّطْرِ نَجَّ صِغَارًا وَكِبَارًا ؛ وَكَفَّ يَدَ التَّمَرُّضِ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ عَثَلِهِ فَلَمَّا أَيَّامٌ لَأَصَرَّ فِيهَا وَلَا ضَرَارَ ؛ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ الْأَيَّامُ قِطْعَةً لَحْمٍ ، فَبِأَمْرَةٍ بَيْتِ لَحْمٍ أَوَّلَى بِهِ ، وَرَجَالُهُ فِرْجَانِيَّةٌ وَأَخَوَاتُهَا أَحَقُّ أَنْ يَتَلَقَّ سَبَبُهَا بِأَسْبَابِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَيِّرُ بَيْنَ مَوْلَانَا أَحْوَالِ الْمُضْطَرِّينَ فَلَمَّا هُمْ عَلَى حَرْبِ الْأَيَّامِ بِسُيُوفِهِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامٌ ، وَيَتَّبِعُ بِأَيَّامِ مَثَلِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّتِي تَتَنَافَسُ فِيهَا أَعْمَارُ الرِّعَايَا فَلَهُمْ يُتَّبِعُونَ أَيَّامًا بِأَعْوَامٍ .

وله إلى شخص اسمه شمس الدين :

وَيُنْهَى بَعْدَ قِيَامِ بَوَاطِينِ شَاءَ يَتَمَسَّكُ بِتَفَحَاتِهِ [التَّوَالِيهِ] ، وَوَلَا يَتَمَسَّكُ بِجِبَالِهِ الْمُتَيْنَةِ وَمَا كُلُّ شَيْءٍ حِبَالُهُ وَاهِيَةٌ : أَنَّهُ يَرْتَادُ الْأَوْقَاتَ لِخُطَابِ مَوْلَانَا بِالْأَقْلَامِ ، حَيْثُ حَبَسَ الْبَعْدُ خُطَابَ الْكَلَامِ ، وَتَخَيَّرَ حَمَلَةَ رَسَائِلِ الشُّوقِ ، وَإِنْ أَضْعَفَ عَطْفُ النَّسِيمِ رَسَائِلَ السَّلَامِ . وَلَمَّا حَضَرَ مِنْ مَكَانٍ كُنَّا ، عَارِضَ هَذِهِ الْخِدْمَةِ فَلَانَ ، وَذَكَرَ تَوَجُّهَهُ إِلَى حِمَى حِمَاةِ الْمُحْرُوسَةِ ، وَقَصِدَ كِتَابًا يَكُونُ فِي وَحْشَةِ الْإِفْتِرَابِ أَيْلِسَهُ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ غَرَضَ الْمُلُوكِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ مُرَادِهِ وَلَا يَنْكُرُ مِنْ جِهَةِ هَذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ السُّلُوكِ ، فَاطْلَعَتْهُ أَنَّ الْمَكَارِمَ الْحَمَادِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ غَيْرَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ شَافِعًا إِلَيْهَا ، وَالْمَنَازِلَ الشَّمْسِيَّةَ لَا تَخْتَفِرُ إِلَى دَلِيلٍ يَبْنِي عَلَيْهَا ، وَطَالَمَا جَمَعْتُ لِقَاصِدِهَا التَّمَلُّعَ وَالْقَوْلَ السَّخِيَّ ، وَطَالَمَا قَالَ يُوسُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخُو مَوْلَانَا أَقْبَاهُ اللَّهُ لِلْقَاصِدِ : أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا إِيحَى ، وَلَكِنِ الْمُلُوكُ يَذْكُرُ الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ بِهَذَا الْقَادِمِ فَإِنَّهُ مِنْ

أهله ، ويلقاه قَبْلَ ذلك بِالْيَشْرِ الْمُنْشِدِ * أَصْحَاكَ ضَيْفِي قَبْلَ أَنْزَالِ رَحْلِهِ *
فإنَّهُ من أَصْحَابِ وَلِيِّ اللَّهِ طَالِبِ فَاضٍ وَلِيٍّ مَعْرُوفٍ ، وَأَسْتَفَاضَتْ نِسْبَتُهُ الْمُرْشِدِيَّةَ
فَكَانَ وَلِيًّا مُرْشِدًا قَامَتْ صِفَتُهُ مَقَامَ مَوْصُوفِهِ ؛ وَإِنَّ آثارَ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ عَلَى هَذَا
الْقَادِمِ لِأَمْحِهِ ، وَإِنْ عَلَى يَدِهِ تِجَارَةٌ ذَكَرَ وَأَجْرُوهِي فِي سُوقِ هِمَمٍ مَوْلَانَا تِجَارَةٌ رَاجِحَةٌ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْمِلُ لَهُ فِي كُلِّ شَاءٍ وَثَوَابَ نَصِيحِيَا ، وَيُدِيمُ قَلْبَهُ الْكَرِيمَ مُقْصِدَ رِفْدٍ وَجَاهٍ
(فَطَوْرًا رِشَاءً وَطَوْرًا قَلْبِيَا) .

وله : عن نَائِبِ الشَّامِ إِلَى نَائِبِ حِمَاةِ شِفَاعَةٍ فِي شَخْصِ اسْمِهِ شِهَابِ الدِّينِ ، وَهُوَ
بَعْدَ الْأَلْقَابِ :

لَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تُسْعِدُهُ ، وَالْمَلَائِكَةُ تُحِبُّهُ ، وَمَوَاطِنُ النُّصْرَةِ تَجَرَّدُ حَذَّ بَأْسِهِ وَمَوَاطِنُ
الْحِلْمِ تُعَمِّدُهُ ، وَالْجَنَائِدُ تَلَوُّذُ بَظْلِهِ : فَأَيُّ جَانِي ذَنْبٍ مَا يَفْعُو عَنْهُ ، وَأَيُّ جَانِي بَرٍّ مَا يَرِيقُ
عَلَيْهِ وَيَرِفُّهُ ، تَقْيِيلًا يَتَرَدَّفُ مَدْنُهُ ، وَلَا تَقْبِي فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مَدْنُهُ .

وينهى بعد ولاءٍ وشاء : هَذَا لَا يَتَلَوَّ جَلِيدُهُ وَهَذَا لَا تَخْفَى جَلِيدُهُ ؛ وَشَوْقُ
وَأَرْتِيَاكِ كَلَامًا يُرَوِّى عَنْ أَبِي شِهَابٍ تَوَقُّعُهُ ، وَيَحْمِلُ عَلَى يَدِ شِهَابٍ سَنَدُهُ : أَنَّ
الْعُلُومَ الْكَرِيمَةَ حَيْطَةً بِمَقْدَارِ الْحِلْمِ وَفَضْلِهِ ، وَالْعَفْوَ وَمَحْلَهُ ، وَالتَّجَاوُزَ عَنْ هَفَوَاتِ
الْمُخْطِئِينَ مِنَ الْقَوْمِ ، وَطَلِبَ الْعَفْوِ مِنَ اللَّهِ غَدًّا بِالْعَفْوِ عَنْ عِبَادِهِ الْيَوْمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) . وَلَمَّا سَمِعَ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، قَالَ : (يَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي) ثُمَّ عَفَا عَنْ نَزَلَتْ
بِسَبَبِهِ ، وَمَمْلُوكُ مَوْلَانَا أَحْمَدُ اللَّهُ أَنْصَارُهُ فَلَانٌ ، قَدْ اعْتَرَفَ بِهَقْوِيَّةِ بَدَنِهِ مِنْهُ ، وَزَلَّةَ
قُلَّتْ عَنْهُ ؛ مَا يَسْمَعُ إِلَّا عَفْوُ مَوْلَانَا وَمَرَّاحُهُ ؛ وَقَدِمَ عَلَى الْمَمْلُوكِ فَكَأَنَّهُ مَانِحٌ عَنْ
ظَلِّ مَوْلَانَا وَلَا فَارَقَتُهُ مَعَالُهُ ؛ وَسَالَ سُؤَالَ مَوْلَانَا أَنْ يَشْمَلَهُ بِالْعَفْوِ ، وَيَتَجَاوَزَ لَهُ

عن السهو ، ويرحم كبريائه وكيفية جهله ؛ ويرعى قديم هجرته لخلمة هذا الباب الذي نسا عمرا طويلا في ظله ، أهلا لأن تشمله عواطف أهله ؛ وهو - كما عرف المملوك وأطلع عليه حيث كان في نيابة حماة - مشكور السيرة بالإعتبار ، ناهض الخدمة بالإختبار ؛ ملازم لثرى الباب بمنزلة ما عليه غبار ؛ وله على المملوك بالأمس حق خدمة وباليوم حق سؤال يشفع بهما في القلوب وهي كبر ؛ والمستول من صدقات مولانا تجاوزته عن حقوته ، وردته إلى أمنه ووظيفته ؛ وإجراؤه على عادة إقطاعه ، وحاشاه في أيام مولانا أن يقطع ، بل حاشى المذكور أن لا يستخبر وأن لا يقطع ؛ وأستقرأه في مكان خدمته ، وإجابته سؤال المملوك في كل ما يتعلق بخراج هجرته وعزيمته ؛ لأبرح مولانا مأمول المنة الغائبة والحاضرة ، والمقيمة والسائرة ؛ مأهول الخواطر برفع ذكره وقدره في الدنيا والآخرة .

الشيخ جمال الدين بن نيابة :

لا زالت المحامد يذكرها متوجهة ، ومقدمات الفضل والفضائل من ثناء شيمها منتهية ؛ ومطالع الكرم والإكرام هادية إلى حرمتها من أجيال ؛ تقبل مواظب على الدعاء برفعه ، والولاء بجمعه ؛ والثناء بقول بضاع أرجه لا مما نضيه بل مما نضوبه ؛ [وينهى] أن عارض هذه الخلمة على عارض كرم مولانا المنظر ، وبابه الذي هو لكبد الحاسد وقم الوايد مقطر ، فلان ؛ لقضاء تعلقات له أولا التعلق بحبل رجائه المحصد ، وأتمائه المرصد ، والتجمل بقصد باب مولانا الذي هو الملم المقدم على كل مقصد ؛ وهو من الفضلاء الذين يعرفهم استقاد مولانا معرفة الخير ، وله اتصال بالأكابر الذين سلم منهم زمام المفاز كل كبير ؛ وقصد من المملوك هذه الخدمة لمولانا مؤنس أغترابه ، وتنشد المقر الذي مآقرع من النامة من قرع بابه :

يَا غَرِيبَ الصِّفَاتِ حَقٌّ لِمَنْ كَا * نَ غَرِيبًا أَنْ يَرْحَمَ الْغُرَبَاءُ!
 والملوكُ يسأل من إحسانِ مولانا ملاحظةَ المذكورِ بينَ عِيَارِهِ التي ما أغفَتْ
 عن القاصدين ولا غفلتْ ، وعَوَاطِفِهِ التي طالما فَتَحَتْ أبوابَهَا فَأَثْنَتْ عليها الرُّكَّابُ
 التي قَفَلَتْ ؛ والله تعالى يُدِيمُ تَقْلِيدَ الْأَعْنَاقِ بِكَلِمَةٍ وَرِيَّةٍ ، وَيَتَمَّعُ الْمَالِكُ السَّاحِلَةَ
 بِمَا قَذَفَ لَهَا مِنْ دُرِّ بَحْرِهِ .

النوع الخامس

(التشويق)

قال في "مواد اليان" : وينبغي للكتاب أن يجمع لها فكره ، ويُظهر فيها صناعته ،
 ويأخذ في نظلمها مأخذاً من اللطافة والرقّة يدل على تمازج الأرواح ، وتلايف
 القلوب ، وما يجري هذا الجري ؛ وأن يستخدم لها أمدب لفظ وألف معنى ؛
 ويذهب فيها مذهب الإيجاز والإختصار ، ويعمل عن سبيل الإطناب والإكثار ؛
 لتلا يستغرق جزءاً كبيراً من الكتاب فيمِلُّ ويُسْجِرُ ، وينتظم في سلك الملقى والتكلف
 اللذين لا يعتادهما المتصافون من الأصداقة .

وهذه نسج من ذلك :

أبو الفرج البغدادى :

شوقُ الملوك إلى مولانا بحسب مكانه من تفضله ، وحظه من جميل نظره ،
 وأختصاصه بإنعامه ، وأغنيائه بشرف خدمته ، ومكانه من إيثاره ؛ والله يجمع للملوك
 شمل السعادة بمشاهدة حضرته ، ونداه من الدهر بالنظر إلى غرته ، على الحال
 السارة فيه وفيه .

(١) كذا في الأصلين بإعمال القسط والمراد أنه يمتعه بالنظر الخ تأمل .

وله : شوق المملوك إليه شوق الظمان إلى القطر، والسارى إلى غرة الصجر .

وله : شوقى إليه شوقى من لم يجد مع بئله عوضاً منه، فتقوده الزيادة إلى الانصراف بالرغبة عنه .

وله : شوقى إليه شوقى من فقد بالكوه سكته، وفارق بالضرورة وطنه .

وله : لو كان ما يصدّره من خطاب ، ويُنابِجه به من متضمن خطاب ؛ بقدر ما أنابه من ألم الشوق إلى غرته ، ومضض الفات من مشاهدته ، لما أحاطت بذكره بسطة لسان ، ولا ناب في إثباته استخدام بيان .

وله : أما الدهر فما يستحق من إبعاد المملوك عنه عتبا ، ولا يعد ما جاءه من ذلك ذنبا ؛ إذ كان إنما تقل من حشمة المخاطبه ، إلى أنيساط المكتبة .

وله : وقدره - أباه الله تعالى - يرفع عن ذكر الشوق إليه ، فالمملوك يبر عنه بذكر الشوق إلى ما فارقه من فضله ؛ وبعد عنه من أوطان تطوله .

وله : ولولا أن المملوك يُجد نار الاشتياق ، ويرد أوار الفراق ، بالتخيّل المثل لمن ناث محلته ، والفكر المصور لمن بعدت شقته ، لألمبت أنفاسه ، وأسعرت حواسه ، وهمت دموعه ، وأتقضت ضلوعه ؛ والله المحمود على ما وفق له من تمازج الأرواح ، عند تباين الأشباح .

وله : ولا بد أن يكف بالمكثبات ، من غرب الإشتياق ، ويستعين بأنس المراسلات ، على وحشة الفراق ؛ فإنها ألين ناطقه ، ويجوّن على البعد راقه .

وله : عند المملوك لمولانا خيال مقيم ، لا يبرح ولا يريم ؛ يحلو عليه صورته ، ويُطّلع على عين فكره طلعه ، إن سهر المملوك ساهر مُعينا على السهاد ، أو رقد

تصوّر مُعْذِباً طَعْمَ الرَّقَادِ، لَا يَمُتُّ لَهُ زِيَارَتُهُ، وَلَا يُوحِشُهُ بَنِيَّتُهُ، كَأَنَّمَا تَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ فِي الْوَقَاءِ، وَتَحَاقُّ بِحُلُقِهِ فِي الْحَافِظَةِ عَلَى الْإِخَاءِ .

وله : إِنْ تَرَامَيْتِ الْأَشْبَاحَ، فَقَدْ تَوَاصَلَتِ الْأَرْوَاحُ؛ وَإِنْ تَزَحَّتِ الْأَشْخَاصُ وَبُعِدَتْ، فَقَدْ دَنَّتِ الْأَنْفُسُ وَتَقَارَبَتْ؛ فَلَا تُمَيِّضُ الْفُرْقَةَ وَتُوَلِّمُ، وَتُغْفِصُ النَّوَى وَتَكَلِّمُ؛ وَقَدْ يُنَالُ بِنَتَاجِي الضَّمَائِرِ، وَتَحَاوِدِ السَّرَائِرِ، مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ، وَلَا تَكُلُّ عَلَيْهِ الْعِبَارَةُ؛ إِذَا الْأَنْفُسُ الْبَسِيطَةُ أَرَقُّ مَسَرَّى، وَأَبْعَدُ مِنَ الْأَكْسَنَةِ مَسَرَّى .

التشوق من كلام المتأخرين :

نسخة كتاب من ذلك، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة؛ وهو بعد الصدر:
لَا زَالَ الدَّهْرُ يَقْضِي خَلْمَهُ، وَيُمِضِي رَأْيَهُ وَسَيْفَهُ وَقَلَمَهُ، وَيَرْضَى النُّوْلَ الشَّاكِرَةَ تَقْدِيرَهُ فِيهَا وَقَدَمَهُ؛ وَلَا بَرَحَ الْأَقْدَارُ الْمُعْرِبَةُ تُجْزِمُ أَمْرَهُ وَتَكْثِرُ ضِدَّهُ وَتَرْفَعُ عَالَمَهُ؛ تَقِيلًا إِذَا لَمْ تَتْرَبِ التَّشَمُّهُ، وَإِذَا أَوْدَعَ الْقَلْبُ فِي ذَلِكَ التَّرَبُّ خَلْمَهُ .

وَيُنْهِى مَوَاطِنَتَهُ عَلَى وَلَائِهِ لَا يَنْسَخُ الْبُعْدُ مُحْكَمَهُ، وَدُمَاءُ يِقَابِلُ النُّجُومَ وَلَا تَقْطِيعُ مِنَ الْقَبُولِ إِدْرَارَاتُهُ الْمُجْجَمَةَ .

وَيُنْهِى أَنَّهُ سَطَرُهَا عَنْ شَوْقٍ يَبْزُلُ عَلَيْهِ أَنْ يُنَوِّبَ فِيهِ مَعَى الْقَلَمِ، عَنْ سَعَى الْقَدَمِ، وَأَرْتَبَاجِ إِلَى الْقُرْبِ الَّذِي بَأْسُهُ يُؤْثِرُهُ أَنْوَارًا عَلَى أَعْلَى مَلَمٍ، وَتَطْلُعُ لِمَعَاوِدَةِ الْأَخْبَارِ أَوْفَى مِنْ تَطْلُعِ الْعَامِرِيِّ إِلَى مُعَاوِدَةِ أَيَّامِ ذِي سَلَمٍ؛ وَتَعْلَلُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ :

بَشَتْ لَكُمْ مَوَادًا فِي بَيَاضٍ * لَا تَنْظُرُكُمْ بَشَى مِثْلَ عَيْنِي !

وهيأت ! أَيْنَ نَظَرَاتُ الْحُرُوفِ الْمَرْقُومَةِ مِنْ نَظَرَاتِ الْعُيُونِ الرَّامِقَةِ، وَأَيْنَ مَنَالُ السُّلُومِ مِنْ شَجْوِ يَقُولِ : * أَعْيَنُهَا نَظَرَاتُ مَنَّاكَ صَادِقَهُ *

ما يحسب المملوك من النظر إلا ما يملأ العين من ذلك الوجه الكريم ، ولا يلبس من خلع الأيام إلا ما تحيط الأهداب على شبا ذلك القرب الرقيم ؛ وعلى ذلك فقد جهّزها المملوك على يد فلان ، وحمله من رسائل الشوق ما يرجو أن ينهض فيه بأعباء الرسالة ، ويسأل الإصغاء والملاحظة فيما توجه فيه وإن أدت الأمل إلى اللآله ؛ والله تعالى المسئول أن يبلغ في امتدادها مولانا الأمينه ، ويمتّع الدول منه بهذه البقية البقية ، إن شاء الله تعالى .

نسخة كتاب في المعنى عن نائب الشام ، إلى القاضي علاء الدين بن فضال الله ؛ كاتب السر بالأبواب السلطانية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن ثبّانة أيضا ؛ وهو بعد الألقاب .

لا زال قلبها مفتاح الرزق لطالبيه ، وإلجاء لكاسيه ، والظفر لمستيب كُنْها عن كاتبه ، والنصح لرائد مطالبة الدهر بعد المطال به ، ولا يرح البأس والكرم يتحدّثان عن بجرها ولا حرج عن عجائبيه ؛ تقيلا تقيطه في مرابعها ، فُور الزواهر ، لابل تحسّده في مطالعها ، فُور الزواهر .

وينهى بعد دماء أحسنت فيه الألسنة وأخلصت الضمائر ؛ وولاء وشاء لهما مصاعد التجمين إلا أن هذا في القلوب واقع وهذا في الآفاق طائر . أنه جهّز هذه الخدمة معربة عن شوق يتجدد ، وأرتياح لا يمتدئ ولا يتعد ، ساعية عنه بخطوات الأقلام ، أن منع الوقت خطوات الأقدام ، ثابتة في تقييل الأمل التي تستسقي ديمها على القرب والبعد ولا كيد ولا كرامة للفلم ؛ وجهّزها على يد فلان بعد أن حمله من رسائل الشوق ما إن حلتنا من إحسانه لينضي عقود الأنجم لو تعذت ، ومفاتيح أبوابه لتتوء بالعصبة أولى القوة لو تجسّدت ؛ وهو بين يديه يقدم نبجواها ، ويستشهد

بالخاطر الكريم قَبْلَ حُضُورِ دَعْوَاهَا ، وَالْمُسْتَوَّلِ إِصْفَاءَ السَّمْعِ الْكَرِيمِ إِلَيْهِ ،
وَالْمُلَاحَظَةِ فِيمَا تَوَجَّهَ فِيهِ مُتَكَلِّفًا عَلَى اللَّهِ وَطِيهٍ ؛ وَإِذَا مَادَ مَشْمُولًا بِعَنَانِيهِ مَوْلَانَا
الْمُعْهُودَ ، مَكْفُولًا بِرِعَايَتِهِ الْمُقْصُورَةِ عَلَى نُجْحِ الْأَمَالِ الْمُدَوَّدَةِ ، فَلْيُنِمْ عَلَى الْمُلُوكِ مِنْ
الْمُشْرِفَاتِ الْكَرِيمَةِ بِمَا يَسْكُنُ عَلَى جُورِ الْبُعْدِ خَوَاطِرَهُ الْبَهْشَةَ ، وَيُعِينُهُ عَلَى الْوَحْشَةِ
الَّتِي حَرَكَهَا نَحْوَهُ الْبِعَادَ فَهِيَ الْوَحْشَةُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُهُمْ مَوْلَانَا غَائِبًا وَحَاضِرًا ،
وَشَافِعًا لِرِسَالِ خَدَمِهِ وَنَظِيرَاهُ ؛ وَيُخَصُّ بِأَبَةِ الْعَلَوِيِّ بِسَلَامٍ كَسَلَامِ سَقِيظِ الطَّلِّ عَنْ
وَرَقِّ الْفُضْنِ نَاضِرًا .

أَنَحَرَمُ كَلَامَهُ : كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ رُؤَسَاءِ مِصْرَ .

وَيُنَبِّئُهُ أَنَّهُ سَطَرَهَا مُعْرِبَةً عَنْ شَوْقٍ مُقِيمٍ ، وَعَهْدٍ لَا يَرُوحُ عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ ؛
وَأَرْتِيَا بِحَنَانِيهِ ، أَوْ لِكَاتِبِهِ ، لِيَتْلُو لِنَهْضَاتِ فَجْوِهِ : ﴿ أَمَّ حَسِبْتَ أَنَّ أَفْخَابَ الْكَافِرِينَ
وَالرَّقِيسِ ﴾ . مُنْتَظِمًا لِمَا يَرِدُ مِنْ أَخْبَارِ مَوْلَانَا السَّازَةِ الْبَازَةِ ، مَرْجِيًّا لِأَنْبَاءِهِ أَرْقَابَ
الرُّهْبَةِ الْفَاقِرَةِ إِلَى ضَرْعِ الْعَلَمِ الدَّارَةِ ، وَلَوْ أَنَّ كُلَّ مَا يَمْتَنِي الْمَرْءُ بِذِكْرِهِ ، وَكُلُّ مَا يَقْتَرِحُ
عَلَى الدَّهْرِ بِمِلْكِهِ ، لَفَنَى بِقُرْبِ الْمُخَاطَبَةِ ، عَنْ بُعْدِ الْمَكَاتِبَةِ ، وَاسْتَجْلَى كَوَكَبَ الْجَمَالِ
الْمُشْرِقِ وَأَقْصَرَ فِي لَيْلَى الْأَنْتِظَارِ عَنْ الْمُرَاقَبَةِ . وَقَدْ جَهَّزَهَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، وَحَمَلَهَا مِنْ
رِسَالِ الشُّوقِ أَوْفَى وَأَوْفَرَ مِنْ رِسَالِ الصَّفَا ، وَمَالَ الْإِصْفَاءَ وَالْمُلَاحَظَةَ مِنْ مَوْلَى
بِكَارِهِ النَّيْلِ مَعْرُوفِ الْمَنَافِعِ وَالْوَقَا ؛ وَلَا مَالِ الْمُلُوكِ بِمُشْرِفَاتِهِ وَأَوَامِرِهِ بِجَمَالٍ حِينَ يُرِيحُ
وَحِينَ يَسْرَحُ ، وَحِينَ يَقْتَصِرُ عَلَى مَقْتَرِحَاتِ الْأَيَّامِ حِينَ يَشْرَحُ ؛ فَيُنِمْ مَوْلَانَا بِمَوَاصِلَتِهَا
عَلَى هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ ، وَيَحْضُلُ ذَلِكَ مِنْ إِحْدَارَاتِ صَلَاحِهِ الْمُنْجَمَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعْطِمُ
الْمُلُوكَ فِي حَالِ كَرَمِهِ : إِمَّا أَنْ يُفِيضَ فِي الْقُرْبِ بِحَرَمِهِ إِمَّا أَنْ يَمِيتَ عَلَى الْبُعْدِ دِمَاهُ .

وله إلى كاتب السر :

أعلى الله أمرَ قلبها على الأعلام، وأدام بفيض أنامله عليه بسطَ كلمة الإسلام،
وراع بكتاب كتبه العدا إذا انتبهوا، فإذا أغفوا «سَلَّتْ عليهم سيوفها الأحلام» .

ولا زالت تلك الأعلام العالية في تلك اليد الكريمة إن لم تكن من المنشآت
فإنها من المنشآت في البحر كالأعلام ؛ تهيل مواظب على دعاء يطلع طلوع طرة
الصبح تحت ذلك الظلام ، وولاه إذا اعتبر الخاطر الكريم مسعاه وخلخته :
(قال يا بشرى هذا غلام) .

وينهى أنه جهز هذه الخدمة مقصورة على وصف الأشواق الممدودة ، وجوامع
الشجو المعهودة ؛ وأنفاس التدكر التي لولا شرف مذكورها لم تكن عنده من
الأنفاس الممدودة ؛ فإلها مقصورة على شوق ما فيها غير طيور الجوامع خفاقة الجناح،
سبابة الريح ؛ وإلها أنفاس ذكر أغنت منادمتها عن كيس كأس وأقراج
وقت راح ؛ وإلها ورقة فازت بمشاهدة ثم اليد الشريفة فكرمت وصفا، ونأت
عن نخار الروض عطفاً ؛ وأستطابت بشفاء السطور على تلك البنان رشفاً :

وسطرئها والجسم أنحل ما يرى * فياليتني أصبحت في طيها حرقاً

واصلت إلى الباب الكريم بسلام وصل عبقه قبل ماوصلت، واردة على يد فلان
وقد حل من رسائل الصفاء والود مثل ما حملت، وحصلت على القرب وبأسنى
على ما حصل وحصلت . والملوك يسأل الإصغاء إليها وإليه بفضل النظر والسمع،
والإنعام على المحب المفارق بمشرفات تجلوه عليه أيام جمع ؛ وتعينه على أوقات وحشة
إذا وصفها المشتاقون وأعلامهم ولوا وأعينهم تفيض من السمع ؛ لا يرح ذكر مولانا
ملياً، وبره بملء الآمال ملياً، ووصفه بالتقوى ومحاب الجود على الحالين ولياً :



يَأْمِنُ بِنَفْسِ النَّفْسِ وَيَا مَالِي * مَذُغْتَ عَنِّي لَمْ تَمِّ مَقْلِي !
 إِنَّ بَلَّتَ عَنِّي بَرْعِي فَقَدْ * سَكَنْتَ فِي قَلْبِي وَفِي مُهْجَتِي !
 لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ طَلْعِهِ ، وَلَا أَخْلَى مِنْ كَرِيمِ مَسَاعِدَتِهِ ، وَجَمَعَ شَمْلَ الْأَنْسِ
 بِخِدْمَتِهِ .

الملك يشكو من المولى فراقاً أوجب له على نفسه فراقاً ، وجيشَ صُدُودٍ منحه
 من العزائم طوائفَ وفراقاً ، وداءَ صبايةٍ كَلَّبَ تَرْجِيَّ الْإِفْرَاقِ^(١) مِنْهُ أَزْدَادَ تَلْهِياً وَحِرَاقاً ،
 وَوَجُوبَ قَلْبٍ تَحْتَمُّ لَنَيْتِهِ وَوَجِبَ ، وَدَمْعَ عَيْنٍ يَحْمُو مَهْمَا عَبَّرَ عَنْهُ لِسَانُ قَلْبِهِ
 أَوْ كَتَبَ ، وَقَدْ أَطَالَ الْهَجْرُ تَأَلَّمَهُ وَعَتَبَهُ ، وَأَطَارَسَتْهُ وَلَبَّاهُ ؛ مَذُ وَصَلَ الْمَوْلَى ضِعْرَهُ
 وَقَطَعَ عَنْهُ كُتْبَهُ ، وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الْمَلُوكَ لَفْظُ الْمَوْلَى مَعْنَاهُ ، وَسَمْعُهُ شَخْصَ وَأَنْتَ
 وَجْهُهُ الْيُمُونُ وَيُمْنَاهُ ؛ فَيُؤَاتِرُ رِسَالَ مَكَاتِبَاتِهِ ، وَيُخَفِّفُ بِأَفْوَرِهِ وَلِبَائَاتِهِ ؛ وَيُسَطِّرُ
 بِذِكْرِهِ الْجَمِيلِ الْأَمَاكِنَ وَيُسَنِّفُ الْمَسَامِعَ ، كَمَا شَرَّفَ بِجُلُولِهِ فِيهَا الْأَضَالِحَ ؛ وَاللَّهُ
 يَدِيهِ وَيُمِدُّهُ بِالْإِسْعَافِ وَالْإِسْعَادِ ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ وَالْحُسُودِ :



أَقَامِي مِنْ بَعْدِكَ مَا أَقَامِي * وَقَلْبُكَ رَاحِمٌ وَعَلَى قَاسِي !
 وَأَحِيلُ مِنْ نَوَاكٍ بَضْعِ نَفْسٍ * عَنَاءَ يُعْجِزُ الشَّمَّ الرَّوَاسِي !
 وَتُبْعِدُنِي وَأَمْرُكَ إِنَّ أَتَانِي * جَعَلْتُ حَمْلَهُ عَنِّي وَرَاسِي !

(١) أى البرء مصدر أفرق العليل إذا برا من طبعه . انظر اللسان ج ١٢ مادة ف رق .

قَرَّبَ اللهُ أَوْبَتَهُ، وَجَعَلَ رُؤْيَتَهُ؛ وَحَرَّصَ نَفْسَهُ مِنَ الْغَيْرِ وَالْحَادِثَاتِ، وَصَانَ حِجَابَهُ
الْمُنْتَجِعَ عَنِ الْمَلِيَّاتِ الْمُؤَلِّاتِ؛ وَجَعَلَ الْأَيَّامَ بِوُجُودِهِ، وَالْأَلَّامَ بِمُجُودِهِ. وَلَا زَالَتِ
الدُّنْيَا بِهِ بِحُجْلِهِ، وَأَعْنَقُ أَهْلِهَا لِمَنْتَهُ مَتَحَلَّهُ .

صدرت هذه الخدمة إلى خدمته منضمة لإهداء سلامه، وشاكية لفتنه جور
أيامه؛ ومُنيية شدة أشواقه التي أفنت بالصباية قلبه، وأذهبت حُشاشته ولبه؛ وهي
في ذلك ناشئة مناب سائر الخدم، ومعبدة عن السنة الأقاليم بلسان القلم؛ فإنَّ الأعين
متطلعة إلى رؤيته، والقلوب متعطشة إلى قُفُولِهِ وَرَجْعَتِهِ؛ كما تتطلع إلى المماء عُيُونُ
النَّجْمِ، وَتَتَعَطَّشُ الرِّيَاضُ إِلَى الْوَابِلِ الْغَلَقِ بَعْدَ الْيَوْمِ الْحَرِّ الْمُشْمِسِ؛ فَاَلْمَوْلَى
يَعْمَلُ مُوَاصَلَتَهُ بِأَخْبَارِهِ قَرَضًا لَازِمًا، وَيَتَنَجَّعُ مِنْ إِغْفَالِهِ كَمَا يَتَنَجَّعُ مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ إِذَا
كَانَ صَائِمًا؛ فَإِنَّ الْمَوْلَى هُوَ صُورَةُ الْجُودِ وَمَعْنَاهُ، وَيَتَّهَ الْكَرِيمِ فَنَاءُ الْخَيْرِ وَمَعْنَاهُ؛
وَالنَّاسُ مَالِمُ بَرُوكِ أَشْبَاهِ، حَرَسَهُ اللهُ وَقَوْلَاهُ، وَضَاعَفَ عُلَاهُ، وَالسَّلَامُ .



يَا أَجَلَ النَّاسِ سَنَاءَ وَسَنَاءَ * جَفَتْ جُفُونِي لِحَفَاكِ الْوَسَنَاءَ !

يَمَارِ الْأَيَّامِ لِأَلَامِ أَجْنِي؟ * يَا لَيْتَنِي أَعْلَمُ حَظِّي مَا جَنَاءَ؟

وَأَتَمُّ يَا أَهْلَ بَابِ لَعْلٍ * مُذُنُّكُمْ لَمْ أَرَشَيْتُمْ حَسَنَاءَ !

أَفْسَمُ بِمَنْحَنِ أَضَالِي * وَسِرَّتُمْ يَا أَهْلَ وَاْدِي الْمُحَنَاءَ !

فِي بُعْدِكُمْ مَنِّي لَا تَبْعُدُوا * وَقُرْبُكُمْ غَايَةُ سُؤْلِ وَالْمُنَاءَ !

خَلَّدَ اللهُ سَعَادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ إِرَادَتَهُ؛ وَأَثَلَ بِحُجْلِهِ، وَأَدَامَ سَعْدَهُ؛ وَأَعْلَبَ
مَنْهَلَهُ وَرَدَّهُ .

المملوكُ يَشْتَوِي إِلَى لِقَائِهِ، وَيَشْتَوِي إِلَى أَنْبَاءِهِ، وَيَصِفُ شَدِيدَ أَشْوَاقِهِ وَصَبَابَتِهِ، وَحِينَهُ إِلَى مَشَاهِدِ الْمَوْلَى وَمَشَاقِفَتِهِ، وَمَا يَحْدُ لِنُكْ مِنْ أَلَمٍ فِي جَوَارِحِهِ الْجَرِيحَةِ، وَسَقَمٍ فِي جَوَائِحِهِ الصَّحِيحَةِ؛ وَيَلْتَمِسُ مَوَاصِلَتَهُ بِكُتُبِهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَخْبَارِهِ السَّائِرَةِ لِيَتَضَاعَفَ لَهُ مَزِيدُ الْإِسْتِيشَارِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ بِنَارِ الصَّبَابَةِ قَدْ وَقَدَّ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَلَى [بُعْدِهِ] قَدْ قَدَّ؛ وَمَتَى وَرَدَ كِتَابُ الْمَوْلَى شُغِيَ الْقَلِيلُ، وَأَبْلَى الْعَلِيلُ، وَنَجَّحَ طَعْمُ الْحَيَاةِ وَنَجَّحَ التَّأْمِيلُ؛ فَلْيَصْبِرْ وَتَرِ مَكَاتِبَاتِهِ شَفْعًا، وَلَا يَجْعَلْ لَوْصِلِهِنَّ قَطْعًا؛ وَاللَّهُ يَمْنَحُ عَيْشَهُ خَفْضًا وَمَكَانَهُ رَفْعًا، وَالسَّلَامُ.



شعر في معنى التشوق :

قَدْ كَانَ لِي شَرْفٌ يَصِفُو بِرُؤُوسِهِمْ * فَكَدَّرَتْهُ يَدُ الْأَيَّامِ حِينَ صَفَا
غِيَرِهِ :

كَتَبْتُ ^(١) الْكِتَابَ مَجْلَدٌ * عَلَى أَنَّهُ قَبْلِي بَلْقَاكَ يَسْعُدُ

النوع السادس

(فِي الْإِسْتِرَارَةِ)

قال في "مواد اليان" : رِقَاعُ الْإِسْتِرَارَةِ إِنَّمَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ حَالَاتِ الْأُنْسِ وَمَجَالِسِ اللَّذَاتِ، وَمَشَاهِدِ الْمَسَرَاتِ . قال : وَيَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُودِعَهَا حُلُوقَ الْأَقْلَاطِ، وَمُؤَثَّرَاتِ الْمَعَانِي وَبَارِعَ التَّشْبِيهَاتِ، وَيُبَالِغَ فِي تَشْوِيقِ الْمُسْتَرَارِ إِلَى الْحُضُورِ، وَيَتَلَطَّفُ فِيهِ أَحْسَنَ تَلَطُّفٍ .

(١) يبياض في الأصل ولعله "وشوق الكتاب الخ" .

(٢) لعله مجازات كالإيجاز .

وهذه نسخ من ذلك :

على بن خلف :

رُفِعتي - أطال الله بقاء سيدي - ونجلي بني حله من خدمه ، وزله من صنائع
كرمه ؛ فلك مزين بالجمه ، فإن رأى أن يُطلع فيه بئرا بطلوعه وينقل قلبه إليهم ،
ويُكمل قُصصهم بتمامه ؛ ويُضيف ذلك إلى تليد إتمامه ، فعل ؛ إن شاء الله تعالى .

وله في مثله :

قد أنظمت لنا - أطال الله بقاء سيدي - مجلس رقت حواشيه ، وتبسمت راحه
عن حجب ، كلالتي على ذهب ، وقامت فيه سوق السرور ، لا يُكسبها إلا تخلفه
من الحضور ؛ فإن رأى أن يُكمل جدلنا باطلاع طلعتنا علينا ، ويصدق ظننا بنقل
قدمه إلينا ؛ سر وأبجج ، ونعم من الإحسان ما أخدج ؛ إن شاء الله تعالى .

وله : هذا - أطال الله بقاء مولانا - يوم صفيق الظل ، رقيق غلالة الظل ؛
قد ترفعت شمسُه يبرج أنسه ^(١) ، وأقر جدلاً عن مضاحك برقه ، وترنم طرباً بزيمرة
رعدِه ؛ ووسّنت مدارج نسيمة ، بأرج شيمه ، وقام على منابر السرور يخطب أبنه
الكرم لأبناء الكرام ، وينادي بأعلى صوته : حي على المدام ؛ فقد وجب على كل
موقف لاجتماع ثمار السرور ، والنعاف عطف الحبور ؛ أنت بليّ دعوته ، ويتميز
فرصته ؛ ويعوضه من شمس الآفله ، براج لإظهار ما أخفى من شعاعها كافله ؛
ويقفه على التملّ بالكاس والندمان ، ويجعله سلكا ينظّم فيه الإخوان . ورُفِعتي
هذه صادرة إلى مولاي وقد نهياً لنا مجلس من مجالس الأُس ، يسقط تجعد النفس

(١) فيه بَقْمٍ وَنَقْمٍ ، وَمِزْهَرٍ وَزَهْرٍ ، وَخُلَّانٌ قَدْ تَرَضَّعُوا لِإِنَّ الْعُقَارَ ، وَتَسَاهَمُوا قَهْلَ الْوَقَارِ ، وَتَجَمُّوا فِي مَعَارِكِ الْخَمَارِ ، وَأَدْمَنُوا عَلَى الْمُسَاةِ وَالْإِفْكَارِ ؛ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْخَلِيسَ مَعَ تَمَامِهِ مُحَدِّجٌ ، وَعَلَى كَيْلِهِ مَخْتَلِجٌ ؛ لِيُعَدَّ مَوْلَايَ الْحَالُ مِنْهُ حَقْلَ الْوَاسِطَةِ مِنَ النِّظَامِ ، وَالْأَزْوَاجِ مِنَ الْأَجْسَامِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُكَمَّلَ مِنْهُ مَا قَصَّ ، وَيُمِيطَ عَنْهُ [مَا نَقَصَ] فَلْيُجَمِّلْنَا بِالْمَصِيرِ إِلَيْنَا ، وَالطَّلُوعِ عَلَيْنَا ؛ وَأَعْفَانَا مِنْ إِخْجَارِ الْاِسْتِظَارِ ، مُعْتَدًّا بِذَلِكَ فِي كَرِيمِ الْأَيْدِي وَالْمَبَازِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في مثله :

هَذَا الْيَوْمُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - يَوْمٌ أَهْرَسَ فِيهِ الْجَوُّ بِالْجَارِيَةِ الْبِيضَاءِ تَقَدَّرَهَا ، وَجَجِبَهَا بِسَجْفِ النَّهَامِ وَسَتْرَهَا ؛ وَأَخْتَالَ آخِيزَالِ الْمَعْرِسِ فِي مَعْرِسِهِ ، بِمُصَنَّدِلِهِ وَمُسْكِهِ وَمُورِسِهِ ؛ وَأَتَّخَذَ مِنْ ذَعَبِ الْبَوَارِقِ نِتَارًا ، وَاسْتَنْطَقَ مِنْ زُنَارِ الرُّوَاعِدِ أَوْتَارًا ؛ وَدَعَا إِلَى حُضُورِ وَلِيِّتِهِ ، وَالسُّرُورِ بِمَعْرِتِهِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَلْبِيَ طَلِبَ هَذَا الْيَوْمِ الصَّفِيقِ ، وَيَتَمَتَّعَ بِبَيْتِهِ الرَّافِعِ الرِّفِيقِ ؛ فَلْيُطْلِعْ عَلَيْنَا طَلْعَتَهُ الَّتِي تَهَيَّزُ الْقَمَرَ الْمُزْهَرَ ، وَتَصْدُرُّ اللَّيْلَ الْمُعْتَكِرَ ؛ لِيُنْهَضَ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ ، بِنُورَةِ الرَّاحِ ، وَيَقْطِفَ ثِمَارَ الْأَنْسِ وَالْحَاضِرِ ، وَيَتَمَلَّأَ بِالسَّمَاعِ وَالْمَلَأَا كَرَهُ ؛ وَيَأْخُذَ بِحِطِّ مِنَ لَذَائِذِ الْفَيْحَةِ الشَّبِيهِ بِشَمَائِلِهِ ، وَيُعَدَّ ذَلِكَ مِنْ مَبَارِهِ وَفَوَاضِلِهِ ؛ [فَعِلْ] إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله في الاستدارة في بُسْتَانِ :

كُتِبَتْ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي - وَقَدْ ضُؤِبَتْ فِي هَذَا الْيَوْمِ [إِلَيْنِ] بُسْتَانِي وَالطَّيْرُ فِي الْأَوْكَازِ ، وَالْإِنْدَاءُ تَهَيَّزُ كَالثِّيَارِ ؛ وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الصَّبَاحِ ، أَشْتَمِلُ الْأَدْهَمِ

(١) هو بالفتح والغيم وبالتحريك ما يتناول به كل الشراب . أنظر السانج ١٤ .

(٢) في الأصل « أطل » وله من تصحيف النسخ .

على الأوضح؛ حازماً على مشاركته ومُشاركة ما استمدت من عمارته، لا تحلوه فيه
بمُطاة المدام، ومُؤانسة الندام؛ حين سرحت الطرف في مياينه وجداوله، وأقبلت
على تصفح حلاه وحلله؛ رأيت مناظره تعلق القلوب أعتلاق الأشرار، وتتناق
المستوفز عن الحرار؛ وتقيم قاعد المزاج والنشاط، وتوقظ هاجد الفرح والأنس؛
فمن أشجار كالأوانس، في ریحاني الملبس؛ حالية من موشع الزهر والتمر، بأنصع
من الياقوت والجوهر؛ كأنما تحفلت لاجتلاء عروس، أو مُعطاة كُوس؛ ماين
تجیل قد نسرت عذب السندس على دُرَاهَا، وأطلعت طلما كأنما تجر غشياً صدها؛
ونارنج يجل أكبر العُقبان، أو وجنات القيان؛ وأترج قد استعار ثمره أشواق العشاق،
إذا صالت عليهم يد الفراق. ومن رِيضَانٍ زاهية بنشرها، وقُضْبها غثالة في ملبس
زهرها؛ وزرجها كمين عجب حلق إلى الحبيب، وثقى جيله خوف الرقيب، إذا
عبت به النسيم جمع بين كل قُضيب وإفده، وسعى بالاعتناق من شوقه وكلفه؛
ورزدها كداهن ياقوت فيها نُضَار، وشقيقها كداهن عقيق فيها صُور؛ وبَنَسْجها
نَفْدٌ تَمْضِي فيه من القرص آثار؛ أو جامٌ يُلَيِّن عليه من الندى نثار. ومن أنهار قدت
حافاتها قد الأديم، وحلت على صراط مستقيم؛ يجره مسجوره، كالسيوف المشهورة
أو المهارق المشهورة؛ إذا نمتها الهوى خلع عليها متون المبادر، أو سلوخ الأساود؛
يغرق ذلك كله نسيم رقيق القلائل، حلو الشائل؛ يسعى بالنسيم، في المعاطس
والشميم؛ انصبَّت إلى مجلس فيسج البناء، ضيق الأفناء؛ موشى الجدران والسماء،
في صنلره شاندروان يرمي بكمر البلور، وفي وسطه نهر ينساب ماؤه أنسياب

(١) الرِيضَانُ والرياض جمع الروضة .

(٢) الصوار والصوار « أى بالضم والكسر » الرائحة الطيبة والقليل من المسك أنظر ج ٦ - ص ١٤٧ .

الشَّجَاعِ الْمَذْهُورِ، وَتَوَسَّطُهُ بَرَكَةٌ مَعْنَمَةٌ يَنْصَبُ الْمَاءَ إِلَيْهَا بِاللَّوَالِي إِلَى أَرْبَعِ شَاقِرَوَاتٍ، وَيُخْرِجُ عَنْهَا مِنْ أَرْبَعِ فَطِيمَاتٍ؛ يَحْتَفُّهَا كُلُّ شَجَرٍ مُثْمَرٍ، وَرَوْضٌ مُزِيهِرٌ. قُلْتُ: هَذَا الْمَرَادُ الَّذِي يَحْطُّ بِهِ الرَّائِدُ رَحْلَهُ، وَيُوفِدُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ؛ وَيَدْعُو إِلَى اخْتِيَارِ مَنْ يَهْبُ إِلَى السُّرُورِ، وَيُسَاعِدُ عَلَى الْحُضُورِ، لِلشَّارِكَةِ فِي التَّحَلِّيِّ بِهَجَّتِهِ، وَالتَّمَتُّعِ بِنَضْرَتِهِ؛ فَكَانَ مَوْلَايَ أَوَّلُ مَنْ جَرَى إِلَيْهِ ذِكْرِي، وَوَقَعَ عَلَيْهِ طَرْفُ فِكْرِي: لِأَنَّهُ السَّاكُنُ فِي قُوَادِي، الْحَالُّ فِي حُلِّ رُقَادِي؛ فَإِنْ رَأَى أَرَاهُ اللَّهُ مَا يُغَيِّرُ الْعَيْنَ أَنْ يُجَلَّ مَسَرَّتِي بِنَقْلِ قَدَمِهِ إِلَيَّ، وَاطْلَاعِ سَعْدِ طَلْعَتِهِ عَلَيَّ: لِيَتِمَّ عَاسِنَ مَا وَصَفْتُهُ، وَيَكِلَ الْاِكْتِذَاذَ بِمَا شَرَحْتُهُ؛ فَهَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

أَجْوِبَةُ رِقَاعِ الْأَسْتِزَارَةِ

قال في "موادِّ البيان": لَا يَخْلُو الْمُسْتَرَارُّ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى الْحُضُورِ أَوْ التَّنَاقُلِ عَنْهُ، فَإِنْ حَضَرَ عَلَى الْقَوْرِ، فَلَا جَوَابَ لِمَا نَقَدَ إِلَيْهِ، وَإِنْ وَعَدَ الْحُضُورَ وَلَوَّمْ لِبَقِيَّتِهِ شُغْلًا وَيَحْضُرُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْبَغِي الْجَوَابَ عَلَى سُورِهِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْهُ؛ وَأَنْ تَلُومَهُ لِلْعَائِقِ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ جَوَابًا عَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ حُضُورَهُ يَسْتَفِيعَ رُقْعَتَهُ. وَإِنْ آتَى مِنَ الْحُضُورِ، وَجَبَ أَنْ يَنْبَغِي الْجَوَابَ عَلَى مَا يَمُهِدُ مَذْرَعَهُ، وَيَقَرَّرُ فِي نَفْسِ مُسْتَرِيرِهِ أَنَّهُ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنِ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْإِنْسِ إِلَّا لِقَوَاعِصِ صِدْقَتِهِ عَنْهُ، يَعْلَمُ الْمُتَعَدِّرُ إِلَيْهِ حَقَّهَا لِيَنْحَرِسَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَوَدَّةِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مَا تَنَافَسَدُ الْخُلُلَانُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ.

النوع السابع

(في أخطاب المودة وأفتاح المكتبة)

قال في "مواد البيان" : الرّفاع الدائرة بين الإخوان في أخطاب المعاشرة ، وأثناء المكاثرة ، وطلب الخلطة والمؤانسة ، يجب أن يقدّر الخطاب فيها على أن يصل المرغوب في عشرته إلى الانخراط في سلك أخائه ، والانحياز إلى أهل ولّاه ، ويبعث على قصده ، في الالتحاق بؤده ، ويدلّ على المحاصصة ، والصفاء والمخالصة ، وما جرى هذا التجري مما يتعامل به إخلاء الصّدق ، ويعملونه مَهْرًا لما يلمسونه من الممازجة ، ويرومونه من الاختلاط والمواشجة .

قال : وينبغي أن ينهب الكاتب في هذه الرّفاع مذبحا لطيفا ، ويحسن التوصل إلى الإفصاح عن أغراضها : ليأخذ بجوامع القلوب ، ويعين على تيل المطلوب .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة : وينبغي أن المملوك لم يزل مذوق طرفة على صورته ، ووجّ سمعه بعد شهيته ؛ يباحي نفسه بافتتاح مكاتبة ومراسلته ؛ وأخطاب مآزجته ومواصلته ؛ رغبة في الاعتقاد بإخائه ، ولا يرتشاق من مّشارع صفاته ؛ والمقادير تطوى الطوية على ما فيها ، والعوائق تمطل النية بتجاوز مآثويه وتلويها ؛ إلى أن أذن الله تعالى بإعراض الأعراض ، وأقباض أسباب الكهياض ؛ فظهر المملوك مافي القوة ، واتقا من مولانا بحسن المروءة ؛ وأنه يوجب القبول بإجابته ، ويحيب إلى مساعدته ؛ ويرضى المملوك أهلا لأصطفائه ، وعلا لإخائه ؛ علما بإيجابه للحق ، والمعرفة بالسبب ؛ وأن تُلقي هذه الرغبة بالقبول ، ويسلم إليها مفتاح المأمول .

رقعة : لو كانت المودة لا تحصل إلا عن ألفة نالدة ، ومواصلية سائلة ؛ لم يستطرف المرء صفيًا ، ولم يستحسث وليًا . وما زال البعداء يتقاربون ، والمتناكرون يتعارفون ؛ ولما نمي إلى المملوك من أنباء مولانا ماتضوع عطره ، وطاب نشره ؛ سافر بالأمل إليه ، وقدم بالرغبة عليه ؛ طالبًا الانخراط في سلك أوليائه ، والاختلاط بخاصته وخلصائه ؛ ومثل مولانا من أجاب السؤل ، وصنق المأمول ؛ والمملوك يرجو أن تكشف الأيام لمولانا منه عن خلة صادقة ، ومودة صحيحة ، لا تضيع معها إجابته ، ولا تحسر صفقته .

رقعة : وينبغي أن المملوك مازال مذ وقع طرفه على صورته البديريه ، وأحاط صلبًا بجلائحه المرضيه ؛ راجبًا في مواجحته ، باعًا نفسه على أخطاب مودته ، وإكباره قيعده ، وإعظامه تبعده ؛ فلما تطاول براع همته ، شجعت على اغتاذ عزيمته ؛ فقدم مكاتبته أمام مشافهته ؛ فإن حظى بالإجابة وتحويل الطلبة ؛ فقد فاز قدسه ، وتبلغ صبحه ؛ ونال مناه ، وبلغ رضاه ، وصادف هناء ، وديدا موثوقا بؤده ، مسكونا إلى عقده وعهده ؛ يحمده عند الاختيار ، ويعرف به صحة رأيه عند الاختيار ؛ والمملوك يرجو أن يصح ماسأله وكفله ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وينبغي أن من عمر الله تعالى بثنائه الخافل ، وعطر بأنيابه الفضائل ؛ وأقام من مساعيه الكرام خطيبًا يحطب بسودده وقضله ، ويعرب عن شرف محته وأصله ؛ تطلعت الأمال للانتظام في سلك أحبابه ، وتشوفت الهيم إلى الأمتراج بخلصائه وأوليائه : لما يصفو على المعتصم برى مصافاته من لباس بحاله ، ويحل المعنى إلى وآلته من حل جلاله ؛ وأحق من أسعفه مولانا بالمودة إذا خطبها ،

وأجابه إلى المصافاة إذا طلبها ؛ مَنْ بدأه بالرَّغْبَةِ ، ومَتَّ إليه بالمَحَبَّةِ ، لا لِمُرْغَبٍ ولا مُرْهِبٍ ، واختاره لنفسه على سَلَمٍ بكَلَامِهِ ، ومعرفة بِشَرَفٍ سِلَاحِهِ .

وما زال المملوكُ مُدَّ أطلعه الله على ما خُصَّ به مولانا من المحاسن المتعدِّدة إلا لَدَيْهِ ، والفضائل المتنَّعة إلا عَلَيْهِ ؛ يُحَوِّمُ على مَشَارِعِ مَازَجِهِ ولا يَرُدُّهَا ، وَيُرْوِّمُ مَوَاقِعَ مُوَاتَّجِعَتِهَا ولا يَعمِدُهَا ، إِكْجَارًا لِقُدْرِهِ ، وإِعْظَامًا لِحَظَرِهِ ، وخَوْفًا من تَصَفُّعِهِ وتَقَدُّعِهِ ، وإِبْقَاءً على مَاءِ وَجْهِهِ من رَدِّهِ ؛ والمملوكُ وإن كان عَالِمًا بِأَنَّ كَرَمَ مولانا يَرِيقُ الخَلَلَ ، وَفَضْلُهُ يُصَنِّقُ الأَمَلَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَمُ مَذَرِيبٌ فِي قُرْبِ مولانا مَالَعْلَهُ يَحْدُثُهُ فِيهِ ، مَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُ وَيُنَاقِضُهُ ؛ إِذْ كَانَ لَا يَبْلُغُ تَضَاهِيَهُ فِي أَتَمِّهِ وَتَوَافِيهِ ، إِلَى أَنْ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ يَبْلُغَ نَفْسَهُ الأُمْنِيَّةَ ، وَأَظْهَرَ مَا طَوَّرَتْ عَلَيْهِ الطَّوْبِيَّةُ ؛ فَكُتِبَ هَذِهِ الرِّقْعَةُ وَجَعَلَهَا فِيهَا رَأْيَهُ مِنَ الإِعْطَاقِ بِحُبْلِ مَوَدَّتِهِ سَفِيحًا ، وَعَلَى مَا أَتَمَّسَهُ مِنَ الانْضِمَامِ إِلَى جُمْلَتِهِ ظَهِيرًا ؛ وَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ وَطَنُهُ يَرْجُحُ مِنَ الإِعْرَاضِ إِلَى الْقُبُولِ ، تَقَّةً بِقُرْبِ نَيْلِ المَأْمُولِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يُجِيبَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ ، وَيُسَرِّهَ بِتَوِيلِ مَا أَقْرَعَتْهُ ، فَسَلِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

اختطاب المودَّة ومفاتيح الكتابة من كلام المتأخرين :

الشيخ جمال الدين بن ثَبَاتٍ :

وضاعفَ للمالكِ بَقَائِهِ الإِتِّفَاعَ ، وَأَبْزَقَانِيَةَ الإِرْتِفَاعِ ؛ وَمَرَّ بِحَاسِنِ نَظَرِهِ وَخَبَرِهِ الْعِيَانِ وَالْمَسَامَحِ .

ولا زالَ للحَيِّينَ من وَدِّهِ عَطْفُ التَّنَطُّفِ والأَعْدَاءِ مِنْ بَأْسِهِ خَطْفُ الشُّجَاعِ .
أَصْدَرَهَا المملوكُ مَنْطُويَةً على مَا عَهْدَ مِنْ صِدْقِ المَحَبَّةِ ، وَوَفَاءِ المَهْدُودِ المَسْتَتِيبِ ؛ وَدَرَّرَ

المحمد التي لا تسوى لتيها دُرُّ العقود حبه ، مُبْدِيَةً لعلمه الكريم أنَّ المودات إذا صفت ، والقلوب إذا تجملت وتعارفت ، حثت المحبين في العباد على المفاتحة بكتبهم ورسائلهم ، والمخاطبة في ظلال الأوراق بالسنة أعلامهم من لهوات أناملهم ؛ إيثاراً لتجديد الأتس وإن صحَّ الميثاق ، وتذكّاراً لخواطر الودد ، وإن رجحت منه الأصول وتمت الأعراق ؛ ولذلك فاتح بها مخاطبها ، وأرتعب لمناذيرها بالأخبار السارة مجاوباً ، نائبة عنه في مشاهدة الوجه الكريم ، ومصالحة اليد في حديث رُها القديم ؛ تستطلع أخباره ، وتستعرض أوطاره ؛ وتُحيي بالسلام وجهه وعهده ودياره ، على يد فلان ، وقد حمل من المودات والمشافات ما يُعيد به على السمع الكريم المنعم بأصفائه ، المُصنِّى بتعاماته ؛ المتخف بالمهمات التي يحصل فوز القيام بها ، والمشرقات التي كل أسباب الضرور متصل بسببها ، واقفه تعالى يُبهِج من ثقائه سمعاً ونظراً ، ويُقي عيش حاسده هشياً وعيش محبيه نضراً ؛ ويُديم رياض ذكره تالية على المسامح : (فأخرجنا منه خضراً) .

أجوبة أخطاب المودة

قال في "مواد البيان" : لا يخلو من يُرام ذلك منه من أن يُجيب أو يعتل ، فإن اجاب بنى الجواب على وقوع رغبة المختطب أحسن مواقيعها ، وأبتهاج المختطب بها ، ومعرفته بقدر ما رآه أهلاً له ومسارعيه إليه ؛ وإن اعتل بنى الجواب على أنه قد عرّض له ما يقصر عنه ، ولا ترضى نفسه به ، وأن العذر [ليس] بعبادة له في المزايلة ، وطريقة في الاقتراد والمجانبة .

(١) أى لاساوى يقال سوى درهما سوى من باب تمب ومنعها أبو زيد . أنظر المصباح .

النوع الثامن

(في خطبة النساء)

قال في "مواد البيان" : الرِّقَاع في التماس الصَّهر والمواصلة يجب أن تكون مبنية على وصف الخطوب إليه بما يقتضى الرِّغبة ، ويدل الخاطب عن نفسه بما يؤدي إلى الكفاية والإسعاف بالطلبة .

قال : وينبغي للكاتب أن يُودِعَهَا من ألفاظ المعاني المنتظمة في هذا الباب أوقعها في النفوس ، وأعودها بتقريب المرام ، وأدّ لها على صندق القول فيما تكفله من حسن معاشرته ، ولين معاملة ؛ وأن يذهب بها إلى الاختصار والإيجاز .

وهذه نسخت من ذلك :

بما أورده أبو الحسين بن سعد في ترجمته .

وأفضل تلك المواهب موقعا وألطفها وأحدها عاقبة ، وأرهنها يدا ، ما يؤلف الله به القربات ، ويؤكد به الحرمات ، ويوجب به الصلوات ، ويحث به المكرمات ، ويحدث به الأنساب ، ويقوى به الأسباب ، ويكثر به من القلة ، ويجمع به من الفرقة ، ويؤنس به من الوحشة ، ويؤاد به في الحقوق وجوبا ، وفي الموافات ثبوتا ، ثم لا مثل لما كان لله طاعة ورضا ، وبأمره أخذًا واقتداء ، وبكلمه قنوة وأخذاء ؛ فانه نسال الخير في قضائه ، والبركة فيما يقوم بناؤك عليه .^(١)

ومنه : تَصِلُ رَجَاءً، وَتَعْقِدُ سَبَبًا، وَتُحَدِّثُ نَسَبًا، وَتُجَدِّدُ وُصْلَةً، وَتُؤَكِّدُ أَلْفَةً .

رقعة : مَنْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّ بِهِ سَيِّدِي : مِنْ طَهَارَةِ الْأَعْرَاقِ
وَالْأَنْسَابِ ، وَضَرْفِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ ؛ وَأَفْرَدَهُ بِاجْتِنَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمُنْفَرِقَةِ
فِي الْأَنَامِ ، وَعَطَّرَ بَنَاتِهِ مَلَابِسَ الْإِيَّامِ ؛ رَغِبَ الْأَحْرَارُ فِي مُوَاصَلَتِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ بَذْلُ
الْوَجْهِ فِي اخْتِطَابِ مَازَجَتِهِ ، وَالْتَمَسَ مُوَاشِيَتَهُ وَمُنَاسَبَتَهُ ؛ وَجَدِيرٌ مِنْ رُغْبٍ إِلَيْهِ ،
وُطْلُبِ مَالِدِيَةٍ ؛ وَاخْتِيرَ لِلشَّابِكَةِ فِي الْوَلَدِ وَالْخَلْمَةِ ، وَالْمَشَارِكَةِ فِي الْمَالِ وَالنِّعْمَةِ أَنْ
يَجِيبَ وَلَا يَمْنَعُ ، وَيَصِلَ وَلَا يَقْطَعُ ؛ مُصَنِّقًا لِأَمَلٍ مِنْ أَفْرَدِهِ بِأَرْتِيَادِهِ ؛ وَتَوَحَّدَهُ
بِاعْتِمَادِهِ ؛ عَارِفًا لَهُ حَقَّ آبَسَدَانِهِ بِالثِّقَةِ الَّتِي لَا يَحْجُوزُ رَدُّهُ مِنْ أَعْتَقَلِّهَا ، وَلَا صَدُّهُ مِنْ
حَسَنِ ظَنِّهَا ؛ وَقَدْ عَلَّمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ [مَضَى] لِلْمُلُوكِ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ [وَهُوَ يَحْتِثُ] مُتَطَلِّبًا
مَرِيحًا لِلتَّاهُلِ ، مُؤَثِّرًا لِمَعَارَةِ الْمَنْزِلِ ، رَاغِبًا فِي سَكْنِ تَطْمِئِنِّ النَّفْسِ إِلَيْهِ ، وَتَعْتِمِدُ
فِي الْفَوَائِجِ وَالْمَصَارِطِ عَلَيْهِ ؛ وَكُلُّهَا عَرِضُ لِلْمُلُوكِ بَيْتُ آبَاءِ ، أَوْ ذِكْرُ لَهُ جَنَابٌ قَطَعَ
عَنْهُ رَجَاءَهُ : لَعَلَّ بَعْضَ الشُّرُوطِ الَّتِي يُرِيدُهَا فِيهِ ، وَتَعُدُّهَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا قَرَعَ سَمْعَهُ
ذَكَرُ سَيِّدِي ، عَلِمَ أَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي لَا مَرْقَى بَعْدَهَا ، وَالنَّهَايَةُ الَّتِي لَا مَطْمَاحَ وَرَاءَهَا ، وَأَنَّهُ
قَدْ ظَفِرَ بِالثِّقَةِ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأَمْنِيَّةِ ، وَوَجَدَ مِنْ يَجْمَعُ الْخِلَالَ الْمَرْضِيَّةَ وَيَزِيدُ ؛
وَيَحْجُوزُ مِنَ الْفَضْلِ الشَّأَوِ الْبَعِيدِ ، وَكُتِبَ لِلْمُلُوكِ هَذِهِ الرِّقْعَةُ خَاطِبًا كَرِيمَتَهُ فَلَانَةَ
[لِيَكُونَ لَهَا] كَالْفِغْمِ الضَّامِنِ لِلْهَنْدِ ، وَالْجِلْدِ الْحَافِظِ لِلْجِلْدِ ؛ وَيَكُونُ لِمَوْلَانَا كَالْوَلَدِ
الْبَرِّ أَبِيهِ ، وَلِأَخِيهَا كَالصَّنْوَ الشَّقِيقِ عَلَى أَخِيهِ ؛ فَإِنْ رَأَى سَيِّدِي أَنْ يَتَدَبَّرَ مَا كَتَبَهُ
الْمُلُوكُ وَيَتَسَمَّعَ مِنْ تَوْكِيدِ رُقْعَتِهِ مَاحِلَتَهُ ، وَيُجِيبِيهِ إِلَى مَا سَأَلَهُ فَلَهُ عُلُوُّ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ ؛
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَوْلَانَا بِمَا نَحْمُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ تَحَاسُنِهِ وَمَتَاقِبِهِ ، جَدِيرُ أَنْ
يَلْقَى مَنْ خَطَبَ الْاِحْتِصَامَ بَعْرَى مِمَّا زَجَّهَ ، وَسَعَى فِي نَيْلِ عِلْمِهِ مِنْ مُوَاجَهَتِهِ ، بِالْقَبُولِ ،
الْقَاضِي بَيْنَ الْمَأْمُولِ ، وَدَرَكِ الرَّغْبِ وَالسُّوْلِ ، وَلَا سِيَّما إِنْ كَانَ طَارِقًا مِنْ مُمَوِّ
خَطَرِهِ ، وَأَعْلَاءِ قُدْرِهِ ، مَا يَقْضِي عَلَيْهِ بِمَقْضِ الْخِتَابِ فِي مَعَاشِرَتِهِ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ
فِي مَعَامِلِهِ ، وَالْوُقُوفِ كُنْ دَرَجَةِ الْمَسَاوَةِ وَالْمِثَالَةِ ، وَالتَّرْخُّجِ عَنْ رُتْبَةِ الْمُبَارَاةِ
وَالْمُطَاوَلَةِ ، وَالْاِتِّظَامِ فِي سِلَكَ الْاِتِّبَاعِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَالْخُلْدَامِ وَالنَّاشِيَةِ ، وَكَثِيرًا مَا وَجَدَ
الْمَمْلُوكُ الْبَرَكَةَ فِي مِشَارَكَةِ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ أَوْفَرُ مِنْهَا فِي مِشَارَكَةِ النُّظَرَاءِ ، وَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ
فِي مِشَابِكَةِ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ أَجْمَلَ مِنْهَا فِي مِشَابِكَةِ الْاَكْفَاءِ ، الَّذِينَ يُصَادِفُونَ فِي الْحَقُوقِ
تَسَطُّطًا ، وَلَا يُفَضُّونَ عَنْ يَسِيرِ الْوَاجِبَاتِ تَبَسُّطًا : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْوَصْلَةَ مِمَّنْ
دَانَاهُمْ فِي الرُّتْبَةِ وَالْمُتَرَلِّةِ لَيْسَتْ عَائِدَةً عَلَيْهِمْ بِشَرَفٍ ، وَلَا مُظْهِرَةً لَهُمْ مِنْ تَحْمُولِ .
وَلَا أَنْ يَسْتَخْلَصَ مِثْلُ سَيِّدِي مِنَ الرُّؤَسَاءِ ، مِثْلُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَيُخْتَصِمَ بِأَثَرِ
الْإِحْيَاءِ وَالْإِصْطِفَاءِ ، فَيَكُونَ مَفْخَرُهُ إِلَيْهِ مَنْسُوبًا ، وَمَا يَرْقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَرْكَبُهُ
مِنْ دَرَجِ الْفَضْلِ فِي نَفْسِهِ مَحْسُوبًا ، أَوَّلَى مِنْ طَلَبِ مُمَائِلِ بُنَاوِي قُدْرِهِ وَيُطَوِّلُ .
عَلَى أَنَّهُ لَوْ طَلَبَ ذَلِكَ لَطَلَبَ مُعْوِزًا ، وَرَامَ مُعْجِزًا : لَمَّا أَفْرَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ
السِّيَادَةِ الَّتِي لَا يُقَارَى إِلَى مُتَرَلِّاتِهَا ، وَلَا يُتَسَاوَى إِلَى مُطَاوَلَاتِهَا ، وَإِنْ كَانَ النِّظِيرُ
مَعْنُومًا ، وَالْكُفُوُ مَفْقُودًا ؛ وَلَوْ وَجِدَ لَمَالَ مَقْسُطًا ، وَوَقَعَ سَوْمُهُ مِنْتَسِطًا ؛ وَمَوْلَانَا
يُطَلَّبُ إِلَيْهِ وَلَا يَطْلُبُ ، وَيُرْتَبُ فِيهَا عِنْدَهُ وَلَا يَرْتَبُ ، فَقَدْ سَهَّلَتِ السَّبِيلُ إِلَى
مَا يَرْوُمُهُ الْمَمْلُوكُ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَيُؤَثِّرُهُ مِنْ مُوَاصَلَتِهِ ؛ وَأَتَّسَعَ الْمَجَالُ فِيَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ مِنْ
الرَّغْبَةِ فِي تَقْلِيدِهِ شَرَفِ مُصَاهَرَتِهِ ، وَإِضَافَتِهِ بِذَلِكَ إِلَى بِطَانَتِهِ وَأَهْلِ خَاصَّتِهِ ؛
وَيُخْرِجُهُ عَلَى مَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، وَالسَّيِّدُ عَبْدَهُ ؛ وَقَدْ حَمَلَ الْمَمْلُوكُ مُوَصِّلَ

(١) لعله يشير إلى المثل العربي «جرش عليه سوم طالة» يضرب لمن يعرض عليك ما أنت عنه غني تأمل .

مطالعتة هذه مالم تسع إيداعه المكتبة، فإن رأى مولانا أن يُضَيِّعَ إليه ويُجِيبَ عبده بما يَتمنَّيه المملوكُ في ذلك فله الفضل؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : ويُنهى أن لنوى المناجِب الطيبة الأنساب، والمناحِت الزكية الأحساب ؛ والأخلاق الكريمة والآداب ، بين الأنام لسان صدق يخطب لهم بالمحسن والمحامد، ويُعْطَرُ بناتهم الصادِر والوارد؛ ويدعو القلوب إلى نيل طمعه من ممازجهم، وأتمسك بطرف من مواصلهم؛ وقد جمع الله مولانا من كريم المثلد^(١) والمطرف، وقديم وحديث الفضل والشرف، ماتفرق في السادات، وتوزع على أهل الرياسات؛ وجعله في طهارة المولد، وطية المختد؛ وأستكمل المآثر، وأستتمام القانر، صلبا ظاهرا، ونجما زاهرا؛ فما من رئيس سوى مولانا تُعْجِزه خلة من خلال الرياسة إلا وجدها لديه، ولا نفيس تُعَوِّزُه خصلة من خصال التفاسة إلا أستمحها من يديه؛ ولذلك أمتنت الأعناق إلى أتمسك بحبله، وتطلعت الهيم إلى مؤانججه في كريم أصله؛ وصار مرغوبا إليه لاراعيا، ومطلوبا لديه لاطالبا؛ وهو جدير بما وهبه الله من هذا الفضل النافع، والثبل الشائع، أن يُجِيبَ سائله، ويصدق أمّله؛ ولا يُجْهِمَ في وجه قاصده، ولا يرده عن مقصده؛ ولا سيما إذا كان قد أسلفه الظن الجميل، وبدأه بالثقة والتأميل؛ وتعدّر عليه قدر العارف بقدره، العالم بحظّره؛ المرتضى بشرائطه، النازل على حكمه، المتدبر برأيه؛ وقد علم الله تعالى أن المملوك منذ نشأ وصلى للتأهل مرغوب فيه، مخطوب إليه؛ من عدة جهات جليلة، وجبات رئيسة؛ والمملوك صاّد عن الإجابة، صارف عن المطاوعة؛ لشؤذ بعض الشروط التي يروم أن تكون مجتمعة في النسب، الذي أعته شريكا في الولد والنسب؛

(١) المثلد (أي ككرم) ما ولد منك من مالك أو نتج ومال مثله قديم .

ومفاوضاً في الحال والسبب؛ مرتاداً من يقنع بالمواقفه، ويرتض؛ بالعشرة والمراقفه؛ حتى أفضى في الاستعداد إلى مولانا فوجد المراد على اشتراط، وألقى المقصود على اشتطاط؛ فدماه ذلك إلى التهيم بعد الإجماع، وحمله على التجاسر والإقدام؛ والتوسل إلى مولانا بما يتوسل به الأحرار، إلى الأخيار، وأمه بصادق الرغبة وصميم المحبة والانبساط، في خطبة كريمة فلانة؛ على أن يعاشرها بناية الأئس، ويصحبها محبة الحسد للنفس؛ ويعرف لها من قدر أوتها وأمويتها ماتسحق برياستها، وقد أصدر هذه الرقة نائبة عنه في ذلك؛ فإن رأى مولانا أن يحقّه بالقبول، ويجعله أهلاً لإجابة السؤل، فله الفضل في ذلك؛ إن شاء الله تعالى.

ومن النادر الغريب ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل" في الكتابة إلى شخص في ترويح أمه، وهو:

هذه المكتبة إلى فلان - جعله الله ممن يؤثريه على الهوى، ويتوى بأفعاله الوقوف مع أحكام الله تعالى فإنما لكل أمرئ ما نوى؛ ويعلم أن الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن الشر والمكروه فيما طوى؛ تعرض له بأمرٍ لا حرج عليه في الإجابة إليه؛ ولا خلل يلحقه به في المروءة وهل أخل بالمروءة من فعل ما حصر الشرع المظهر عليه؟ وأظهر الناس مروءة من أبلغ النفس في مصالح حرمه عندها، ووثق من حقوق أخصن بيرة كل ما علم أن فيه ربحاً؛ وإذا كانت المرأة عورة، فإن كمال صونها فيما جعل الله فيه سترها، وصلاخ حاملها فيما أصلح الله به في الحياة أمرها، وإذا كانت النساء شقائق الرجال في باطن أمر البشرية وظاهره، وكان الأولى تعجيل أسباب العزمة فلا فرق بين أفي^(١) [وقت] الاحتياج^(٢) [إلى ذلك]

وآخره ؛ وما جَدَعَ الحلالُ أَنْفَ الْفِتْرِ إِلَّا لِزَوْلِ شَيْءٍ الْحَيِّهِ ، وَنَزَلَ عَلَى حَكَمِ اللَّهِ فِيهَا
 شَرَعَ لِعِبَادِهِ الْقُوُسُ الْإِيَّيَّةَ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْفَضْلَ فِي الْأَقْبَادِ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى
 بِعِضَلِ الْوَلِيَّةِ ؛ وَإِذَا كَانَ رَأْسُ الْوَالِدَةِ أَمَّ ، وَحَقُّهَا أَمُّ ، وَالنَّظَرُ فِي صَلَاحِ حَالِهَا أَمُّ ؛
 تَعَيَّنَتْ الْإِجَابَةُ إِلَى مَا يَصْلُحُ بِهِ حَالُهَا ، وَيُسْكُنُ إِلَيْهِ بِأَلْهَا ، وَيَتَوَقَّرُ بِهِ مَالُهَا ، وَيَعْمُرُ
 بِهِ فِنْسَاوَهَا ، وَيَحْصُلُ بِهِ عَنْ هَلْدِ الْمَنْ أَسْتَعْنَاوَهَا ، وَتُحْمَلُ بِهِ كُفْلَةُ خَدَمَهَا عَنْهَا ،
 وَتُدْفَعُ بِهِ ضَرُورَاتُ لَا بُدَّ لَلْوَاتِ الْجَبَابِ وَالْجَحَالِ مِنْهَا ، وَيَضْفَقُ بِهِ مِسْرُ الْإِحْصَانِ
 وَالْحَصَانَةِ عَلَيْهَا ، وَيُظْهَرُ بِهِ سِرُّ مَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ لَهَا مِنْ تَتَبُّعِ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا .

وقد ختم من سادات السلف من تولى ذلك لوالدته بنفسه ، وأعتدته من أسباب
 رُيُومِهِ الَّذِي قَابِلُ بِهِ مَا سَلَفَتْهُ إِلَيْهِ فِي أَمْسِهِ ؛ عَلِمَ مِنْهُمْ أَنَّ اسْتِكْثَالَ الرِّمَاءِ يُعْلَى
 قَدْرَ الْمَرْءِ وَيُنْفَى ؛ وَقَدْ أَجَابَ زَيْدُ بْنُ زَيْنٍ الْعَابِدِينَ هِشَامًا مَّا سَأَلَهُ : لِمَ زَوَّجْتَ
 أُمَّكَ بَعْدَ أَبِيكَ ؟ فَقَالَ : لَتَبَشِّرَ بِآخِرٍ مِثْلِي ، لِأَسِيًّا وَالرَّاعِبِ [إِلَى الْمَوْلَى] ^(١) فِي ذَلِكَ
 مِمَّنْ يُرْغَبُ فِي قُرْبِهِ ، وَيُضْبَطُ عَلَى مَالِدِيهِ مِنْ نِعَمِ رَبِّهِ ؛ وَيَعْظَمُ لِاجْتِنَاعِ دُنْيَاهُ وَدِينِهِ ،
 وَيُكْرَمُ لِيْنِ تَقَبُّلِهِ وَجُودِ يَمِينِهِ ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيلَةَ تَحْمِلُ مِنْهُ فِي أَمْنٍ حَرَمٍ ، وَتَسْتَظِلُّ
 مِنْ قَدَرِهِ بِأَضْفَى سُتُورِ الْكَرَمِ ، مَعَ أَرْتِفَاجِ حَسَبِهِ ، وَأَشْهَارِ نَسَبِهِ ، وَعُلُوِّ قَدَرِهِ
 فِي مَنْصِبِهِ وَحَالِهِ وَسَبِيهِ ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ يُحْسِنُ أَنْ يَحْمِلَ مِنَ الْمَوْلَى عَمَلُ الْوَالِدِ ، وَأَنْ يَتَجَمَّلَ
 مِنْ دُرِّيَّتِهِ بِمَنْ يَكُونُ فِي الْمَلَبَّاتِ بَنَانًا لِيَدِهِ وَعَضُدًا لِسَاعِدِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرُ بَإِخِيهِ ،
 وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بِحَكْمِ الْبَحَازِ لَفْظُ الْعُمُومَةِ ، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْتُ أَبِيهِ ؛ وَأَنَا أَنْوِقُ
 مِنَ الْمَوْلَى الْجَوَابَ بِمَا يَجْمَعُ شَمْلُ الثَّقَى ، وَيَعْلَمُ بِهِ أَنَّهُ تَحْيَرٌ مِنَ الرِّأْفَضِ مَا يُنْتَقَى ؛
 وَيَتَحَقَّقُ بِفَعْلِهِ أَنَّ مَثْلَهُ لَا يَهْمِلُ وَاجِبًا ؛ وَلِأَمْرِ مَا قَالِ الْأَحْنَفُ وَقَدْ وُصِفَ بِالْأَنَاءَةِ :
 لِكُنِّي أَسْجُلُ أَنْ لَا أَرْدُ كُفُوًا حَاطِلًا .

النوع التاسع

(في الاسترضاء والإستعطاف والإعتذار)

قال في "مواد البيان" : المكتبة في استعطاف الرؤساء ، وملاطفة الكبراء ، تحتاج إلى حُسن تأت : لما تشتمل عليه من إيجاب حقوق الخليفة ، وما أسلفوه من مَرعى الخدم ، وما يتبع هذا من التَّشتمل والإعتذار الذي يسأل السخائم من القلوب ، ويستترل الأوتار من الصدور ، ويُطلى الأئس وقد غَرَب ، ولها موقع في تأليف الكلام .

قال : وينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فكره ، ويوقها حقها من جودة الترتيب ، وأستيفاء المعاني ، وأن يذهب إلى استعمال الألفاظ الجامعة لمعاني العذر ، الملوحة بالبراءة مما كُفِر به ، ولا يُخرج لفظه مُحرج من يُقيم المجعة على براعة الساحة مما رُجى به ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء : لأن عادتهم جارية بإيثار أعتراف الخدام لهم بالتقصير والتفريط والإخلال بالقروض : ليكون لهم في السقوع عند الإقرار عارفةً توجبُ شكراً مستأنفاً ، فلما إذا أقام التابع المجعة على براعته وسلامته مما رُفِع عنه ، فلا يوضع الإحسان إلا إليه في إقراره على مثرائه ، والرضا عنه والإستعطاف ، بل ذلك واجب له ، في مثبه منه ظلم .

(١) في الأصلين «ما قرب منه» وهو تصحيف من التامع .

(٢) المراد أن إقراره والرضا عنه ليس من الإحسان بل من الواجب تأمل .

وهذه نسخ من ذلك :

لأبي الحسين بن سعد :

فإن رأيت أن تنظر في أمري نظرا يشبه أخلاقك المرضية ويكون لحسن ظني بك مصدقا، ولعظيم أمني [فيك] حقا، ولما لم تزل تصدنيه منجزا، ولحق حرمي بك وقديم اتصالي بأسبابك قاضيا، فعلبت ؛ إن شاء الله تعالى .

ومنه : لسليمان بن وهب .

من أنصرف في الاحتجاج إلى الإقرار بما يلزمه وإن لم يكن لازما، فقد لطف الاستعطاف، وأستوجب المسامحة والإنصاف .

ومنه : وقد نالني من جفوة الأمير بعد الذي كنت أعرف من بره والطفه أمرٌ أحلني محل المذنب في نفسي مع البراءة من الذنب ، والزني الإساءة مع الخروج من التقصير ، وزاده عندي عظما وشدة أنني حاولت الخروج منه بالإحتذار، فلم أجعلني إلى الأمير ذنبا أعتذر منه ، ولا حل في الزني من معتبه حجة أحاول دفعها والتخلص منها ؛ فاصبحت أعالج من ذلك داء قد خفي دواؤه، وأحاول صلاح أمري لم أجني قساده ؛ فإن رأيت أن تفعل كذا وكذا فتصل قديم ما أصبح عندي من معروفك بحديثه ، فليس عندي في مطالبة حجة أنجح من التوجه إلى الأمير بنفسه ، والتمعة عنده بفضلها ، فإن كنت مذنبا عفا، وإن كنت بريئا راجع .

ومنه : لأبي علي البصير .

وأنا أحد من أسكتته ظلك، وأعلقتك حبلك ، وجبوتك بلطيف ترك ، وخاص عنايك ، وأتصف بك من الزمان ، وأستغني بإخائك عن الإخوان ؛ فهو لا يرغب

إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا يَتَمَدُّ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَشِيعُ طَلَبُهُ إِلَّا بِكَ ؛ وَقَدْ كَانَ قَرَطَ مَنِّي
قَوْلٌ : إِنْ تَأَوَّلْتَهُ لِي ، أَرَاكَ أَوْجَهَ مُدْرِي ، وَقَامَ عِنْدَكَ بِحُجَّتِي ، فَأَغْنَانِي عَنْ تَوْكِيدِ
الْإِيمَانِ عَلَى حُسْنِ نَيْتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَيَّ ، أَحَاقَ بِي لِأَيْمَتِكَ وَحُجَّتِي عَلَى [أَسْوَأِ]
حَالٍ عِنْدَكَ ؛ وَقَدْ أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْوَجْدَةِ ؛ عَائِدًا بِالصَّنْعِ وَالْإِقَالَةِ ،
فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَرِّعِنَا قَرَّتْ بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تَسْلُكُنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتُنِي ، وَأَنْ تَهْتَصِرَ
مِنْ عَقُوبِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَأْتِي بِسَبَبِ عَيْنِكَ عَلَيَّ ، وَتَأْمُرَ بِتَعْرِيفِي رَأْيِكَ بِمَا
يُطَافِئُ هَلْيَ ، وَتَسْكُنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ بِهِ رُوحِي ، فَعَلْتُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لا بى الحسين بن أبى البغل .

تُبُو الطَّرْفِ مِنَ الْوَزِيرِ دَلِيلٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْحَالِ عِنْدَهُ ، وَالْجَفَاءُ مِنْ عَوْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْهُ
شَدِيدٌ ؛ وَقَدْ أَسْتَدَلَّتْ بِإِزَالَةِ الْوَزِيرِ لِمَا لِيَ الْحُلَّ الَّذِي كَانَ تَحْلِيهِ بِتَطَوُّلِهِ ، عَلَى مَا
سُوتَ لَهُ ظَنًّا بِنَفْسِي ؛ وَمَا أَخَافُ عَنَّا : لَأَتَى لَمْ أَجِنِ ذَنْبًا ؛ فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنَّ
يُحَوِّثُنِي لِنَفْسِي ، وَيَدُلَّنِي عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنِّي ، فَعَلْتُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنه : لأبى الربيع .

أَصْلَقُ الْمَقَالِ ، مَا حَقَّقَهُ الْقَعَالُ ، وَأَفْضَلُ الْخَبَرِ ، مَا صَدَّقَهُ الْأَثَرُ .

ومنه : لِمَوْلَانَا سِيرَةٍ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا أَمْلَأَهَا آمِلٌ إِلَّا جَادَتْ وَصَحَتْ
وَمَتَحَتْ ، وَعَوَائِدُ فِي السُّفُو مَارَجَاهَا رَاجٍ إِلَّا صَفَحَتْ وَصَحَّتْ ؛ وَأَحَقُّ مَنْ تَلَقَّاهُ
عِنْدَ الْعِتَارِ ، بِالْإِقَالَةِ وَالْإِعْثَارِ ، وَوَقَفَ بِهِ عِنْدَ حَدِّ التَّقْوِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَمْ يُعْرِضْهُ

لَتَقِصَّةُ الْإِقْصَاءِ وَالْإِطْرَاحِ، مَنْ شَمَعَ الْمَقْوَةَ بِالْإِعْتِدَارِ، وَخَطَبَ التَّعَمُّدَ بِلِسَانِ
الْإِقْرَارِ؛ وَذَلَّتِ التَّجَارِبُ مِنْهُ عَلَى حَسَمِ الْأَضْرَابِ؛ وَكَانَ لَهُ مِنْ سَالِفِ الْخِلْمِ وَسَائِلُ
وَذَرَائِعُ، وَمِنْ تَحْيِيجِ الْإِخْلَاصِ مَمَّهْدٌ وَشَافِعٌ؛ فَلَا تَجِبُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ يَهْفُوَ بِيَهْفُو،
وَيَظْلِمَ فَيَكْظِمُ، وَيَجْهَلُ فَيَسْلُمُ، وَيُخْطِئُ فَيُصِيبُ، وَيَدْعُوَ مُتَنَصِّلًا فَيُجِيبُ؛ وَقَدْ جَعَلَ
اللهُ مَهْمَهُ الْمَعْلَى، وَيَدَّهُ الطُّوْلَى، وَأَلْهَمَهُ التَّفَضُّلَ بِالْإِنْعَامِ، وَالتَّغْمِيزَ عَنْ زَلَّاتِ
الْكَرَامِ؛ وَقَدْ حَصَلَ لِلْمَمْلُوكِ فِي هَذِهِ النَّبُوءَةِ مِنْ إِزْرَائِهِ عَلَى عَقْلِهِ، وَتَقْيِيضِهِ لِفِعْلِهِ؛
أَعْظَمُ تَجَرُّبِهِ، وَأَكْبَرُ مَادَّبِهِ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْأَلُ إِحْسَانَ سَيِّدِي أَنْ يُبَيِّدَهُ إِلَى رِضَاهِ
وَلُطْفِهِ، وَيُؤْمِنَ مِنْهُ مُسْتَوْحِشٌ إِقْبَالِهِ وَعَطْفِهِ؛ وَيَصَلِّقُ رِجَاهُ فِيهِ، وَيُخْرِزِلُ
ثَوَابَ وَقَادَتِهِ عَلَيْهِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

رَقْعَةٌ : الْمَمْلُوكُ يَخْطُبُ صَفَحَ سَيِّدِهِ وَإِقَاتِهِ بِلِسَانِ الْاِغْتِفَارِ، وَيُسْتَعِيدُ
مَاعَرَفَ مِنْ رِضَاهِ وَطَاطِفَتِهِ بِوَسَائِلِ الْاِغْتِدَارِ: لِيَكُونَ الْمُتَفَضِّلُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ،
وَالْمُنْعِمُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ؛ وَقَدْ عَرَفَ السَّمَوُ وَالنَّسِيَانِ، الْمُعْتَرِضِينَ لِلْإِنْسَانِ؛ وَأَنْهَمَا
يُحْوِلَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ، وَيُزَوِّرَانِ عَلَيْهِ خَطَاةَ فِي صُورَةِ صَوَابِهِ؛ فَيَتَوَزَّطُ فِي السَّقَطِ
غَيْرَ حَامِدٍ، وَيَتَهَوَّرُ فِي الْغَلَطِ غَيْرَ قَاصِدٍ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِالْفُحْوَ
فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ . وَمَا أَوْلَى مَوْلَانَا بِأَنْ يَحْفَظَ
عَلَى الْمَمْلُوكِ جَمِيلَ آرَائِهِ، وَلَا يَسْلُبَهُ مَا شِئِلَهُ مِنْ ظِلِّ آلِيهِ؛ وَلَا يَسْمَهُ بِمِيسَمِ الْعُقُوقِ
فَإِنَّهُ يَحْدُ نَفْسَهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ فِي طَاعَتِهِ، وَمُرْتَبَتِهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الرِّبَةِ فِي خِدْمَتِهِ .

فَصْلٌ : وَقَدْ آوَى سَيِّدِي الْمَمْلُوكَ مِنْ ظِلِّهِ، وَأَطْلَقَهُ مِنْ حَبْلِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ
مِنْ فَضْلِهِ، مَا أَنْصَقَهُ بِهِ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَغْنَاهُ عَنِ الْإِخْوَانِ، وَوَقَّفَ رِجَابَتَهُ عَلَيْهِ،
وَصَرَفَ أَمَالَهُ إِلَيْهِ، وَزَلَّهَ مَثَرَةً مَنْ لَا يُشْكُ فِي آعْتِقَادِهِ، وَلَا يَسْتَرْيِبُ بِوِدَادِهِ؛ وَكَانَ

المملوك أرسل لفظاً على سبيل الإشفاق ذهب به الحاسد إلى غير معناه ، وخالف في تفسيره حقيقة مفزاه ، وأحاله عن بنته ، وعرضه عليه على غير صورته : ليوحش محل المملوك المانوس من رعايته ، وينقر سر به المظمن بلا حظته وعنايته ؛ وقد أرسل المملوك هذه العبودية سائلاً في نحو إظلام موجدته ، وأن يعيد المملوك إلى مكانه من حضرتها ؛ إن شاء الله تعالى .



لا أتوسل إليك إلا بك ، ولا آتيك إلا من بابك ؛ ولا أستشفع إليك بسواك ، ولا أكل رجعة هواك إلا إلى هواك ؛ ولا أنتظر إلا عطفتك التي لا هوئها زخارف الأموال ، ولا تبيد شفاطات الرجال :

إذا أنت لم تعطفك إلاشفامة * فلا خير في ود يكون بسافع

شعري معنى ذلك :

هبي تخطيت إلى زلية * ولم أكن اذنبت فيما مضى !

أليس لي من قبلها خنعة * توجب لي منك سبيل الرضى !

غيره :

وحقق ما هجرتك من ملال * ولا أعرضت إلا خوف مقت !

لأن طبايع الإنسان ليست * على وفق الإرادة ككل وقت !

اعتذار عن التأخر ، من ترسل أبي الحسين بن سعد .

إن لم يكن في تأخري عنك عذر مقبل ، فاجعله ذنباً تغفره .

على بن خلف :

الأعداء - أطال الله بقاء سيدي - تنأى على الأمتناع ، وتضيق على الإكساع ؛
وذلك بحسب ما تصادفه من قبول ورد ، ومساحة وقد ؛ وأنا أحمد الله على أن
جعل عذري إلى من يتحمل العذر للعتذر ، ويصفح صفح المالك المقتدر ، كما
أتم بقول الشاعر :

إذا مأت من صاحب لك زلة * فكُنْ أنت مُحْتَالاً لَزْلِهِ مُدْرَا

ولم يحمله إلى من يطلب هاجس الظنون ، على واضح الحجّة ، ومعتل الشك على
صحيح اليقين ؛ ونمي إلى أن قابطاً لمكانى من حضرته ، حسدني على عجل من
مودته ، وزور ما ينكشف عن الإفك والبُهتان ، ودلس الكذب في صورة البرهان ؛
فلما جلاه في معارض زخارفه أظهر لسبدي عواره ، وأبدى لطفه شواره ؛ فسل
سمعه عن وعيه ، وطرف طرفة عن رعيه ؛ وأستمّ صلاتي شيمته ، في حسن الظن
بأحبته ؛ فقدمت من الاعتذار ما يقدمه المذنب تزولاً على طاعته ، وتأدباً في خدمته ،
وشفقت من الشكر بما يقتضيه إحسانه ويوجه .

أبو الفرج البيهقي :

أحقّ المعاذير بالتقبل وأولها بسعة القلوب ماصدر عن استيكانة الأقدار ، ودل
على حسم مواد الأضرار ، وصفاً من كدر الإحراجات ، وتنزه عن تمحل الشبهات :
ليخلص به ملك العفو ، وتكامل نعمة التجاوز . ولست أكره شرف تأديبه ، وتبل
تثقيفه وتهذيبه ؛ ما لم يتجاوز في العقوبة والتقويم إلى مؤلم الإعراض ، ومضيض

(١) أي عيه وشل صمه أي طرده والمراد أنه لم يصغ إليه .

التشكر والإقْباض ؛ ولا أخطبُ الإقالة من تفضله إلا بلسان الثقة وشايع الخِسة ،
 هاربا إلى سعة كرمه مما دفعتني المحبة إليه ، وأشفي بى عدم التوفيق عليه ؛ فإن رأى أن
 يكونَ عند أحسن ظنى به فى الصّبح ، كما هو عند أصدق أملى فيه بالإتمام ، فقل .

وله فى مثله :

ليس يخلو الإغراق فى التنصّل والمبالغة فى الاعتذار من إقامة الحجّة ، أو تسك
 باضرار شبهة ، وأنا أجل ما أخطبه من عظيم عفوّه ، وأكبر ما أحاوله من نعمة
 تجاوزّه ، عن المقابلة بين الاعتراف بالزلل وبعد الإِستحقاق من الصّبح ، ما لم يُوجب
 لى بسعة تأوله ، ويعدّ على فيه بعبادات تفضله : لتصفوّ منه الأعضاء ، وتزمنى
 واجبات الشكر والثناء ؛ غير متمنع مع ذلك من التبرّى إليه مما أنكره من تجاوز السهو
 إلى العمل ، والتوجه إلى ما فرط بالاختيار والقصد اللذين يُغفر بهما مذهب
 الأفعال ، ويُتمدّد سبب الأعمال ؛ فإن رأى أن يجعل أمرى فيما قصدتني الأيام بتوجه
 الظنون فيه على غير النية لأظاهر الفعل ، إذ كانت صفات الإنسان بالأشهر من
 أخلاقه والأكثر من أفعاله ، ولا صفة لى أعرف بها وأنسب إليها غير الاعتراف
 بإنعامه ، والتطاول من أصطناعه ، أخذنا من كلّ حال بالفضل ، ومشغفا بسطة
 الرياسة والتبيل .

وله فى مثله :

لست أخلو فى الملة التى تجاوز الدهر لى عنها فى خدمته من توصيل فرط
 الاجتهاد ، إلى ما وصل من رأيه إلى رتبة التقبل والإجماع ؛ وليس يحيط ما أتيته من
 مرضى الخدمة بالنية والعمد بما لعله فرط من غير مُراد ؛ إذ كان - أيده الله بفائض

طَوَّلَهُ ، وَمَأْتُورٌ فَضْلُهُ - أَخَذْنَا مِنْ آدَابِ اللَّهِ بِمَا أَحَاكَمَهُ مِنْهُ : ^(١) (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُكْتَبْنَ السَّيِّئَاتِ) . و [لو] لا يُبَارَى مَفْتَرَضُ الطَّاعَةِ وَاسْتِكَانَةُ الْاِعْتِدَادِ ؛ وَأَنْ لَا أُخْطَبَ رِضَاهُ بِلِسَانِ الْاِحْتِجَاجِ ، وَلَا أَلْتَمَسَ عَفْوَهُ بِوُجُوبِ الْاِسْتِحْقَاقِ : لَتَسَلَّمَ لَهُ صِفَاتُ الْفَضْلِ ، وَلِي مَوَاتٍ الْاِعْتِرَافِ بِسَالِفِ التَّطَوُّلِ ؛ لَبِثْتُ عَلَى سَلَامَتِي بِمَا قُصِرَ عَلَيَّ بِتَوَجُّهِ الظُّنُونِ وَأَعْتَرَا ضِ الْأَوْهَامِ ؛ وَلَا أَقُولُ بِسَعَةِ النِّيَّةِ وَفَسَادِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَحْفَظَ مَا أَبْتَدَأَ مُحْتَارًا مِنْ أَصْطِنَاعِي بِمَا يَصُوبُهُ عَنِ التَّنَكُّرِ ، وَيَصُوبُ عَادَتِي فِي شُكْرِ ذَلِكَ وَالْاِعْتِدَادِ بِهِ عَنِ الْقُتُورِ وَالتَّغْيِيرِ ، فَعَل .

أجوبة الاسترضاء والاستعطاف

قال في "مواد البيان" : لا يَحْتَلُو المَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَقْبَلَ الْعُدْرَ ، وَالْآخَرُ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمَوْجِدَةِ وَيَرْفُضَ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ حُجَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ قَبِلَ الْعُدْرَ ، وَجِبَ أَنْ يَبْنِيَ الْجَوَابَ عَلَى وُصُولِ الْكُتَابِ ، وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ ، وَالتَّحْقِيلِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَتَهْيِئَةِ الْمَعْتَذِرِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْاِعْتِنَارِ ، وَالْاِقْيَادِ إِلَى الْاِعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ وَالْإِقْرَارِ ؛ اِكْرَامًا لَخُلُوقِهِ عَنِ التَّهْمَةِ ، وَلِلوَدَّةِ عَنِ الظَّنَّةِ : فَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَوْجِبَ اَلْعُسْرَ لَوْ صَدَرَ مِنْهُ ، لَا قِصْفَ وَدَادَهُ التَّأَوُّلَ لَهُ بِأَنَّهُ مَا صَدَرَ إِلَّا عَنْ بَاطِنِ سَلِيمٍ وَمَصْلُوحَةٍ أَوْجِبَتْهُ . قَالَ : وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي يُحَاجِبُ بِهِ مَنْ قُبِلَ عُذْرُهُ فَقَطْ : لِأَنَّهُ يَحْزَنُ أَنْ يَجِيبَ بِأَنَّهُ قَدْ قَبِلَ الْعُدْرَ ، وَصَفَحَ عَنِ الْجُرْمِ ، عَلَى أَنَّ لَا يَبُودُ إِلَى مِثْلِهِ . وَإِنْ اَسْتَمَرَّ عَلَى الْقَصْدِ ^(٢) ، بَنَى الْجَوَابَ عَلَى إِبْطَالِ الْعُدْرِ وَمُعَارَضَتِهِ بِمَا

(١) . كُنَّا فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّ «إِلَيْهِ» .

(٢) . فِي الْأَصْلِ «وَلَا يُبَارَى عَلَى مَفْتَرَضٍ ... لَا أُخْطَبُ اَتْلُ» .

(٣) . أَيْ قَصْدَ الصِّدْقِ وَيَتَنَبَّهُ عَلَى هِجْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلِ الْاِعْتِنَارَ .

يقتضيه ؛ والدلالة على خطأ المعتدِّ ، وأنه مما لا يسوغُ الصَّفْحُ عنه ، ولا يليق بالحرِّم إقالتُه .

قال : وهذان معنيان يَجَلَّان من العبارة مالا يكادُ يَحْصُرُ في قول مشرَّوح مبسوط ؛ فضلا عن قولٍ مجلٍّ مُوجَزٍ ، ألا أن المتدرب بالصناعة إذا مرَّت به هذه الأصول أمكنه التفرُّعُ عليها .

النوع العاشر

(في الشكوى - أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهَا)

قال في "موادِّ البيان" : رِقَاعُ الشَّكْوَى - عَصَمَنَا اللهُ مِنْ مُوجِبَاتِهَا - يجبُ أن تكون مبنيةً من صِفةِ الحالِ الشَّكِيَّةِ ، على ما يُوجب المشاركة فيها ويُقضى بالمساعدة إن استندتْ عليها ، من غير إغراقٍ يُفْضِي إلى تَظْلِيمِ الأقدارِ وإحباطِ الأجرِ ، وشكوى المبتلي بالخبرِ والشرِّ سبحانه وتعالى ، ويدلُّ على التهلكِ بالجرِّع ، وضعف التماسكِ وقُوَّةِ الهَلَعِ ، باستيلاء القنوط والإيَّاس ، وأن يشفعَ الشكوى بِذِكْرِ الثقةِ باللهِ سبحانه ، والتسليمِ إليه ، والرِّضا بأحكامه ، وتوقُّعِ الفَرَجِ مِنْ عِنْدِهِ ، وتلقِّي أخبارِهِ بالصبرِ ، كما تتلقَّى نعمُهُ بالشكرِ ؛ ونحو هذا مما يليق به ويمرُّ بجرَّاه . قال : وقد يَكْتَسِبُ الألباعُ للرؤساءِ رِقَاعاً بِشِكَايَةِ الأحوالِ ومساكلةِ النظرِ ؛ ثم ذكر أنَّ سبيل هذه الرِّقَاعِ أن يُعَدَّلَ بها عن التصريحِ بالشكوى إلى لَفْظِ الشكرِ ومَعْنَاهُ ، وطلب الزيادةِ والإلحاقِ بالنظرِ في الإحسانِ : لما في إطلاقِ الشكايةِ ، والتصريحِ بها من التعريضِ بإخلالِ الرئيسِ بما يلزمه النظرُ فيه من أحوالِ خاصَّتِهِ ومعهَّدِ مَرَاتِبِهِ مِنَ الكَفَايَةِ .

وهذه نسخ من ذلك :

رقعة شكوى مُوم :

كتب المملوك هذا الكتاب وهو رعين فكري وغم، وقلقي وهم، وحليفي جوي
قد سكن القلب، وخوف قد أطار اللب، وبالله العياذ، وهو الملائد، وبيده محل
العقده، وبأمره تزل الشده، وقد ألم الله سبحانه المملوك صبرا يسر أمره، وأملا
في الفرج خفف ضره، وليس بأئس من عطفته، ولا قانط من نعمته .

رقعة في معنى ذلك :

كتب المملوك وهو شاك لتجاهل الأيام، وقيد من مواقع ميهاما الرغبة الكلام،
منهم بهموم تضعف الجليد، وتسوء الوديد، وتسر الحسود، لاق من قسوة الدهر
وقطاطته، وتبوة العيش وتقرته، ما يرد الحقون عن المجوع، ويشرق العيون
بالدموع، والله تعالى في عبادته أقضية يقضيها، وأقدار يمضيها، والله أسأل حسن
العاقبة والخاتم، وتمحيص الأوزار والآثام .

رقعة : كتب المملوك وجسمه صحيح، وقلبه قريح، وجنانه سليم، وجنابه
سقيم : لما يتبادر إليه من نكايات تهدح وتقرح، وحادثات تكلم وتجرح، ونوب
تهض، وتهيم وترض، وخطوب تخاطب شفاها، وتوصل من اليد إلى اليد أذاها،
إلا أن الله يهب ربح المنح، وقد تداكت المحن فينشفها، ويشق عمود الفرج، وقد
أدلمت فيكنفها، وظن المملوك بالله تعالى جميل، وله في صنعه ولطفه تأمل .

رقعة : ويُنهي أنه قد كتب هذه العبودية بيد قد أرعشتها الآلام، ثملي عليها
قلب قد قلبته الأسقام، لجسمه نازل، وجسده بعد النضرة قاحل، وقواه قد

وَهَتَتْ ، وَجَلَّادَتُهُ قَدْ وَهَتْ ؛ وَصَبْرُهُ قَدْ تَحَلَّى وَأَضْطَرَبَ ، وَتَحْمَلُهُ قَدْ نَأَى وَأَقْرَبَ ؛
وَعَادَ شَبَابًا مِنَ الْأَشْبَاحِ ، وَهَبَاءَ تَذَرُوهُ الرِّيحَ ؛ فَلَوْ أَعْتَلَّقَ بِسَعْرَةٍ لَمْ تَنْصِرِمِ ، أَوْ وُلِجَ
نَحْرَتْ إِبْرَةٍ خَيَاطٌ لَمْ تَنْفِصِمِ ؛ وَلَوْلَا النِّقَةُ بِالْفُتُوَانَةِ يُنْبِيعُ السُّقْمَ بِالصَّحَّةِ ، وَيُسْقِعُ الْحِمَّةَ
بِالْمُنْحَةِ ؛ لَنَهَبَ مَا بَقِيَ مِنْ ذِمَّائِهِ ، وَأَطَّلَ عَلَى شَفَا شَقَائِهِ ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَسْتَشْرِفُ مِنْهُ
تَعَالَى لَطْفًا يُعِيدُ الْكَلِيلَ حَدِيدًا ، وَالْمَخْلُقَ جَدِيدًا .

رقعة : وَنَهَى أَنَّهُ قَدْ كَتَبَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ ، وَقَدْ سَاءَ أَمْرُ الْأَيَّامِ عَلَيْهِ ، وَقُبِحَ
صُغْمُهَا لَدَيْهِ ؛ وَأَبْتَلَتْهُ بِؤْلُمُ الْبَلَوَى ، وَأَنْطَقَتْهُ بِلِسَانِ الشُّكْوَى ؛ فَهُوَ عَمَرَقٌ بِنَارِ الْغَيْظِ ،
يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْغَيْظِ ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ يَفْرُجُ بَيْنَ الْأَضْدَادِ ، وَلُطْفٌ يُرِيحُ مِنْ هَذَا
الْجِهَادِ ؛ وَكُلَّمَا طَلَبَ الزَّيَالَةَ عَوَّقَ ، أَوْ طَلَبَ الْفِكَكَ أَعْتَلَّقَ ؛ فَهُوَ قَاطِنٌ فِي صُورَةِ
الْفَاضِلِ ، وَحَالٌ فِي حَالِ الرَّاحِلِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ الْخُرُوجِ ، وَبَاقٍ بِالْفَرَجِ .

رقعة : وَقَدْ سَطَرَ الْمَمْلُوكُ هَذِهِ الْعُبُودِيَّةَ ، وَقَدْ أَنْجَلَتْ هَذِهِ النَّبُوَّةَ ، عَنْ الْبَلَاءِ
وَالشَّقْوَةِ ، وَتَقَادُّرِ الْمَالِ ، وَأَسْتِحَالَةِ الْحَالِ ، وَأَسْتِيلَةِ الْعَدُوِّ ، وَأَسْتِعْلَاءِ السُّوءِ ، وَكَذَا
الدَّهْرِ خُدُوعِ غُرُورِ ، خَشُونِ غُدُورِ ؛ إِنْ وَهَبَ أَرْجَيْعُ ، وَإِنْ أَلْبَسَ أَرْتَعِ ؛ وَإِنْ
أَعْطَى أَعْطَى قَلِيلًا وَقَلَعَ ، وَإِنْ أَحْلَى أَمَرَ ، وَإِنْ قَعَّ صَرَّ ؛ وَإِنْ أَبْرَمَ قَهَضَ ، وَإِنْ
رَفَعَ خَفَضَ ؛ وَإِنْ أَقْبَلَ أَعْرَضَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَمْرَضَ ؛ فَنِعْمَةُ مَقْرُونُهُ بِالزُّوَالِ ،
وَمِنْهُ مَعْرُضَةُ اللَّاتِقَالِ ؛ وَصِفْوُهُ مَشُوبٌ بِالْكَدَرِ ، وَعَيْشُهُ مَمْزُوجٌ بِالْفَيْدِ ؛ مَا أَسَجَّنَ
إِلَّا أَوْجَدَ خَلَلًا ، وَلَا أَمَّنَ إِلَّا أَتَجَّ الْأَمْنُ جَلَلًا ؛ وَالْمَمْلُوكُ يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ أَوْسَعَهُ
فِي حَالِ الْبَلَاءِ شُكْرًا ، وَفِي حَالِ الْإِبْتِلَاءِ صَبْرًا .

أجوبة رِقَاع الشكوى

قال في "مواد البيان" : يجب أن تنبئ أجوبة هذه الرقاع على الأرنماض في الحال المشكية ، والتوجه منها ، وبذل الوسع في المعونة عليها ، والمشاركة فيها ؛ وما يجري هذا الجري مما يليق به .

النوع الحادى عشر

(فى استماعة الحوامج)

قال فى "مواد البيان" : ورقاع الاستماعة يُختار أن تكون مودعة من الألفاظ ما يُحرك قُوى السَّماح ، ويبعث دواعى الارتياح ؛ ويُوجب حُرمة الفضل المسهلة بَذَل المال الصَّعب بَلْغُه ، إلّا على من وفّر الله مُروءته ، وأرخص عليه أمان المحامد وإن غلّت .

قال : وينبئ للكاتب أن يتلطف فيها التلطف الذى يُعود بنجاح المرام ، ويُؤمن من الحصول على إرافة [ماء] الوجه ، والنجية بالرد عن البُغية ، ويصدل عن التثقل والإحلاف المُضجرين ولا يضيق العُذر على السَّماح إلّا أن يتمكّن للثقة به ، ويعلم المشاركة فى الحال .

وهذه نسخٌ من ذلك :

من كتاب [أبى] الحسين بن سعد .

أفضلُ القول صدقُه ، وأهنى المعروف أعجَلُه ، وأبلغُ الشكر أظهرُه .

ومنه : إن حَضَرَتَكَ نِيَّةٌ فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ فَسَبِّهَا ، فَإِنَّ أَهْنَى الْمَعْرُوفِ مَا يُجَلُّ ،
وَأَنْكَدَهُ مَا تَنَازَعَتْهُ الْعِلَلُ ، وَأَعْرَضَتْهُ كَثَرَةُ الْإِقْفَاءِ .

ومنه : أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ وَاجِدُ السَّبِيلِ إِلَى أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ وَآكْتِسَابِ
الثَّوَابِ ، وَأَنْتَ أَعْرَفُ بِمَا فِي اسْتِنْقَازِ أَسِيرٍ مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ وَارِدِ الْأَسْرِ ،
وَعَرَصَةِ الْكُفْرِ ، وَأَتْيَاشِهِ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْفَاقَةِ ، وَالْبَلَاءِ وَالْمَشَقَّةِ ، مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِ اللَّهِ
وَكَرِيمِ جَزَائِهِ [وَأَجَلُ] مَنْ أَنْفِ تَحَاطَبِ فِي ذَلِكَ غَاطِبَةٍ مِنْ يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ
فِي بَصِيرَتِهِ ، وَتَقْوِيَةِ لَيْتِهِ ، وَبِإِلَهِ تَوْفِيقِكَ وَعَوْنِكَ .

على بن خلف :

قَدْ تَمَسَّكَ أَمَلِي بِضَمَانِكَ ، وَتَطَلَّعَ رَجَائِي إِلَى إِحْسَانِكَ ، وَكَفَّلَ لِي النِّجَاحَ مَشْهُورُ
كَرَمِكَ ، وَرَغَبْتُكَ فِي رَبِّ نِعَمِكَ ، وَلِي مِنْ فَضْلِكَ نَسِيبٌ أَهْتَرَى إِلَيْهِ ، وَمِنْ شُكْرِي
شَفِيعٌ أَحْتَمِدُ عَلَيْهِ .

وله : الْمَوَاعِيدُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ - غُرُوسُ ، حُلُوْ مَرِيهَا الْإِنْجَازُ وَالتَّجِيلُ ،
وَمُرُهُ الْمَطْلُ وَالتَّطْوِيلُ ؛ وَقَدْ شَامَ أَمَلِي مِنْ تَحَائِبِ فَضْلِهِ ، حَقِيقًا بِأَنْ يَنْهَمِرَ
وَيَهَيَّيْ ، وَأَرْتَادَ مِنْ رَوْضِ نُبْلِهِ ؛ جَدِيرًا بِأَنْ يَزِيدَ وَيَنْمَى ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخَيْلَةُ
صَادِقَةً ، فَتَكُنْ مِنْهُ هِمَّةٌ لِلرَّجَاءِ حَقِيقَةٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وله : هَمَمْتُ أَنْ أَسْتَضِيحِبَ إِلَى مَوْلَايَ ذَرِيعةً تَحْجُبُ مَطْلِي ، وَتَكُونُ حِجَابًا
عَلَى وَجْهِهِ فِي الْمَطَالَعَةِ بَارِيٍّ ، فَلَاحَ لِي مِنْ أَسَاوِيرِهِ بَرَقٌ أَوْضَحُ مَقْصِدِي ، وَمِنْ
أَخْلَاقِهِ أَنْبَاسُاطُ أَمَالٍ تَجْمِدِي ، وَلَسْتُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِحَقِّ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقِّ مُؤْمَلِهِ ،
عُتَاجًا عَنْدهُ إِلَى ذَرِيعةٍ وَلَا مُفْتَقِرًا إِلَى وَسِيلَةٍ .

وله : ولا يَجْلِي مَوْلَايَ عَلَى ظَاهِرِ تَجَمُّلٍ ، وَجَمِيلِ تَوَكُّلٍ ، عَلَى حَالٍ قَدْ أَحَاتَهَا
 الْعُطْلَةُ ، وَتَحَلَّلَهَا انْقِلَابُ ؛ وَإِنَّمَا أَتَيْتُ بِالْجَمَلِ عَلَى دِيَابِجَةِ هِمَّتِي ، وَأَصُونُ بِالْخَفِيفِ
 عَنِ الصَّدِيقِ مُرُوتِي ؛ وَلَوْلَا أَنَّ الشَّكْوَى تَخَفُّفٌ مَنَحْمَلُ الْبَلَاوَى ، لَأَضْرَبْتَ
 عَنِ مُسَاعَلَتِهِ ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ تَذَكُّرِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَدُّ لِلْوَصِيبِ الشَّاكِي ، مِنْ ذِكْرِ حَالِهِ
 لِلطَّيِّبِ الشَّافِي ؛ وَقَدْ كَانَ بَرَقَ لِي مِنْ مَحَابِّ وَعْدِهِ مَا هُوَ جَدِيدٌ بِالْإِتِّهَامِ ، وَأَوْرَقَ
 مِنْ تَمَنَّائِهِ مَا هُوَ حَقِيقٌ بِالْإِتِّمَارِ ؛ فَإِنِ رَأَى أَنْ يَسِمَ وَجْهَهُ التَّائِمِلُ ، بَعْدَ الْإِنْجَازِ
 وَالتَّصْجِيلِ ، فَعَل .

وله : مَا حَامَتْ أَمَالِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - إِلَّا وَقَعَتْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَا صَعِبَتْ عَلَى
 جَوَانِبِ الرَّجَاءِ إِلَّا سَهَلَتْ مِنْ جِهَتِهِ ؛ وَلَا كَذَّبَتْنِي الظُّنُونُ إِلَّا صَدَّقَهَا بُلُوْهُ هِمَّتِهِ ؛
 فَلِذَلِكَ أَهْلَيْتُ فِي الْمُهْمِ بِجَمِيلِهِ ، وَأَعْتَصِمُ فِي الْمَلَمِّ بِظِلِّهِ ؛ وَقَدْ عَرَّضَ لِي كَذَا وَطِيلَهُ فِيهِ
 الْمَقُولُ ، وَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَالْمَوْقُلُ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بِالْجُرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي رَيْشِ جَنَاحِي ، وَالْمَعُونَةُ
 عَلَى صَلَاحِي .

فِي طَلَبِ كَسْوَةٍ ، مِنْ كَلَامِ الْمُتَأَخَّرِينَ :

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي نَهَرُ جُودِهِ * يَزِيدُ وَعَاصِي أَمْرِهِ الْبَهْرُ يَنْقُصُ !

إِلَيْكَ أَشْتَكَايَ مِنْ دَمَشَقٍ وَبَرِّيْعَا * وَمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ تُنْقِصُ !

وَإِنِّي فِي عُرْسٍ مِنَ الْبَرِّ دَائِمٍ * تُصَفِّقُ أَسْنَانِي وَقَلْبِي يَرْقُصُ !

الْمَلُوكُ يُنْهَى بَعْدَ الْإِثْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِدَامَةِ نِعْمَتِهِ ، وَإِدَالَةِ دَوْلَتِهِ ،
 أَنَّهُ مَا أَلَفَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُضَاعِفُ رِسْمَ الْإِنْعَامِ ، وَيُوَاتِرُ أَرْسَالَهُ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ
 وَالْأَعْوَامِ ؛ وَالْمَلُوكُ فِي خِرَاتِهِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ عَامٍ تَشْرِيفٌ يُفِيضُهُ عَلَى جَسَدِهِ ،

ويُسَرِّبُهُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَيُقْتُ أَسْجَادَ حُصْنِهِ، وَيَتَّقِي بِهِ سُورَةَ الشَّيْءِ وَقُرَّةً، وَيَجْعَلُهُ
قُرَّةً وَيَجْعَلُ بِهِ مِنَ الدَّعَةِ وَقُرَّةً، وَقَدْ تَرَسَّ رَسْمُهُ، وَقَدْ مَنَ الدِّيَّانَ المَعْمُورِ أَمْسُهُ،
وَهُوَ يَسْأَلُ بُرُوزَ الأَمْرِ العَالِي بِإِجْرَائِهِ عَلَى عَادَتِهِ المَسْتَمَرَّةِ، وَقَاعِدَتِهِ السَّالِفَةِ المَسْتَقَرَّةِ؛
بِتَشْرِيفِهِ بِأَخْذِ التَّشْرِيفِ وَلُتْسِهِ : لِيُدْفَعَ بِذَلِكَ شِدَّةَ البَرْدِ وَالْحَمِّ مَسَّهُ؛ وَيَتَذَكَّرُ بِهَا
فِي يَوْمِهِ مَا يُوجِبُ حَمْدَ المَوْلَى وَذَمَّ أَمْسِهِ، وَرَأْيُهُ العَالِي .

وله في طلب ورق :

يَا أَتَمَّعَ النَّاسِ وَيَأْمَنَ غَدًا * جَبِينُهُ يُجْبِلُ ضَوْءَ الشَّفَقِ !
جُودُكَ بِالْوَرَقِ عَمِيمٌ ^(١) [فَلِمَ] * أَتَحَزَّتْ يَامَوْلَايَ بَعَثَ الْوَرَقُ ؟

وله في طلب رَسم :

رَسْمِي يَامَوْلَايَ غَدًا * مُؤَنَّرًا وَلَوْ حَضَرَ !
وَلَوْ أَرَادَ سَيِّدِي * إِحْضَارَهُ، كَانَ أَمْرًا !
قَدْ مَضَى عَحْزٌ * وَرَاحَتِي مِنْهُ صَفَرًا !
وَكُتِبَ كَاتِبٌ إِلَى عَهْدِهِ، وَقَدْ تَأَنَّرَ صَرْفُ مَعْلُومِهِ :

وَتَعْلَمُ أَنِّي كَثِيرُ الْعِيَالِ * قَلِيلُ الْحِرَايَةِ وَالْوَأَجِبِ !
فَلَسْتُ عَلَى ظِلِّ قَانِنَا * يُوْرِدُ مِنَ الْوَشْلِ النَّاصِبِ !
وَلَا شَكَّ فِي أَنِّي هَارِبٌ * [فَ] قَدَّرَ لِنَفْسِكَ فِي كَاتِبٍ !

(١) الورقة، مثله وككتف ويجبل الدرام المضروبة له من القاموس .

قلت : وكتبتُ نظماً لأمر المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس : خليفة العصر، أَسْتِجِده حاجةً في مجلس كان فيه هو وولده يحيى وأخواه داودُ ويعقوبُ ماصورة :

إذا رُئيتَ أن تَحْطَى بِبَيْلِ مَارِپَ * فبادِرْ لِي أبا العباسِ مِنْ آلِ عَبَّاسِ !
إمامُ به تَقَرُّ الخِلافةَ بِاسْمِ * وَغِرْنِيهَا يَسْمُو عَلَى قِيسِ الرِّاسِ !
أَبِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهِ * [دواماً] وَأَنْ يُدْعَى أبا الْفَضْلِ فِي النَّاسِ !
فَلِمُسْتَعِينٍ أَقْصِدْ خَيْرَ مُنْجِدٍ * حَرِيصٍ عَلَى الْمَعْرُوفِ بَرٍّ بِالنَّاسِ !
فِيحْيَا لَهُ يَحْيَى وَداوُدُ صِنُوهُ * وَيَعْقُوبُ أَعْضَادًا وَحَصَنًا مِنَ الْبَاسِ !



وكتبتُ لقاضي القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام عمر البلقيني أَسْتِجِده حاجةً أيضاً :

أَيَا شَيْخِ إِسْلَامٍ وَقَاضِي قُضَايَاهِ * وَمَنْ قَدَّ سَمَا فِي النَّاسِ عَلَمًا وَمَنْصِبًا !
لَقَدْ عَمَّ نَوَى مِنْكَ كُلِّ مُؤْمِلٍ * وَحَاشَى لِبَرَقِ شِمْتٍ يَظْهَرُ خُلْبًا !
أَأَحْرَمُ مَعْرُوفًا لَهُ كُنْتُ أَرْتَجِي * وَيَحْجُبُ ذُو بَعْدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَقْرَبًا !
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو فِي زَمَانِكَ رِفْعَةً * وَلَكِنْ جَوَادُ الْخَطِّ بِالْبُعْدِ قَدْ بَكَأَ !
وَلَنْ يَسْتَعِيشَ الْخَفَضَ بِالرَّفْعِ مَاجِدٌ * خُصُوصًا وَمَنْ أَنْعَزَتْ مَانَالُ مَطْلَبًا !
وَلَسْتُ تَرَى مِنِّي إِلَيْكَ وَسِيلَةً * مِثْلَ مِثْلِكَ وَحَسْبِي بِإِعْلَاكَ تَقَرُّبًا !



وكتبت للقاضي القضاة جمال الدين محمود القيسراني ، وهو يومئذ قاضي قضاة
الحنفية وناظر الجيوش المنصورة ؛ أذكركم بطلالة عرّضت لي من وظيفة مباشرة
كانت بيدي :

إلى الله أشكركم من زماني بواره * فامسيت في الحرمان بي يضرب المثل !
تماديت بطالا وأعوزت جيلة * ولم يرح البطال تعرف له الحيل !
فلا ملّجى جاء ولا عز صاحب * ولا مالك يحنو فياقوم ما العمل ؟
ولكن (محمود) العواقب أرتجى * ومن بعد المعنى على القصد قد حصل !



وكتبت للقاضي شمس الدين العمرى كاتب الدّست الشريف في حاجة تجزها :
إن لا أرى عمرا حتى ألسم به * أقيت من نسله من كان لي عمرا .
لم ينف عن حاجتي حتى أنبهه * وكيف ينفو في المعروف كم سهر ؟
جعلته مبتدا في رفيع خبري * وعادة المبتدا أن يرفع الخبر !

أجوبة استماعة الحوائج

مر قال في "مواد البيان" : لا يخلو المستراح والمكلف حاجة من أن يسعف أو يمنع ،
فإن أسعف فقد غي عن الجواب ، وربما أجاب المسعف بجواب مبنئ على حسن
موقع أنيساط المستمع ، والاعتذار عن التقصير في حقه وإن كان قد بلغ به فوق

ما يجبُ له - تَكْرُماً وَتَفَضُّلاً ، وإن منع فربما أجاب بَعْدُ في الوقت الحاضرِ أَوْعَدُ
في المُسْتَأْنَفِ ؛ وربما أَخْلَّ بالجوابِ تَعَاوُلاً .



وهذه نسخة جواب بالإسعاف بالمقصود ، كُتِبَ بها في جوابِ لكَاتِبِ العَرِّ
عن نائب الشام ، في طَلَبِ إقْطَاعٍ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُباتة إجابةً
للمطلوب ، وهي :

لا زال قَلَمُهَا يَمُدُّ على الإسلامِ ظِلًّا ظَلِيلًا ، وَيَسْتَجِدُّ صُنْعًا جَمِيلًا ، وَيَأْخُذُ بِأَمْرِ اللَّهِ
أَعْدَاءَ دِينِهِ أَخَذًا وَبِيلًا ، وَيَقُومُ بِاجْتِهَادِهِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ النَّهَارُ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ؛
تَقْيِيلُ مُوَاطِئٍ عَلَى وِلَايَةٍ لَا يَمِيدُ لَهُ تَبْدِيلًا ، وَتَبَاءُ لَوْ سَمِعَهُ الْحُبُّ فَشَافَهُ الْأَحْبَابُ
إِذَا لَا تَحْتَنُوهُ خَلِيلًا .

وَيُنْهِى وَرُودَ مُشْرِفَةِ مَوْلَانَا الْقَدِيمِ فَضْلُهَا ، الْكَرِيمِ وَصَلُهَا وَأَصْلُهَا ؛ فَوَقَفَ الْمَمْلُوكُ
عَلَيْهَا ، وَأَصْنَعِي بِجَمَلَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَعِلْمِ مَا رَسَمَ بِهِ مَوْلَانَا ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ تَبَيَّنَا ؛ وَكَذَلِكَ بَلَّغَهُ
مَمْلُوكُهُ الْوَلَدُ فَلَانَ الْمَشَافَهَةِ الْكَرِيمَةِ حَقْبِنَا مِنْ صَاحِبِ السَّرِّ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا ؛ وَشَكَرَ
لَهَا مُشْرِفَةً وَمَشَافَهَةً أَوْ رَدَا الْإِحْسَانَ مَتْنِي مَتْنِي ، وَمِرًّا سَمِعَهُ الْمَمْلُوكُ لَفْظًا وَأَسْتَهْدَاهُ
مَتْنِي ؛ فَمَا مِنْهُمَا فِي الْإِحْسَانِ إِلَّا زَائِدَةٌ ، وَلَا فِي الصَّلَاتِ إِلَّا طَائِفَةٌ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ
الْمَمْلُوكَ أَقْبَلَ عَلَى قَبِيلِهِمَا بِسَمْعِهِ وَنَظَرِهِ ، وَقَلْبِهِ وَخَاطِرِهِ ، وَجَمَلَتِهِ وَسَائِرِهِ ؛ وَأَمْتَلَّ
الْإِشَارَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ مِهْمٍّ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، وَأَمْرٍ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ ،
وَيَدُ الزَّمَانِ مُشْكُورَةٌ يَأْخُذُهَا مِنْهُ بِكَلِّهَا يَدَيْهِ ؛ وَعَيْنُ الْمَمْلُوكِ لَوْ قَتَهُ الْإِقْطَاعَ الْمَطْلُوبَ ،
وَتَقَدَّمَ بِكَاتِبَةٍ مَرِيْعَتِهِ حَسَبَ مَا رَسَمَ مَنْ تَجْرَى السَّعَادَةُ مِنْ سَطْرِهِ تَحْتَ مَكْتُوبٍ ؛
وَجَهَّزَهَا قَرَيْنَ هَذِهِ الْخُدْمَةِ وَمَنْ ذَا يُقَارَنُ سَبْقَ ذَلِكَ الْبَرِّ الْمَلِيدِ ، وَكَيْفَ تُوَاوَى

المربعة كتابا هو بالإحسان للعنق قليد؛ لا برحت مرايم مولانا معدودة من رسوم
نعمه، ومشرقاته محسوبة من تشرقاته التي يحملها على أبناء عميه وخدمه .

النوع الثاني عشر

(في الشكر)

قال في "مواد البيان" : رقا ع الشكر يجب أن تكون مودعة من الاعتراف بأفئدار
المواهب ، وكفاية الاستقلال بحقوق النعم ، والأضطلاع بعلى الأيادى ، والنهوض
بأعباء الصنائع ، ما يشهد الهيم فى الزيادة منها ، ويوثق المصطنع بإفاضة الصنيع ؛
ويعرب عن كريم بحجة المحسن إليه .

قال : وينبى للكتاب أن يفتن فيها ، ويقرب معانيها ، وينتحل لها من ألفاظ
الشكر أنوطها بالقلوب : لتسقين نفس المتفضل أنه قد آجنى ثمرة تفضله ، وحصل
من الشكر على أضعاف ما بذله من ماله أو جاهد ، إلا أنه ينبى أنها إذا كانت صادرة
من الاتباع إلى رؤسائهم ، ومن يرجع إلى اختصاص وأثرة ، أن لا تنبى على الإغراق
فى الشكر : لأن الإغراق فى الشكر يحمل هذه الطبقة على التعلق الذى لا يلىق إلا بالأباعد
الذين يقصدون الدلالة على استقلالهم بحقوق ما أسدى إليهم ؛ فاما من صفا عليه
من النعم ما يذفع الشك فى اعترافه بالذل لديه ، فإنه يفتى عن المبالغة فى الشكر
والاعتداد ؛ ثم قال : وإنما يجب أن يذهب فىا يكتب عن هؤلاء من هذا الفن
مذهب الاختصار ، والإتيان بالألفاظ الوجيزة الجامعة لمعانى الشكر ، دون مذهب
الغلو والإفراط ، ودو الطبع السليم ، والفكر المستقيم ؛ يكفى بيسير التمثيل .

وهذه نسخ من ذلك :

أبو الفرج البغاء، في شكر تابع لمبتوع :

أنا في شكره - أيده الله مبرهن عن مواقع إحسانه إلى، وتظاهر إنعامه على،
لامقتدرائي مع المبالغة والإسهاب، والإطالة والإطناب، أجازى عفو تفضله،
ولا اجامل أيسر تطوله، وقد وسمي أيده الله من شرف أصطناعه، بما بواني به
أرفع منازل خدمته وأتباعه، وإلى الله أرفع في توفيق من مقابلة ذلك بالاجتهاد
في خدمته، والمبالغة في طاعته - ليأكون به للزيد مستوجبا، وللخطوة مستحقا.

وله في شكر قريب :

فرض الشكر - أعزك الله - لا يسقط بقرب الأنساب، ولذلك لا أستعير إغفال
الواجب على منه، ولا أجد عدولا في التسامح فيه والإضراب عنه، وإن كنت
غنيا عن الإفاضة فيما اعتقده من ذلك وأخبره، وأيديه وأظهره، بالمتعالم من خلوص
النية وصحة الاعتقاد، فلا أخلاك [الله] من جميل سديده، وتفضل ثوليه، يمتري
لك المزيد من سوايخ النعم وفوائد الشكر.

وله : قد استنقذ مائة شكرى، ووُسمع أعديدي ونشري، تتابع تفضلك،
وتوالي تطولك، ولست أقدر على النهوض بشكر منية حتى تطرقني منك منه،
ولا أحاول مجازاة نعمة حتى تهد على منك نعمة، فبأي عوارفك أعترف، أم بأي
أيديك بالثناء أتتصف، فقد فرغت إلى الإقرار بالجزع عما يلزم من فروضك،
وواجبات حقوقك، وأنصرفت إلى سؤال الله جل اسمه بإزاعي شكر ما وهب منك،
والتجاوز للكارم والفضل عنك.

وله : وقد شكرت بِرَّكَ الجليل مَوْعِدَهُ ، اللطيف مَوْضِعَهُ ، الخفيف مَحْمَلَهُ ،
العذب مَنَهلَهُ ، وشافهتكَ من ذلك بما أَسَّستَ له القُدْرَةَ لا ما تَقْتَضِيهِ حَقُوقُ
الْمِنَّةِ .

وله : أنا في الشكرين نعمة تُتَّقِنِي ، وتَجْنِي عما يَجِبُ لك يُجْرِئُنِي ؛ ولستُ
أَفْزَعُ إلى غير تجاوزك ، ولا أَعْتِمِدُ على غير مساعدتك ؛ ولا أَتَطْلُوُ إلا بِمَكَانِي
منك ، ولا أَفَانِسُ إلا بِمَوْعِدِي من إيثارك ؛ فالحمد لله الذي جعلني بولائك مشهوراً ،
وفي شركك مقصُوراً .

على بن خلف :

رقعة : وينبئ أن الله تعالى لما أَلَمَّ مولانا البرّ ، أَلَمَّ المملوك الشكر ؛ فهو
لا يزال يُوسِعُ في البرّ ويَزِيدُ ، والمملوك لا يزال يُبْذِلُ في الشكر ويُعِيدُ ، ولكن شتانَ بين
فاعلٍ وقائل ، ومُعْطٍ وقابل ، وواهبٍ وسائل ، ورافدٍ وحامد ، وشاكرٍ وشاكِد ؛
والمملوك يحمّد الله تعالى إذ جعل يده الطولى ، وحظه الأعلى .

رقعة : وصل بِرُّ مولانا وقد أحالت الخلة من المملوك حاله ، وأمالت آماله ؛
فَلَا مَتَّ ماصِده الدهر من مَرَوته ، وجَدَدَتْ ما أخلفه من قُروته ، فكفَّ المملوك
يديهِ [عن] أمتحان الخللان ، وقبضَ لسانه عن شكاية الزمان ؛ وأقرَّ ماء وجهه
في قرارته ، وحفِظَ على جاهه لباسَ جَواهريته ؛ فباله من رُوقٍ من الفقر ، موقعَ
القطر من القفر ؛ ولم يتقدّمه من قدامة الوعد ، ما يتقدّم القطر من جهامة الردء ؛
وكلَّ معروفٍ وإن فاضت ينابيعه ، وطالت قُرومه ، قاصر عن الأمل في كرمه ،
واقَعَ دُونَ غاياتِ هممه ؛ كما أنَّ الشكر ولو واكب النجم ، وساكب السَّحْم ؛ قاصر
عن مكافأة تفضله ، ومُجازاة تطوّله ؛ والمملوك يسأل الله تعالى الذي جعله قُدْرَةً

الكرام، وحسنة الأيام، وربّ الإنعام، فواحد الآثام؛ أن يُلهم المملوك من حمده، بقدر ما أسبغه عليه من رفقته .

رقعة شكر : عند المملوك لسيّدى أيّاد وصلت سابقة هواديا ، وظلّت لاحقة تواليها ؛ فصارت صدورها نسبا أمّ ترى إليه ، وأعجازها [سببا أعول في الملأ عليه] .

رقعة : لولا أنّ الله تعالى جعل الشكر ثمرة البرّ، والمجد جزاء الرّفد، وأراد إقرارهما على أهلهما من الفارين ، وأن يحصل لهم منّا لسان صدق في الآخرين ؛ لكان الذى غمّر به مولانا من الإنعام ، يُحسّث عنه تحلّث الرياح بأنار النّعام ؛ ويُكنى المملوك بالإشارة ، مشوّنة العبارة ؛ والمملوك وإن رام تادية ما يلزمه من شكره ، قاصر عن غاية برّه ؛ ولو استخّدم السنة الأقلام ، واستغرق أمدى النّثار والنّظام ؛ ومولانا جدير بقبول اليسير ، الذى لا يمكن الزّيادة عليه ؛ والصّفح عن التقصير ، الذى تُفوّد الضرورة إليه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : لو أنّ هذه العارفة بكرّ عوارفه ، وبأكورة لطائفه ؛ لعجزت عن شكرها ، وقصّرت عن نشرها ؛ فكيف وقد سبقها قرائن ونظائر ، وتقدّمها أتراب وضرائر ؛ [حما] أقبل من المملوك كلهله ، وبسط به يدى أمّله ؛ فما يعدم شيئا فيرجّحه ، ولا يفقده فيرغب فيه ؛ والذى تُربّه من المملوك جوارحه ، وتحوّيه جوائحه ؛ علمه بأنه لا يجارى أيّديه ، ولا يجازى مساعيه ؛ والله تعالى يخصّه من الفضائل ، بمثل ما تبرّع به من القواضل .

رقعة : ومثل مولانا من [ذوى الشرف] ^(١) والشؤدد من حسن محضره ، وطاب
عثره ، وكرم غيبه ومشهده ، وصح على تباير الأحوال عقده ووده ؛ وقد اتصل بالملوك
مأعاره له مولانا من أوصافه ، وجري فيه على عادة فضله وإنصافه ؛ فطبق لفضله
شاكرا ، ولطوله ناسرا ؛ وأضف ذلك إلى تواليد إحسانه ، ونظمه في عقد أمتانته .

رقعة : قد طوق مولانا [مملوكه] من فضله طوقا كأطواق الحمام لا يترع ،
والهسه بردا من بره لا يطلع ؛ وأوله من مزیده ما قصرت الهمة عن تمنيه ، ولم تهتد
الفرجة إليه فتستدعيه ؛ ولو وجد المملوك جزاء على حارقته ، وكفاء لمؤبته ، غير
المؤالة الصريحة ، وعقد الضائر على المودة الصحيحة ؛ واللهج بالشكر ، في السر
والجهر ، لرحا من وراء عنايته ، ولا استبعد طول شقته ؛ ولكن المملوك حادم
لما يقابل به يده الغزاء ، عاجز عما يقضى به حق موهبتة الزهراء ؛ ما لم يحسن كرمه
أمره ، ويقبل منه على التقصير شكره ؛ ويضف ذلك إلى لطائفه ، وينظمه في سلك
عوارفه ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة : وأجتهد المملوك في نشر أيديه وشكرها ، كأجتهد مولانا في كتبها
وسرّها ؛ فكلما أبدتها بالبناء أخفاها ، أو نشرتها بالإشادة طواها ؛ وهيات أن يخفى
عرف كرم المسك نورا ، ومن كالروضة نورا والغزالة نورا ؛ ولو كان المملوك
والبياد بالله ستر هذا العرف بكفر ، وأغتمصه مانعا لشكر ؛ لنم عليه حسنة يوم
الصبح ، وتوقد توقد المصباح ؛ فكيف للمملوك مقلول لا يسامى ^(٢) [يعجم سواد]
الليالى بالإحساد ، ويرقم صفحات النهار بالإعتداد .

(١) يفاض في الأصول والصحيح من المقام .

(٢) في الأصول « ولا يسامى الليالى » الخ وزدنا ما يقتضيه المقام ورتب الكلام تأمل .

الأجوبة عن رقايع الشكر

قال في "موادّ البيان" : [ان كانت] هذه الرقايع من المرؤسين إلى الرؤساء فلا جواب لها . وإن كانت من النّظير فالواجب أن يستعمل في أجوبتها مندوب التناضف والتفاوض .

جواب عن فعل المعروف والشكر عليه من كلام المتأخرين :

من ذلك ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو بعد الصدر :

خَلَّدَ اللهُ عَلَى الْمَالِكِ نِعْمَهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ دِيْمَهُ ؛ وَحَرَّمَ بَقَائَهُ ذِمَّ الزَّمانِ وَأَوْجَبَ ذِمَّةَ ؛ وَلَا يَرِجْ نَحْوُ الْحَمْدِ يُبَادِي يَوْمَ الْكَرَمِ مُقَرَّدَهُ وَيَوْمَ الْهِجَابِ عَالِمَهُ . قَهِيلًا يَسْحَبُ فِي الصَّخَارِ بُرُودَهُ الْمُعْلَمَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ بِالْقَرَبِ فَلَا يَزَالُ الشَّوْقُ يُنْتِجُهُ حَيْثُ كَلَّا التَّدْكَارَ وَالْعَهْدَ مُقَدِّمَهُ .

وينبى ورود المثال العالى بما ملأ القلب خيرا واليد برا ، والسمع إشارة والوجه بشرا ، حتى تناقست الأعضاء على قهيله ، والجوارح على تأميله ؛ فاليد تسابق إلى منته بالامتداد ، والقلب يسابق إلى كرم عهده بالاعتداد ؛ والوجه يقبّل ناظره في سماء مواقع القلم ، والسمع ينعم بما تقص عليه المسار من أخبار جيرة العلم ؛ حتى كاد المملوك يحو بالتفصيل أسطره ، ويستغلّ بذلك عن استجلاء ماذكره المُنعم لاعلم المملوك في مصر والشام تكررهِ ؛ وفيهم ما أشار مولانا إليه من الفضل الذي مولانا أهله ، وكرم العهد الذي لا يتكرر من مثله وأين مثله ؛ وقابل المملوك جميع ذلك بجهده من الأدعية الصالحة ، وبمناحة الحمد المتفاوضة ؛ والاعتداد بنعمة مولانا التي لولا [موالاتها] ^(١) كل وقت لقليل فيها « ما أشبه الليلة بالبارحة » وتضاعف

(١) ياض في الأصل والتصحيح من المقام .

يُؤمُّ المملوك على قَدَم المَوَالَةِ التي [يَسْتَعِيد] في دَعْوَاهَا بِشَهَادَةِ الخَاطِرِ الشَّرِيفِ ، وَيَتَقَدَّمُ بِهَا تَهْذُماً تَحْتَ لَوَاءِ الْوَلَاءِ وَتَأْتِي بِقِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ فِي اللَّفِيفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوزِعُ الْمَمْلُوكَ شُكْرَ هَذِهِ النِّعَمِ الْمُتَصِلِ مَدَّهَا ، وَالْمِنَّنِ الَّتِي لَا يَعْدُهَا وَلَا يَعُدُّهَا ، وَيُطِيلُ بَقَاءَ مَوْلَانَا لِحَمْدِ تَحْتِلِيهِ وَيَحْتَنِيهِ ، وَشَرَفِ دُنْيَا وَأُخْرَى يَهْدُمُ وَقَرَهُ وَعُمْرَهُ وَيَبْنِيهِ .

البُيُوعُ الثَّلَاثُ عَشَرَ

(الْعِتَاب)

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : الْمَكْتَابَةُ بِالْمَعَانِيَةِ عَلَى التَّحَوُّلِ عَنِ الْمَوَدَّةِ وَالْإِسْتِخْفَافِ بِمَقْشُوقِ الْخَلَّةِ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُسَوِّفَ شُرُوطُهَا ، وَتَكُنْ أَقْسَامُهَا : لِأَنَّ تَرْخِصَ الصَّيْدِيِّ لَصَدِيقِهِ فِي الْمَقَاطِعَةِ وَالْمُصَارِمَةِ دَالٌّ عَلَى ضَعْفِ الْأَعْيَادِ ، وَاسْتِحَالَةِ الْوِدَادِ .

من كلام المتقدمين :

لَأَنِّي مَا أَحْدَثْتُ نَبْوَ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَحْدَثْتُ جَفْوَهُ ؛ وَلَا أَبْدَيْتُ هَجْرًا ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَبْدَيْتُ فَنْرًا ؛ وَلَا لَوَيْتُ وَجْهًا عَنِ الصَّلَاةِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ ثَبَيْتُ عِطْفًا إِلَى الْقَطِيعَةِ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَّا جَانٌ ، وَالثَّانِي حَانٍ ؛ وَالتَّمَقُّدُ مُؤِيرٌ ، وَالتَّائْتُرُ مُضْطَرٌّ ؛ وَكَمْ بَيْنَ فِعْلِ الْخِتَارِ وَالْمَكْرَهِ ، وَالْمَبْتَدِعِ وَالْمَتَّبِعِ .

آخِرُ : إِنْ أَسْكَنْتُ يَاسِيدِي عَيْنَايَ ، مُرْخِيَا مِنْ عَيْنَاكَ ؛ كُنْتُ بَيْنَ قَطْعِ حَبْلِكَ ، وَرِضَا فِعْلِكَ ؛ أَوْ اقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى التَّلَوُّحِ بِهِ لَمْ يَنْزِلْ ذَلِكَ مَعَ كَثَرَةِ جُحُوحِكَ ، وَشِدَّةِ جُنُوحِكَ ؛ وَمَا أَرْتَكِبْتَهُ مِنْ رَائِكٍ ؛ وَأَسْتَخْرِجْتَهُ مِنْ جَفَائِكَ .

رقعة عتاب : لمولانا لدى الملوك عوارف لا يهتدى إلى معرفتها فوقها كُنْه المراد ، وأياد لا يبلغ ما مسطحة من الإجماد ؛ ولو عضدته خطباء إيراد ، أجلها في نفسه خطرا ، وأحسنها عليه أثرا ؛ ما يقرضه له من ربه وإكرامه ، وتعهده وأهتامه ؛ وقد غير مولانا عادته ، وقصص شيمته ؛ وبذل الملوك من الإنصاف بالإعراض ، ومن الانسباط بالإقباض ؛ وحمله من ذلك ما أوهى قوى صبره ، وأظلم بصائر فكره ؛ فإن يكن ذلك نبطا واقعه الملوك ساهيا ، وجرم أجترمه لاهيا ؛ فنسل مولانا لأبطال إلا بالقصد ، ولا يعاقب إلا على العمد ؛ إذ كان الملوك لا يعصم من ذل ، ولا يسلم من خلل ، اللهم إلا أن يكون مولانا أراد من الملوك قهريه وتأديبه ، وإصلاحه وتهذيبه : ليحسن أثره في خدمته ، ويسلك السبيل الواضح في تباعده ، فلا أعلم الله الملوك تقيقه ، ولا سلبه تبصيره وتعريفه ؛ وإن كان ذلك لشك عرَض من الملوك في وِدادهِ ، وأرتياح خامر في حُسن اعتقاده ؛ فأعيد به باقه من القطع بالشبهات ، والعمل بمنغل السعيات ؛ ومولانا خلق بأن يُطلع من أنس الملوك ما غرِب ، ويُنبط من سروره ما نضب ؛ ويُعيد له لِرِضاه ، ويُجريه على ما أحده منه وأرضاه .

رقعة : ليس الملوك يرفع مولانا في إعراضه ، إلا إلى فضله ، ولا يُجَاهِئُه على أقباضه ، إلا إلى عدله ؛ ولا يستعين عليه إلا بما يستمليه من آدابه ، ولا يناظره إلا بما أخذه عنه من محافظته وإحبابه ؛ إذ كان الملوك مد ووصلته السعادة بجماله ، ناصجا على منواله ؛ متقبلا شرائف خلاله . وما عهدته عمر الله معاهده ، وكبت

(١) لعله الولي .

(٢) يقال أنظلم حديثا سمعته ثم إليهم به أنظر السان ج ١٤ ص ١٩٤ .

حاسدَه ؛ يَغْضَبُ تَقْلِيدًا قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ ، وَيُخَوِّجُ الْبَرِيءَ إِلَى مَوْقِفِ الْإِعْتِذَارِ ؛
وَلَا سِيَّيَا إِذَا كَانَ الْمَظْتُونُ بِهِ عَلِيًّا بِشُرُوطِ الْكَرَمِ ، عَارِفًا بِمَوَاقِعِ النِّعَمِ ؛ لَا يَسْتَسْخِ
الشُّكْرَ ، بِالْكَفْرِ ، وَلَا يَتَعَوَّضُ عَنِ الْحَمْدِ ، بِالْجُحْدِ ؛ وَقَدْ عَرَفَ مُوَلَانَا ثَنَاءَ الْمَمْلُوكِ
عَلَى تَفَضُّلِهِ ، وَوَقَفَ عَلَى بَلَانِهِ لِأَعْمَالِهِ ؛ وَهُوَ وَفَى رَبِّ عَوَارِفِهِ وَصَنَائِعِهِ ، وَتَقَرَّرَ
مَارَهَنَ لَدَيْهِ مِنْ وَدَائِعِهِ ؛ وَتَرَدَّدَ سَمْعُهُ عَنِ الْإِصْنَاءِ إِلَى مَا يَخْتَلِفُهُ حَاسِدٌ ، وَيَصُوفُهُ
كَائِدٌ ؛ وَقَدْ حَكَّمَ الْمَمْلُوكُ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلَهُ الَّذِي لَا يُبْهَرُجُ عَلَيْهِ وَلَا يُبْلِسُ ، وَكَشَفَهُ
الَّذِي لَا يُغْطِي عَلَيْهِ وَلَا يُبْلِسُ ؛ فَلْيَحْكُ أَفْعَالُ الْمَمْلُوكِ عَلَى عَمَلٍ بِصِيرَتِهِ ، وَلْيُجَلِّ
فِي تَأْمَلِ مَقَاصِدِهِ طَرَفَ فِكْرَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ عَمَّنْ لَا تُحِيلُهُ الْأَحْوَالُ وَلَا تُحَوِّلُهُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْغَيَرُ
وَلَا تُبَدِّلُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رقعة : أفعال شكر المملوك في الخلم والغضب ، والرضا والسخط ، إذا لم يقتض
الجُزْمُ إيقاعها موقع الفضل ، واقعة موقع الإنصاف والعذل ؛ وَلَا يُغْلَبُ هَوَاهُ
عَلَى رَأْيِهِ ، وَلَا بَادِرَتُهُ عَلَى آثَانِهِ ؛ وَقَدْ جَانَبَ مَعَ الْمَمْلُوكِ حَادَتَهُ ، وَبَيَّنَّ فِيهِ شِمَّتَهُ ؛
وَنَالَهُ مِنْ إِعْرَاضِهِ ، وَجَفَانِهِ وَأَقْبَاضِهِ ، وَتَغَيَّرَ رَأْيُهُ ، مَا وَسَمَ الْمَمْلُوكُ فِيهِ بِالذَّنْبِ
وَلَمْ يُلْنِيهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى الْجُرْمِ وَلَمْ يَحْتَقِبْهُ ؛ وَأَوْقَفَهُ لَدَيْهِ مَوْقِفَ الْإِعْتِذَارِ ؛ وَأَحْوَجَهُ
إِلَى الْإِسْتِقَالَةِ وَالِإِسْتِغْفَارِ ؛ وَلَيْسَ الْمَمْلُوكُ يُجَاكِه إِلَّا إِلَهُهُ ، وَلَا يُعَوِّلُ فِي الْإِئْتِصَافِ
إِلَّا عَلَيْهِ ؛ وَمَا أَوْلَاهُ بَأَنْ يُعِيدَ الْمَمْلُوكَ إِلَى عَمَلِهِ مِنْ رِضَاهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُوَاقِعْ فِي خُدْمَتِهِ
إِلَّا مَا يَرْضَاهُ ؛ وَحَسْبُهُ شَاهِدًا بِذَلِكَ مَا يَسْلَمُ مِنَ الْمَمْلُوكِ مِنْ سَلَامَةِ غِيهِ ، وَطَهَارَةِ
جَنِيهِ ؛ وَقَضَى وَدَّهَ ، وَصَحَّ مَعْتَقِدُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كذا في غير أصل واصله "أفعال شيم المولى" ليستقيم الكلام بعد .

(١)

رقعة بمعانية على

كل مانع مألديه من رغبه ، دافع عما عنده من طلبه ؛ فستغنى عنه إلا الله تعالى
المبتدئ بالنعم ، العواد بالكرم ؛ ولو عرف مولانا بطعم شجرة المعروف ، لأسرع
إلى أحضانها ، ولو علم ما لله تعالى عليه من الحقوق في ماله وجهه ، لم يقصر عن
أدائها ؛ غير أنه ظن أن الفوز بالوجد ، غاية المجد ، وأنه إذا أحمَد النَّسَب غنى عن
الحمد ؛ وأن النعمة ترتبط بالربط عليها ، وتصرف بالتصرف فيها ؛ وما ساء المملوك
أن تنزه عن هلهلة منة لئيم ، وحرم محمده من كريم ؛ وهذا الحرمان أحسن والله
في عين المملوك من التوال ، وهذا الإكفاء أبرأ لئيم من بلوغ الآمال ؛ وسيبشر المملوك
مدنجه في كل ناد ، ويكف عنه أمانى القصاد ؛ ويكفيه مئونة الاعتذار ، ويصونه
عن أن تبذل إليه وجوه الأحرار : ليعلم أن المملوك على منعه لم يقصر في بلوغ
أوطاره ، والسعي في إثاره ؛ إن شاء الله تعالى .

رقعة في المعنى : مارد المملوك ر مولانا مستترا لقليله ، ولا لائما لنفسه على
تأويله ؛ لكنه أتبعه آتباع من ظنه عارفا بقدره ، راغب في شكره ؛ فلو أغضى
المملوك منه على الأطراح لأمره ، لاستدل منه على قصر الهمة ، وظن أنه قومه
بلون القيمة ؛ لا سيما وهو قرض لمن لا يجارى المملوك في مضمار ، ولا يساويه
في مقدار ؛ من غير قصيد بتأويل ورجاء ، وتقديم فريضة من تحريظ وثاء ، ماتصيق
عنه الهيم الفساح ، ولا يصل إليه الاقتراح .

(١) يباض في الأصل وله « على منع عطاء » .

(٢) له « رة المعروف الى اجتاحتها » تأمل .

رفعة عتاب، على تقصير في خطاب :

حُوشَى مَوْلَايَ أَنْ يُخَرِّدَ الذَّلِيلَ عَلَى آثَارِ فَضْلِهِ ، وَتُحِثَّ مِنْ غُرُومِ إِحْسَانِهِ
 مَا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يَتَمَهَّدَ بِوَبْلِهِ ؛ وَيُحَقِّقَ مَنَى رُسُومِ كَرَمِهِ ، وَيَصْدَعِ بِجَانِبَةِ الْإِنْصَافِ
 صِفَاةَ صِفَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ، وَيُنْطِقَ الْأَلْسُنَ بِعِتَابِهِ ؛ وَيُصَلِّتَ سَيْفَ التَّائِبِ مِنْ قِرَابِهِ ؛
 بِمَا اسْتَحْسَنَ مِنْ مُسْتَقْبَحِ الْمُصَارَمَةِ فِي الْخَاطِبَةِ ، وَأَسْتَطَاهُ مِنْ جِلَاحِ التَّرْيِيبِ
 فِي الْمَكَاتِبِ ؛ وَلَا سِيَّامَا وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْجِعَ الْإِكْرَامِ مِنَ الْإِكْرَامِ ، أَلْطَفُ مِنْ مَوْجِعِ
 الْإِنْتِظَامِ ؛ وَأَنْ تَحُلَّ الْقَالَ ، أَفْضَلُ مِنْ حُلِّ النَّوَالِ ، وَأَنْ تَغْيُرَ الْعَادَةَ فِي الْبَرِّ ، مُقَوِّضُ
 لِمَعَامِدِ الشُّكْرِ ، وَسَبِيحُ (؟) السَّنَةِ فِي الْإِنْصَافِ ، قَاضٍ بِالْإِنْصِرَافِ بَعْدَ الْإِنْطِافِ ،
 وَقَدْ كَانَ الْمَلُوكُ أَرْمَعُ أَنْ يَحْمَلَ تَقْصِيرَهُ بِهِ ، وَأَنْ يُضَلَّ مِنْ غُرْبِهِ ، غَيْرَ مَطْلُوعٍ
 لِلْهَمِيَّةِ ، وَلَا مُتَبَادِلٍ لِنَفْسِ الْعَصْبِيَّةِ ، وَلَا يَقْرَعُ سَمْفَ بَعْتَابِ ، وَلَا يُورِدُ عَلَيْهِ مُخَضَّ
 خِطَابِ ؛ ثُمَّ رَأَى الْمَلُوكُ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى الْأَزِينِ ؛ وَيُعَيِّنَهُ عَلَى اعْتِمَادِ الْأَحْسَنِ ؛
 وَيُخَضِّبَهُ عَلَى مُرَاجَعَةِ الْأَفْضَلِ ، وَمُعَاوَدَةِ الْأَجْمَلِ : لِيَتَحَقَّقَ مَعَ سَوَاهِ ، وَلَا يَخْرِي
 تَجْرَاهُ ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَحْمَلُهُ ، وَيَرْضَى رِضَا الْمَلُوكِ بِمَا يَفْعَلُهُ ؛ فَيُؤَلِّقُ نَا حَبَّ اللَّهِ
 إِلَيْهِ الرَّشْدَ ، وَوَقْفَهُ إِلَى الْمَنْهَجِ الْأَمْدَ ؛ هَلْ هُوَ مِنْ شَيْءٍ سَوِيٍّ يَمُرُّ ؛ فَمَا هَذَا إِلَيْهِ
 وَالْبَطَرُ ؟ وَلِمَ هَذَا الْأَزْلُ وَالْأَثَرُ ؟ وَمَا فِعْلُ الرَّئِيسِ إِلَى مَا يَصْغُرُ عَنْهُ قَدْرُ ؛
 وَلَا يَبْتَاسُ مِنْ نَبْلِهِ عَمْرُ ؛ وَلَا مَضَتْ أَقْلَامُكَ فِي الْأَقَالِمِ ، وَلَا أُسِيرَ إِلَيْكَ بَنَاتُ
 التَّعْظِيمِ ؛ وَلَا قُوِّضَتْ إِلَيْكَ الْوَزَارَةُ وَالرِّدَافَةُ ، وَلَا تَأْمُرَتْ عَلَى الْكَفَّاهِ ؛ وَلَا طَاوَلَتْ
 الْأَكْفَاءَ فَعُلَّتْ ، وَلَا نَاضَلَتْ الْقُرَنَاءَ فَفَضَلَتْ ؛ وَإِنَّمَا سَرَقَ إِلَيْكَ الْحِطُّ مِنْ مِمَّاهِ
 وَشَلَا مُصْرِدَا ؛ وَأَدْرَكَكَ النَّعْرُ مِنْ أَخْلَافِهِ مُجْدَدَا ، فَانْصَحَتْ الْمَعَامِلَةُ بِظُلْمِ
 الْإِخْوَانِ ، وَتَشَخَّ شَرَائِعُ الْإِحْسَانِ ؛ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ ، وَغَرَبَكَ حَدْسُكَ ؛ كَيْفَ بَكَ
 غَدًا إِذَا اسْتَرَدَّ الزَّمَنُ مَا جَوَّلَكَ ، وَاسْتَرْجَعَ مَا تَوَلَّكَ ؛ وَتَحَوَّتْ بِالْعَزْلِ مِنْ سَنَكَةِ

(١١) والولاية، وتفرقت بعد طلب الغايه؛ وُصِّتَ إلى إخوانك فوجدت أوطان أنسهم بك نايه، وقُوسهم للإقبال عليك آيه؛ ولو كان الزمن أمكنك من رقبتي، وطرق لك الطريق إلى إيداع حُرْفك في جِهتي؛ لقيح بك أن تطول بطولك، وتدعي الفضل بفضلك، ولم يحسن أن يُبدل الإنعام، وتضمن بالالتزام؛ فإن كنت تفتخر بسلفك وأبوتك، وتطاول بأوليتك وأسرتك؛ فلو كان أبوك كسري، لما جبر منك كسرا، ولو كان جدك بحت نصر، لما أنتفعت به في مظاهرة ولا نصر، فدع أكثر مافات، ولا تمول على العظام الرقات؛ فما استند إليها إلا حار من الفضل طليل من الحلي. على أنك لو فخرت بها لفخرناك، وتقدمنا وأخزناك؛ وإن كنت تستند إلى دياتك، وتتمدد على كسك وأمانك؛ فهذه خالص حال لا تخلص مرتبتها ولا تقيم فضيلتها إلا باستشعار التواضع، والأخذ بمكارم الأخلاق لدى التنازع؛ فارجع هديتك إلى الأجل^(٢)، وأعمل بالأفضل، وقِفْ بحيث رُبيتك؛ ولا تشوف إلى غير درجتك؛ وإن أبيت ذاك فأقطع المراسله، وأخفيها من المواصله، والسلام.

رقعة عتاب على ناصر المكاتبة :

من حكم الوداد - أطال الله بقاء سيدي - الزياره عند المقاربه، والمكاتبة عند المباحثه؛ وإن كانت المودعه الصريحه لا يغيرها اجتناب، إلا أن الكتب السن البعاد؛ والأعين التي تنظر حقائق الوداد، ولها في القلوب تأثير، وموقعها فيها تأثير؛ وحوشي مولانا أن أهرز أريجته لما يؤكد الحق باخائه؛ ويشهد بوقائه؛ ولا سيما وهو يقرض ذلك لأجته، وقوله واجب في شرع مودته.

رقعة فى معناه :

إن أبداً الملوک مولانا لم یُجب ، وإن سألہ الابتداء لم یُوجب ؛ فلا حقّ
الإجابة تُؤدیه ، ولا نأخر المسألة قَضیه ؛ فإن كان إذا شخص غاب عن فكره
أشخاص أحیته ، وإذا بعد عاملهم بتجافیه وجفویته ؛ قد كلف یبنى أن يتكلف
ويتجمل ، ويتصنع ويتعمل : فإنه لو ظل مشوباً بالانتظار ، أو اعتذر ممرضاً
بالاعتذار ؛ لاهتمتُ ذلك مقام المکتبه ، وصنفته عن محض المعاتبه ؛ لكنه مال مع
الملال ، ورضى الإطراح والإهمال ؛ ودل على أنه مستغل بالإخوان ، متقل مع
الزمان ؛ وأرجو أن تصلق المخیله ، ويرجع إلى العاده الجميله .

رقعة معاتبه وجل كريم الأصل لثم الفعل :

قد عرف مولانا وقفه الله ووقفه على منج الرشد ، أن جنایة الغضب الذمیم ،
تندح فى كرم الحنیث الكريم ؛ وأن قبیح الصلف ، یسوخ تلبه الشرف ، وخیث
الثریه ، یغنى على طیب المناحیت الزکیه ؛ وأنه لیس لمن تحلى بالظلم والجور ،
وتلبس بالتعنت والتندر ، وسام نفسه باطراح الحقوق ، وأستیطاء العقوق ؛
إلا إضاعة الحرم ، وإخفاق الذمم .

المعاتبه من كلام المتأخرین :

الشیخ شهاب الدین محمود الحللى :

یقبل الأرض وینبی أنه قد صار یرى قربه أزواراً ، وطویل سلامه اختصاراً ؛
وینالک فى ذلك حتى شاهده عیاناً مراراً ؛ وهذا ینکر الولاء ، صقیله الخلباب ،

(١) جنت الانسان أسله . ووقع فى الأصل "الحلیث" وهو تصحیف .

وعروسُ البناء، جميلةُ الزَّنةِ حسنةُ الشباب، وهو لا يفتأ من الموالاة في صعدٍ وقدره في صَبَبٍ ؛ فكلُّها مَكْنٌ وتَدَّ الاستعطاف يربُّو عَدَمَ تَحَلُّمِهِ فُصْلَ بِأَيْسَرِ سَبَبٍ ؛ بحيثُ أطفأ الإهمالُ نارَ المُسَاعَفَةِ والمُسَاعَدَةِ، وانتقلَ تَوَهُمُ عَدَمِ العِنايةِ إلى تيقُّنِ وجودِهِ بالمُشاهدَةِ ؛ وقد كان يُرْفَعُ قدرُهُ تُغْفِضُ، وعُوضُ في الحالِ عن الرِّفْعِ بالإِبتداءِ، أنه مُفَرَّدٌ ويُتَصَبَّ كالنِّكَةِ في النِّداءِ، وأَهْمَلُ حَتَّى صارَ كالْحُرُوفِ لا تُسْتَدُّ ولا يُسْتَدُّ إليها، وألْفَى حَتَّى شَابَهُ ظَنَنْتُ إِذَا وَقَعَتْ مُتَأَثِّرَةٌ عَنْ مَقْعُولِهَا ؛ وَمَنْ يَلْقَى لِأَمْرٍ، أَشَدَّ نَفْسَهُ * مَا فِي وَقُوفِكَ سَامَةً مِنْ بَاسٍ *

وكان يَفْتَنِي عَجَلَتَهُ الكَرِيمَ خِدْمَةً وَأَدَاءَ لِلوَاجِبِ ، وطلبَ لَعَادَةٍ أَكْثَرُهَا إِحْسانُهُ حَتَّى صَارَتْ ضَرْبَةً لِزَيْبٍ ؛ فلا يَحُلُّو مَجْلِسٍ مِنْ إظهارِ تَفْهِيرٍ عَادَةٍ وَطَدِّ الْجُودِ أَسَاسًا، وانتفاضَ قاصِدِيهَ أَرَمَ الكَرَمِ أَمْرَاسَهَا ؛ فينْقَطِعُ سُلُوكًا لِلأَدَبِ وتَخْفِيفًا عَنْ الخَطَاطِرِ ، وَيَتَلَقَّى مَا يَصْدُرُ قَلْبٍ شَاكٍ وَلِسَانٍ شَاكِرٍ ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ عَزَمَ مَوْلَاهُ عَلَى طَرْدِهِ، وَعَوَّضَهُ عَنْ مَنَحَةِ الْقُرْبِ الْمَحْتَنَةِ بَعْدَهُ ؛ فَإِنَّهُ يَأْبَى ذَلِكَ جُودُهُ وَلُطْفُهُ، ومَعْرِفَةُ يَشْكُرُ وَيَزِيدُ لَا يَمُكِّنُ صَرْفُهُ ؛ وَلَوْ جَازَ الصَّرْفُ لَهَجَرَدَ ^(١) بِالْعُبُودِيَةِ لَمَنْعَهُ الْعَدْلُ مِنْ مَسِيدِهِ، وَالْحِلْمُ الَّذِي عُرِفَ مِنْ كَرِيمٍ مَحْتَدٍ ؛ فَكَانَ الْمُلُوكُ يُسْتَحْسِنُ فِي حَبْرِهِ وَمِسْبَرِهِ ، وَيَعْوِضُ عَنْ مَقَابِلَتِهِ بِحَبْرِهِ ؛ فَقَدْ ضَارَ سَمِيئُهُ غَنًا وَشَحْمُهُ وَرَمًا، وَحَدِيثُهُ رَمًا وَمَهْلُهُ عَلَمًا :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ * كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا
وَمَا تَمَّ بِمُحَمَّدٍ أَنْ يَأْجِبَ ذَلِكَ وَلَا بَعْضَهُ ، وَلَا يُحَدِّثُ نَمَّ الْمُلُوكِ وَيُفَضِّهَ ؛ وَلَوْ بَدَأَتْهُ زَلٌّ ، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ خَطْلٌ ؛ فَكَارُمُ مَوْلَانَا أَوْسَعُ مِنْ إِقْدَاءِ ذَلِكَ فِي ضُلُوكِ الصُّدُورِ ؛ وَ[أُخْرَى بِ] حَقْوِ آيَاتِ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّهُ لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ .

(١) يياض بالأصل ولعله « ليجرد الشك بالعبودية » .

وله : يُخْلِمُ بُلْطَانَهُ ، وَصَادِقَ وِلَايَتِهِ ؛ وَيُنْهِي أَنَّهُ أَنْكَرَ خَاطِرُهُ ، وَأَرْقَ جَفْنُهُ
وَنَظَرُهُ ؛ وَتَضَاعَفَ بَلَاءُهُ ، وَتَزَايَدَتْ فِي الْقَتْلِ أَحْوَالُهُ ؛ مِنْذُ تَأَخَّرَتْ الْأَمِلَةُ الْكَرَامُ ،
وَأَقْطَعَتْ عَنْهُ بِاقْطَاعِهَا الْمَنِّ الْجَسَامُ ؛ وَهُوَ يَسْأَلُ الْعَفْوَ عَنْ ذَنْبٍ وَقَعَ ، وَتَشْرِيفَهُ
بِمِثَالِ يَرْقَعٍ مِنْ قَدَرِهِ مَا وَضَعَ ؛ وَأَسْتَعْمَلَ الصَّفْحَ عَنْهُ كَسَائِرِ مَادَاتِهِ ، وَإِحْرَاءَهُ عَلَى
الْطُّفْلِ الَّذِي أَلْفَهُ مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ ؛ فَقَدْ ضَعُفَ صَبْرُ الْمَمْلُوكِ وَجَنَانُهُ ، وَتَهَوَّنَ لِلْفِرَاقِ
جَفْنُهُ وَإِنْسَانُهُ ؛ وَصَغُرَ قَدْرُهُ ، وَأَهْمِلَ جَانِبُهُ وَمَنْ أَمَرَ بِإِهَانَتِهِ تَفَرَّهَ ، وَلِهَذَا ضَابَقَتْ
عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ ، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهِ [يَفْشِدُ] فِي ذَلِكَ :

وَاهْتَنَيْتِي فَاهَنْتُ تَقِيَّتِي طَامِدًا * مَا مِنْ يَهُونٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ !

وَالْمَمْلُوكُ مُعْتَرِفٌ أَنَّهُ مَا زَالَ يَجْهَلُ مَا يَحِبُّ عَلَيْهِ مِنَ الْخِلْمِ ، وَمُقَرَّرٌ بِتَقْصِيرِهِ عَنِ الْقِيَامِ
بِمَعَالِ مَا يُؤَاصَلُ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ؛ لَكِنَّهُ أَلْفَ مِنْ مَوْلَانَا أَنْ يُقَابِلَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ ،
وَجَهْلُهُ بِصَفْحٍ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَ اللِّسَانُ ، بَلْ جَمِيعُ الْجُنَّانِ ؛ فَإِنْ كَانَ ذَنْبٌ مِنَ الْمَمْلُوكِ
هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ أَطْرَاحَهُ ، وَأَوْجَدَ أَسْفَهُ وَأَذْهَبَ أَفْرَاحَهُ ؛ وَكَانَ أَيْسَرُ مَا تَهْتَمُّهُ
مِنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ ، فَلَئِنْ جَذِرْتَ أَنْ يُلْحِقَهُ بِإِخْوَتِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ تَزَايَدَ مَقْدَارُهُ ،
فَالْمَوْلَى قَدْ تَضَاعَفَ عَلَى الْعَفْوِ أَقْبَدَارُهُ ؛ وَإِذَا كَبُرَتْ الْجُلُوعُ كَثُرَ أَجْرُ غُفْرَانِهَا ،
وَعَلَتْ الْمَجَاوِزَةُ عَنْهَا عَلَى أَفْرَانِهَا ؛ وَعَلَى كَلَا الْأَمْرَيْنِ قَدْ اسْتَحَقَّ الْمَمْلُوكُ الْمَغْفِرَةَ بِكُلِّ
طَرِيقٍ ، وَأَنْ يُقَابِلَ رَجَاؤُهُ بِالْتَّحْقِيقِ ، وَأَمْلُهُ بِالتَّصْدِيقِ .

وله : وَيُنْهِي أَنَّهُ مَا زَالَ يَسْتَلُو آيَاتِ عَاسِيَتِهِ وَحَمِيدِهِ ، وَيَرْقُبُ رَايَاتِ إِجْسَانِهِ
وَيُجْمِدُهُ ؛ وَيَتَوَلَّاهُ وَلَا يَتَوَلَّى عَنْ عَجْبَتِهِ ، وَيُكْثِرُ النِّسَاءَ عَلَى الْمُنَى فَيُطْقِنُهُ وَجَزِيلَ

مُرُوَيْتِهِ ؛ وَقَدْ صَارَ يُشَاهِدُ مِنَ الْمَوْلَى مَلَأًا وَصُدُودًا ، وَإِعْرَاضًا يَغِيظُ بِهِ صَدِيقًا
وَيُسْرِبُهُ حَسُودًا ؛ وَأَطْرَاحًا أَوْهَمَهُ أَنَّهُ أَلِفٌ وَصَلَّ كُذِّجَتْ ، أَوْ لَقِظَةُ هَجْرٍ لَقِظَتْ ؛
وَلَا يَعْرِفُ لَهُ ذَنْبًا يُوجِبُ إِعْرَاضَهُ ، وَلَا جُرْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ أَنْ يَنْقُصَ حَبْلَ وَصْلِهِ
وَيَرْفُضَ وِدَادَهُ ؛ وَلَا يَعْلَمُ سَبَابًا يُوجِبُ مَبْهَ ، وَلَا شَيْئًا يُحْدِثُ عَتَبَهُ ؛ مَعَ أَنَّ الْمَمْلُوكَ
أَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِالْإِعْرَاضِ ، وَيَرْفُلَ مِنْ إِغْفَالِ مَوَدَّتِهِ فِي الثَّوْبِ الْقَضْفَاضِ ؛ فَإِنَّ
الْمَوْلَى أَلَمَهُ بِالْقَوْلِ مِرَارًا ، وَجَعَلَ تَعَابَةً حَيْفَهُ تَهْمِي عَلَيْهِ مَذْرَأًا ؛ وَهُوَ يَحْتَمِلُ
الْأَذَى ، وَيُقْضَى عَلَى الْقَدَى ؛ وَلَا يُظْهِرُ إِلَّا حُبَّهُ ، وَلَا يُبَيِّنُ لَهُ إِلَّا مَوَدَّةً ؛ فَإِنْ
شَاهَدَ الْمَوْلَى بَعْدَ إِعْرَاضِهِ إِعْرَاضًا فَلَيْلَمَ نَفْسَهُ ، أَوْ أَحْرَقَهُ نَهَبٌ نَارَ الْجَفَاءِ فَلَا يَشْكُو
مَسَّهُ ؛ يُحِيطُ بِذَلِكَ عُلَمَاءُ ، وَرَأَاهُ الْعَالِي .

شعر في العتاب :

مَوْلَايَ قَدْ طَالَ التَّبَاعُدُ بَيْنَنَا * أَوْ مَا سَمِيتَ قَطِيعِي وَمَلَالِي !

إِنْ لَمْ تَرِقْ لِحَالِي يَا هَاجِرِي * مَوْلَايَ قُلْ لِي مَنْ يَرِيقُ لِحَالِي !

غيره :

يُبَاعِدُنِي عَنْ قُرْبِهِ وَلِقَائِهِ * فَلَمَّا أَذَابَ الْجَسَمَ مَنَى تَعَطُّفًا

غيره :

إِنْ كَانَ هِجْرَانُنَا يَطِيبُ لَكُمْ * فَلَيْسَ لِلْوَصْلِ عِنْدَنَا تَمَنُّ

غيره :

شَمَّتْ بِي الْأَعْدَاءُ حِينَ هَجَرْتَنِي * وَالْمَوْتُ دُونَ ثَمَانَةِ الْأَعْدَاءِ !

غيره :

تَسَامَ عَيْنَاكَ وَتَشْكُو الْمَوْتَى * لَوْ كُنْتَ صَبَاً لَمْ تَكُنْ نَائِمًا !

ولبعضهم : مبدى بادأني بلطف من غير خبره ، وأعقني جفأ من غير ذنب ؛
فاطمعني أوله في إخوانه ، وآسني آخره من وفائه ؛ فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح المبهم عن عزيمة الرأي فيه ؛ والمملوك يقول :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ أَهْلَبَ * وَصَفَوِ وِدَادِكَ أَنِّي ذَهَبَ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنِّي * أَرَاكَ بَعِينَ الرِّضَا فِي النَّصَبِ

أجوبة رفاع العتاب

قال في "مواد البيان" : حكم أجوبة هذه الرِّفاع حكم رفاع أجوبة الاعتذار
إلا أنها لا تخلو من الإجابة بالإعتاب أو الإصرار على العتاب . قال : ويجب
أن يسلك فيها المحيَّب مُنْهَبَ المحيَّب عن رفاع الاعتذار .

زهر الآداب :

في جواب العتب على تأثر مكاتبة .

وعلم المملوك ما أشار به من العتب بسبب تأثر خديمه عن جنابه ، وما توهمه
من اشتغال المملوك بأهله وأصحابه ؛ وحاشاه أن يتوهم في المملوك غير الولاء ، والملازمة
على الحمد والنساء ؛ فهو لا يعتمد ذلك إلا تخفيفاً عن خاطره ، ووئافاً بما يتحققه
المولى من خالص مودته في باطنه وظاهره ؛ حرسه الله ووفقه ، وفتح له باب السعادة
ولا أغلقه ، بمنه وكرمه .

زهر الربيع :

جواب عتاب :

زاد الله جنبه حنّانا ، وأسبغ عليه إنعاماً وإحساناً ، وخلّد له على كلّ عدوٍّ سلطاناً .
ولا زالت همته سماءً لنا كيب الكواكب ، وأيديه تُفيض على الأولياء غرائب
الغائب ، ولا برحت صحائب إنعامه هامية ، وقطوف إحسانه دائمة دائية ، وشرائع
مياه جوده تُجفف جفونا من الفاقة دامية .

المملوك يخلد خدمته ، ويؤثر لولّى أدعيته ، ويعترف بمنّنه إلى أقزق بها السنة
جوارحه فلا يستطيع أن ينكرها ، ويعترف بيد تضرعه من بحار جوده التي تتعب
الولّى من سخائها إلى كل وليّ وتقف له جواهرها .

وينهى ورود المكتبة والعلم بمضمونها ، والإحتواء على سائر معاني فتونها ،
وما أشار إليه من التّب الذي يرحوبه بقاء الوداد ، وأسبغ طبّ حال التّواصل
من غير نقاد ، والمملوك فلا ينكر ذنبه ، ولا يتنصل ولا يتوصّل بل يعترف بجرمه وقلة
خسّمه ، ويستمسك بالعروة الوثقى من إحسانه وحلمه ، ويسأل مكارمه إجراءه
على عادته بالصّنع عنه وبرّمه ، وهو يرجو أن أم هذه الحقوة لآلله لها أختا ، وأنه
لا يعتمد إلا ما يزيد إلى المولى مقة ويزيل مقّا ، فإن معاتبة مولانا قد وصّتها أدن
واعبه ، ومراضيه لا تحصى على المملوك بعد ذلك منها خافيه ، إن شاء الله تعالى .

آخر : أسعد الله المجلس وعطف للأولياء قلبه ، ونصر آتية وأفدّ كُتبه ،
وأرّهق في نصرة الإسلام سنانّه وعُضبه ، وألم حبة قلب الزمان حبه ، وأقدره
على الحلم الزائد حتى ينفر به لكلّ مُذنب ذنبه .

[وينهى] وروود الكلاب الذى أهدته يد مولانا فصار كريمة، وكسته عبارته توب
برأعه فأصبح منظره وسيا، وأمنتش عرفت نبيمه المبارك فطاب شيما، وعلم
المملوك منه شلة عته، ومّر التجي الذى ظهر من حلو لفظه وعذبه، ولم يعرف
لعتبه موجبا، ولا لتغير مودته سببا، فإنه ما حاد عن طريق ولاته ولا حال،
ولا زلت قدمه عنه ولا زال، ولا ماد عن منهج المودة ولا مال، وما قتي لحاسنه
ناشرا، ولإحسانه شاكرا، فإن كان قد همل عنه إلى مولانا شىء أزعجه، وأخرجه
عن مادة حلمه وأخرجه، فإن الوشاة قد اختلقوا قولهم وقلمهم، وقصدوا تشيت
المصاحبة شئت الله بهمهم .

وقد نقلا عن الذى لم أنه به * وما أنه الأخبار إلا رواها!

آخر: وردت المشرفة العالمة أعلى الله نجم مرسلها، وأسبح أياديه وشكر
جسيم فضيلها، فابتهجت الأنفس بحلوها وحل جمالها، وعولمت بما يجب من
إكرامها وإجلالها، وقص ختامها ففاح منها أريج العبير والعنبر، وتكت الفاظها
التي هي أبهى من الرياض وأحلى من السكر، فأغنت كؤوس فصاحتها عن المدام،
وأزال مأوها الزلال البارد سرا الأوام، وأعرب منسيها عما في ضميره من العتب،
والضيق الذى حصل في ذلك الصدر الرطب، وهو يقيم نعمته، وبصايق محبته،
أنه لم يبد منه ما يوجب عليه عتبا، ولا آتته عن الثناء على [محاسنه] ^(١) التي شغفته
حبا، فإن كلب المولى قد توهم شيئا أخرجه وأقلقه، وإلى ألم العتب شوقه،
فنزّل ذلك الوهم من خاطره، ولينق بما تحقق من موالاته في باطنه وظاهره،
ورأيه العالى .

آخِر: أَعَزَّ اللهُ عَرَمَاتِهِ، وَشَكَرَ جِسْمَ تَفَضُّلاتِهِ .

ولا زالت نِعْمَتُهُ بِأَقْبِهِ، وَقَدَّمَهُ إِلَى دَرَجِ الْمَعَالَى رَاقِبِهِ؛ وَهَمَّتْهُ إِلَى السُّمُوعِ عَلَى
الْكُؤَاكِبِ سَامِيهِ، وَسَمَاءِ جُودِهِ عَلَى الْعَفَاةِ هَامِيهِ؛ وَعَزَمَتْهُ لَتُنُورِ الْإِسْلَامِ حَامِيهِ،
عَبْدُ نِعْمَةٍ، وَغَرَسَ كَرَمَهُ، يُعَلِّمُهُ بِصِدْقِ وَدِّهِ، وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى شُكْرِهِ وَخِدِّهِ؛ وَأَنَّهُ
وَقَفَّ عَلَى مُشْرِفِهِ وَفَيْهِمِهِ، وَشَاهَدَهُ مِنْ عَتَبِهِ وَعَلَيْهِ؛ وَهُوَ لَا يَشْكُو مِنَ الْمَوْلَى جَفَاءً
وَلَا يَغِيبُ، وَ[عَنْ] طَرِيقِ الْمَصَافَةِ وَالْمُخَالَصَةِ فَلَا يَغِيبُ؛ بَلْ يَقُولُ :

أَنْتَ الْبَرِيُّ مِنْ إِسَاءَةِ كُلِّهَا * وَلَكَ الرِّضَا وَأَنَا الْمُعِيُّ الْمُذْنِبُ

وَالْمَرْجُومُ مِنْ لَطَافَةِ أَخْلَاقِهِ، وَطَهَارَةِ أَعْرَاقِهِ، أَنْ يَصْفَحَ عَنْ زَلَّتِهِ، وَيَعْفُو عَنْ
ذَنْبِهِ وَإِسَاءَتِهِ :

فَأَنْتَ الَّذِي تُرَبِّحُ لَتَخْفِيفِ زَلَّتِي * وَتَحْقِيقِ آمَالِي وَتَيْسِلِ مَا رِبِّي !

وَقُرْبِكَ مَقْصُودِي وَبَابُكَ كَهْفِي * وَرُؤْيَاكَ يَأْسُؤُنِي أَعَزُّ مَطَالِي !

قُلْتُ : وَكَتَبْتُ إِلَى الْمَوْلَى شَهَابِ الدِّينِ الدُّنْيَسَرِيِّ وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ مُسَاعَدَةُ بَعْضِ
الْجُهَّالِ عَلَى فِي بَعْضِ الْأُمُور :

عَهْنْتُ شَهَابَ الْفَضْلِ بِرِيَّيْهِمْ * شَيَاطِينَ جَهْلٍ أَنْ تُدَانِي جَنَابَهُ !

فَمَا بَالُ مَوْلَانَا عَلَى فَرْطِ فَضْلِهِ * يُعَرِّفُ شَيْطَانَ الْجَهَالَةِ بَابَهُ ؟

النوع الرابع عشر (العبادة والسؤال عن حال المريض)

رُقعة عبادة :

وَيُنْهَى أَنَّهُ اتَّصَلَ بِالْمَمْلُوكِ مِنْ أَلَمِ مَوْلَانَا - أَطَالَ اللَّهُ بَقَايَهُ ، وَحَرَسَ حَوَائِجَهُ -
مَا أَهْمُنِي مَتَابِعُهُ ، وَأَحْمِي أَضْيَالَهُ ؛ وَمَرَّقَ جِلْدَهُ ، وَحَرَّقَ خَلْدَهُ ؛ وَأَطَارَ الْوَسْنَ عَنْ
عَيْنِهِ ، وَقَرَّرَ الْهَدُوءَ عَنْ مَضْجِعِهِ ؛ حَتَّى تَدَارِكَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَتَابِهِ النَّاطِقَ بِإِقْلَاعِ الْمَلِكِ ،
الْمُعَرَّبِ عَنْ دِفَاعِ الْمُلُوكِ ؛ فَرَقًّا مِنْ دُمُوعِي مَا أَرَقَصَ ، وَجَبَرًا مِنْ ضُلُوعِ الْمَمْلُوكِ
مَا أَرَقَصَ ؛ وَالتَّامَ مِنْ جِلْدِهِ مَا تَقَطَّرَ ، وَبَرَّدَ مِنْ خَلْدِهِ مَا تَوَقَّدَ ؛ وَجَمَّ مَا طَارَ مِنْ وَسْنِهِ
وَأَتَسَ مِنَ الْهَدُوءِ مَا تَفَرَّعَ عَنْهُ ، وَالتَّامَتِ الْأَمَالُ بَعْدَ انْتِلَاقِهَا ، وَبَرَزَتْ تِمَارُ الْأُمَانِيَّ
مِنْ أَكْلِمِهَا ؛ وَطَلَعَ مِنَ الرِّجَاءِ آفَلُهُ ، وَرَوَى مِنَ السُّرُورِ مَاحِلُهُ ؛ وَتَجَمَّدَ مِنَ السُّؤْدُدِ
طَامِسُهُ ، وَصَحَّحَ مِنَ الزَّمَانِ طَائِسُهُ ؛ وَاقَهُ تَعَالَى بِغَضِّ طَرَفِ الْخَدَّائِنِ ، عَنْ مُهْجَتِهِ ،
وَيَصْرِفَ صُرُوفَ الزَّمَانِ ، عَنْ سَاحَتِهِ ؛ وَيُهَيِّئْهُ بِمَا أَعَادَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِبْلَالِ ، وَيُمَلِّئْهُ
بِمَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِقْلَالِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرِيمَةٍ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

رُقعة : وَيُنْهَى أَنْ مَآخِرَهُ مِنْ قَلَقٍ وَجَرَجٍ ، وَفَرَقٍ وَهَلَجٍ ، بِسَبَبِ مَا بَلَّغَهُ مِنْ
شَكْوَى مَوْلَانَا لِاتِّخَصُّرِ الْأَوْهَامِ ، وَلَا تَسْطَرِ الْأَقْلَامِ ؛ وَلَوْلَا تَقَةُ الْمَمْلُوكِ بِاللَّهِ تَعَالَى
لَوَهَتْ عُقْدُ صَبْرِهِ ، وَلَا تَخْلَعُ قُرْأَتُهُ مِنْ صَبْرِهِ ؛ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الْأَلَمَ
لَوْ قِيلَ إِلَى الْمَمْلُوكِ لَمَا تَقَلَّ عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَقِيلُ مَا يَخْفَفُ عَنْ مَوْلَانَا وَصَبِّهِ
وَيُخَسِّمُهُ ، وَيُعَكِّفُ لَهُ سِلْكَ الشِّفَاءِ وَيَنْظِمُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ فِي أَمَانٍ مِنْ
كَفَايَتِهِ ، وَضَمَانٍ مِنْ حَيَاطَتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) فِي الْأَمَلِ "تَوَفَّرَ" بِالْقَاءِ وَالرَّاءِ وَهِيَ لَا يَنْسَبُ إِلَيْهَا .

أجوبة كُتِبَ الشَّفَاعَاتُ وَالْعَنَايَاتُ^(١)

قال في "موادّ البيان" : هذه الكتبُ إذا أُجيبَ الملتَمِسُ إلى حاجته فينبغي أن تُبَيَّنَ أجوبتها على شُكْرٍ مقصودٍ الشافع ، والإدلالِ والامتثالِ وإنالَةِ المشفوع له وطَرَه إيجاباً لحقّ الشافع ؛ وإن وقع الامتناعُ والتوقفُ عن الإجابة إلى الملتَمِسِ ؛ فالواجب أن تُبَيَّنَ على إقامة العُدَر لا غير .

زهر الربيع :

جوابُ شفاعَةِ في حقّ كاتب :

جَدَّ الله [له] السعادةَ وخَلَّدَهَا ، وأصَارَهَا له شِعَاراً وأَبْدَهَا ؛ ووطَّدَ به الممالكَ ومَهَّدَهَا ؛ وعَضَّدَ به طائفةَ الإسلامِ وأَيَّدَهَا ؛ وشكَّرَ له صنائعَ يَعدُّ منها وَلِيٌّ ولا كُلٌّ .
يستطيعُ أن يَعُدَّهَا .

المملوكُ قَبْلَ اليدِ الشريفةِ أداءَ للفريضِ اللازمِ ، وشُكراً لما أَوْثَقَهُ من الأياديِ والمُكَارَمِ ؛ ومحمداً لألطافِهِ التي أطمعته بالتميزِ فأصْبَحَ بِرَفْعِ قدرِهِ كالجائِمِ .

وينهى ورُودَ المشرفِ الذي تَزَّهَ ناظرُهُ ، وجبرَ قلبَهُ بِحُسْنِ ألفاظِهِ وخاطرِهِ ؛ والعلمَ بما أَحْرَبَ به ، وسَفَّعَ إلى المملوكِ بسببِهِ ؛ وهو الكاتبُ الذي أشارَ إليه ، وقد رَكَّنَ إلى ما شَكَرَهُ به المولى وأَثْنَى به عليه ؛ وأَعْتَقَدَ يَمِينَ إِعَارَةَ الشافعِ فَعَقَّدَ على^(٢) المشفوعِ فيه خِصْرَهُ ، وَهَدَمَ بَرْتِييَهُ في ديوانِ إنشائِهِ ، وجعله من جُمْلَةِ خواصِّهِ وخُطَبايِهِ ؛ وفعلَ ذلكَ كُلَّهُ أَتْبَاعاً لإشارَتِهِ ، وقَبُولاً لشفاعتِهِ ؛ فالمولى يواصلُ بِمِراسِمِهِ وأَمَلَتِهِ ، فإنَّهَا تَرُدُّ على مُرَتَّبِ مِمْتَلٍ .

(١) حق هذه الأجوبة أن تكون تابعة للفرع الرابع فهي مؤثرة من تقديم فتنه .

(٢) لعله إشارة الشافع .

ومنه : جواب شفاعة في استخدام جُنْدِي :

ضاعف الله تعالى نعمته ، وأزهد في نصرة الإسلام سيفه وقلمه ؛ ولا يرحس
ألسنة الأنام ناطقة بولائه ، وأيدي ذوي الرءاء مملوءة من فواضل نعمائه .

المملوك يؤصل بأدعيته الصالحة ، ويستشقى روحاني ربيكم فيسكن منه بلذيد
تلك الرأحة ؛ ويشكره مامنحه من المكآرم ، ويباهى بعزماته اللبوث الضراغم ؛
فلا يجد مضاهياً لتلك العزائم .

وينهى ورود المثال الذي أشرق الوجوه بنوره ، وأبهجت الأنفُس بيلاعة
منشيه ووثني سطورره ، وعلم إشارة المولى في معنى فلان : أدام الله سعمه ، وأعذب
منهله وورده ، والتوصية بأمره ؛ وما أبداه من حمده وشكره ، وأن يقطع إقطاعاً يليق
بأمثاله ، ويتفياً من نراجها ضافي ظلاله ، وعند مثول مثاله العالي أمثال وآلئهم ،
وأستخدم المشار إليه لإشارته وختم ، وهذا بعض ما يجب من قبول أمره ، وتعظيم
كتابه وتجميل قدره ، فيواصل براسمه فإنها تقابل بالارتسام ، ومشرفاته فإنها تعامل
بوافر الإكرام .

جواب شفاعة في الجملة :

قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي لَكَ طَائِعٌ * مَا نَتَّ عِنْدِي شَافِعٌ بَلْ أَمْرٌ !

جعله الله لكل خير سبباً ، وحقق به لأوليائه طُغُونَا وحصل آرباً ؛ ووقرله من
أجر شفاعته الحسنة نصيباً ، وأدامه عن كل شرميناً وإلى كل خير قريباً .

المملوك ينهى تألمه لفراقه ، وما يجده من صبابته وشدة أشواقه ؛ ويعانيه من
حنينه وأتواقه ، وأنه ورد عليه كتابه فاستلمه وتلمه ، ويجله وعظمه ؛ وعلم ما أشار

إليه ، وأَخَذَ أَمْرَ الْمَشْفُوعِ فِيهِ بِكُلِّ يَدَيْهِ ، وَجَعَلَ قَضَاءَ أَرِيهِ أَمْرًا لَازِمًا ، وَمَا قَيَّ
عَلَى سَاقِ الْإِجْتِهَادِ قَائِمًا ، إِلَى أَنْ حَصَلَ غَرَضُهُ ، وَأَدَّى مِنْ حُسْنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِهِ
مَا أَوْجِبَهُ مُشْرِفُهُ الْعَالِي وَأَقَرَّضَهُ ؛ وَالْمَوْلَى أَمْرٌ غَيْرُ شَفِيعٍ ، وَمَهُمَا وَرَدَ مِنْ جِهَتِهِ
عَلَى الْمَمْلُوكِ فَوَارِدٌ عَلَى تَمَيُّعٍ مُطِيعٍ ؛ فَيُؤَاصِلُ مِنْ مَرَامِهِ بِمَا سَمَحَ ، وَمِنْ أَخْبَارِهِ بِمَا
تَارَجَ طَيْبُ عَرَفِهِ وَفَقَحَ ؛ وَرَأْيُهُ فِي ذَلِكَ الْعَالِي .

آخِرُ : شَكَرَ اللَّهُ عَوَارِفَهَا ، وَنَالِدَ جُودِهَا وَطَارِفَهَا ، وَوَارِثَ ظِلَالِهَا وَوَارِثَهَا ؛
وَيَنْهَى شَاءَهُ عَلَى مَعَالِيهِ ، وَمَلَازِمَتَهُ وَمُدَاوَمَتَهُ عَلَى بَثِّ عَمَاسِهِ وَنَتِّ أَيَادِيهِ ؛ وَحَمِيدِ
عَوَاقِبِ إِحْسَانِهِ وَبَبَادِيهِ ، وَشِدَّةِ أَشْوَاقِهِ إِلَى جَنَابِهِ ، وَلَذِيذِ مَشَاهِدِهِ وَخِطَابِهِ ؛
وَمَا يُعَانِيهِ مِنْ غَرَامٍ لَازِمَةٍ مُلَازِمَةِ الْغَرِيمِ ، وَدَاءِ صِنَابِيَّةٍ يُضَاعِفُ شَوْقَهُ إِلَى رُؤْيِهِ
وَجْهِهِ الْوَسِيمِ ؛ وَمُدَاوَمَتَهُ عَلَى التَّوَضُّعِ بِشُكْرِ عَمَاسِهِ عَنِ الْمُدَامَةِ وَالنَّدِيمِ ؛ وَنَظْمِ
جَوَاهِرِ مَدَحِهِ بِحَيْدِ جُودِهِ ، وَحَمْدِ الْمَوْلَى عَلَى ذَلِكَ التَّنْظِيمِ ؛ وَأَنَّهُ وَرَدَ عَلَيْهِ مُشْرِفُهُ
الْعَالِي فَقَبَّلَهُ ، وَدَعَا لِمُرْسَلِهِ دُعَاءَ رِيحٍ مِنْ أَمْرِ تَعَالَى أَنْ يَسْتَجِيبَهُ وَيَقْبَلَهُ ؛ وَحَصَلَ لَهُ
بُوصُولُهُ إِلَى أَتَهَاجٍ عَظِيمٍ ، وَقَالَ لِمَنْ حَضَرَ وَرُودَهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أُنَى أَلْقَى إِلَى كَلْبٍ كَرِيمٍ ﴾
وَفِيهِمْ مَضْمُونَةٌ وَخَوَاءُ ، وَعِلْمٌ مَعْنَاهُ وَمَا أَظْهَرَهُ فِيهِ وَأَبْدَاهُ : مِنَ الْوَصِيَّةِ بِفُلَانٍ
وَمَا يُؤَثِّرُهُ مِنْ تَسْهِيلِ مَطَالِبِهِ ، وَتَفْسِيرِ مَآرِيهِ ؛ وَوَصَلَ الْمَشَارِ إِلَى وَحْصَلِ الْأُنْسِ
بِرُؤْيَتِهِ ، وَتَمَتَّتِ النَّوَاطِرُ وَالْمَسَامِجُ بِمَشَاهِدَتِهِ وَمَشَافَهَتِهِ ؛ وَقَامَ الْمَمْلُوكُ فِي أَمْرِهِ قِيَامًا
تَامًا ، وَجَعَلَ عَيْنَ اجْتِهَادِهِ فِي مَصْلَحَتِهِ مَتَبَقَّةً لَاتَعْرِفُ مَنَامًا ؛ وَتَمَرَّعَ عَنْ سَاقِ
الْاجْتِهَادِ ، فِي تَحْصِيلِ الْمَرَامِ وَالْمُرَادِ ، إِلَى أَنْ حَصَلَ لَهُ الْعُزُّ بِقَيْلِ أَمَلِهِ ، وَعَادَ رَاتِمًا
مِنَ الْعَيْشِ فِي أَخْضَرِهِ وَأَخْضَلِهِ ؛ رَافِلًا مِنَ السُّرُورِ فِي أَنْهَى حُلَلِهِ ، فَيُحِيطُ عَلَيْهِ
بِذَلِكَ ، وَإِنَّ تَعَالَى يَعْضُدُّ بِهِ الْعَوْلَ وَالْمَسَالَكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

آخِر: جعله الله مفتاحا لكل باب مُرتج، وصنق به [أمل] كل أمل
وحقق رجاء كل مُرتج، ولا زالت صحائبُ جوده هامية بالوئني والولي، ماطرة
بوبلها وطلتها على الولي.

المملوك يُختم بخيَّة أرق من النسيم، وسلام أطيب عرفا من بان النقا لما تجلّت
عرفه ربح الصريم.

وينهى إلى عليه الكريم وروّد مشرقه وأنه أحاط بمضمونها حلما، وشاهد منها
في حال طيها مكارم أصارت تفضيله على حاتم الطائي حتما، ووقف منها على در لفظ
قذفه بحر خاطره ثرا ونظما، وبراعة عبارة زادت قلب مواليه غراما وأقف متاويه
زحما، وفصاحة عرفته قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ مِنَ الْيَاقِينِ لَسِحْرًا» وإن من
الشعر لحكما، وقهيم عنايته بفلان نفع الله بعلمه وعمله، وقرب له من الخير مالا
يطمعه به بعيد أمليه، وإشارته بسبب التنبيه والإرشاد على بحل فضائله، وبفصل
مناقبه المشهورة في البلاد، وإيضاح كفايته في حيز تلك القُصول الصّحاح الإستاذ،
فحال قدوم المذكور وحلوله، وروود مشرقه ووصوله؛ أنهى المملوك أمره إلى
غنومه، وطالع به شريف علومه؛ ولا زال يحسن معيه، ويستمد على مشيئة الله
ولا يترك حِرْصه ومشيئه إلى أن حقق قصده بقضاء شُغله، وقرب له أمد أمليه،
وكتب توقيعه ولم يرد الله توقيعه، ونجح طعم قصده وأُنْجَحَ الله طريقه؛ وقد عاد
مصحوبا بالسلامه، معروفا بتحصيل هذا القصد بأنه (طلاع التنايا) من غير وضع
اليامة، حسب إشارة المولى وأمره، والله تعالى يُمدّه بصوته ونصره.

(١) الولي المطر الذي يأتي بعد الوئني ويقع في الأصول "الولي" وهو تحريف واضح.

(٢) هو يضم الحاء وسكون الكاف الميم والفتح أى إن في الشعر كلاما ناعما يعجز عن الجهل والسفه.....

ويرى إن من الشعر لحكمة وهو معنى الحكم - انظر اللسان ج ١٥ ص ٣٠.

آخر : في استخلاص حق .

شَكَرَ اللهُ إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ ، وَحَصَلَ بِهِ لِكُلِّ وَلِيٍّ مَرَامُهُ ، وَحَدَّ تَطَوُّلُهُ وَتَفَضُّلُهُ ،
وَأَنَالَ بِهِ لِكُلِّ أَمِيلٍ أَمَلُهُ ، وَخَلَّدَ دَوْلَتَهُ ، وَأَدَامَ نِعْمَتَهُ ، وَأَغْذَى كَلْبَتَهُ ؛ وَلَا زَالِ فَضْلُهُ
كَامِلًا ، وَإِحْسَانُهُ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ وَاصِلًا ؛ وَنَوَالُهُ لِبَنِي الْأَمَالِ شَامِلًا .

الْمُلُوكُ يَخْدُمُ بَدَاهُ أَحْسَنَ مِنْ تَوَرُّ الرِّبَا ، وَتَنَاءِ الْأُطْفَافِ مِنْ رِيحِ الصَّبَا ؛ وَبِلَايِمِ
أَطْيَبَ بِمُرُورِهِ مِنْ تَذَكُّرِ أَيَّامِ الصَّبَا .

وَيُنْهِى وَرُودَ الْكَتَابِ الَّذِي طَابَ بِالْمَوْلَى تَحْيِيئُهُ وَنِجَارُهُ ، وَزَادَ عَلَى كِتَابِ الْكُتُبِ
نَفَارُهُ ، وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقُوفٌ مُشْتَقٌّ إِلَى مُرْسِلِهِ ، شَاكِرٌ أَنَّهُمْ فَضَّلِيهِ وَجَسِمَ
تَفَضُّلِهِ ؛ فَاسْكُرْهُ تِلْكَ الْفَصَاحَةُ بِسَدَاهَا الْأَرْجَ ، وَتَزَهَتْ لَحْفَةُ فِي دُرِّ لَفْظِهَا الْبَهْجَ ؛
فَظَنَّا لَمَّا اسْتَشَقَّ رَائِحَتَهَا رَاحًا قَرَفَقَا ، وَلَمَّا أَبْهَجَ لَفْظُهَا بِالْفَاظِ تُرْجِي عَلَى الرِّيَاضِ
رَوْضَةً أَثْمَا ؛ وَطَلِمَ الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ فِي مَعْنَى فَلَانِ وَالْوَصِيَّةُ بِخِدْمَتِهِ ، وَمَا أَسْرَ بِهِ مِنْ
مُسَاعَدَتِهِ وَمُسَاعَفَتِهِ ؛ وَعِنْدَ وُصُولِ مُشْرِفِ الْمَوْلَى وَقَبْلَ وَضْعِهِ مِنْ يَدِهِ ، نَوَى
الْمُلُوكُ مُسَاعَدَةَ الْمَذْكُورِ عَلَى مَقْصِدِهِ ، فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِ غَرِيمِهِ فَوَجَدَهُ عَنِ الْبَلَدِ
غَائِبًا ، فَانْتَظَرَهُ إِلَى أَنْ حَادَّ أَتْيَا ؛ فَعِنْدَ وَصُولِهِ طَلَبَهُ وَأَحْضَرَهُ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَدَّعِيهِ
عَلَيْهِ خَصْمُهُ فَأَنْكَرَهُ ؛ وَطَلَبَ الْحُضُورَ إِلَى الْقَاضِي ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَوْعَمَ أَنَّهُ
الْمُقَاضِي ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمُلُوكُ أَنَّ حُجَّةَ الْمَشْقُوعِ فِيهِ لَا تُقُومُ بِصَدَقِ دَعْوَاهُ وَحُجْجِ ،
وَلَا يَظْهَرُ بِهَا عَلَى غَرِيمِهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ حَرَجٍ ؛ بَلَّلَ فِي مُصَالِحَتِهَا جُهْدَ الْإِجْتِهَادِ ،
وَمَا زَالَ يُرْشِدُهَا إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ ؛ وَيُلْهِمُهَا عَلَى سَبِيلِ السَّدَادِ ، وَيَعْرِفُهَا أَنَّ
التَّضَارُّ ضَرِيرٌ ، وَأَنَّ الصُّلْحَ خَيْرٌ ؛ فَكَلَّ مِنْهَا يَسِيمَ فِي وَادٍ ، وَيَسْأَلُ خَصْمَهُ بِالسَّيَةِ
حَدَادٍ ؛ إِلَى أَنْ تَرَاضِيًا وَتَوَافَقًا ، وَسَلَاكَ طَرِيقَ الرِّفْقِ وَتَرَافَقًا ؛ وَصَدَّقَ الْخَصْمُ

خَصَمَهُ قَصَادَقًا ، وَأَقْصَلَا وَكُلَّ مِنْهُمَا قَدْ أَرْضَى خِذْنَهُ ، وَعَنِ الْحَاكِمَةِ وَالْمَحَاقِقَةِ
أَغْضَى جَفْنَهُ .

آخِر : أَيْدِ اللَّهُ سَعْدَ الْمَوْلَى وَأَبْدَهُ ، وَأَثْلَ تَجَدَّهَ وَتَجَدَّهَ ؛ وَأَطَانَهُ عَلَى إِسْدَاءِ
الْعَوَارِفِ وَعِضْدَهُ ؛ وَأَمَدَهُ مِنَ الْمَسَرَّاتِ بِمَا يُزِيلُ عَنْ الْأَيَّامِ أَبْدَهُ ، وَأَتَالَهُ سَعْدًا لَاتِبُغِ
الْأَنَامُ أَمَدَهُ ؛ وَلَا زَالُ بَرْدُ جَدِّهِ مِنَ السَّعَادَةِ جَدِيدًا ، وَنَجْمُ عُدُوهِ أَقْلًا وَنَجْمُهُ سَعِيدًا .

الَّذِي يُحِيطُ بِهِ عِلْمُهُ الْكَرِيمُ أَنَّ كِتَابَهُ وَرَدَ فَسَّرَى هَمَّ الْأَنْفُسِ وَسَرَّهَا ، وَضَاعَفَ
بِمَا ضَاعَ مِنْ نَشْرِهَ بِسَرَّهَا ؛ وَفَلَّاحَ مِنْهُ شَدًّا عِنْدَ إِقْبَالِهِ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ الْقَبُولُ ،
وَرَجَّحَ الْأَوْلِيَاءُ ، فَقِيلَ : قَدْ هَبَّتِ رِيحُ الشَّمَالِ وَأَدِيرَتِ الرَّاحُ الشَّمُولُ ؛ وَأَنَّ الْمَمْلُوكَ
وَقَفَّ مِنْهُ عَلَى أَقْطَافِ سَقْتِهِ كُثُوسَ سُرُورٍ لَا كُثُوسَ مُدَامَ ، وَرَوَتْ لَهُ أَخْبَارَ حِلْمٍ
لَوْ أُسْنِدَتْ إِلَى سِوَاهِ لَتَوَهَّمَتْ أَضْبَاطَ أَحْلَامَ ؛ وَرَوَتْ أَكْبَادًا أَضْرَبَهَا لَغِيْبَتُهُ حُرَّ
ظَلَمٍ وَأَوَامَ ؛ وَبَيَّنَّتْ مَخْرَجَ الْيَبَانِ ، وَأَعْرَبَتْ بِلِسَانِ حُسْنِهَا عَمَّا لَمُنَّشِيهَا بِلِ مَوْشِيهَا مِنْ
الْإِحْسَانِ ، وَأَغْرَبَتْ فِي الْقَصَاحَةِ نَحْلَنَا كُلَّ كَلِمَةِ شَطَقٍ عَنْ تَحْبِيَانِ بِلِسَانِ ؛ وَزَهَبَتْ
بِيَانِجٍ ثِمَارِ فَضْلِهَا فَتَزَهَّتْ كُلُّ مِثْنٍ فِي بُسْتَانِ ؛ وَعَلِمَ إِشَارَةَ الْمَوْلَى فِي مَعْنَى فُلَانِ ،
وَمَا أَبْدَاهُ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي حَقِّهِ ، وَالْإِيشَارَ لِصِلَةِ رِزْقِهِ ؛ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَزْوَاجِ ؛ وَالَّذِينَ
يَجِبُ مَعَامَلَتُهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ التَّامِ ؛ وَعِنْدَ مَا شَاهَدَ الْمَمْلُوكُ كِتَابَ مَنْ شَرَّفَهُ ،
وَسَمِعَ أَلْفَاظَهُ الَّتِي يُطْفِئُهَا أَمَحَقَهُ ؛ بَلْ يَرُدُّهَا عَلَى الْبَرْدِ الْحَفِظِ ، تَهْتَمُّ بِإِجَابَةِ سُؤَالِهِ ،
وَتَرْتِيلِهِ فِي جِهَةِ تَلْقِيٍّ بِأَمَثَالِهِ ؛ وَقَصَبَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ قَيْصًا لَا يَلِيْلُ ؛ وَجَمَعَ لِحَاطِيرَهُ وَاللَّحْمَةَ
تَكْمَلًا ؛ وَهَذَا حَسَبَ إِشَارَةِ الْمَوْلَى الَّتِي لَا تُخَالَفُ ، وَأَمْرِهِ الَّذِي يَقِفُ كُلُّ أَحَدٍ عِنْدَهُ
وَلَا يَسْتَوْقِفُ وَلَا يُؤَاقِفُ ^(١) .

(١) أى غضبه فهو مصدر أبدا طيه كفرح اذا غضب .

(٢) هذا آخر ما حقه التقديم بعد النوع الرابع وقبل الخامس فتنبه .

كاتب إلى مريض بالسؤال عنه من كلام المتأخرين :

حَاشَى مِرَاجِكَ مِنْ أَدَى * وَكَرِيمِ جِسْمِكَ مِنْ وَصَبِ !

يَا غَايَةَ الْمَأْمُولِ وَالْمَرْجُوءِ كُلِّ الطَّلَبِ !

مُدْعِيَتِ عَنِّي لَمْ أَزَلْ * مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ فِي نَصَبِ !

جَفَنِي غَرِيقٌ بِاللُّسُو * عِ مَاءِ صَبْرِي قَدْ نَضَبِ !

وَاللَّهِ مَالِي فِي الْبَقَا * وَأَنْتَ نَاءٍ مِنْ أَرْبِ !

فَتَرَى^(١) أَبْشُرُ مَسِيدِي * أَنَّ الْفَقَاءَ قَدْ أَقْتَرَبِ !

رحم الله مِرَاجَ المولى ! وأصار العافية له شعاراً؛ والصحة له دياراً؛ ولا زالت
ساكنة في جوارحه، مقيمة حشو أعضائه المباركة وجوارحه .

أصدرها الملوكة تُعْرِيبُ عن شوقٍ يَكُلُّ عن وصفه اللسان، وتوقى لا يُحْسِنُ وصفه
البيان؛ ولا يجزى عن حلِّ بعضه الجنان، ملتصبا المواصله بأخباره، وواصفاً
ما يمجده القلب من ألم الشوق وناره؛ وشاكياً من جور أيام الفراق، وراجياً أن يُشَرَّ
بالإبلا من مرضيه والإفراق؛ وداعياً إلى الله بتججيل أيام التلاق . ومع ذلك فلو
رُئِيَ أن أشرح كل ما أجده من الصبابة لأسأمتُ وأصهبتُ، بل لو ذكرتُ ما أطاينه
لألمسه لثقلت على خاطره وشوشت^(٢)، لكن خاطر المولى شاهدٌ بوجدى، وطريق
بما تمخضت من الكتابة التي لم يجهلها أحد قبلى ولا تحلُّ بصدى؛ فيواصلُ بأخباره،
والله يجرسه آناه ليلاه وأطراف نهاره؛ إن شاء الله تعالى .

(١) مراده قى أبشر . ولعله تصحيف من الكاتب .

(٢) قل هذا الفعل القاراني وتبه الجمهورى وأستعمله كاتب هذه الرسالة وأنكره بعض الخذاق وقال
الصواب شوشت .

في معناه :

يَأْمَنُ شَكَا فُشْكَ فُؤَادِي حُرْقَةً * لَا تَطْفِي وَصَابَةً لَا تَبْرُحُ !
وَعَدَا سَقِيمَ الْجَنَمِ يَوْمًا وَاحِدًا * فَتَرَحْتُ دَمْعًا لِلدَّمَاعِ يَجْرُحُ !
وَأَزْدَادَ شَوْقِي تَحْوِطُ لِحَيْهِ الْغَيَّ * أَبَدًا يُخَيِّرُ بَهَاثُهَا أَسْتَنْجِحُ !
لَا زِلْتُ فِي حِرٍّ وَسَعِيدٍ دَائِمٍ * أَيَّامُنَا بَيَقَاتِهِ تَبْجَحُ !
وَقَبِيتَ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ مُؤَيَّدًا * تُخَيِّرُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِيهِ وَتُصْبِحُ !

كَلَّ اللَّهُ مَا فِيهِ الْمَوْتُ وَحَرَسَهُ ، وَلَا سَلَبَهُ تَوْبَ الصَّحَّةِ بَلْ قَصَصَهُ إِيَّاهُ وَالْأَنَسَ ؛
وَأَخَذَهُ الْإِيَّامَ فَلَا تَسْتَطِيعُ مَخَالَفَةَ أَمْرِهِ وَلَا الْخُرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ ، وَرَزَقَهُ أَنْ يَمْلِكَ
الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا وَهَذَا يَحْصُلُ بِعَافِيَةِ جِسْمِهِ .

الْمَمْلُوكُ يَنْبِئُ أَنَّهُ أَتَّصَلَ بِهِ فَأَمَّلَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ مِنْ الْفَلَقِ إِلَى حَدِّ
لَمْ يَصِلِ الْمَوْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَيْهِ ؛ وَأَبْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ فِي مُعَافَاةِ جَسَدِهِ ، وَأَنْ يُعْضِدَهُ بَيَقَاءِ
وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ؛ وَيُضَاعَفَ تَسْهِيلَ مَا رِيَهُ وَمَقَاصِدِهِ ، وَيَرْفَعَ كَلِمَتَهُ وَقَدْرَهُ عَلَى رَغْمِ
مَعِطَلِ شَانِيهِ الْأَبْتَرِ وَحَاسِدِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

جوابٌ إِلَى مَنْ قَطَّرَهُ فَرْسُهُ ^(١) :

تَبَّتْ اللَّهُ قَوَاعِدَ مَجْدِهِ ، وَبَلَّغَهُ سَعْدًا لَا تَبْلُغُهُ الْأَمَالُ لُبُّعْدِهِ ؛ وَأَهْمَى عَلَى حَيِّهِ
مَحَابِبَ جُودِهِ وَرِفْقِهِ .

(١) جَارِيٌّ فِي هَذَا الْقَمَلِ اللَّفْظِ الْعَامِيَةِ وَالصَّوَابُ قَطَّرَهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ عَلِمْتُ سَلَى وَجَارَاتِهَا * مَا قَطَّرَ الْفَارُوسَ إِلَّا آتَا

أَنْظَرَ السَّانِجَ ٦ ص ٤١٨ .

المملوك يُخْذَم بِحَيَّةِ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ ، وَيُشْكِرُ مَوَاهِبَهُ الَّتِي مَازَلَتْ تَحْتَوِيهِ حُنُوُّ
الْمُرَضَّعَاتِ عَلَى الْقَطِيمِ .

وَيُنْهَى وَرُودُ الْخَبَرِ بَأَنَّهُ كَبَّاهُ جَوَادُهُ عِنْدَ مَازَلَتْ قَوَائِمِهِ ، وَأَقْلَتَهُ فِضَائِلُ الْمَوْلَى
وَمَكَارِمُهُ ، فَاتَزَجَّ لَذَلِكَ وَتَأَلَّمَ ، وَكَادَ قَلْبُهُ لَوْلَا الْمُبَشِّرُ بِسَلَامَتِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؛ وَجَوَادُ
الْمَوْلَى لَا سَبِيلَ إِلَى ذَمِّهِ ، فَإِنَّهُ أَسْتَمَحَّ جَوَادُ ، وَلَا أَتَاهِيهِ بِالْعَجْزِ ، فَإِنَّهُ عُرِفَ بِإِتِّهَامِ
وَالْجَبَادِ :

لِكُنْهَ نَظَرَ الْأَفْلَاكِ سَاجِدَةً * إِلَى مُلَاكِ فَلَمْ تَتَّهَتْ قَوَائِمُهُ !

وَالْمَوْلَى أَوْلَى مَنْ قَابَلَ عُدْرَ طَرْفِهِ بِطَرْفِ الْقَبُولِ ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ دُونَ سَائِرِ
الْخُلُوفِ : فَإِنَّ الْمَوْلَى وَاللَّهُ الْحَمْدُ فِي صِحَّةِ دَائِمِهِ ، وَسَلَامَةِ مَلَاذِمِهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْقَصْدُ
وَالْمُرَادُ ، وَالْأَسْتِشَارُ الَّذِي تَقْتَرِلُهُ تُفُورُ الثَّنُورِ وَتَعْمُرُ بِهِ الْبِلَادُ ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي سَعِيدِ مَالِهِ
قَرَارًا وَلَا نَقَادَ ، وَرَزَقَهُ مَا دَامَ بِهِ الْعِبَادُ الْفَاضِلُ وَالْفَاضِلُ الْعِبَادُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَجْوِبَةُ كُتُبِ الْعِبَادَةِ

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : يَجِبُ أَنْ تَنْبِيْ هَذِهِ الْأَجْوِبَةُ عَلَى وَصُولِ الرَّقْعَةِ ،
وَمَا صَادَفَتْ الْمَرِيضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَرَضِ ، وَأَنَّهُ أَهْلَتْ رَوْحَ الْمُتَوَّعِ ، وَأَرَكَدَتْ رِيَّاحَ
السُّوءِ ؛ وَأَقْبَلَتْ بِسَمِّ الْإِبْلَالِ ، وَتَضَوَّعَتْ بِأَرْجِ الْإِسْتِقْلَالِ ؛ وَبَشَّرَتْ بِالْمَافِيَةِ
وَالسَّلَامَةِ ، وَأَذْنَتْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَأَشْبَاهَ هَذَا .

إِنْ نَبَاتَةِ الْمَصْرِيِّ :

شَكَرَ اللَّهُ أَحَقَّادَهَا وَأَنْسَهَا ، وَقَلَمَهَا وَطَرَسَهَا ؛ وَحَمَى مِنْ عَارِضِ الْخَطْبِ لِأَمِنْ
عَارِضِ الْخَلْبِ تَمَسَّهَا ؛ وَلَا أَعْدَمَ الْأَوْلِيَاءَ قَصَصَهَا الْجَمِيلَ ، وَوَدَّهَا الْجَلِيلَ ، وَإِحْسَانَ

رسائلها التي كُرمَتْ فما صوبُ التَّام لها رَسِيل ؛ وأمتع المالكَ يُنْهِمها التي صَحَّت
بتدبيره فليس غيرَ النَّسيم عليل .

ويُنْهِى ورودَ المشرفِ الكريم فتلَقَّاه المملوكُ حَيِّيا وَاِرْدَا ، وطِيْبًا بِإِحْسَانِهِ وبِجَسَدِ
عائِدًا ؛ وفهم المملوك ما أَنْطَوَى عليه من الصَّدَقَاتِ التي مازالتْ في فَمِهم ، والمحبةِ
الصادقةِ التي ما عَزَبَتْ عنِ علمِهِ ؛ وما تَضَمَّنْ من فصولٍ كانتْ أَنْفَع من فُصولِ
أَقْرَاطِ معالجةِ جِسْمِهِ ؛ وأينَ أَقْرَاطُ من بركاتِ كِتابِ مولانا الذي طالعَ منه كِتابُ
الشِّفاء على الحقيقةِ ، والنَّجاةِ من عُروَةِ الباسِ الوثيقَةِ ؛ وأذنْ وَرَقَتِ الحمراءُ لرأسِهِ
تَبَرُّكا وإِكْرَاما وقال : نَعَمْ الجَلَنارةُ المَعوَّذَةُ من الشَّقِيْقَةِ ، وأسْتَطَبَّ حُرُوفُها فإنْها عن
أَيْدِي الكَرِيم والكَرَاماتِ ، ولَمَّ العلامةُ وتَمَسَّكَ بالسُّطورِ فإنْها من أسبابِ الصَّحَّةِ
والعَلَاماتِ ؛ ووافقتْ عيادةُ مولانا مبادئَ العافيةِ وأذنتْ بالزَّيادة ، وصَلَحَ خطُّهُ
الكَرِيم عائِدا وما كلُّ خطٍّ يَصْلُحُ لِلْعِيَادَةِ ؛ وما تَلَكِ الجارحةُ المتألِّمةُ إلا يَدُ أَهْلَتِها
مِنْ مولانا فَاعِيَتْ وتَأَلَّتْ ؛ ثم أَعَاتَتْها بَرَكَتُهُ هِيَ والقَدَمُ بالِجِلِّ العَظِيمِ وتَهَدَّتْ ؛ وما
يَقِيَّةُ الجَوَارِحِ إلا عِيونٌ كانتْ تَنْتَظِرُ لُطْفَ الله تعالى وبركَتِهِ وقد قَدِمَتْ ، فشَكَرْها
من بركاتِ تَعَمُّها قَبْلَ الجُسُومِ أرواحُها ، وأدويةِ قَلِيَّةٍ تُعالِجُها ذِواتُ النُّفُوسِ
فكَيْفَ أَشْياحُها ؛ لا بَرِحَ جَوْهَرُ كَلِماتِ مولانا بِؤْذِنِ الشِّفاءِ مِنَ العَرَضِ ، ومِساهِمِ
أَقلامِهِ إِذا كَتَبَتْ عائِدَةٌ أو جائِدَةٌ أَصابَتْ العَرَضُ وفَوْقَ العَرَضِ .

وله : تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ وفيهِ صالِحُ الأَدْعِيَةِ ، ومَلَأَ بِجَاسِنِ ذِكْرِهِ وَرَدَّ الآفاقَ
والْأَنْدِيَةَ ، وشَكَرَ هَبَاتِهِ وبرَكَاتِهِ التي تَنْزِلُ بِمَراضِ الغَيْثِ قَبْلَ الإِسْتِطَارِ وَتَرْفَعُ عَارِضَ
الْأَلَمِ قَبْلَ الأَدْوِيَةِ ؛ تَقْبِيلَ مَعْرِيفِ سَابِقِ النِّعَمِ ، مَقِيْمِ على صَحَّةِ العُبودِيَةِ والوَلاءِ
في حَالَتِي الصَّحَّةِ والسَّقَمِ .

وينهى وُرُودَ مشرّف مولانا الكريم على يدِ فلان عائداً من جهة العيادة ، وطائفاً من جهة الصّلات المعتادة ؛ ومُفتقداً لأعدِم الأولياء في الشّنة والرّخاء آفتقاده ، ما كان إلّا رَيتاً نَسَقَ العليلُ نَسِباتِه الصّحيحة ، وتناولَ كأسَ ألفاظه الصّريحه ؛ وإذا بقانون الميزاج قد همّ باعتداله ، وكأب الشفاء والنجاة قد تسنّت فوائده إقباله ؛ فتميّز حال الصّحة من المرض ؛ وأستعمل جوهرَ الألفاظ فعزم على زواله العَرَض ؛ وبلغ الولد فلان المشافهة وكلّ مقاصد مولانا مبتدأة مبتدعة ، والمملوك جوابها وكلّ أجوبته مُنَوَّلَة مُنَوَّعة ؛ شكر الله عواريف مولانا المتّصلة ، ورُسل آفتقاده التي منها العائد ومنها الصّلة .

وله : في جواب كتاب عيادة وارد في يوم عيد على يد من اسمه جمال الدين محمود . شكر الله منتهى التي إذا أبدت أعادت ، وإذا جادت أجادت ؛ وإذا كُثرت الاكتفاد حلا وإذا تصلت لمودات القلوب صادت ؛ فقيّل غلص في ولائه وأبتهاله ، يُقيم على صحة العهد والحمد في صحته وأعتلاله .

وينهى وُرُودَ مشرّف مولانا الكريم على يد الولد جمال الدين محمود متفقداً على العادة ، مكرراً لعيادة الإحسان وإحسان العيادة ؛ فقابل المملوك بالحمد وإريها ، وبوائد الاعتدال عائداً ؛ وفهم ما تضمّنته من تألم قلب المالك على ضَعْف المملوك ، وقلّبي خاطره على بَدَن كَيْت الرُّوض مَنُوك ؛ وأنه كان أبتداً ضَعْفُ المملوك فآلم ، ثم تلا خبر الصحة قسلاً : ولكن الله سَلَم ؛ ثم بلغه أن آلاماً تراجعت ، وموادّ واصلت بعد ما قاطعت ؛ فحملته خواطرُ الإشفاق على تكرير العيادة ، وارتقاب فَعَلات الشفاء المستجابه ؛ جارياً من إحسانه وآفتقاده على أجمل معهود ، باعتنا مشرّفته

(١) مراده وتناول أى أوصل المملوك الخ تأمل .

(٢) في الأصول "كريب" وهو تصحيف من التسخ .

وحامِلُها وكلاهما حسنُ الحال مُحمود ؛ فعند ما وصلَا أوصلَا كَجَلِّ العافيه ، وحققتُ
أخيَلَةَ البُرِّ الشافيه ؛ وما كان المشكُو إِلَّا مَادَّةَ يسيرةٍ وزالتْ ، وبقيةٌ ضَعْفٌ تَوَلَّتْ
بِحمدِ الله وبركةِ مولانا وما تَوَلَّتْ ؛ وما عَيْدُ المملوكِ إِلَّا وشفَاءُ الجسدِ في ازْدِيادِ ،
والنفسِ بالوقتِ وبالمشرفةِ في عَيْدَيْنِ قائِمَيْنِ بأعيادِ ؛ لازالتْ مِنْ مولانا إِزاءَ المَلْخَطِ
حيثُ دارُ ، ووُدُّه وِحْماهُ جامعينِ فَضَّلَ الجارِ والنَّارِ .

زهر الريح :

لا زالَ محروسَ الشَّمِّ ، هاطِلَةً بحائِبِهِ بالذَّمِّ ؛ مشكورًا بلسانِ الإنسانِ والقَلَمِ .
المملوكُ يَقْبَلُ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ مُؤَدِّيًا للواجبِ ، ويواصلُ بدعاءٍ صالحٍ أصاره إنعامُهُ
ضَرَبَةً لا زِبَ .

وينهى إلى كريمِ علمه وُرُودَ مشرفه الذى أبهجَ الأُنُفُسَ وضاعفَ الصَّبَابَ ،
وأفنى الصَّبْرَ عن عُجَاهِ وإن كان مَأْفَاهُ أَيْسَرُ صَبَابِهِ ؛ وأنه عَلِمَ مِنْهُ إنعامُهُ وتشوقُهُ
إلى المملوكِ وإلى سَمَاعِ أخبارِهِ ، وما أَبْدَاهُ مِنْ شَفَقَةٍ أَلِفَتْ مِنْ إحسانِهِ وعُرفتْ
من كريمِ نِجَارِهِ ؛ وتُحَقِّقُ مِنْ شَيْعِهِ عَلَى مَنْ يَتَأَيُّ عَنْ بابِهِ العالى ودَارِهِ ، فاقه يُحْمَسُ
هَذِهِ الأخلاقَ التى هى أَرْقُ مِنْ المَاءِ الزُّلالِ ، والشَّائِلِ التى تَفْعَلُ بِطُفْها فَعَلَّ
الجُرْيَالِ ؛ والمملوكُ فَوَاللهِ لا يُنْجِصِي شَوْقُهُ إلى الخِذْمَةِ العالِيَةِ ولا يَحْصُرُهُ ، ولا يَقْدِرُ
على وصفِ مائِسِهِ مِنَ الأَتواقِ وَيُظْهِرُهُ ؛ إنما الأَعْتادُ فى ذَلِكَ على شَاهِدِيْ عَذِلِ
من خاطِرِهِ وَقَلْبِهِ ، وهما يُتَنَيَّانِ المملوكَ عَنْ شَرْحِ وَلَائِهِ بِالسَّنَةِ أَقْلَامِيهِ وَوُجُوهِ كُتُبِهِ ؛
وأما السُّؤالُ عَنْ أخبارِ مِزْجِ المملوكِ فَإِنَّهُ كانَ فى أَلَمٍ دائِمٍ ، وسُقْمٍ مُلازِمٍ ؛ لَشِدَّةِ
المَرَضِ ، الذى كادَ يَحْتَوِي عَلَى جَوْهَرِ جِسْمِهِ والعَرَضِ ؛ فُذِّدَ وَرَدَ كُتُبُ المولى
أَنْتَمَشَتْ قُوَّتُهُ ، وأَشْتَلَتْ مُتَتَهُ ؛ وَصَدَقَتْ فى طَلَبِ تَأَوُّلِ الغَداءِ شَهْوَتُهُ ؛ وَتَرَجَّى .

الشفاء بعد أن كان على شفا ألف ، وكان له كالطبيب الآمى فى إزالة مَرَضِ
الأسا والأسف . وقد حصلت للملوك مسرتان بكاتب المولى وعافيته ، وفرحان
بما أهداه إليه من عفوانعامه ونحو أثر الألم وتعففته ؛ وكل ذلك بسعادته .

ومنه : ورد المشرف العالى لازال قد مر مرسله شريفا ، وشرقه الباذخ يجعل
كل شريف مشروفا ؛ ومجائب جوده تهدي إلى الأولياء من مكارمه تليدا وطريفا ؛
وقواضيه ترد [طرف] حوادث الأيام عنه مطروفا ؛ وأياديه تبعث لمحبيه تحفا ،
وهيئه تهدي إلى الأعداء خوفا ، والدمر بخيمة جناحه العالى مشغوبا ؛ فوقف عليه
وقوف مشتاق إلى مسطوره ، متقه فى ربيع الفاظه وحسن أسطوره ؛ وعرف منه
إحسانا ماقتى يعرفه ، وتفضلا مازال المولى بمثله يحفه ؛ وما أشار إليه من شدة
إيناره ، لرؤية الملوك وسماج أخباره ؛ والذى ينيه أن جسمه كان قد تضاعف
ضعفه ، حتى أتعب الألسنة وصفه ؛ فلما وقف من مشرف المولى على خط هو
الوثى المنتم ، والفاظ هى الرحيق المنتم بل الدر المنظم ؛ ومهر هو محل وكل مهر
محرم ؛ أبل المملوك وبردت غلته ، وبرأت غلته ؛ وكان كن أستوفى نصيبه من
النصب ، وأخذ قسمة من السقم والوصب ؛ فسقاه مشرفه الصبة فى كأس ،
وأفاض عليه من العافية أغفر لباس .

آخر :

ورد الكتاب فعمت الأفراح * وأضاء فى ليل الأسا الإصباح !
وأفترق الزمان بفرحة * وللفظه طربت ربي ويطاح !
وتضوعت أرواح طيب عرقها * تحيا به الأجسام والأرواح !
وسقى سلاف فصاحة وبلاغة * ما الملسك عند تميمها ما أروح !

شكر الله مَنَّهُ ، وأخدمه زَمَنَهُ ، ومنَحَهُ من العِيشِ أَغْضَهُ واحْسَنَهُ ؛ وشَرَّفَ بِقائِهِ
الْهَرَمَ وشَفَّفَ بِمَلَكِهِ أَذُنَهُ .

المملوكُ يُنْهَى إلى علمه وُصُولَ مَشْرِفِهِ الذى تَرَهَّبَ الأَعيُنُ فى حُسْنِ مَنَظَرِهِ ،
ويَاجِجُ ثَمَارَ لَفِظِهِ البَديعِ وَوَشَى أَسْطَرَهُ ؛ وأَنه أَسْتَشَقَّ من رِيحِهِ أَطْيَبَ نَعْمَةٍ ،
وَقَهَمَصَ مِنْهُ ثَوْبِي دَمَةٍ وَصَحَّةٍ ؛ فَشَفَى دَاءَ شَفٍّ مِنْهُ جِسْمُهُ ، وزَادَ لُورُودِهِ سُورُودَهُ
وزَالَ هَمُّهُ ؛ وعَلِمَ إِيصَامَ المولى الذى لَا يَسْكُ فِيهِ ، وإِحْسَانَهُ الذى لَا يَحْصُرُهُ لِسَانُ
مَادِحٍ وَلَا يُحْصِيهِ ؛ وما ذَكَرَهُ مِنَ الأَلَمِ المُلِّمِ بِهِ وَأَشْتَغَالَ خَاطِرُهُ الكَرِيمَ لِمَا أَلَمَ
بِحَسْمِهِ ، والمَرَضُ بِسَعَادَةِ المولى قَدْ بَقِيَ مِنْهُ قَلْبُهُ ، وَقَلَّصَ بَعْدَ مَا أَمْتَدَّ ظِلُّهُ ؛ والعَاقِبَةُ
تَتَكَلَّمُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِرُؤْيَا مُجَيَّاهِ الكَرِيمِ وَمَشَاهِدِهِ ، والمُتَوَلِّينَ بَيْنَ يَدَيْهِ العَالِيِينَ
فِي خِدْمَتِهِ .

النوع الخامس عشر

(فى الذَّم)

ذَمُّ بَخِيلٍ : لأحمد بن يوسف :

كَأَنَّ البُخْلَ والشُّؤْمَ صَارَا مَعًا فى مَهْمَةٍ ، وَكَانَا قَبْلَ ذَلِكَ فى قِسْمَةٍ ، فَخَازَمَهَا
بِالْوَرَاءَةِ ، وَأَسْتَحَقَّ مَا أَسْتَمَلَكَ مِنْهَا بِالشُّعْمَةِ ، وَأَشْهَدَ عَلَى حِيَازَتِهَا أَهْلَ الدِّينِ
وَالْأَمَانَةِ ، حَتَّى خَلَصَا لَهُ مِنْ كُلِّ مَانِعٍ ، وَسَالَمَا لَهُ مِنْ تَبِعَةٍ كُلِّ مُنَازَعٍ ؛ فَهُوَ لَا يُصِيبُ
إِلَّا مُخْطِئًا ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَّا نَاسِيًا ؛ وَلَا يُنْفِقُ إِلَّا كَارِهًا ، وَلَا يُنْصِفُ إِلَّا صَاحِرًا .

وفى مثله : وَصَلَ كِتَابُكَ فَوَائِدُكَ قَدْ حَلَّتْهُ بَرَخَارُفُ أَوْصَافِكَ ، وَأَخْلَيْتَهُ مِنْ
حَقَائِقِ إِنْصَافِكَ ؛ وَأَكْثَرْتَ فِيهِ الدُّعَاوى عَلَى خَصْمِكَ ، مِنْ خَيْرِ بُرْهَانٍ أُنِيتَ بِهِ
عَلَى دَعْوَاكَ وَزَعْمِكَ .

ومنه : ولو أراد غير ذلك من الأخلاق السنية، الشريعة الهنيئة؛ لاستوحش في مبلها، ووقع في مضة منها، ولن يجد من سلفه ولا نفسه دليلاً عليها، ولا هادياً إليها .

ومنه : لأبي العيئة :

أما بعد، فلا أعلم للعروف طريقاً أحذر ولا أوعر من طريقه إليك، ولا مستودعاً أقل زكاه ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عنك : لأنه يحصل منك في حبيب دني، ولسان بدى، ونسب قصي، وجهل قد ملك طباطك، فالعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور؛ وإنما غايتك في المعروف [أن] تُحجزه، وفي وليه أن تكفربه .

ومنه : لمحمد بن الليث :

بكم علن الظلم، وظهرت البدع، وأندفن الحق، وعز الفاجر، وظهر الكافر، وقسيت الآثام، وهضبت الأحكام، وأخذ جاد الله حولا، وأمواله دولا، ودينه دخلا .

ومنه : لأبي علي البصير :

عدوك متعزل عنك، وصديقك على وجل منك؛ إن شاهدته عاقلك، وإن غبت عنه حاقك؛ تسأله فوق الطاقه، وترهقه عند الفاقه؛ وإن اعتذر إليك لم تعذره، وإن استنصرك لم تنصره؛ وإن أنعم عليك لم تشكره؛ ولا يزيدك السن إلا تقصا، ولا يفيدك النى إلا حرصا؛ تسمو إلى الكبير، بقدر الصغير؛ وتشف للتطفيف لالتخفيف؛ تعترض الناس بالسؤال، غير محتمين من الإملا، ولا كاره لأن ينظر إليك بين الاستقلال؛ حتى لقد أخرجت الأضغان، وقبحت الإحسان؛ وزهدت

في أصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، والناس منك بين أسرار تُشقى، وبوائق تُحشى؛ وشناعات وإراده، وتوادد بارده؛ وذلك تخلق، وشركك تملق.

ومنه : لسعيد بن حميد :

رجلٌ يَعْتَف بالنِّم عُنْف من قد ساءتْ بِجَاوَرَتِهَا، وَيَسْتَحْضِف بِحَقِّهَا أَسِيخَافَ
من لَا يَخْشَفُ عَلَيْهِ مَحْمَلُهَا؛ وَيُقَصِّر فِي شُكْرِهَا تَقْصِيرَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الشُّكْرَ يَبْطِئُهَا؛ وَمَنْ
كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي اخْتِيَارِهِ لِنَفْسِهِ، فَكَيْفَ أَرْجُو حُسْنَ اخْتِيَارِهِ لِي ؟ وَمَنْ كَانَ
فِي مَكَّةَ مِنْ أَتْلَاءِ اللَّهِ بَعِيدَةً مَا يَنْ الطَّرِيقَيْنِ لَا أَدْرِي أَيْنَ تُفْذَى إِلَى أَقْصَاهَا؛
أَمْ يُقَصَّرُ بِي فِي أَذْنَاهَا؛ فَكَيْفَ يَتَسَمَّعُ الصَّدْرُ لِلصَّبْرِ عَلَيْهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْأَفُ الْفَوْتُ
فَهُوَ بِمِثْلِهِ ، وَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ إِلَى سُلْطَانٍ غَيْرِهِ
فِيَعْبَاجِلُهُ ؛ وَأَنَا عَلَى خَوْفٍ مِنْ عِجَالِ الْمَدَى عَنْ بُلُوغِ [مَنَى فَأَذْهَبَ] حَرْبًا صَدْرِي^(١) ،
وَعَلَى نَهْمٍ مِنَ الشُّغْلِ فِي الْآخِرَةِ بِنَفْسِي عَنِ التَّشْفَى مِنْ أَهْلِ عِلَاوَتِي وَتَرْتِي ؛ وَاحْمَدُ
اللَّهَ عَلَى الْمَحَنَةِ ، وَأَسْأَلُهُ بِتَجِيلِ رَوْحِ النِّعَةِ ، وَفُسْحَةِ الْعَافِيَةِ .

النوع السادس عشر .

(في الأخبار)

قال في "مواد اليان" : كُتِبَ الأخبار وإن كانت من الكُتُب الكثيرة التَّوَارِ
في الاستعمال فَلَيْسَتْ بِمَا يُمْكِنُ تَمْثِيلُهُ ، وَلَا حَصْرُ الْمَعَانِي الْوَاقِعَةِ فِيهِ بِرُسُومٍ تَشْتَمِلُ^(٢)
عَلَيْهَا، نَهْمٌ وَلَا أَنْ قَدَّمَ لَهُ مَقْدَمَةٌ تَكُونُ تَوَطُّعًا لَهَا بِعِلْمِهَا، كَمَا يَجْرِي الْأَمْرُ فِي سَائِرِ
قُنُونِ الْمَكَاتِبَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا تَحْتَلُونَ مِنْ مَقْدَمَاتِ تَحُلُّ مِنْهَا عِلُّ الْأَسَاسِ مِنَ الْبُيَانِ،

(١) هذه الزيادة يقتضيا المقام .

(٢) مراده الواقعة فيه وله مصحف منه كامل .

والرأس من الجثمان ؛ لكن المقدمات التي يُتَوَضَّعُ في الكتب من شرطها أن تكون مشتقة من نفس معنى الكتاب، ومُنْهَى الخبر لا يمكنه أن يَسْتَنْبِط من كل خبرٍ ينبيه مقدمة تكون بساطا له ؛ وإنما يقول : كتبت من موضع كذا يوم كذا ، والذي أنبئه كذا ؛ بل الذي يلزمه أن يتحداه بطاقته ، ويحرّاه بجهدِهِ ، أن يبين ما يطالعُ به من الأخبار ؛ ويكشفه ويوضحه ويُفَصِّح عنه ، ولا يَقِفْ منه إلّا عند الشفاء والإقناع لتتقرّر صورته في نفس من يُنْهِيه إليه ؛ اللهم إلّا أن يكون الخبر مما يوجب الأدبُ العلولَ عن لفظه الخاص به ، والإخبار عنه بالفاظ تؤدّي معناه ، ولا يهجم على الخبر بما يسوء سماعه ، كأن يكون خبرا يرقّعه إلى سلطانٍ عن عبيده قد أطلق فيه ما يَضَعُ منه ويُسْقِطُ مهَابته ، أو نحو من ذلك مما يثقل على السلطان المنخص منه ، فإنه ينبغي أن يُبدّل في هذا وأمثاله عن التصريح إلى التعريض ، ومن التصحيح إلى التقرّيص ، وعن المكاشفة إلى التورية ، وأن يأتى بالفاظ تُدّل على معاني ما يُروم إبداءه ، ويحرّص [على] صورة مثيلة السلطان وتوقيره عن قرع سمعه بما يكرهه ولا تجوزُ مقابلته به ؛ وأن يقصد إلى استعمال الإيجاز والإطناب في المواضع التي تحتمل كلا منهما ، فهذا ما يمكن أن يُتعرّف من رسوم هذا الباب .

قال : ومن نفذ فهمه وخاطرُهُ في الصناعة وتدرّب فيها ، يكتفى بهذه اللّعة ولا يحتاج إلى زيادة عليها .

في الإخبار بوقوع مطر وسيل

من ترسل أبي الحسين بن سعد :

فالماء منه يفيض على العمران ، بعد أن ضاقت به المغايص والغدران ؛ فأتى على كثير من التلال والروابي ، فضلا عن الرساتيق والقرى ؛ وصار الوادي على أشباع

عَرَضَهُ ، وَأَمْتَدَادِ طَوْلِهِ ، وَسَعَةِ مَصَبِّهِ ، وَفُسْحَةِ مَبِيعَتِهِ ، لَا يَفِي بِهِضَمُهُ ، وَلَا يَقُومُ بِجَمَلِهِ ؛ فَبَاقِضٌ مِنْهُ مَا عَطَّلَ الْعُمَرَانُ ، وَتَسَفُّ الدُّورِ وَحَقُّ الزُّرُوعِ ، فَعَظُمَ بِهِ الْبَلَاءُ ، وَكَثُرَ لَهُ الْجَلَاءُ ، وَشَمِلَ الْقَسَادُ ، وَعَظُمَ الْخَرَابُ .

صدر كتاب بإخبار عن الخليفة :

كُنْهَتْ ، وَمَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَلُّدٍ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَتَمَهُّدٍ مِنْ دَوْلَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَفَقَاحٍ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَعِزٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاحٍ مِنْ شَانِهِ ؛ وَنِعَمٌ سَابِقَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ طَاعَتِهِ ؛ قَالِصَةٌ عَنْ أَعْدَائِهِ وَأَهْلِ خِلَافَتِهِ ، وَأَسْتِقَامَةٌ مِنْ أَطْرَافِهِ وَثُقُورِهِ ، وَأَسْتِقْبَالٌ مِنْ أَحْوَالِهِ وَأُمُورِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ حَمْدًا لَا يَفُتُّ دُونَ رِضَاهِ ، وَلَا يُحِيطُ بِمِقْدَارِهِ سِوَاهِ .

صدر بإخبار عن الوزير :

كُنْهَتْ ، وَحَضْرَةُ الْوِزَارَةِ السَّامِيَةِ فِي نِعَمٍ مُخَصَّصَةِ الْأَنْكَافِ ، بَيْدَةِ الْأَطْرَافِ ، سَادِرَةِ الْوَيْلِ ، سَابِحَةِ الدَّلِيلِ ؛ وَمَا أَنْظَرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ دَوْلَتِهِ مُنْتَظَمٍ ، وَأُرَاحَةٍ مِنْ أَحْوَالِ رَجِيئِهِ مُلْتَمَسٍ ؛ وَقَدْ وَطَّأ اللَّهُ لَهُ أَوْتَارَ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ ، وَوَقَفَهُ عَلَى جَوَادِ الْمَصْلَحَةِ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ؛ وَالْحَمْدُ لَهُ حَمْدًا يَسْتَقِلُّ بِحَقِّهِ فَيْقُضُهُ ، وَبِوَاجِبِهِ فَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ عِزُّ سُلْطَانِهِ فَيُرِضِيهِ .

صدر بإخبار عن أمير :

كُنْهَتْ ، وَالْأَمِيرُ فِي عُلُوٍّ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَارْتِفَاحٍ مِنْ شَانِهِ ، وَظَفَرٍ يُوَاكِبُ الْوَيْتَةَ ، وَنَصِيرٍ يُصَاحِبُ دَوْلَتَهُ ؛ وَوَفَاءٍ عَلَى مَنْ ظَلَّهَ ، وَشِمْلَى مَنْ قَضَلَهُ ، مَاسِخٍ لِبَاسِهِ ، وَطَابَتْ أَغْرَاسُهُ ؛ وَالْحَمْدُ لَهُ آعْرَافًا بِنِعْمَتِهِ ، حَمْدًا يُوجِبُ ثُبُورَ مَتْنِهِ ؛ وَيَسْتَدْعِي الشُّكْرَ عَلَيْهِا ؛ وَيَقْضِي بِمَزِيدٍ مِنْهَا .

صدر باخبار عن عافية المكتوب عنه :

كتبْتُ ، وأنا صالحُ الحال ، وقد مَنَّ اللهُ تعالى بالعافية والإعاش ، والإقامة ^(١) والاشْء ؛ وأعاد إلى الصَّحة بعد نبوِّها وفَهاها ، والسلامة بعد نَجِّها وإغْراها ؛ وأسبَلَ النِّعمة بعد الإندار ، والتحذير من الإغترار ؛ محصِّاً بما أَلَمَّ من الآلام عَصَبَ الأيام ؛ والحمد لله أُولَى ما تُليْتُ به النِّعم ، وطُرِّزَ به المفتَح والمختَم ؛ حمداً يُؤمِّن من التَّغيير والتبديل ، ويُعيِّد من الانتقال والتَّحوِيل .

أَبْنِ ابْنِ الحِصَال ، في الإخبار عن زلزَلَةِ عَظِيمَةٍ وَقَسَتْ بِمِلْمَةٍ قُرْطُبَةٍ مِنَ الْأَنْدَلُس .
الشَّيْخُ الْأَجَلُّ ، الْوَلِيُّ الْأَكْرَمُ الْأَفْضَلُ ؛ أَبُو فُلَانٍ ، الَّذِي أُطْرَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِعَجَائِبِ الْإِخْبَار ، وَأَذْهَبَ بِهِ فِي مَسَلِّكَ الْإِتِّمَاعِ وَمَنْهَجِ الْإِدْكَارِ ؛ أَبَاقَ اللهُ أَخِيذاً فِي سَنَنِ الْإِزْطَاجِ وَنَهْجِ الْإِزْدِجَار . الْخُلَاصُ لَهُ الْمُخَصَّصُ النَّاصِعُ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَمَعْرِفَةُ غَيْرِيبِ الْآثَارِ وَتَحْيِيهِ الْأَنْبَاءِ ؛ فُلَان .

سَلامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الَّذِي جَعَلَ بَيْنَهُ أَنْوَاعَ مَتَلَوْنَةٍ وَمُصْنُوفَةٍ ، وَأَرْسَلَ الْآيَاتِ
(وَمَا تُرْمَلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيفًا) . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَاةً طَيِّبَةً
تُعَبِّقُ تَأْرِيخًا وَتَضْبُوعُ تَعْرِيفًا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا حُرُوبًا
وَشَهِدُوا زُحُوفًا ؛ وَالدِّعَاءُ لِسَيِّدِنَا الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَصْرِ عَزِيزِ يَوْسَ مَدْعُورًا
وَيُؤْمِنُ مَحْوُفًا . فَإِنِ كَتَبْتُهُ - كَتَبَ اللهُ لَكُمْ دَمَةً حَافِظَةً وَأَمَانًا ، وَتَصَدِيقًا بِآيَاتِ اللهِ
الْبَيِّنَةِ وَبُرْهَانًا - مِنْ مَوْضِعِ كَذَا ، عِنْدَ مَا طَرَأَ عَلَيْنَا مَا حَلَّ الْعُيُونُ بِقَدَّاهَا ، وَمَنْعَهَا لِلْيَدِ
كَرَاهًا ، وَأَخْفَقَ الضُّلُوعَ الْحَانِيَةَ وَأَفْلَقَ مَصَارِيحَ حَشَاهَا : وَهُوَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) يبيِّن في الأصول لهذا الحرف .

ذَكَرَ عِبَادَهُ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، وَنَبِّهَهُمْ إِنْ تَنَبَّهُوا وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ كَيْدًا مُبِيرًا وَلَا مَكْرًا؛
وَذَلِكَ بِنَزَالِ قَضِيٍّ بِهِ عَلَى قُرْطُبَةٍ وَبَعْضِ أَعْمَالِهَا، وَمَلَأَ قُفُوسَ سَائِكِيهَا مِنْ رَوْعَاتِهَا
وَأَوْجَالِهَا؛ وَحَالَتْ لَذَلِكَ فِي الْخَوْفِ وَالْإِرْتِفَاجِ أَقْبَحَ حَالِهَا؛ حَتَّى نَحْوُوا إِلَى الْإِسْكَانَةِ
وَالضَّرَاعَةِ، وَأَطَاعَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ طَاعَةٌ؛ وَخَشُوا بَلْ كَانُوا يُوقِنُونَ
أَنَّهَا زَلَزَلَةُ السَّاعَةِ. وَكَانَ مِنْ عَظِيمِ آثَارِهَا، وَكَرِيهِ إِيرَادِهَا وَإِصْدَارِهَا، أَنَّهُدَامُ الْقُبَّةِ
الْعَظْمَى فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ صَانَهُ اللَّهُ، وَكَانَتْ قُبَّةً أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بِنَاؤُهَا، وَنَهَبَ
فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ذِكْرُهَا الْعَاطِرُ وَتَسْلُؤُهَا؛ وَتَهَدَّمَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْمَدْمُ دِيَارُ
كَثِيرَةٍ، وَحَدَّثَ بِهِ حَوَادِثُ مُبِيرَةٍ. وَأَمَّا تَلَوُّكَ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَكَانَ فِيهَا مَبْنَى مِنْ مَبَانِي
الرُّومِ، فَإِنَّهُ غَادَرَهَا قَامًا صَفْصَفًا، وَقَرَأَ تَهْنِئًا وَأَضْطَرَّ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْفَاجِحَ، وَالرَّيْحُ
الْقَادِحَ؛ إِلَى أَنْ خَرَجَ السَّيِّدُ أَبُو إِسْحَاقَ وَكَافَّةُ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَقَرَأُوا مِنْ
الْمَوْتِ بِأَقْوَاتِهِمْ وَأَحْصَائِهِمْ؛ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَمَارَكَ بِالرُّمْحَى، وَكَشَفَ تِلْكَ
الْعُتْبَى، جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ صَقْلًا لِقُلُوبِنَا، وَتَوْبَةً عَمَّا سَبَقَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَعَصَمْنَا
مِنْ جُرْمِنَا الْمُورِقِ وَجُوبِنَا، وَأَوَّلَانَا وَلِأَيَّامِنَا مِنَ الْغَيْرِ، وَأَزْدَجَارًا بِمَا ظَهَرَ مِنْ
الْعَبْرِ؛ وَجَعَلَ كَلَامًا بِجَمِيلِ الْحَوَادِثِ طَيِّبِ الْخَبِيرِ، بِمَنْتِهِ وَالسَّلَامُ الْعَلِيْبُ الْمُبَارَكُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

من كلام المتأخرين في الإخبار بقدم نائب إلى نيابة .

من ذلك نسخة كتاب عن نائب الشام إلى كافل الممالك الإسلامية مخبرًا له بوصوله
إلى دمشق، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن تباطة . وهو بعد الانقلاب :

(١) لعله في الخفض .

(٢) جرى الكاتب في كلامه لفة من يربها أصراب المقصور على حد قوله :

نعم القتي عمدت إليه طليق * في حين جد بنا المسير كلالا شرح الأعمشوني

لا زالت آفاق الممالك مُضيئةً بأنوار شمسه ، هنيةً بأنس سعادته وسعادة أنسه ؛
 سنيةً المقاصد التي قام في كفالتها بتفاسة نفسه ؛ ولا يرح يستثير من خير الدنيا
 والآخرة ما قدم صنعه الجميل من غرسه . تقيلاً يُبافيه به القلم القِرطاس ، ويودّ
 المملوك لو شافه به الخلد ساعياً سعى القلم على الرأس . ويُنهى قيامه بوظائف دُعاء
 يُشير الخلق ، ولّاء يُدور بكواكب الإخلاص لإدارة القلّك ؛ وخميد تذهب به
 صفحات الصحف حيث ذهب وتسلّك عُقود الأفلاك حيث سلّك ، وأنه خدم
 بهذه السُبودية عند وُروده إلى دِمَشق المحروسة لنباية كانت حناية مولانا سفيرة
 أمرها ، وميزة رُها ، يوم كذا ؛ وسعادة مولانا السلطان - خلد الله ملكه - تعلّمه
 وتعلّمه ، والنيث يركب الدولة القاهرة يُساره ويقّمه ؛ وتفرّ المطر يساقى فعر
 المملوك إلى مشافهة الثرى وتعلّمه ؛ والرعية منه أمنة في مَربها ، وادعة يظلال
 الأبواب الشريفة مع مُعلها دعة الصواري في قُربها ، وباكر المملوك يوم الاثنين
 الذي بُورك فيه : في الخميس من يوم وجيش ، وانتصب لمُهمات على مثلها
 في الخدمة يطيب أن يرفع لِين العيش ؛ مجتهداً فيما هو بصّده ، مستبداً من ربه
 عز وجل وسعادة سلطانه برّشه ، معتدلاً نعم مولانا فيما يأتي [في] ذلك من أوفى وأوفر
 عنده ومثده ، والله تعالى يُعين المملوك على شُكر من مولانا الباطنية والظاهرة ،
 والغائب والحاضر ، والمُقيمة والمسافرة ، ويصلّ نفع المملوك بولائه في الدنيا والآخرة ؛
 ويقيم الرعايا بالأمن في كفالاته التي ما برحت بعيون الأعداء لإذاهم بالسّاهرة .

الأجوبة عن كتب الأخبار

قال في "موادّ البيان" : الأخبار على أكثر الأحوال لأجوبة لها ، وإنما هي
 مطالعات بأمر يُنبها الخُدام ، وأصحابُ البرد إلى السلاطين ، مما تخرج أوامرهم

إلى الولاية بما تَضَمَّتْه : مما يقتضيه كل خبر ينهى من سياسة عامة ، أو مصلحة تامة . قال : فاما ما يستعمله الإخوان في المكتبة بالأخبار التي يكلّ بعضهم إلى بعض الإخبار بها ، فمنها ما يقتضى الجواب ، ومنها ما لا يقتضيه . قال : وأجوبة ما يقتضى الجواب منها ثلثان بحسب أفتان الأخبار والأغراض التي يجب المحيى بها ، وهو أيضا مما لا يبرعه بقوى جامع ولا برسم رسم كلى ، وإنما يرجع فيه إلى الأمور التي يتدأ بها ويحب عنها .

النوع السابع عشر

(المداخلة)

قال في "مواد البيان" : ومما في المداخلات التي يستعملها الإخوان غير متناهية ، والأغراض التي ينظمها المزاج وتعد من طلاقة النفس لا تقف عند قاصبه : لأنها مستعملة من أحوال متباينة ، وماخوذة من أمور غير معينة ، وحضرها في رسوم جامعة يستحيل ، وتمثيلها غير مفيد : لأنه لا تعلق لبعضها ببعض ، ولا نسبة بين الواحد والآخر ؛ ثم قال : والأحسن بأهل الوداد والصفاء ، والأليق بنوى المخالصة والوفاء ، أن يتزهوا في المداخلة الدائرة بينهم عن بذي اللفظ ومفحشه ، ومؤلم الخطاب ومقدحه ، ويكفوا اللسان واليد عن الإطلاق بما يدل على خفة الأحلام ، والرضا بالردل من الكلام اللاتي بسفهاء العوام ، ويحرجوا من إرسال قول يتيق وشمه على [مدى الأيام] إذ لا فرق بين جرح اللسان وجرح اليد ، وقد نطق بهذا المثل : لما في ذلك من الترفع عن دنأيا الأمور التي لا يتنازل إليها الكرماء ، والتهر عن المسافط التي لا يستعملها الأدباء ؛ وصيانة المرومة عما يشينها ويخسرها ، وتوقرها

عما يَنْقُصُهَا ، والأَمْنِ من الجواب الذي رُبَّمَا قَدَحَ في النفس وأَثَّرَ ، وأَمَحَى الصدرَ وأَوْغَرَ ، وقَلَّ عن التَّوَادُّدِ إلى التَّضَادُّدِ ، وعن التَّسَدُّدِ إلى التَّبَاعُدِ ؛ وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين على كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بقوله من آياته المنسوبة إليه :

فَرُبَّ كَلَامٍ يُمِضُ الْحَسَا * وَفِيهِ مِنَ الضَّحْكَ مَا يُسْتَطَابُ

مع مُرَاعَاةِ السَّلامَةِ من المُنَاخَلَةِ المُنْطَوِيَةِ على الْعِلِّ ، والمُرَاةِ المَبْنِيَةِ على الْمَكْرِ ؛ إذا لم يَكُنْ لِلْقَابِلَةِ على الْإِبْتِدَاءِ الْمِضُّ بالجواب المريض ، وغير ذلك مما لَا تُؤْمِنُ طاقَتُهُ ، وَلَا تَحْسُنُ عَائِدَتُهُ . قال : ويكون المستعمل في هذا الفنَّ مَخَفَّ مَوْقِعُهُ ؛ وَلَطْفٌ مَوْضِعُهُ ، وَهَشٌّ لَهُ سَامِعُهُ ؛ وتَلَقَّاهُ الْوَارِدُ عَلَيْهِ مُسْتَطِيلًا لِيَمَارِهِ ، مُسْتَلَحِيًّا لِنَظَارِهِ ، وَلَا يُعَدِّلُ بِهِ عَنْ سَمْتِ الصَّنَقِ ، وطريق الْحَقِّ ، وَمَنْهَبِ التَّحَرُّزِ من المَذْقِ ؛ وَيُقْتَصَرُ بِهِ على التَّادِرَةِ الْمُسْتَطَرَفَةِ ، والنُّكْتَةِ الْمُسْتَطَرَفَةِ ؛ وَاللُّغَةِ الْمُسْتَخْسَنَةِ ، والفِقْرَةِ الْمُسْتَغْبَرَةِ ، ثَوْنُ الإِطْلَاعِ الْمِئْلَةِ ، وَلَا يَجْعَلُ الْمَرْحَ غَالِبًا على الْكَلَامِ ، مُدَاخِلًا لِجَمِيعِ الْأَقْسَامِ : فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ مَعَانِيَ الْمَكَاتِبِ ، وَيُجِيلُ نِظَامَ الْمُخَاطَبَةِ ، وَيَضَعُ من مَعْنَاهَا وَإِنْ كَانَتْ شَرِيفًا ، وَيُوْخِمُ لَفْظَهَا وَإِنْ كَانَ لَطِيفًا ؛ وَيَذْهَبُ بِجِدِّهَا فِي مَنْهَبِ الْهَزَلِ وَيُمِيلُهُ عَنِ الْقَصْدِ ؛ وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ بَعْضُهُمْ بقوله :

أَفَدَّ طَبَعَكَ الْمَكْثُودَ بِالْجُدِّ رَاحَةً * بَلْهَوٍ وَعَلَّةٍ يَنْشَى مِنْ الْمَرْحِ !

ولكن إذا أُعْطِيَتْهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارٍ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمِلْحِ !

وَأَنْ يَقْتَصِدَ مع ذلك . ثم قال : وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ إِلَى اسْتِجْمَالِ الدَّعَايَةِ فِي الْمَوَاضِعِ اللَّاحِظَةِ بِهَا ، والأَحْوَالِ الْمَشَابِهِ لَهَا ؛ وَلَا يُودِعَ بَابًا مِنَ الْأَبْوَابِ ، مَالًا يَحْتَمِلُهُ مِنْ انْخِلَاطٍ : فَإِنَّ الْقَصْدَ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الْمَكَاتِبِ إِنَّمَا هُوَ الْإِعْرَابُ عَنِ الظُّرْفِ وَالْبَرَاةِ ، وَالْإِبَانَةُ عَنِ طَلَاةِ النَّفْسِ ؛ وَالْإِسْلَاحُ مِنْ تَعْبِيسِ الْقَدَامَةِ

والجَهَامَة ؛ ثم عَقَبَ ذلك بأن قال : وَمَنْ وَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَبْدِ الْكَافِي ، وَلَزِمَ فِيهِ الْإِدْبَ الْإِلَاقِي بِأَهْلِ النَّصَافِي ، دَلَّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَشَهِدَ لِمُسْتَعْمَلِهِ بِإِحْرَازِ مَا وَصَفْنَاهُ ؛ وَمَنْ تَعَدَّى ذَلِكَ عُدَّ مِنَ الْمُجُونِ وَالْمَلَّاعِبَةِ ، وَحُسِبَ مِنْ رَذَالَةِ الطَّبَعِ وَفَذَالَةِ الْخَلِيمِ وَمَسَقَةِ اللِّسَانِ ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِالْكَاتِبِينَ الْكَرَامِ ، الَّذِينَ هُمْ خِيَارُ الْأَتَامِ ، وَوَلَاةُ النَّقِصِ وَالْإِرْزَامِ . وَخَتَمَ ذَلِكَ بِأَن قَالَ : وَالْكَاتِبُ إِذَا كَانَ مَهِيًّا لِلطَّبَعِ لَا يَطْبَاعُ بِرِسُومِ الصَّنَاعَةِ وَمُنَاسِبَةِ أَوْضَاعِهَا ، أَغْنَاهُ الْوُقُوفُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْجَمَلِ فِي اسْتِمَالِ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ تَمْثِيلِ مَقْصَلٍ . وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مِثَالًا .

ابن أبي الخصال :

سَيِّدِي وَوَاحِدِي الَّذِي أَبْجَلُ ذِكْرَهُ ، وَأَوَّلِي شُكْرِهِ ؛ لَا زَالَ مَنَّاكَ رَحِيمًا ، وَزَمَانًا خَصِيمًا ؛ وَلَا زِلْتَ تَأْخُذُ لِأَنْتَرَاكِ نَصِيمًا ؛ عَبْدُكَ فُلَانٌ مُؤَدِّبُهَا يَتَجِيعُ الْبِكْرَامِ ، وَيُبَارِي فِي جَرِيهَا الْأَيَّامَ : فَتَارَةً يَجْمَعُ ، وَأُخْرَى يَفْرُقُ ؛ وَطَوْرًا يُفَرِّبُ ، وَطَوْرًا يُشْرِقُ ؛ وَأَمَّ الْخَضِرَةَ - وَصَلَ اللَّهُ حِرَاسَتَهَا ، وَأَدَامَ بَهْجَتَهَا وَقَاسَمَتَهَا - وَالْمَلِكُ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ ، أَخْضَرُ الْجُلُوبِ ؛ وَإِحْسَانُكَ إِحْسَانُكَ ، وَمَكَانُكَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مَكَانُكَ ؛ فَأَوْسَعُهُ قَرَى ، وَأَمْلَأَ عَلَيْهِ عَلَى الشَّيْخِ كَرَى ؛ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، بَلْ أَعْجِمُهُ تَيْنًا وَعَلَقًا ، وَأَرْكِبُهُ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ ظَلَقًا ؛ وَتَوَنَّنَكَ لَمْ يَقْلَبْ أَرْضَهُ بَيْطَارٌ ، وَلَا يُلْهِيَانِي بِهِ جَبَّارٌ ، وَجُرْحُهُ جُبَّارٌ ؛ وَعِنْدَهُ كَمَا عَلِمْتَ دَعَاءُ مُبَاحٍ ، وَتَشَاءُ فِي الشُّكْرِ مَسَاءٌ وَصَبَاحٌ ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) الظلف بالتحريك ما غلظ من الأرض فلم يؤد [أي لم يظهر] أنما . انظر اللسان ج ١١

من كلام المتأخرين :

كتب بعضهم إلى كمال الدين بن الأثير ، وقد جاء إليه في بستانه فلم يجده
ولا وجد من أنصفه .

حضر المملوك البستان ، مستندياً قُطوف الإنعام والإحسان ؛ واستمطر بمحائب
فضله ، وهزّ إليه بجذع تحليه ؛ فلم تتساقط عليه رطباً جنيّاً ، فعلم أنه قد جاء شيئاً
قريباً ؛ فثبت نفسه مع تصاعد الأنفاس ، والطمع ينشده :

* مافي وقوفك ساعة من بّاس *

فانطلق حتى أتى القرية مستظلاً أهلها فأبوا أن يضيفوه ، مستعطفاً حاشيته الرقيقة
فأبوا حاشيته أن يستعطفوه ؛ وقال كلٌ منهم : تُطالب بالقرى كما تُطالب بدريك !
أرجع حيث شئت هذا فراقى وبني وبنيك ! وعلم أنه لو أقام بها جداراً لمّا أُعطى
عليه أجراً ؛ ولو حاول قرى لسمع من التوبخ مالم يستطع عليه صبراً ؛ فرجع بغير
حين ؛ بعد مشاق جرعت كاسات الحين ؛ فاین هذه المعاملة مما تُسيعه عنه من
كريم اللّلال ، وكيف تشكو قصّ حظّ وله كمال الإحسان وإحسان الكمال .

الأجوبة عن رِقَاع المدّاجبة

قال في "موادّ البيان" : ينبغي للأجيب عن المدّاجبة أن يشتقّ من نفس الابتداء
جواباً مناسباً لها ، وأن يتّبعه متى أحبّ الأخذ بالفضل على المسامحة ، وأطراح
المنافسة ، والإغضاء عما يُحسّ إلقاء على الموتة ، وتحسيناً لقبّ الصديق ، وتعوّداً
لعادة الحلم والإحتمال ؛ وأن يُعَبّ في الجواب مذهب الاختصار ؛ وإيراد النكت
الرائعة كما في الابتداء ، على ما هتّم .

(١) كذا في النسخ وهو على لغة يتماقرون فيكم ملائكة .

الفصل الثامن^(١)

(في إخفاء ما في المكتوب من السر)

وهو مما يمس الحاجة إليه عند اعتراض معترض من علو ونحوه يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه : من يمكن أو غيرها حيث لم تُجد الملقفات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانبين ، وهو على نوعين :

النوع الأول

(ما يتعلق بالكتابة ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يتعلق بالمكتوب به)

وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلا يكون مقررا بين المتكلمين من إلقاء شيء على الكتابة ، أو مسح شيء ، أو عرضة على النار ونحو ذلك .
وقد ذكروا لذلك طرقا :

منها - أن يكتب في الورق بلين جليظ قد خلط به نواشيد فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة ، فإذا قرب من النار ظهرت الكتابة .

ومنها - أن يكتب في الورق أيضا بماء البصل المعتصر منه فلا ترى الكتابة فإذا قرب من النار أيضا ظهرت الكتابة .

(١) أى من الباب الثانى من المقالة الرابعة وهو آخر فصولها فهى ثمانية لاسه وتخدم فى ج ٦ ص ٢٦٥

أنها ستة مواضع للأصول فكتبه .

ومنها — أنه يَكْتَبُ فيما أراد من وَرَقٍ أو غيره بماءٍ قد خُلِطَ فيه زاجٌ، فلا تَظْهَرُ الكتابةُ، فإذا مُسِحَ بماءٍ قد خُلِطَ فيه العَفْصُ المدفوقُ، ظهرتِ الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتَبُ في الورق غيرِ المُنَشَّى بالشَّبِّ المحلولِ بماءِ المطرِ، ثم يُلْقِيهِ في الماءِ أو يَمْسَحُهُ بِهِ، فإنه إذا جَفَّ ظهرتِ فيه الكتابةُ .

ومنها — أن يَكْتَبَ بِمِرَّةِ السَّلْحَفَةِ فَإِنَّ الكتابةَ بها تُرَى في الليل ولا تُرَى في النهار .

ومنها — أن تَأْخُذَ اللَّيْمُونَ الْأَسْوَدَ وَعُرُوقَ الْحَنْظَلِ الْمُقْلَوَةِ بِزَيْتِ الزَّبْتُونِ جَرَّائِنِ مُتَسَاوِيَيْنِ وَتَسْحَقَهُمَا نَاعِمًا، ثم تُضَيِّفُ إِلَيْهِمَا دُهْنَ صَفَرِ الْيَضِّ وتَكْتُبُ بِهِ عَلَى جَسَدٍ مِنْ شَيْئَةٍ، فإنه يَنْتَبِثُ الشَّعْرُ مَكَانَ الْكَاتِبَةِ، وهو من الْأَسْرَارِ الْعَجِيبَةِ؛ فإذا أُريدَ إِرْسَالُ شَخِصٍ بِكَاتِبٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ، فُعلَ بِهِ ذَلِكَ، فإنه إذا نَبَتِ الشَّعْرُ قُرِئَتِ الْكَاتِبَةُ .

الضرب الثاني

(ما يتعلق بِالْحَسِّطِ الْمَكْتُوبِ)

بأن تكون الكتابةُ بَقَلِّمْ أَصْطَلَحَ عَلَيْهِ الْمُرْسَلُ وَالْمُرْسَلُ إِلَيْهِ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمَا مِنْ لَهْلَهٍ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَيُسَمَّى التَّعْمِيةَ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَعْبَرُونَ عَنْه بِحَلِّ الْمُتَرَجِّمِ، وَفِيهِ نَظَرٌ: فَإِنَّ التَّرْجَمَةَ عِبَارَةٌ عَنْ كَشْفِ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَعْبَرُ لِنُظَرِهِ عَنْ لَفْظٍ لَا يَعْرِفُهَا بُلُغَةٌ يَعْرِفُهَا بِالتَّرْجُمَانِ؛ وَإِلَيْهِ يَحْمِلُ لَفْظُ الْحَلِّ أَيْضًا؛ إِذِ الْمُرَادُ مِنَ الْحَلِّ لِمَا لَزَلَهُ الْعَقْدُ فَيَصِيرُ الْمُرَادُ بِحَلِّ الْمُتَرَجِّمِ تَرْجَمَةَ الْمُتَرَجِّمِ أَوْ جَلَّ الْحَلِّ، وَلَوْ عُبِّرَ عَنْهُ بِكَشْفِ الْمَعْنَى لَكَانَ أَوْفَقَ لِلغَرَضِ الْمَطْلُوبِ .

ثم معنى ذلك على قاعدتين :

القاعدة الأولى — كيفية التعمية .

اعلم أن التعمية بالنسبة إلى كل واحد من الناس باعتبار ما يجهله من الخطوط ، فيعنى على العربى في اللغة العربية بالخطوط غير العربية ، كالرومية والبرانية ونحوهما ، إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو يقلم مصطلح عليه على وفق حروف العربية ، وكذلك يعنى على غير العربى من الروم ونحوه من يجهل الخط العربى بالقلم العربى ، وعلى ذلك .

ثم للناس في التعمية مذهبان :

المذهب الأول — أن يكتب بالأفلام القديمة التي ليست بتداولية بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد ، إذا وافق ذلك القلم اللغة التي تريد الكتابة [بها] .

وقد ذكر ابن الدريهم أن أقل اللغات المخمل وهو سبعة عشر حرفاً ، وأطولها الأرمينية ، وهو ستة وثلاثون^(١) حرفاً . ثم قال : والتركى عشرون حرفاً ، وكذلك الفارسية إلا أن في الفارسية ثلاثة أحرف ليست في التركى ، وهى الهاء والفاء والدال . وفي التركى ثلاثة ليست في الفارسية : وهى الصاد والطاء المهملتان والقاف ، والعبرانية والسريانية آتان وعشرون حرفاً [من أقل أبجد إلى آخر قرشت . واليونانية والرومية القديم أربعة وعشرون حرفاً] ولهم قلم آخر ثلاثون حرفاً ، والقبطى آتان وثلاثون حرفاً ، وذكر أن جميع الأفلام مقطعة الحروف على اصطلاح أبجد ، خلا العربى والمغلى

(١) في هذا المصخر خلافة لما تقدم في ج ٣ ص ١٩ من هذا المؤلف فراجعه ويرر .

(٢) قد تقدم أنه من أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين حرفاً فتنه .

(٣) زائد في بعض النسخ .

والسرياني فإن حروفها توصل وتقطع ، وقطع السرياني كالعربي ، وأقلّام المتقدمين المقرّرة : كالرومي والفرنجي وغيرهما معلومة لاجابة إلى التمثيل بشيء منها .

المنحَب الثاني — أن يصطلح الإنسان مع نفسه على قلم يتكره وحروف يصورها ؛ وقد ذكر ابن الدريهم أن الناس اختلفت مقاصدُهم في ذلك :

فمنهم — من يصطلح على إبدال حرف معين بحرف آخر معين حيث وقع في القلم المعروف بالقمي ، وهو أنهم جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ؛ ففعلوا الكاف ميما وبالعكس ، والألف واواً وبالعكس ، والدال المهملة راءً مهملةً وبالعكس ، والسين المهملة عينا مهملةً وبالعكس ، والفاء ياءً مشاةً تحتيةً وبالعكس ، فيكتب محمد « كطكر » وعلى « مبهف » ومسعود « كسار » وعلى ذلك ، وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف تلو ما يبدل به ، وهو :

كَمْ أَوْ حِطَّ صِلَا لَهُ دَرَّ سَعٌ * فِي بَزْ خَيْشِ غَضٍّ مَجَّ تَقَفَّقْ

قال : ومنهم — من يعكس حروف الكلمة فيكتب محمد « دمحم » وعلى « يلع » .

ومنهم — من يُبدل الحرف الأول من الكلمة بثانيه مُطلقاً في سائر الكلام فيكتب محمد أخو على « حمم خا عويل » إلى غير ذلك من التمييزات .

ومنهم — من يُبدل الحروف بأعدادها في الجمل ؛ فيكتب محمد أربعون ، وثمانية ، وأربعون ، وأربعة ، وتعمل التعمية صفة محاسبة .

ومنهم — من يكتب عوض مدد الحرف حروفاً وهو الملقب في التعمية ؛ فيكتب محمد « لي بو لي اج » لأن اللام والياء بأربعين وهي عدد مائتين الأولى ، والباء

والواو ثمانية وهى عدد ما للحاء، واللام وإليه أيضا أربعين وهى عدد ما للميم الثانية، والألف والجيم بأربعة وهى عدد ما للدال، فكانه قال : م م م م د . وإن شاء أتى بغير هذه الحروف بما يتضمن هذه الأعداد .

ومنهم — من يجعل لكل حرف آمم رجل أو غيره .

ومنهم — من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها على حروف أبجد : فيجعل الألف للشرطين ، والباء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا إلى آخرها ، فيكون بطن الحوت للعين من ضفط . وربما أصطلح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات، إلى غير ذلك من ضروب التمايم التى لا يأخذها حصر . وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختصها قلبا له مقطعة على ترتيب حروف المعجم . والطريق فى ذلك أن يُثبت حروف المعجم ثم يُرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر، فكلما جاءه فى اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط؛ ثم يفصل بين كل كلمتين : إما بخط أو بنقط أو بياض أو دائرة أو غير ذلك؛ وأكثر المتعلمين يعملون الحرف المشدّد بحرفين، والمتأخرون يعملونه حرفا واحدا، وهذه صور حروف متبرّج كان قد وصل إلى الأبواب السلطانية من مناصحين فى بغداد يُقاس عليه

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر س ش ص
ه ظ لا س م ع ه حام طه عر حو
ض ط ط ع غ ف ق ك ل م ن ه و لاى
له عر ٢ ٤ ه سجد مى لا ك هه ل لد ه ضم

القاعدة الثانية — حلّ المعنى، وهو مقصودُ الباب وتيجته .

ويحتاج المتصدى لذلك مع جودة الحدس وذكاء الفطرة أن يعرف اللغة التي يروم حلّ مترجمها مما وقع به التعمية فيها، ومقدار عدد حروفها؛ ولا خفاء في أن حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً، ويجب أن يعرف الحروف التي تدخل كل لغة والحروف المنتمة الوقوع فيها كما تقدم .

ثم المعلول عليه، والمنصب القول إليه، فيما هو متعارف في هذه المملكة لغة العرب التي [هي] أشرف اللغات وأبدعها .

والناظر في حلّ مترجمها يحتاج إلى أصليين :

الأصل الأول — معرفة الأئس الذي يترتب عليه الحلّ ؛ والذي تمس إليه الحاجة من ذلك سبعة أمور :

أحدها — أن يعرف مقادير الحروف التي تتركب منها الكلمة .

وأعلم أن كلام العرب منه ما يبنى على حرف واحد مثل «ق» من الامر بالوقاية، و«ج» من الأمر بالوعي؛ ومنه ما يبنى على حرفين من الأفعال مثل «قم» في الامر بالقيام، و«كل» في الأمر بالأكل؛ ومن الحروف نحو : من في ربّ هل بل وما أشبه ذلك؛ ومن الأسماء المبينة نحو : ذى دأ من كم؛ ومن الضمير مع حروف الجر نحو : بك له؛ ومنه ما يبنى على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة في الحروف والأفعال والأسماء، ثم تدخل فيه أحرف الزيادة العشرة، وهي «هويت النمان» وثلاثة أحرف آخر، وهي الفاء وباء الجر وكاف التشبيه

وكأف الخطاب إلى أن تبلغ الكلمة على اصطلاح الكُتّاب [أربعة] عشر حرفاً ،
كقولك مخاطباً لرجلين [أثنان] جُنتنة : أَفَلَسْتُمَاهِنِكَا أعدتهما .

قال ابن الدُرَيْم : وليس في كلام العرب كلمة رُبَاعِيَّة الأصل أو نُحَامِيَّة الأصل
ليس فيها حرف من الحُرُوف النَّلْقِيَّة كاللام والنون والواو ، والشَّفَوِيَّة كالفاء والميم
والباء إلا ما شذَّ مثل «عَسَجَد» من أسماء النّهب .

قال : ونهاية الأسماء العربية قبل الزيادة خمسة ، وشذَّ (١) مثل عَنَدَلِيْب ، والأفْصَل
قبل الزيادة أربعة ؛ وليس في القروان كلمة نُحَامِيَّة الأصل سوى الأسماء الانْعِجِيَّة
مثل إِبْرَاهِيم ، ولا يمكن أن يتكرر حرف (في) كلمة واحدة أكثر من خمسة كقول القائل
مارأينا [كُكْكَ كُكْكَ كُكْكَ^(١)] جمع كُكَّة وهو المركب الكبير مثل عُكَّة وعُكَّ ،
وأربع كافات في قولك^(٢) وَكُكْكَكَ .

الثاني — أن يعرف الحروف التي لا يُقَارَب بعضها بعضاً بمعنى أنها لا تجتمع
في كلمة واحدة .

وأعلم أن في الأحرف ما لا يُقَارَب بعضها بعضاً مطلقاً بتقديم ولا تأخير كالتاء
المنطّنة ، فإنها لا تُقَارَب الذالّ المعجمة والزايّ المعجمة والسين والصاد المهملتين
والضاد المعجمة ، وكذلك الجيم لا تُقَارَب الطاء المهملة ولا الظاء المعجمة ولا الفين

(١) يرض له في الأصول وقد حصنته من المقام ، ولكن لم نشر على هذا البناء في كتب الفقه ولمه
ماي تأمل .

(٢) يبايض في الأصل .

المعجمة ولا التاف ولا الكاف، وما وقع من ذلك في الكلام نحو : نُفَجَة وَرَجَق وَجُرْمُوق وَجَوْلَق وَجُلَاهِق وَمَنْجَنِق وَجَوْقَة وَجَوْسَق وَصَجَق وَسَجَق وَجَرَدَق ونحو ذلك فليست عربية : لأنه لا يجمع في كلام العرب جيم وقاف في كلمة واحدة ؛ وكذلك الدال المهملة لا تقارن الظاء المعجمة والدال المعجمة لا تقارن الزاي المعجمة والصاد والضاد والطاء والظاء ، وما وقع في الكلام من ذلك فليس عبري ، مثل طبرزد فارسي والزط نبطي ، ولا تقارن السين المهملة الصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المعجمة ؛ ولا تقارن الصاد المهملة الضاد المعجمة ولا الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن الضاد المعجمة الشين والطاء المعجمتين ؛ ولا تقارن الطاء المهملة الظاء المعجمة ؛ ولا تقارن التاف الغين المعجمة ولا الكاف في كلمة أصلية ، وشد تنق القُرَاب وناقَة نَفِيق ؛ ولا تقارن الكاف انطاء المعجمة في كلمة أصلية ، ولا تقارن الميم الباء الموحدة والفاء في كلمة أصلية إلا في فَمٍ وأصله فَوْه ، وأما بيم لأحد أوتار العود فليس عبري ؛ والحروف الحلقية لا يقارن بعضها بعضاً خلا الهاء فإنها تعقبها زائدة ، كهاء الضمير وهاء التأنيث ، وتعقب العين أصلية كالعهد والعهر وعير ؛ وليس في كلمة أصلية حرفان حقيقيان سوى ما تهم من الهاء ، وقد تعقب بواسطه كغيب وعير ؛ أما حَيْهَل فركبة ، ولا يجمع حرفان من هذه الخمسة : وهي الهاء والطاء المهملة (١) والعين والغين والهاء المعجمة في أول كلمة سوى ما ذكر ، ولا في أثناء الكلمة إلا الهاء مع العين كهَلَع والهاء مع الغين كَاهِنَغ ، والطاء مع الغين كَأَخِنَغ (٢) والهاء مع انطاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هَيْيَخَة ؛ ولا تجتمع الهاء

(١) في الأصول العين المهملة وهو غير مستقيم . وفي كتب اللغة ناقة نَفِيق «أى بالجم الغين» إذا كانت

تبن مرة بعد مرة .

(٢) لم توجد في كتب اللغة التي بأيدينا .

الأصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الخاء المهملة والعين المهملة إلا أن تكون مرئية مثل هرقصع (٩) والحيعة .

الثالث — أن يعرف الحروف التي لا تقارن بعض الحروف في الكلمات إلا قليلا ، كقارنة السين المهملة للسين المعجمة في شنع والسين مع الزاي كشرز والراء مع اللام كورك .

[وأعلم] أن الحروف الواحد يتكرر في الكلمة الواحدة كثيرا مثل دهمه ونهته ونهته وحصص وحصب وحجم وجلجل وعللل وشعشة وزعزع ودقذغ . وبقي بقي وعسعس وزعزع وغوغاء وفضاح وخوخ وما أشبه ذلك .

الرابع — أن يعرف ما يجوز تهديمه على غيره من الحروف وما يتبع ، فالثاء لا تتقدم السين المعجمة ، والدال المهملة لا تتقدم على زاي ولا صاد مهملة ولا طاء مهملة بدليل أنهم لما عربوا مهذبز ، أبدلوا الزاي سينا فقالوا مهذبس وهندسة ، والدال المعجمة لا تتقدم الجيم ولا السين المهملة ولا السين المعجمة ولا العين المهملة ، ومن هنا لما عربوا الفألودج من الفارسي قالوا فالودج ، والسين المعجمة لا تتقدم الزاي المعجمة ولا السين المهملة ولا الصاد المهملة ، والطاء المهملة لا تتقدم الكاف في كلمة أصلية ، والسين المهملة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كسذاب ، والدال المعجمة لا تتقدم على الدال المهملة إلا قليلا كقولك في الأمر كد النعم .

(١) في الأصل "على نون" وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) أردده بلسانوس بالدال المعجمة وتكلم عليه شاعره ثم قال ويوجد في بعض كتب النبات بالدال المهملة .

الخامس — أن يعرف ما لا يقع في أول الكلمات من الحروف كالجيم لا تقع بعدها التاء المثناة فوق ولا الصاد المهملة ولا الضاد المعجمة ولا الغين المعجمة؛ أما الجيم فمعرّب .

السادس — أن يعرف أنه لا يتكرر حرف في أول كلمة إلا من هذه العشرة الأحرف وهي: الكاف واللام والميم والنون والتاء المثناة فوق والألف والباء الموحدة والواو والقاف والياء المثناة تحت ويجمعها قولك « كل من تاب وقي » وأقلها وقوطا كذلك الياء .

السابع — أن يعرف أكثر الحروف دورانا في اللغة، ثم الذي يليه من الحروف في الكثرة إلى أقلها دورانا .

وأعلم أن كلام العرب أكثر ما يقع فيه على ما دل عليه استقرأ القرطبي الكريم الألف ثم اللام ثم الميم ثم الباء المثناة تحت ثم الواو ثم النون ثم الهاء ثم الراء المهملة ثم الفاء ثم القاف ثم الدال المهملة ثم الذال المعجمة ثم اللام ألف ثم الحاء المهملة ثم الجيم ثم الصاد المهملة ثم الخاء المعجمة ثم الشين المعجمة ثم الضاد المعجمة ثم الزاي المعجمة ثم التاء المثناة ثم الطاء المهملة ثم الغين المعجمة ثم الظاء المعجمة؛ وقد جمع بعضهم أحرف الكثرة في قوله (إيمونه) وبعضهم يجمعها في قوله (اليوم هن) وجمع الحروف المتوسطة في قوله (رغبت بكس نخج) وجمع أحرف القلة في قوله (طظف صخذز قش) .

(١) تأمل هذا المثال وما بعده وجرهما .

قال ابن الدريهم : وقد يقع في لفظ غير القرآن على خلاف ذلك كما يتعمدون النظم والنثر غير ألف أو غير قطع أو غير ما طل الحروف أو ألفاظ قليلة، وقد يكون الكلام ألفاظا قلائل لا تستوعب الحروف .

الأصل الثاني - كيفية التوصل بالحديث إلى حل المترجم :

قال ابن الدريهم : إذا أردت حل ما ترجم لك، فأبدأ أولاً بسد الحروف، وكل تكرر كل شكل منها مرة فأنه أولاً فأولاً . قال : وأول ما استخراج الفاصلة إن كان الذي عني قد بالغ في التعمية، يعني بإخفاء الفاصلة في ضمن الحروف؛ وذلك أنك تأخذ حرفاً فتظن أن الفاصلة تكون الثاني فتجربه على ما هو من الكلمات من المقادير على ما همم، فإن وافق وإلا أخذت الثالث، فإن وافق وإلا الرابع وهكذا حتى يصح لك انفصال الكلمات، ثم تنظر أكثر الحروف دوراً في الكلام فتقاربه من الترتيب المتكتم في أكثر الحروف دوراً على ما همم، فإذا رأيت نجواً قد وقع في الكلام أكثر من سائر الحروف فتظن أنه الألف؛ ثم الألف فوفاً بنده فتظن أنه اللام؛ ويؤيد صحة ظنك أن اللام يدار في أكثر استعماله تابعاً للآلف؛ ثم تنظر إن كان في الكلام حرف مفرد فتظن أنه اللام ألف؛ ثم أول ما تلقى من الكلام الثنائية بتقريب حروفها حتى يصح معك شيء منها فتتأمل أشكالها وترقم عليها، وتجري الكلام في الثلاثيات حتى يصح معك شيء منها وترقم نظائره؛ ثم تجري الكلام في الرباعيات والخماسيات على الوزن المتكتم؛ وكل ما أشبهه فاحتمل احتمالين أو ثلاثة أو أكثر شئبه إلى حين يتعين من كلمة أخرى؛ فأنظمت لك من ذلك

فيجد قد تكرر معه هذا الشكل ٥ أكثر من كل الأشكال بكثير، فيعلم أنه الألف فينم عليه في موضعه، ثم المكرر بعده أكثر من باقي الأشكال هذا الشكل 3 فيظن أنه اللام ويحقق ظنه كونه تابعا للألف في سبعة مواضع من الكلام؛ ثم ينظر فيجد فيه حرفا واحدا كلمة فيظن أنها اللام ألف؛ ثم يجد الكلمة الثالثة ثنائية ثانيها اللام ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه : بلا تلا جلا خلا خلا سلا خلا فلا فلا كلا هلا ولا؛ ثم يجد هذا الشكل ٥ الذي مع اللام ألف قد ورد مكررا في أقول كلمة أمتنع أن يكون جيا أو حاء أو خاء أو سينا أو عينا أو غينا أو هاء فلم يبق معنا سوى بلا تلا فلا كلا ولا؛ ثم يجد الكلمة الخامسة ثنائية ثانيها ألف فيمكن أن تكون إحدى هذه با جا دا ذا سا شا ضا فا ما نا يا، ثم يترجح أنها ما أو يا لأن هذا الشكل ٤ قد تكرر أكثر من باقي الحروف فيكون إما الميم أو الياء وإن قاربهما النون لكن ما ويا أكثر وقعا في الكلام من نا فإنها غريبة الوقوع، ثم رأينا هذا الشكل المتقدم قد تلا الشكل الذي مع اللام ألف الذي ظننا أنه أحد هذه ه ب ت ف ك وفي الكلمة الثلاثية المكرر أولا ٥ ٥ ٥ بغيرنا الحروف مع الميم فظهر منها لفظة «ففى» لاغير؛ ثم نظرنا هذا الحرف ٥ فوجدناه وقع في أربعة مواضع في الكلام لاغير، قلنا إنه الفاء : لأن الياء بنسبة هذا الكلام تقع أكثر من ذلك غالبا، فصح معنا أن الكلمة الثالثة «فلا» والكلمة الخامسة «يا» والحرف المفرد «لا» والكلمة الخامسة منه هي رايد ذلك أننا وجدنا الكلمة الحادية عشرة قد تكرر [فيها] بعد الألف واللام حرفان تلاهما ألف بعده حرف آخر، ولا يمكن أن يتكرر حرف في مثل هذا المكان سوى الميم إذا جربته على جميع الحروف، قلنا : التات

المخارج الخمس المتناسقة؛ ورأينا هذا الشكل **٢** الذي هو آخر الكلمة قد تكرر أكثر من باقي الحروف بعد الألف واللام والياء، فيبقى أن تكون هذه ر س ت ع لأن الميم قد صح معنا ولم يكن النون فعلمنا على الميم في مواضعه؛ ونظرنا فرأينا هذا الشكل **٣** أول الكلمة الرابعة الثلاثية وقد صح ثانياً اللام وثالثها الميم فحربناها على هذه الحروف فسقطت الراء وبقي أحد هذه: سلم تلم علم؛ ثم نظرنا الكلمة المجارية للمخارج الخمس، فرأينا قبل الألف واللام حرفاً يكون أحد هذه ب ل و: لأن الفاء علمناها؛ ونظرنا هذا الحرف **٤** قد تبع الألف واللام قبل الياء، ووجدناه بين البين في كلمة ثلاثية تكون إحدى هذه أبا إذا أسا أنا، فحربنا الكلمة على الباء والدال والسين والنون على أن يكون الحرف الآخر السين فلم يتفق منه لفظ فسقط «سلم» ثم حربناها على أن تكون العين فحصل منه بعد الحرف الأول البياع؛ ثم على أن تكون تاء فحصل منه الثبات السيات فسقط وبقي أبا أسا أنا؛ ثم نظرنا الكلمة السابعة وهي ثلاثية أولها اللام وثانيها هذا الحرف **٥** الذي قبل الياء وثالثها هذا **٦** الدائرين العين والتاء فلما يقوم منها «لست» وسقط الباء والنون، وإنما لم يبق منه «كسع» لأنه لما سقطت الباء سقطت العين من البياع، فصح أن تلك «السيئات» ونظيرها «المخات» والثلاثية «تلم» وسقط علم، فرقنا على التاء في مواضعها وعلى السين في مواضعها، فصارت الثلاثية «أسا» فقد صح معنا من الكلمات: «فلا تلم يا لست المخات لا أسا هي» وبقي الحرف الذي قبل السيئات؛ ثم نظرنا الكلمة العاشرة الثلاثية فيها ت ي فحربناها على الحروف فظهر منها «حتى» لا يشار إليها شيء فعلمنا على الخاء في مواضعها؛ ثم نظرنا كلمة خماسية قد بقي منها الحرف

الوسط، بخريناها على الحروف فقام من ذلك : « حَسَرَات حَسَكَات حَسَنَات »
 فعلنا أنه حسنات : لأن هذا الشكل **هـ** تكرر أكثر من باقي الحروف بعد
 الألف واللام والياء والهاء، وقد صح الميم فأنبتنا النون في موضعها؛ ثم نظرنا هذا
 الشكل **ل** في أول كلمتين ثلاثيتين وقد صح من إحداهما ن ي ومن الأخرى
 ل ي، بخرينا الحرف فوجدناه إما عينا أو واوا، فيقوم منها عى على وى ولى
 فتعين أن يكون عينا لقلة الحرف عن مرتبة الواو؛ ثم نظرنا كلمة سباعية قد بقي
 منها حرف مجهول، بخريناها على الحروف فصحت «اليان» لا يشاركها لفظة أخرى،
 والحرف هذا الشكل **ح** الذى قبل السينات فتعيت الباء في مواضعها؛ ثم نظرنا
 كلمة سداسية نالها حرف مجهول، بخريناها فظهر منها «الكلب»؛ ثم نظرنا كلمة
 نحاسية قبل التى قبل «هذه» قد بقي حرف الوسط [منها] مجهولا، بخريناها على الحروف
 فقام لحيف لمدنف لمصنف فتعيت «لمصنف» بسبب سياق الكلام بلفظ
 «الكلب» ورقنا على الصاد؛ ثم نظرنا الكلمة الأخيرة قد بقي منها رابعها مجهولا،
 بخريناها على الحروف فصحت «الموصل» وصحت الكلمة التى بعد لست أنها «أسلو»
 فرقنا على الواو؛ ثم نظرنا الكلمة الأولى وهى ثنائية أولها ص بخريناها فصحت
 صد، وإنما كأخرها لقلة وقع حروفها، ثم علمنا على الدال فوجدنا كلمة ثنائية آخرها
 «د» بخريناها على باقي الحروف التى لم تظهر، فقام منها جد حد قد هد؛ ثم نظرنا
 كلمة ثلاثية فصحت أولها ل وآخرها ل وسطها هذا الحرف **ك** الذى قبل الدال
 فى الثنائية، بخريناها على الجيم والحاء والقاف والهاء، فسقطت الهاء وبقي تمل
 تمل تمل، ونظرنا فرائنا سياق الكلام يدل على أن الكلمة قبل أما «قد» والثلاثية
 «تقل» فانتظم الكلام «لا تقل قد أما» ثم نظرنا الكلمة السادسة قد بقي منها

ثانيها مجهولاً ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « عَثُولِي » ، فرقنا على النّال في مواضعه ؛ ثم نظرنا الكلمة الثلاثية التي بين « لمصنّف » وبين « الكتاب » أوّلها هذا الشكل د وقد صحّ منها « ذَا » فعلين أنّها « هذا » ورقنّا على الهاء ؛ ثم نظرنا الكلمة الخماسيّة التي بين « فَيّ » وبين « منه » قد بقي رابعها ، فخرّبناها على باقي الحروف فصحت « الوجه » ؛ ثم نظرنا الكلمة السباعية التي قبل الأخيرة وقد بقي منها رابعها مجهولاً ، فخرّبناها فظهر منها الدّرّيم ، فتكلّ الحلّ وظهر الكلام :

صَدْعِي فَلَا تَلْمُ بِأَعْدُوِي * لَسْتُ أَسْلُو هَوَاهُ حَتَّى الْمَمَاتِ

لَا أَثْقُلُ قَدْ أَمَا فِيّ الْوَجْهِ مِنْهُ * حَسَنَاتٌ يَنْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ

هذا البيان لمصنّف هذا الكتاب ، عليّ بن الدّرّيم الموصليّ .

وعلى مثل هذا المتوال يجري الحلّ ؛ ثم أنظر إلى حروف هذا الكلام كيف جاءت أحداً وعشرين حرفاً ، ونقص منه ثمانية لم توجد فيه ، فإذا نظرت إلى ما قررت لك من ترتيب وقّع الحروف كما جاءت في الكتاب العزيز ، رأيت الثمانية الناقصة هي آخر الترتيب سواء لم يختلط منها شيء بتقديم أو تأخير ، وهذا اتفاق ؛ لأنه قد يقع الحرف قريباً من رُبّته كما تهتم ؛ وكما تهتمت الياء على الميم في هذا الكلام ، والفاء على الميم والنون ، وتهتمت الهاء على الميم أيضاً ؛ لكن الأصل معرفة وقّع الحروف بالتقريب وتجربة الكلمات ، ومقاربه ما دلّ عليه سياق الكلام .

ولنضرب مثلاً آخر : لتتضح أنواع الحلّ .

وہذا مثال آخر آوردہ ابن التریہم، وهو :

[illegible]

فتعتمد المكررات من الأشكال كما مرة وترقبها على هذه الصفة .

2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12
 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

نَظَرْنَا أَكْثَرَهَا وَقَعَا ۚ ثُمَّ لُجْرًا ثُمَّ مَلَّحًا ثُمَّ هَذِينَ ۝ هَالِ
ثُمَّ هَذِينَ ۝ هَذَا هُنَا ۞ ثُمَّ هُنَا ۞ هُنَا ۞ فَظَنُّ أَنْ
هَذَا الشَّكْلَ ۚ الْكَافُ، وَهَذَا فِي اللَّامِ : لَكُونِمَا أَكْثَرَ وَقَعَا

من الجميع فلم يوافق : لأنه قد تقرر أن اللام تكون تابعة للألف في أكثر المواضع ولم نجد تبعه البتة ، بل وجدنا العكس فعلمنا أن هذا في هو الألف وهذا هو اللام ، ورفقنا عليهما في مواضعهما فإذا الكلمة الثانية الثلاثية فيها لآمان ، بقى حرف آخرها مجهول ، بقرينها على الحروف فظهرت الهاء لا يمكن غيرها ، فعلمنا أنها « لله » ورفقنا على الهاء في مواضعها ، ثم وجدنا الكلمة الخماسية قد بقى رأسها مجهولا ، بقرينها فظهر الهاء ألبها ألها الهاء ، ووجدنا الحرف قد تكرر أكثر من كل الحروف بعد الألف واللام ، فظننا أنه الميم ، لكنه يحتمل أن يكون النون ، وسقط الباء والهم فوجدناه في الثنائيات في كلمتين قبل الألف ؛ فعلمنا أنها « ما » فرفقنا على الميم في مواضعها ، ثم رأينا الميم قد تبعه في الثنائيات حرف يحتمل أن يكون مد مر مس مص مط مع من ، ورأينا الحرف كثير الوقوع ، وقد تكررت ثلاث لفظات ؛ فعلمنا أنها « من » ورفقنا على النون في مواضعه ، ثم رأينا هذا الشكل أكثر من غيره وهو قبل الألف واللام وفي أوائل الكلمات فقلنا إنه الواو ، ثم رأينا آخر كلمة قد بقى منها رابعها مجهولا ، بقرينها فظهر والهم والهم والهم والهم والشهم والفهم والهم ؛ ثم وجدنا هذا الحرف الذي فيها قد جاء قبل حرف في الثنائيات وذلك أكثر ما وقع بعد الألف واللام والميم ؛ فيحتمل أن يكون الياء ، ووجدنا قد بقى من كلمة هذا الحرف فصَحَّ أن يكون التهيء وأخرى أولى ، فعلمنا أنها الياء ، بقرينها الحرف معها ؛ فظهر بي ني ، ووجدنا كلمة خماسية هذا الحرف رأسها وبعد حرف آخر ، بقرينها على الياء والفاء فظهر اللبث اللبد اللبس اللبط اللبك اللقت اللفج اللفق اللفظ اللفق ؛ ثم وجدنا هذا الحرف الآخر إلى أول كلمة بعده لآمان وهاء ؛ بقرينها فظهر منها الحرف الثالث مجهولا ، بقرينها ظهر

الْحَمْدُ الْحَمْدُ الْحَمْدُ الشَّامُ الْحَمْدُ الْحَمْدُ ؛ فَرَأَيْنَا سِيَاقَ الْكَلَامِ يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ «ظَلَّلَ
 الْحَمْدُ» وَتَعَيَّنَتْ تِلْكَ اللَّفْظَةُ وَالْأُخْرَى الْقَهْمُ وَالتَّنَائِيَةُ، فَرَفَعْنَا عَلَى الْفَاءِ ؛ ثُمَّ رَأَيْنَا
 الْكَلِمَةَ الثَّلَاثِيَّةَ ثَانِيًا لَامٌ وَآخِرُهَا يَاءٌ وَبَعْدَهَا «مَا أَهْمَا» فَدَلَّ سِيَاقُ الْكَلَامِ عَلَى
 أَنَّهَا «عَلَى» فَرَفَعْنَا عَلَى الْعَيْنِ، فَرَأَيْنَا الرَّابِعَةَ الَّتِي بَعْدَ «وَأَلَّهُ» قَدْ بَقِيَ ثَلَاثُهَا مَجْهُولًا ؛
 بِغَرَبِنَاهَا فَظَهَرَتْ مَعَيِّنٌ مَعَيِّنٌ قَعِينٌ مَعَيِّنٌ وَالتَّنَائِيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا ؛ وَقِيلَ «حَلَمَ كُلُّ»
 فَرَفَعْنَا عَلَى الدَّالِّ فِي مَوَاضِعِهِ وَرَأَيْنَا الْكَلِمَةَ الْأُولَى قَدْ بَقِيَ وَسْطُهَا مَجْهُولًا ؛ بِغَرَبِنَاهَا
 وَظَهَرَتْ التَّمْدُ التَّمْدُ الْحَمْدُ الصَّمَدُ، فَدَلَّ سِيَاقُ الْكَلَامِ أَنَّهَا الْحَمْدُ : لِأَنَّ بَعْدَهَا «قُلُّهُ عَلَى
 مَا أَلَمَّا» فَرَفَعْنَا عَلَى الْحَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا، وَرَأَيْنَا الثَّلَاثَ مِنَ الرَّابِعَةِ الَّتِي بَيْنَ عَلَى
 وَظَلَّلَهُ، بِغَرَبِنَاهَا فَظَهَرَتْ «الَّذِي» وَرَأَيْنَا الْكَلِمَةَ الْخَامِسَةَ الَّتِي بَعْدَ «تُحْمَدُ» قَدْ
 بَقِيَ رَابِعُهَا [مَجْهُولًا] ، بِغَرَبِنَاهَا فَظَهَرَتْ «النَّبِيَّ» فَرَفَعْنَا عَلَى الْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا وَرَأَيْنَا
 قَدْ بَقِيَ ثَلَاثُ السُّدَّاسِيَّةِ الَّتِي بَعْدَ «مَنْ» هَذَا الشَّكْلُ ۞ وَهُوَ ثَلَاثُ رُبَاعِيَّةٍ
 أَوَّلُهَا الْأَلْفُ وَثَانِيًا فَاءٌ وَآخِرُهَا حَاءٌ، وَثَانِي رُبَاعِيَّةٍ أَوَّلُهَا وَآوُ وَثَلَاثُهَا حَاءٌ وَرَابِعُهَا بَاءٌ
 وَخَامِسُهَا هَاءٌ ؛ فَتَعَيَّنَتْ الْعَبَادُ، فَالْأُولَى «الْبُصُوبُ» وَالْأُخْرَى «أَفْصَحُ» وَالْأُخْرَى
 «وَصَحْبُهُ» وَتَعَيَّنَتْ الثَّنَائِيَةُ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الثَّانِي بَعْدَ السُّطْرِ الْأَوَّلِيِّ «ثُمَّ»
 وَالَّتِي تَلِيهَا «صَلَاةٌ» وَتَعَيَّنَ السَّيْنُ فِي السَّلَامِ ؛ فَصَارَ، «تُحْمَدُ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ»
 وَكُلُّهُ تَمَزُّنُ الْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَمْرٌ بِكَثْرَةِ الْمُبَاشَرَةِ، ثُمَّ تَعَيَّنَ رَابِعُ السُّدَّاسِيَّةِ
 الَّتِي بَعْدَ أَفْصَحَ مِنْ أَنَّهُ الضَّادُ، وَتَعَيَّنَ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ أَنَّ بَعْدَ الضَّادِ «فِي الْأَفْظِ
 نَطَقَ» فَرَفَعْنَا عَلَى الْقَافِ فَرَأَيْنَا مَجَارِيهَا الثَّلَاثِيَّةَ مِنْ رَأْسِ الْمِصْرَاعِ «خَلَقَ» فَرَفَعْنَا
 عَلَى الْخَاءِ، وَتَعَيَّنَتْ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَبْلَ «مَنْ خَلَقَ» أَنَّهَا «خَيْرٌ» فَتَجَلَّتِ الْآيَاتُ
 وَظَهَرَ أَنَّهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلَمَّا * مِنَ الصَّوَابِ وَعَلَى مَا عَلَّمَا
ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ * عَلَى الَّذِي ظَلَّلَهُ النَّجْمُ
عَمْدِ النَّبِيِّ خَيْرٍ مَنْ خَلَقَ * أَفْصَحَ مِنَ الضَّادِ فِي الَّلَفْظِ نَطَقُ
وَالِهِ مَعْنِي كُلِّ عِلْمٍ * وَصَحِّهِ أُولَى النَّهْيِ وَالْفَهْمِ

قلت : وما يلحق بتعمية الخط المتقدمة الذكر ما حكاه ابن شيت في معالم
الكتابة : أنَّ بعض الملوك أمر كاتبه أن يكتب عنه كتاباً إلى بعض أئباعه يطمنه
فيه ليقيض عليه عند انتهاء قرضية له في ذلك ؛ وكان بين الكاتب والمكتوب إليه
صداقة فكتب الكاتب على ما أمر به من غير خروج عن شيء من رسمه ؛ إلا أنه
حين كتب في آخره « إن شاء الله تعالى » جعل على التون صورة شنة ، فلما قرأه
المكتوب إليه ، عرف أنَّ ذلك لم يكن سدى من الكاتب فأخذ في التأويل والحدس
فوقع في ذهنه أنه يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ .
فأخذ يحذره ، وأحترز على نفسه ، وبلغ الملك أحترازه على نفسه فاتهم الكاتب في أنه
ألحق في الكتاب شيئاً نبه به على قصد الملك ، فأحضره وسأله عن ذلك ، وأمره
بأن يكتب الكاتب على صورة ما كتب به من غير خروج عن شيء منه ،
فكتبه ولم يغير شيئاً من رسمه حتى إنه أثبت صورة الشنة على التون ؛ فلما قرأه
الملك ونظر إلى صورة الشنة أنكرها عليه ، وقال : ما الذي أردت بذلك ؟ قال :
أردت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ . فأعجب بذلك وعفا عنه
لصنقه إياه .

النوع الثاني

(الرُمُوزُ والإِشاراتُ التي لا تملُقُ لها بالخطِّ والكتابة)

وهي التي يعبر عنها أهلُ المعاني والبيان بالإستعارة بالكناية «بالنون بعد الكاف»
وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة .

ومن غريب ما وقع في ذلك ما حكاه السَّكْرِيُّ في «الصناعتين»: أن رجلاً من
بنِي العَبْرَ أُسِرَ في نَبِي حَنْظَلَةَ، وَفَهِمَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقْضِدُونَ الْغَارَةَ عَلَى قَوْمِهِ بَنِي الْعَبْرِ،
فَقَالَ لِبَنِي حَنْظَلَةَ: إِنَّ لِي حَاجَةً عِنْدَ أَهْلِ وَأُرِيدُ رَسُولًا مِنْ قَوْمِكُمْ أُرْسِلَ فِيهَا،
فَاجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَخَاطَبَهُ فِي حَاجَتِهِ بِمُحْضُورِهِمْ، فَاحْضَرُوا لَهُ رَجُلًا
فِي اللَّيْلِ وَقَدْ أَوْقَدَتِ الْعَرَبُ نِيرَانَهَا، فَأَقْبَلَ عَلَى الَّذِي آتَوْهُ بِهِ وَقَالَ لَهُ: أَتَمَقِّلُ؟
قَالَ: إِنِّي لِعَاقِلٌ. قَالَ: أَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَنَجُومِهَا، فَنَظَرَ؛ ثُمَّ قَالَ: أَنْظُرْ إِلَى
نِيرَانِ الْعَرَبِ، فَنَظَرَ؛ فَقَالَ لَهُ: مَا أَكْثَرُ؟ نَجُومُ السَّمَاءِ أَوْ نِيرَانِ الْعَرَبِ؟ قَالَ:
إِنَّ كَلًّا مِنْهَا لَكَثِيرٌ؛ قَالَ: إِنَّكَ إِذَا لِعَاقِلٌ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ حَنْظَلَةَ وَصُرَّةً فِيهَا رَمْلٌ
وَصُرَّةً فِيهَا مَسُوكٌ، وَقَالَ أَذْهَبْ إِلَى قَوْمِي فَادْفَعْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الْحَنْظَلَةَ وَهَاتَيْنِ
الصُّرَّتَيْنِ، وَقُلْ لَهُمْ يُعْرَوُ نَاقَتِي الْحُمْرَاءُ، وَيُرْجَلُوا بِجَمْلِ الْأَوْزَقِ، وَسَلُّوا أَيْحَى الْأَعُورِ
يُخَيِّرُكُمْ الْخَبَرُ. قَالَ الْحَاضِرُونَ: لَيْسَ فِي هَذَا مَا يُنْكِرُ، أَذْهَبْ فِي حَاجَتِهِ؛ فَذَهَبَ
إِلَى بَنِي الْعَبْرِ وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ وَرَجِعَ، فَبَعَثَ الْقَوْمُ إِلَى أَخِيهِ
الْأَعُورِ فُخْصَرَ، فَخَبَرَهُ الْخَبَرُ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ: أَتَاكُمْ بُنُو حَنْظَلَةَ فِي مَدَدِ الشُّوْكَ
وَالرَّمْلِ، وَإِنَّ نِيرَانَ الْعَرَبِ تُسَادُّ نَجُومَ السَّمَاءِ، وَدَامَرُكُمْ أَنْ تَرْحَلُوا عَنِ الدُّعَاءِ وَانْزِلُوا
مَكَانَ كَذَا؛ فَعَمَلُوا وَرَحَلُوا لَوْقَتِهِمْ فَصَبَّحَهُمْ بُنُو حَنْظَلَةَ فَلَمْ يَذْكُرُوا مِنْهُمْ أَحَدًا.

وفي معنى ذلك ما حكاه المَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلٍ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ "التَّعْرِيفُ" :
فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكْتَابَةِ إِلَى الْأَدْفُونِشِ مَلِكِ الْفَرَجِ بَطْلَيْطَلَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ؛ كَانَ
خَبِيثَ النَّيَّةِ ، سَيِّئَ الْمَقَاصِدِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّهُ أَرْسَلَ مَرَّةً إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ
مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ : صَاحِبِ الذِّيَارِ الْمُضَرِّيَةِ هَدِيَّةً فِيهَا سَيْفٌ وَثَوْبٌ بَنْدُوقٌ وَطَارِقَةٌ
مُسْتَطِيلَةٌ تُشَبِّهُ النَّعْشَ كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَقْتُلْكَ بِهَذَا السَّيْفِ ، وَأَكْفَنْكَ فِي هَذَا الثَّوْبِ ،
وَأَحْمِلْكَ عَلَى هَذَا النَّعْشِ . قَالَ : وَكَانَ الْجَوَابُ أَنَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ حَبْلًا أَسْوَدَ وَحَجَرًا ،
أَيُّ إِنَّهُ كَلَبٌ يُرْمَى بِهَذَا الْحَجَرِ أَوْ يُرْبَطُ فِي هَذَا الْحَبْلِ .

قلت : ومما وقع من ذلك في زماننا أَنَّهُ فِي الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقٌ» وَتَمَرْلُوكُ
يَوْمَئِذٍ بِلَادِ الْعِرَاقِ يُغَاوِرُ الْمَمَالِكَ الشَّامِيَّةَ لِقَصْدِ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا وَرَدَّ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ
الْمَمْلُوكَةِ الْحَلِيبِيَّةِ فِيهِ : أَنَّهُ وَقَعَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ سَيْلٌ عَظِيمٌ سَاقَ جَمَلَةً مِنَ الْأُسْدِ وَالنَّمُورَةِ
وَالْحَيَّاتِ ، وَأَنَّهُ دَفَعَ حَيَّةً عَظِيمَةً سَعَةً رَأْسُهَا بِقَدْرِ قَوْسٍ ، وَقَرَأَ الْكُتَّابُ بِحَضْرَةِ
السُّلْطَانِ ، وَحَمَلُوا ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ : مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ حَقِيقَةَ السَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لِقُوَّتِهِ سَاقَ
تِلْكَ الْحَيَّةِ وَالسَّبَاعِ وَغَيْرَهَا ، وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ الْكَافَّةِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَسَائِرِ
الرَّجِيَّةِ ، وَمَضَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ ظَهَرَ أَيْبَتُ الْمَقْصُودِ بِذَلِكَ السَّيْلِ وَمَا فِيهِ
هُوَ تَمَرْلُوكُ وَعَسَاكِرُهُ ؛ وَأَنَّهُ كُنِيَ بِالْحَيَّةِ الْعَظِيمَةِ عَنْهُ نَفْسِهِ ، وَبِالسَّبَاعِ وَالْحَيَّاتِ
عَنْ عَسَاكِرِهِ .

وَمِنْ لَطِيفِ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «فَرَجِ بْنِ بَرْقُوقٍ»
فِي أَوَّلِ دَوْلَتِهِ كِتَابٌ عَنْ صَاحِبِ تُونِسَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ فِي آخِرِهِ خُطَابًا لِلْسُّلْطَانِ
(وَعَلَى إِحْسَانِكُمُ الْعَمَلُ ، وَبِذِي الطُّغْرَانِيِّ فِي لَامِيَّةِ الْحَجَمِ لَا يُتَأَوَّلُ) فَسَأَلَنِي بَعْضُ
أَعْيَانِ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ عَنِ الْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْكُتَّابُ مُتَضَمِّنًا لَغَيْرِ الْوَصِيَّةِ

على مُجَاجِ المَـسَارِبَةِ ، وكان رَكَبُ المِغَارِبَةِ قَبْلَ تِلْكَ المِجْمَةِ قد عَرَضَ لَمْ عَارِضٌ
من عَرَبٍ دَرَبَ المِجَازِ أَجْنَحُوهُمْ فِيهِ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَنَهَبُوا مِنْهُمْ أَمْوَالًا
بَهْمَةً ، فَعَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَى آيَاتِ اللّامِيَةِ ، فَلَاحَ لِي أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا :

فَقُلْتُ أَرْجُوكَ الْجَلِيلُ لَتُنَصِّرَنِي * وَأَنْتَ تَحْدِثُ لِي فِي الْحَادِثِ الْجَلِيلِ

والجَلِيلُ بضم الجيم هـى الأَمْرُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ ، وَالْجَلَلُ بفتح الجيم فى اللّغة من أسماء
الأَضْدَادِ ، يَقَعُ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلُ وَعَلَى الشَّيْءِ الْحَقِيرِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : أَنَا كُنْتُ
أَرْجُوكَ لِلْأُمُورِ الْعِظَامِ لَتُنَصِّرَنِي فِيهَا تَخَذَتْنِي فِي هَذَا الأَمْرِ الْخَفِيسِ ، وَهُوَ الْأَخْذُ
بِثَأْرِ مُجَاجٍ يَلَادَى مَنْ أَعْتَدَى عَلَيْهِمْ مِنْ عَرَبٍ يَلَادِكَ : نَغَابَ ظَنِّي فِيمَا كُنْتُ
أَرْجُوهُ فِيكَ ، وَأَوْثَمَلَهُ مِنْكَ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ لَا يَتَأَوَّلُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجْعَلُ الْجَلْلُ فى قَوْلِ
الطُّغْرَانِيِّ عَلَى الشَّيْءِ الْجَلِيلِ كَمَا قَالَ الصَّلَاحُ الصَّفْدِيُّ فى شَرْحِ اللّامِيَةِ ، بَلْ عَلَى
الأَمْرِ الْخَفِيسِ : لِأَنَّهُ هُوَ اللَّائِقُ بِالْمَقَامِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ تَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةِ ذِكَاةٍ وَاحْتِدَامِ قَرِيحَةٍ مِنَ الَّذِي يَقَعُ
مِنْهُ الرَّمْزُ ، وَإِلَى قُوَّةِ حَدَسٍ مِنَ الَّذِي يَحَاوِلُ إِدْرَاكَ الْمَقْصَدِ مِنْ تِلْكَ [الْمَعَانِي]
كَمَا يَقَعُ فى الْأَنْغَازِ وَالْأَحَاجِي لِلْفَزِّ ، وَالتَّنَصُّدِ لِحُلِّ الْأَنْغَازِ وَالْجَوَابِ عَنْهُ ، وَاللهُ تَعَالَى
هُوَ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ .

المقالة الخامسة

في الولايات ، وفيها [أربعة] ^(١) أبواب

الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في بيان طبقات الولايات ، وهي على ثلاث طبقات

الطبقة الأولى — الخلافة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : إما عهد من الخليفة الأول ، وإما بيعه من أهل الحل والعقد إن لم يوجد عهد من الخليفة قبله على ماسيأى بيأته إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية — السطنة ؛ وليا يكتب في ولايتها طريقان : أحدهما العهد من الخليفة ، والثاني العهد من السلطان قبله . قال في " التعريف " : أما من قام من الملوك بغير عهد ، فلم تخرج العادة أن يكتب له مبايعة .

الطبقة الثالثة — الولايات عن الخلفاء والملوك وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية في أقطار المملكة بمصر والشام والحجاز : مما يكتب من ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية .

وهي على خمسة أنواع :

(١) يياض في الأصل والتصحيح مما تقدم في ج ١ ص ٢٤ من هذا المؤلف .

النسوع الأول

(ولايات أرباب السيف ؛ وهم على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول — الثواب من الأمراء وغيرهم من أرباب الوظائف ، وغالب من يكتب له منهم بالبلاد الشامية ومضافاتها ؛ كتواب السلطنة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرك ، ومقدمى السكرية وسيس ، وتواب القلاع بالمدن العظام ذوات القلاع الرفيعة القدر : ككتائب قلعة دمشق ، والنايب بقلعة حلب ، والنايب بقلعة صفد . أما طرابلس وحمّة ، فليس بهما قلعة ؛ وكذلك الثيابات الصغار المضافة إلى القواعد الكبار : كالقدس الشريف وخص ومضيف من مضافات دمشق ، وقلعة المسلمين والرجبة والنبيرة والرها وشيزر وعيتاب وبهسن وملطية وآياس والأبلستين وأذنة وطروس من مضافات حلب ، والألاذقية وحصن عكار من مضافات طرابلس وما يجرى مجرى ذلك ، على ما سيأتى بيانه مفصلا في مواضعه ؛ إن شاء الله تعالى .

أما مادونها من الثيابات فإن تواب السلطنة بالملكة يستعملون بالتولية فيها .

قلت : والضابط في ذلك أن كل نيابة كان نائبها مقدمة ألف فوليتها عن السلطان بمرسوم شريف من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ وكل ولاية كان نائبها جنديا أو مقدّم حلقة فوليتها عن نائب السلطنة بالملكة التي هي مضافة إليها بتوقيع كريم من ديوان الإنشاء بها ؛ وكل نيابة كان نائبها أمير طبخناه أو عشرة ربما وثى فيها السلطان وربما وثى فيها نائب السلطنة ، إلا أن تولية السلطان لتواب الطبخناه أغلب ، وتولية تواب السلطنة لتواب العشرة أغلب .

أما الديار المصرية فإنه كان يُكْتَب فيها أولاً لولاية الوجهين : القبلى والبحرى
بحراً على ما كان الأمر عليه فى زمن الخلفاء الفاطميين ، وكذلك والى الإسكندرية
قبل أن تستقر نيابة ، ووالياً الولاية بالوجهين قبل أن يستقر نيابتيْن ، فى جماعة
أخرى من أرباب الوظائف : كالنائب الكافل وأتابك الجيوش كاستاذار وأمير أخور
ومقدم الممالك والي مصر والقاهرة ؛ ثم صارت الكتابة لدنوى الوظائف من أرباب
السيوف قاصرة على النائب الكافل إذا كان موجوداً والثواب المستعدين
بالإسكندرية والوجهين : القبلى والبحرى ؛ ويطل ما عدا ذلك مما كان يُكْتَب ،
وكان المعنى فيه القرب من مقررة السلطان ، والكتابة إنما تقع فى الغالب مع البعد :
لتكون حجة لتولى على بعد المدى ، ولا ينتقص ذلك بما يُكْتَب للخلفاء والملوك
فى الحضرة ، فإن ذلك من الأمور العامة التى يُخاف انتقاضها أو محوؤها ، إذ مثل
ذلك لا يجوز فى الولايات عن السلطان : لأنه متى شاء عزّل من ولّاه .

الصف الثاني — ولاية أمراء العربان ، وهؤلاء لاحظ لهم فى الكتابة بالولاية
بالديار المصرية الآن ؛ وربما يُكْتَب لأمرائهم بالملكة الشامية : كأمر آل فضل ،
وأمر آي مرا ، وأمر آل عليّ ، ومقدم جزم ، وكذلك أمير مكة المشرفة ،
وأمر المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ،
والنائب بالنتج من البلاد المجازية . والمعنى فى اختصاص من بعد منهم ما هتم
فى الكلام على أرباب السيوف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم
الإهتمام بأمرهم .

الصف الثالث — ولاية المتقدمين على الطوائف : كقدي الترمجان ، والاشمرد ،
والجيلية بالبلاد الشامية ، وأتابك طائفة الإسماعيلية بقلع الدعوة ، وحاكم البندق

ونحوهم؛ وهذه الطوائف ممن يكتب له إلى الآن؛ أما حاكم البندق، فإنه لم يُعهد له كتابة من ديوان الإنشاء بمصر والشام . على أن المقر الشهابي بن فضل الله قد ذكر وصيته في " التعريف " وولاه ممن كان يكتب [له] في زمانه أو قبله ثم ترك، وإنما يكون ذلك بحسب اعتناء السلطان بشأن البندق وعدمه كما في لباس الفتوة، وأنه ربما أعفى به بعض الملوك فكتب له ثم ترك .

النوع الثاني

(ولاية أرباب الأقلام ، وهم صفات)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على ثمانية أضرب)

الضرب الأول — أكار القضاة بأقطار المملكة : كقضاة القضاة بالحضرة السلطانية بالديار المصرية وقطر الإسكندرية ، وكذلك قضاة القضاة بدمشق وحلب وطرابلس وحمّة وصفد والكرّك ، وقضاة العسكر بالديار المصرية ؛ أما القضاة بالنيابات الصغار المضافات إلى دمشق وحلب ونحوهما فولايتهن إلى قضاة القضاة بها ، وقضاة العسكر بدمشق وحلب وما في مناهما إلى الثواب بتلك الممالك .

الضرب الثاني — المفتون بدار العدل بالديار المصرية ؛ أما المفتون بدار العدل بالممالك الشامية فولايتهن إلى نائبيها .

الضرب الثالث — أكابر المحسنين : كحمسي مصر والقاهرة ؛ أما الممالك الشامية فلا يؤلى فيها إلا ثوابها .

الضرب الرابع — أكابر المدرسين في طائفة العلوم بأماكن مخصوصة : كالزاوية النخشيبة بالجامع العتيق بمصر ، والمدرسة الصلاحية بقرية الإمام الشافعي بالقرافة ، ونحو ذلك بأقطار المملكة من مدرسي الفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم الدينية .

الضرب الخامس — أكابر الخطباء بجوامع مخصوصة بأقطار المملكة : بجامع الناصري بقلعة الجبل ، والجامع الأموي بالشام ونحوهما .

الضرب السادس — وكلاء بيت المال بالديار المصرية وغيرها .

الضرب السابع — المتحدثون على الوظائف المعتمدة : كتقابة الأشراف ، ومشيخة الشيوخ ، فما كان بالديار المصرية فولايته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى ثواب السلطنة بها .

الضرب الثامن — المتحدثون على جهات البر العامة المصلحة : كنظر الأحياس وأنظار البيارستانات ونحوها : فما كان منها بالديار المصرية : كنظر الأحياس والبيارستان المتصوري وما أشبه ذلك فتوليته إلى ثوابها ^(١) ، مالم يكن لها ناظر خاص فيكون ذلك مختصاً به .

(١) لعله فتوليته من السلطان ، وتوقيعه من ديوان الإنشاء ، وما كان منها بالممالك الشامية فتوليته الخ كالأخفى تأمل .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدِّيوانية)

وَدَوَائِيُّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ :

الضرب الأول - دَوَائِيُّ الْمَالِ ، وَأَرْبَابُ الْخِدْمِ بِهَا مِنْ مُكْتَبٍ وَلا يَأْتُهُمْ مِنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ : إِمَّا نَظِيرٌ ، أَوْ وَزِيرٌ ، أَوْ صَاحِبُ دِيَوَانٍ ، أَوْ شَهَادَةٌ ، أَوْ اسْتِيفَاءٌ ، فَأَمَّا الْوِزَارَةُ فَلَا يُصْرَحُ بِهَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَبِمَا صُرِّحَ بِهِ لِلْوَزِيرِ دَمَشْقَ إِذَا وَلِيَهَا مِنْ أَرْفَعَتْ مَرْتَبَتُهُ ، وَإِلَّا عُبِّرَ عَنْهُ بِنَظِيرِ الْمَمْلُوكَةِ .

وَأَمَّا النَّظِيرُ ، فَكَنْظَرُ الدَّوَائِينَ الْمَعْبُورَةِ بِنَظَرِ الدَّوْلَةِ ، وَنَظَرُ الْخِصَاصِ ، وَنَظَرُ الْخِزَانَةِ الشُّجْرِيِّ ، وَنَظَرُ الْيُتُومِ « الْحَاشِيَّةِ » وَنَظَرُ بَيْتِ الْمُنَالِ ، وَنَظَرُ الْإِصْطِبَلَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَنَظَرُ دَارِ الضِّيَافَةِ وَالْأَسْوَاقِ ، وَنَظَرُ خَزَائِنِ السَّلَاحِ ، وَنَظَرُ الْبَهَارِ وَالكَارِمِي ، وَنَظَرُ الْأَهْرَاءِ ، وَنَظَرُ الْمَوَارِيثِ الْحَشَرِيَّةِ ، وَنَظَرُ قَرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الْأَنْظَارِ بِالْأَيَّامِ الْمِصْرِيَّةِ . وَكَذَلِكَ نَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِدَمَشْقَ إِذَا لَمْ يُصْرَحْ لِمَوْلَاهُ بِالْوِزَارَةِ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِحَلَبَ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِطَرَابُلُسَ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِحَمَّاءَ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِصَفَدَ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِسِهَسَ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِغَزَّةَ ، وَنَظَرُ الْمَمْلُوكَةِ بِالْكُرْكِ .

وَأَمَّا حَمَائِدُ الدِّيَوَانِ ، فَكَصَحَابَةِ دِيَوَانِ الْجَيْشِ وَحَمَائِدُ دِيَوَانِ الْخِصَاصِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا الشَّهَادَةُ ، فَكَشَهَادَةِ الْخِزَانَةِ الشُّجْرِيِّ ، وَشَهَادَةِ خِزَانَةِ الْخِصَاصِ وَنَحْوِهَا .

وأما الإِسْتِيفاءُ ، فكاستِيفاءُ الصُّحبةِ ، وأستِيفاءُ الدَّولةِ ، وأستِيفاءُ الخاصِّ ، ونحو ذلك . ولا حظَّ لغير النظار من دواوين الأموال بالممالك الشامية : من صاحب ديوان ولا شاهد ولا مستوفٍ ، في الكتابة بالولاية من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ؛ بل ولايتها من ثواب الممالك الشامية بتوقيع من دواوين الإنشاء بها .

الضرب الثاني — دواوين الجيوش بالديار المصرية وغيرها من الممالك الشامية . وأربابُ الخِلمِ بها لا يخرجون عن ناظرٍ ، وصاحبِ ديوانٍ ، وشاهدٍ ، ومستوفٍ .

والذين يؤلّون عن السلطان منهم [و] تُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوان الإنشاء الشريف ناظرُ الجيش بالأبواب السلطانية ، وناظرُ الجيش بِدِمَشْقَ ، وناظرُ الجيش بِحلبَ ، وناظرُ الجيش بِطرابلسَ ، وناظرُ الجيش بِمِصْرَ ، وناظرُ الجيش بِصَفَدَ ، وناظرُ الجيش بِغَزّةَ ، وناظرُ الجيش بِسِيسَ ، وناظرُ الجيش بِالكَرْكِ ، وصاحبُ ديوان الجيش بالأبواب السلطانية ، والشهودُ والمستوفون بها ؛ أمّا مَنْ عدا هؤلاء : من نظار الجيش وأصحابِ الدواوين والشهود بالممالك الشامية ، فولايتهم إلى ثواب السلطنة بها .

الضرب الثالث — دواوينُ الإنشاء ؛ وأربابُ الخِلمِ بها لا يخرجون عن كاتبٍ سرٍّ ، وكاتبِ دَمِيٍّ ، وكاتبِ دَرَجٍ .

والذين يؤلّون عن السلطان من كُتّاب هذه الدواوين وتُكْتَبُ تَوَاقِعُهُمْ من ديوان الإنشاء السلطانيّ صاحبُ ديوانِ الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وصاحبُ ديوانِ الإنشاء بِدِمَشْقَ ، وصاحبُ ديوانِ المكتبات بِحلبَ ، وصاحبُ ديوانِ المكتبات

بطرابلس ، وصاحب ديوان المكتبات بحمّة ، وصاحب ديوان المكتبات بصفد ، وكتب الدرج بسيس ، وكتب الدرج بنزة ، وكتب الدرج بالكرك ، وكتب الدرج بالإسكندرية ، وكتب الدست وكتب الدرج بالأبواب السلطانية ؛ أما وكتب الدست وكتب الدرج بالممالك الشامية فإلى ثوابها بتوقيع من دواوين الإنشاء بها .

النوع الثالث

(ولايات أربع باب الوظائف الصناعية)

كالأطباء ، والكهّالين ، والجراحين ، ومن جرى مجراهم من سائر أربع باب الوظائف التي هي من حمة نظام الملك ؛ فما كان منها بالأبواب السلطانية فولايته عن السلطان بتوقيع من ديوان الإنشاء السلطاني ؛ وما كان منها بالممالك الشامية فولايته إلى ثواب السلطنة بها .

النوع الرابع

(ولايات زعماء أهل النمة . وهي ضربان)

الضرب الأول — ولاية بطاركة النصاري من اليعاقبة والممكانية^(١) .

الضرب الثاني — ولاية رئيس اليهود الحاكم على طوائفهم .

(١) لم ينص على من توليتها .

النوع الخامس

(ما لا يختص بطائفة ولا يندرج تحت نوع)

كصغار الأمور التي يكتب فيها لكل فرد فرد : إما ابتداءً ، وإما بالحل
على ما بيده من ولاية سابقة : من نائب أو قاض أو ناظر وقف أو غير ذلك ؛
بما لا ينحصر كثرة .

قلت : وربما ولي السلطان في بعض الوظائف بالملك الشامية مما تختص
توليته بتوابع السلطنة إذا كانت الوظيفة وضيفة المنزلة وأدركت المولى عنايته ،
وربما ولي بعض توابع السلطنة ما تختص توليته بالسلطان إذا عظمت رتبة النائب
وأرفع منزله ؛ خصوصاً إذا كان نظام المملكة محلولا وأمرها مضطربا .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(فى بيان ما تجب على الكاتب مراعاته فى كتابة الولايات على سبيل الإجمال)

قال الشيخ شهاب الدين محمود الخليلي رحمه الله فى "حسن التوسل": يجب على الكاتب أن يراعى فى ذلك أموراً .

منها — براعة الاستهلال بذكر الرتبة، أو الحال، أو قدر النعمة، أو لقب صاحب الولاية، أو أسمه، بحيث لا يكون المطلع أجنبياً من هذه الأحوال، ولا بعيداً منها، ولا مبايناً لها، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد من أول الخطبة إلى آخرها .

ومنها — أن يراعى المناسبة وما تقتضيه الحال : فلا يُعطى أحداً فوق حقه، ولا يصفه بأكثر مما يُراد من مثله؛ ويراعى أيضاً مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنّة بها على مقدار ذلك .

ومنها — أن لا يصف المتولى بما ^(١) [يكون] فيه تعريض بلم المعزول [وتنقيص له] ^(١)؛ فإن ذلك مما يوغر الصدور، ويورث الضغائن فى القلوب، ويدل على ضعف الآراء فى اختيار الأول، مع إمكان وصف الثانى بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالأول .

ومنها — أن يتخير الكلام والمعاني فإنه مما يشيع ويذيع، ولا يُعثر المقصر فى ذلك بعبارة ولا ضيق وقت، فإن جمال الكلام متسع، والبلاغة تظهر فى القليل والكثير .

(١) الزيادة من "حسن التوسل" ص ١١٠ .

قلت : ومنها أن يَحْرُسَ الكاتبُ على أن تكون نهاية السجعة الأولى في السطر الأول أو الثاني ولا يُؤَخَّرُها عن ذلك . ومما كان يراعى في ذلك أن تكون الخطبة من أولها إلى آخرها على رَوى واحد في السَّجْع ، وكذلك الدعاء في أول صِغار التواقيع والمراسيم المبتدأة بلفظ « رُسِم » بخلاف ما بعد ذلك إلى آخر ما يكتب ، فإنه يتفق فيه روى السجعتين والثلاث فما حوَّلنا ، ثم يخالف رويها إلى غيره ؛ ولا يكلف الكاتب الإتيانَ بجميعها على روى واحد ؛ وعلى ذلك كانت طريقة تحول الكتاب بالدولة التركية ، كالقاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، والمقرّر الشهابي بن فضل الله ، ومن عاصروهم إلا في القليل النادر ؛ فإنه رُبَّمَا وقع لبعضهم مخالفة روى الخطبة ؛ وإلى هذا قد جَنَحَ غالب كُتَّاب ديوان الإنشاء في زماننا ومألوا إليه : لما في التبرام الرَوى الواحد في جميع الخطبة من التكلف وعسر التلقيق على من يتعاناها .

ثم الكلامُ فيما يكتب في الولاية قد يكون جميعه بلفظ الغيبة ؛ مثل أن يقال : عهد إليه بكذا ، أو قلده كذا ، أو فوض إليه كذا ، أو أن يستقر في كذا ، ونحو ذلك ، ثم يقال : وأمره بكذا ، أو ونحن نوصيه بكذا ، أو فعله بكذا ، وما أشبه ذلك ؛ وقد يكون جميعه بلفظ الخطاب ، مثل أن يقال : وقد عهد إليك بكذا ، أو قلده كذا ، أو فوض إليك كذا ثم يقال : ونحن نوصيك بكذا ، أو فعلك بكذا ، ونحوه ؛ وقد يصدر بلفظ الغيبة ثم يلتفت منها إلى الخطاب ؛ وقد يصدر بلفظ الخطاب ثم يلتفت منه إلى الغيبة بحسب ما يؤثره الكاتب وتؤدى إليه بلاغته مما ستقف على تنوعه في خلال كلامهم في أصناف الولايات الآتية في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الخامسة

(في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات، وذلك من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(الألقاب، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء)

وسبيلها الاختصار دون البسط، اكتفاء بما هو ظاهر من أبهة الخلافة، وعلو مقام الإمامة، إذ هي الزعامة العظمى، والرتبة التي هي أعلى الرتب وأسمى .
وهي صفات :

الصف الأول — ألقاب الخلفاء أنفسهم، وولاية ماينت به الإمام وأمير المؤمنين .
الصف الثاني — ألقاب أولياء العهد بالخلافة، وألقابهم نحو السيد الخليل وذخيرة الدين، ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه في عهود الخلفاء عن الخلفاء .

النوع الثاني

(ألقاب الملوك، وهي صفات أيضا)

الصف الأول — ألقاب السلطان نفسه، والكتاب تارة يتدونها بالسلطان، وتارة يتدونها بالمقام، ولكل منهما نعت تخصه، وسيأتي الكلام على ذلك مستوفى في الكلام على عهود الملوك عن الخلفاء، إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني — ألقابُ أولياء العهد بالملك ، والملوك المنقردين بولاية صغار
البلدان عن السلطان الأعظم ، وهي لأنتسح إلا بالمقام ليس إلا ؛ ولها نعوتٌ تخصها
يأتى الكلامُ عليها في الكلام على عهودهم أيضا .

النوع الثالث

(ألقابُ ذوي الولاياتِ الصادات عن السلطان : من أرباب
الوظائف الواقعة في هذه المملكة)

وقد تقدّم في الكلام على الألقاب في مقدمة الكتاب أن أصول الألقاب
المستعملة في ذلك خمسة ألقاب على الترتيب : وهي المقرّ، ثم الجنّاب، ثم المجلس،
ثم مجلس مضافا : كمجلس الأمير، ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس
الصّدر، ثم الاختصارُ على المضاف إليه وحذف المضاف : كالأمير والقاضي والشيخ
والصّدر؛ ويتحق بذلك لأهل النّمة الحاضرة، وحاضرة الشيخ، والشيخ مجزّئا
عن حاضرة، وتقدّم في الفصل الأول من هذا الباب أن أرباب الولايات خمسة
أنواع : أربابُ السيوف، وأربابُ الأقلام، وأربابُ الوظائف الصّناعية، وزعماء
أهل النّمة، ومن لا يخص بطائفة لصغرهم . وجميع هذه الأنواع على اختلاف
أصنافهم لا يخرجون عن الألقاب المتقدمة ؛ وقد تقدّم الكلام على هذه الألقاب
وتعوتها لمن يُكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية من أرباب الوظائف معتوق
في المكاتبات ، إلا أنه قد يؤتى عن السلطان من لم يؤهل للكتابة عنه ، كما كثّر
أرباب الوظائف من حملة الأقلام وغيرهم ، فاحتجج إلى تعريف مراتب الألقاب
لكل نوع من أرباب الولايات .

فأما أربابُ السُّيوف، فاعلى ألقابهم المَقَرُّ، وأدناها مجلسُ الأمير، ثم الأمير مجوداً عن مجلس .

وأما أرباب الوظائف الصَّنَاعِيَّة، فاعلى ألقابهم المجلس وأدناها مجلسُ الصِّدْر، ثم الصِّدْرُ مجوداً عن مجلس .

وأما من لا يختص بطائفة لصفه، فيقتصر فيه على لقب التعريف وهو فلانُ الدين إن عظم وإلا اقتصر على اسمه خاصة .

وأما زعماء أهل الدِّمَّة، فاعلى ألقابهم الحضرة، ثم حضرة الشيخ، ثم الشيخ مجوداً عن حضرة .

وأعلم أن كلَّ مَنْ كانت له مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية من أرباب السُّيوف والأعلام وغيرهم، فلقبٌ ولا يسه وتُعوته كما في مكتبته، غير أنه يُزادُ في آخر التُعوت المركبة ذكر اسمه العلم، ونُسبته إلى السلطان: كالتائصري، والظاهرى، ونحوهما إن كان ممن ينسب إليه بناية ونحوها؛ ثم إن كانت مكتبته تُفتتح بالدعاء قبل ذلك الدعاء من أول المكتبة إلى ما بعد اسمه والنسبة إلى السلطان في الولاية، كما إذا كانت مكتبته: أعزَّ الله تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم، فإنه يُدعى له عقيب اسمه والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بأعزَّ الله تعالى أنصاره، وكذلك في البواقي .

وإن كانت مكتبته تُفتتح بغير الدعاء: كصدرت هذه المكتبة ونحو ذلك، فإنه يدعى له في الولاية عقيب الاسم والنسبة إلى السلطان - إن كانت - بما يدعى له في مكتبته في آخر الألقاب، كما إذا كان من أرباب السُّيوف ومكتبته صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى أو المجلس السامى بآياء فإنه يُدعى له بمثل: أدام الله سعادته، وأدام الله رفعتَه، ونحو ذلك؛ وإن لم تكن له مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية

كُتِبَ له في الولاية ما يناسبه من اللقب والنعت، ثم يذكر اسمه والدعاء له إن كان مستحقاً للدعاء؛ وسيأتي لقب كل ذي ولاية من الأنواع الخمسة المتقدمة الذكر ونعوته عند ذكر ولايته فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

ثم للألقاب في الولايات محلان :

أحدهما — الطرة . ويُقتصر فيها على اللقب : من المقر أو الجنب أو المجلس أو مجلس مضافا وما بعده من النعت إلى اللقب المميز للوظيفة كالأمير والقضائي ونحوهما ، ثم يذكر لقبه الخاص به وهو الفلاني أو فلان الدين ، ثم يذكر اسمه وانتسابه إلى السلطان إن كان، على ما سيأتي بيانه مفصلاً، إن شاء الله تعالى .

الثاني — في أثناء الولاية . وهناك تستوفى النعت ويؤتى بما في الطرة في ضمنه إلا أنه يُحذف لقب التعريف — وهو الفلاني أو فلان الدين — بين النعت المفردة والمرتبة فاصلاً بينهما .

الوجه الثاني

(ألفاظ إسناد الولاية إلى صاحب الوظيفة؛ ولها ست مراتب)

الأولى — لفظ العهد، مثل أن يقال : أن يُعهد إليه، وهي خاصة بالخلفاء والملوك .

الثانية — لفظ التقليد، مثل أن يقال : أن يُقلد كذا، ويكون مع المقر الكريم والجناب الكريم .

الثالثة — لفظ التفويض، مثل أن يقال : أن يفوض إليه كذا، ويختص بالجناب لأرباب السيوف، وكذلك الجناب والمجلس العالي لأرباب الأقلام .

قلت : وَكَلَّبُ زَمَانَنَا يَسْتَعْمِلُونَهَا ^(١) مَعَ الْمَقَرِّ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ لَفْظَ يُقَلَّدُ فِي التَّقَالِيدِ لِتَوْفُهِهِمُ الْإِكْتِفَاءَ بِلَفْظِ تَهْلِيلِهَا ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُقَلَّدُ فَوْقَ يَهْوُضَ كَمَا تَهْدُمُ . عَلَى أَنَّ الْمَقَرَّ الشَّهَابِيَّ بَنَ فَضَّلَ اللَّهُ قَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي "التعريف" كَمَا سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الرابعة — لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِسْتِمْرَارِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْتَ يَسْتَقِرُّ فِي كَذَا ، أَوْ يَسْتَمِرُّ فِي كَذَا . وَلَفْظُ يَسْتَقِرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَجِدِّ ، وَلَفْظُ يَسْتَمِرُّ مَخْتَصٌّ بِالْمُسْتَقَرِّ ؛ وَيَكُونَانِ مَعَ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالسَّاءِ ، وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِغَيْرِهَا لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ وَغَيْرِهِمْ ؛ أَمَّا الْمَجْلِسُ الْعَالِي فَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِالْإِذْنِ ، مِثْلُ : آدَمُ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةً الْمَجْلِسِ الْعَالِي كَاتِبُ السُّلْطَانَةِ بِالْكَرَّكَ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يَهْوُضَ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ مَكَاتِبُهُ تُفْتَحُ بِصَدْرَتِ هَذِهِ الْمَكْتَابَةِ كَاتِبُ الْقُدْسِ وَنَحْوِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ فِيهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ .

الخامسة — لَفْظُ التَّرْتِيبِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ : أَنْ يُرْتَّبَ فِي كَذَا ، وَيَكُونُ مَعَ مَجْلِسِ مُضَافًا ، مِثْلُ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ وَمَجْلِسِ الْقَاضِي وَنَحْوِهِمَا ، وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَتْ مَعَ السَّامِيِّ بِغَيْرِهَا .

السادسة — لَفْظُ التَّقَدُّمِ ، مِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَنْ يُقَدَّمَ فَلَانٌ عَلَى الطَّاعِمَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قلت : وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ أُخْرَى السَّادِسَةُ وَالْخَامِسَةُ قَدْ ذَكَرَهُمَا الْمَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بَنَ فَضَّلَ اللَّهُ فِي "التعريف" فَقَالَ : وَقَدْ يُقَالُ أَنْ يُرْتَّبَ وَأَنْ يُقَدَّمَ . وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي كِتَابَةِ مُعَاصِرِيهِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ؛ أَمَّا كَلْبُ زَمَانِنَا فَقَدْ رَفَضُوهُمَا جَمْلَةً وَأَضْرَبُوا عَنْ اسْتِعْمَالِهِمَا بِكُلِّ حَالٍ ، وَأَكْتَفَوْا عَنْهُمَا بِالْمُرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ وَهِيَ لَفْظُ الْإِسْتِقْرَارِ ،

(١) أَيْ لَفْظَ "يَهْوُضَ" .

والواجب إثباتهما لتفاوت ما بين المراتب . على أن استعمال لفظ يرتب موجود في كلامهم بكثرة ، ولفظ يُقدم لم يستعملوه إلا في الترتيب اليسير ، والله أعلم . وهذه الألفاظ تقع في الطرة وفي أثناء الكلام على حد واحد .

الوجه الثالث

(الإفتتاحات ، وهي راجعة إلى أربع مراتب)

المرتبة الأولى — الافتتاح بلفظ : هذه بيعة ، أو هذا ما عهد ، ونحو ذلك في البيعات والمهود على المذهب القديم ، أو بالحمد لله . ويقع الابتداء به في المهود والبيعات إذا ابتدئ العهد أو البيعة بخطبة على ما عليه استعمال أهل زماننا ، وكذلك في التقاليد لأرباب السيوف والأقلام ، والمراسم المكبرة لأرباب السيوف ، والتواقيع الجكار لأرباب الأقلام .

المرتبة الثانية — الافتتاح بأما بعد حمد الله . ويقع الابتداء به في المرتبة الثانية من أرباب المراسم المكبرة من أصحاب السيوف ، والمرتبة الثانية من أرباب التواقيع من أصحاب الأقلام .

المرتبة الثالثة — الافتتاح برسم بالأمر الشريف ، ويقع الافتتاح به في المرتبة الثالثة لأرباب التواقيع والمراسم من سائر أرباب الولايات .

المرتبة الرابعة — ما كان يستعمل من الافتتاح بأما بعد فإن كذا . أو من حسنت طرائقه ، وحملت خلايقه ، فإنه أحق ، وما أشبه ذلك ، كما أشار إليه في "التعريف" إذ كان الآن قد رُفِض وترك على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى ، وقد كان ذلك يستعمل فيما تقدم لأرباب السيوف والأقلام جميعاً .

الوجه الرابع .

(تمتدُّ التَّحْمِيدُ فِي الْخُطْبَةِ أَوْ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ وَاتِّحَادَهُ)

فقد قال في "التعريف" في الكلام على عُهُودِ الْمُلُوكِ لِلْمُلُوكِ : وَكُلَّمَا كَثُرَتْ التَّحْمِيدَاتُ فِي الْخُطْبِ ، كَانَتْ أَكْبَرَ : لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ قَدْرِ النِّعْمَةِ ؛ وَذَكَرَ فِي الْكَلَامِ عَلَى عُهُودِ الْخُلَفَاءِ أَنَّ الْخُلَفَاءَ أَنَّهُ يُتَمَتَّى فِي التَّحْمِيدِ إِلَى سَبْعَةِ .

الوجه الخامس

(الدُّعَاءُ . وَلَهُ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ)

الموضع الأول — فِي طَرَةِ الْوَلَايَةِ بَعْدَ ذِكْرِ مَا يُكْتَبُ فِي الطَّرَةِ مِنَ الْقَبَابِ ، وَلَا يَزَادُ فِيهِ عَلَى دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ تَتَابَعُهُ .

الموضع الثاني — فِي أَثْنَاءِ الْوَلَايَةِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْأَقْبَابِ وَذِكْرِ الْأَسْمِ ؛ وَهُوَ مَا فِي الطَّرَةِ مِنَ الدَّعْوَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ بِغَيْرِ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ .

الموضع الثالث — [فِي] آخِرِ الْوَلَايَةِ بِالْإِعَانَةِ وَنَحْوِهَا . قَالَ فِي "التَّحْقِيقِ" : وَأَقْلَبُهَا دَعْوَتَانِ ، وَأَكْثَرُهَا أَرْبَعٌ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَمَنْ اسْتَصْنَفَ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ لَا يُدْعَى لَهُ فِي آخِرِ وَلايَتِهِ .

ثم قد تَهَمُّدُ فِي الْمَكْتَابَاتِ أَنَّ الدُّعَاءَ مَعَ تَزْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى : كَأَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ ، وَضَاعَفَ اللَّهُ [تَعَالَى] نِعْمَةَ الْجَنَابِ وَنَحْوَ ذَلِكَ أَعْلَى مِنْ حَذْفِهِ ؛ كَأَدَامَ اللَّهُ سَعْدَهُ ، وَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ فِي الْوَلَايَاتِ كَمَثَلِكِ .

(١) أَيْ حَذَفَ التَّزْيِيدَ فِي الْأَصْلِ حَذْفَهَا أَيْ جَمْعَ التَّزْيِيدِ .

الوجه السادس

(طُولُ الكلام وقصره ، فكلُّما عظمت الوظيفة وأرتفع قدرُ صاحبها
كان الكلام فيها أبسط)

قال في "حسن التوسل" : ويحسن أن يكون الكلام في التقاليد متقياً أربعة
أقسام متقاربة المقادير ، فالرُّجُ الأول في الخلطة ؛ والرُّجُ الثاني في ذكر موقع الإتمام
في حق المقلد ، وذكر الرتبة وتخصيم أمرها ؛ والرُّجُ الثالث في أوصاف المولى^(١) ،
وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعده صهيته
وشمعة وشجاعة إن كان نائباً ؛ ووصف الرأي والعدل وحسن التدبير والمعرفة بوجوه
الأموال ، وعمارة البلاد ، وصلاح الأحوال ، وما يناسب ذلك إن كان وزيراً ؛
وكذلك في كل رتبة بحسبها ؛ والرُّجُ الرابع في الوصايا .

قال في "التعريف" : والذي اختاره اختصار مقادير التحميدة^(٢) [التي^(٢)]
في الخلطة والخطب مطلقاً وإطالة ما بعد ذلك ؛ والإطناب في الوصايا [اللهم^(٢)]
إلا لمن جل قدره [وعظم أمره^(٢)] فإن الأولى الإقتصار في الوصايا على أهمّ الجمليات ،
واعتدُر في الإقتصار بما يعرف من فضله ، ويعلم من حاله^(٢) ، ويوثق به من تجربته
ومن هذا ومثله . قال : والكتاب في هذا [كله^(٢)] بحسب ما يراه ، ولكل واقعة
مقال يليق بها ، وملابس كل رجل قدر معروف لا يليق به غيره ؛ وفي هذا غنى لمن
عرّف ، وكفاية لمن علم ؛ على أن المقرّ الشهابي تابع في ذلك القاضي « محي الدين
أبن عبد الظاهر » رحمه الله ، فإنك إذا تأملت تعاليدَه وتواقيعه ، وجدتها كلها

(١) في حسن التوسل ص ١١٠ «المقلد» وهي بمعناها .

(٢) الزيادة من التعريف ص ٨٨ .

كذلك ، ولكل وجه ظاهر ؛ فإنَّ المطول مخطبة لا يُثليها من بَرَاةِ الاستهلال ،
المناسبة للحال ؛ والمقصر لها مُراجِع لزادة الإطتاب في الوصف .

قلت : ولا ينبغي أن ما ذكرناه في التقاليد يبيء مثله في اليهود لجرها على موجبها
من مؤلٍّ ومؤلٍّ .

أما إذا كانت الولاية بيعةً فإنه يعمل موضع الوصايا ذكر الترام الخليفة البر
والإحسان الخلق ، ووعد النظر في أمور الرعية ، وصلاح أحوالهم ؛ وذكر التحليف
للخليفة ، أوله والسلطان إن كان معه سلطان قام بصدق البيعة له على الوفاء بالمهد
والدخول تحت الطاعة . قال في "حسن التوسل" : والأمر الجاري في ذلك على
العادة معروف . لكنه قد تقع أشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب فيها إلى حسن
التصرف على ما يقتضيه الحال ؛ وذكر من ذلك تقليدًا أنشاء لملك سبى ، وتقليدًا
كتبه بالفتوة ؛ وسيأتى ذكر ذلك مع ما شاكله في مواضعه إن شاء الله تعالى .

الوجه السابع

(قطع الورق)

وأعلم أن الولايات من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية يجلتها بخمسة قطع
الورق فيها في خمسة مقادير لا يتعداها :

أحدها — قطع البغدادى الكامل ؛ وهو مختص بالبيعات واليهود مطلقا على
أى الإفتاحات كان .

الثاني — قَطْعُ الثَّلاثِينَ مِنَ الْمَنْصُورِيِّ، وَهُوَ لِأَجْلِ الْوِلَايَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَبَعْضِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهَا إِلَّا بِالْحَمْدِ .

الثالث — قَطْعُ النِّصْفِ مِنْهُ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهِ إِلَّا بِالْحَمْدِ أَيْضًا :

الرابع — قَطْعُ الثُّلُثِ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمَّا دُونَ ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وَلَّى صَاحِبُ وَظِيفَةٍ تَسْتَحِقُّ قَطْعَ النِّصْفِ وَظِيفَةٌ أُخْرَى تَسْتَحِقُّ قَطْعَ الْعَادَةِ ، فَإِنَّهُ يُرَاعَى مَقْدَارُ صَاحِبِهَا وَيُزَادُ عَلَى مِقْدَارِ الْعَادَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ رَتْبَةِ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ لَتَكُونَ رَتْبَةُ بَيْنَ رُتَبَتَيْنِ فَتَحْصُلُ مِرَاعَاةُ تَعْظِيمِهِ مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ عَلَى قَطْعِ الْعَادَةِ ، وَمِرَاعَاةُ قَدْرِ الْوِظِيفَةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا لَمْ تَبْلُغْ شَأْنَ وَظِيفَتِهِ الْعُلْيَا ؛ أَمَّا إِذَا وَلَّى مَنْحَطٌ الْقَدْرِ وَظِيفَةٌ تَسْتَحِقُّ الْقَطْعَ الْكَبِيرَ ، فَإِنَّهُ يَكْتُبُ لَهُ فِيهِ ، وَتَكُونُ تَوَلِيَّتُهُ لَهَا رَفْعًا إِلَى دَرَجَتِهَا .

الخامس — قَطْعُ الْعَادَةِ، وَهُوَ أَصْغَرُهَا ؛ وَالْأَصْلُ أَنْ يَفْتَحَ فِيهِ بِقَلْبِ «رُئِيسِ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ» وَرَبَّمَا طُلَتْ رَتْبَةُ صَاحِبِ الْوِلَايَةِ وَلَمْ يَوْهَلْ لِلْكَتَابَةِ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ فَيُكْتُبُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ قَلِيلُ الْأَسْتِعْمَالِ ، فَإِنْ أَسْتَعْمَلَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كَذَا ، أَوْ إِنَّ أَوْلَى ، أَوْ إِنْ أَحَقَّ وَنَحْوَ ذَلِكَ كُتِبَ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ أَيْضًا .

الباب الثاني

من المقالة الخامسة في البيعات، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معناها)

البيعات جمع بيعة، وهي مصدر بايع فلان انخلفة بيايه مبايعه؛ ومعناها المعاقدة والمعاودة، وهي مشبهة بالبيع الحقيقي. قال أبو السعادات بن الأثير في نهايته في غريب الحديث: كان كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره. ويقال: بايعه، وأعطاه صفة يده؛ والأصل في ذلك أنه كان من عادة العرب أنه إذا تباع اثنين صفق أحدهما بيده على يد صاحبه.

وقد عظم الله تعالى شأن البيعة وحذر من نكثها بقوله خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاِمَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِوْتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وأمر بمبايعة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمِثْمَانَ فِتْنَتِهِنَّ يَبَايِعْنَ وَأَرْجُلُهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِلَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَنَّ اللَّهُ لَنْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وبايع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوان الله عليهم بعتين.

(١) ليس مراده المصدر الصناعي كما لا يخفى والأوضح "وهي اسم مصدر لبايع" الخ تأمل.

الفصل الثاني

(في ذكر تنوع البيعات ، وهي ثومان)

النوع الأول

(بيعات الخلقاء ، وفيها سبعة مقاصد)

المقصود الأول

(في أصل مشروعيتهما)

فالأصل في ذلك بعد الإجماع ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها "أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : مينا أمير ومنكم أمير ، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال في كلامه : نحنُ الأمراء وأنتم الوزراء . فقال الحباب بن المنذر : لا والله لا تفعل ! مينا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا وليكنا الأمراء وأنتم الوزراء . فبايعوا عمر وأبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك فانت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فآخذ عمر بيده فبايعه وبايع الناس "

وهذه أول بيعة بالخلافة كانت في الإسلام ، ولكن لم يُنقل أنه رضي الله عنه كتب له مبايعة بذلك ، ولعل ذلك لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا بايعوا لا يمحطون البيعة بعد صلواتها ، بخلاف ما بعد ذلك .

المقصود الثاني

(في بيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية)

وهي خمسة أسباب :

السبب الأول — موت الخليفة المنتصب من غير عهد بالخلافة لأحد بعده ، كما في قصة الصديق المتقلبة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو تركها شورى في جماعة معينة ، كما فعل عمر رضي الله عنه عند وفاته حيث تركها شورى في ستة : علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعيد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم .

السبب الثاني — خلع الخليفة المنتصب لموجب يقتضي الخلع ، فتحتاج الأمة [إلى] مبايعه إمام يقوم بأمرها ، وتحمل بأعبائها .

السبب الثالث — أن يتوهم الخليفة خروج ناحية من النواحي عن الطاعة فيوجه إليهم من يأخذ البيعة له عليهم : لينقادوا لأمره ، ويدخلوا تحت طاعته .

السبب الرابع — أن تؤخذ البيعة لخليفة المعهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل في خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سبيلًا كما كانوا يسمون غيرها بذلك .

السبب الخامس — أن يأخذ الخليفة المنتصب البيعة على الناس لولي عهده بالخلافة بأن يكون خليفة بعده إمضاء لعهد ، كما فعل معاوية رضي الله عنه في أخذه البيعة لولده يزيد .

المقصود الثالث

(في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يُراعى في كتابة البيعة أموراً :

منها — أن يأتي في براعة الاستهلال بما يتنبأ له من اسم الخليفة أو لقبه : كفلان الدين ، أو لقب الخلافة : كالتوكل أو المستكني ، أو مقتضى الحال الموجب للبيعة من موت أو خلع ونحوهما ، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى .

ومنها — أن ينبّه على شرف رتبة الخلافة وعُلو قدرها ورياسة شأنها ، وأنها الغاية التي لا فوقها ، والدرجة التي لا بعدها ، وأن كل رتبة دون ربتها ، وكل منصب فرع عن منصبها .

ومنها — أن ينبّه على ميسر الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، وأنه لا يستقيم أمر الوجود وحال الرعية إلا به ، ضرورة وجوب نصب الإمام بالإجماع ، وإن شدد عنه الأصم بخالف ذلك .

ومنها — أن يُشير إلى أن صاحب البيعة استوعب شروط الإمامة واجتمعت فيه ، وبصفته منها بما يميز وجوده ، ويُتمتع بمحصله : كالعلم والشجاعة والرأي والكفاية ، بخلاف ما لا يميز وجوده ولا يُتمتع به وإن كان من الشروط : كالحرية والذكورة والسمع والبصر ونحو ذلك ؛ فإن الوصف بذلك لا وجه له .

ومنها — أن ينبّه على أفضلية صاحب البيعة وتقديمه في التفضل واستيفاء الشروط على غيره : ليخرج من الخلاف في جواز تولية المفضول مع وجود الفاضل .

ومنها - أن يَبْنَى على أن المختارين لصاحب البيعة ممن يُعْتَبَرُ أختيَارُهُ من أهل الحِلِّ والعَقْد : من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم على الوجه المعتبر .

ومنها - أن يَبْنَى على تعيين المختارين للبيعة، إن كان الإمام الأول نص عليهم ، إذ لا يصح الاختيار [من] غير من نص عليه ، كما لا يصح إلا تقليد من عهد إليه .
ومنها - أن يَبْنَى على حرمان عقد البيعة من المختارين ، ضرورة أنه إن انفرد شخص بشروط الإمامة في وقته لم يصرا ماما يجوز ذلك .

ومنها - أن يَبْنَى على سبب خلع الخليفة الأول إن كانت البيعة مترتبة على خلع ، إذ لا يصح خلع الإمام القائم بلا سبب .

ومنها - أن يَبْنَى على قبول صاحب البيعة العقد وإيجابته إليه إذ لا بد من قبوله .
ومنها - أن يَبْنَى على أن القبول وقع منه بالإختيار : لأنه لا يصح الإيجاب على قبولها ؛ اللهم إلا إن كان بحيث لا يصلح للإمامة غيره فإنه يجبر عليها بلا خلاف .
ومنها - أن يَبْنَى على وقوع الشهادة على البيعة ، نروجاً من الخلاف في أنه هل يُسْتَرَطُ الإشهاد على البيعة أم لا ؟ .

ومنها - أن يَبْنَى على أنها لم تَهْتَرَنْ ببيعة في الحال ولا مسبوقية بأخرى ، إذ لا يجوز نصب إمامين في وقت واحد وإن تباعد إقليهما ، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني حيث جَوَّزَ نصب إمامين في إقليمين .

ومنها - أن يَبْنَى على أنه يجوز البيعة بحسب الطاعة والافتقار إليه ، ويجب على كافة الأمة تفويض الأمور العامة إليه ، وطاعته فيها وافق حكم الشرع وإن كان جائزاً .

ومنها — أن يعزى في الخليفة الميت ويمنى بالمستقر إن كانت البيعة مبدئية على موت خليفة؛ وأن يبين سبب خلع الخليفة الأول إن كانت مرتبة على خلع .

أما التعزية والتهنئة بموت الأول، فعليه جرى عامة الكُتّاب ؛ إلا أنه يختص في عرفهم بما إذا كان الخليفة الأول شديد القرب من الثانى ؛ كأبيه وأخيه وابن عمه .

وكان الأولون يتعاونون ذلك في خطاب الخلفاء بالتهنئة بالخلافة بعد أقاربهم ، وقد روى أن عطاء بن أبي سفيان دخل على يزيد بن معاوية فهنا بالخلافة وعزاه في أبيه فقال :

رُزِيتَ بأمير المؤمنين خليفة الله، وأُعطيت خلافة الله؛ قضى معاوية تحبه ، فغفر الله ذنبه ؛ ووليت الرياسة ، وكنت أحق بالسياسة ؛ فاحتسب عند الله جليل الرزية ، وأشكره على جزيل العطيء ؛ وعظم الله في معاوية أجرك ، وأحسن على الخلافة عونك .

وتعرضت أعرابية للنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس السفاح ، فقالت : يا أمير المؤمنين احتسب الصبر ، وقدم الشكر ؛ فقد أجزل الله لك الثواب في الحالين ، وأعظم عليك المنّة في الحادئين ؛ سلكك خليفة الله ، وأفادك خلافة الله ؛ فسلم فيما سلك ، وأشكر فيما منحك ؛ وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخارلك فيما ملكك من أمر الدنيا والدين .

(١) وأما التعريف بسبب الخلع ، فلا أنه لا يصح خلع الإمام بغير موجب للخلع .

ومنها — أن يشير إلى ذكر السلطان القائم بالبيعة إن كان القائم بها سلطاناً على ما استقرت عليه قاعدة الكُتّاب في ذلك .

ومنها — أن يَفِيَّهَ عَلَى أَنْ مِنْ أَسْتَحْلِفَ فِي الْبَيْعَةِ مِنْ وَجْهِ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانِ الْمَمْلَكَةِ
إِنْ جَرَى حَلْفٌ ، وَيَذْكُرُ صِفَةَ حَلْفِهِمْ وَمَا أَلْتَرَمَوْهُ مِنَ الْإِيمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوَاقِيقِ
الْمَغْلَظَةِ .

المقصود الرابع

(في بيان مواضع الخلافة التي يستدعي الحال كتابة المبايعات فيها)

وهي أربعة أمور :

أولها — موت الخليفة المتقدم عن غير عهد لخليفة بعده ، وهو موضوعها
الأصلي الذي عليه بُنِيَتْ .

الثاني — أن يَتَّهَدَ الْخَلِيفَةُ إِلَى خَلِيفَةٍ بَعْدَهُ ، ثُمَّ يَمُوتَ الْعَاهِدُ وَيَسْتَقَرُّ الْمَعْهُودُ
إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ بِالْعَهْدِ بَعْدَهُ ؛ فَتُؤَخَّذُ الْبَيْعَةُ الْعَامَّةُ عَلَى الرَّحْمَةِ ، لِإِظْهَارِهَا لَوُقُوعِ الْإِجْمَاعِ
عَلَى خِلَافَتِهِ ، وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى إِمَامَتِهِ .

الثالث — أن تُؤَخَّذَ الْبَيْعَةُ لِلْخَلِيفَةِ بِحَضْرَةِ وَلَايَتِهِ ، ثُمَّ تُنْقَذَ الْكُتُبُ إِلَى الْأَعْمَالِ
لَاخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِهَا ، فَيَأْخُذُ كُلُّ صَاحِبِ عَمَلٍ لَهُ الْبَيْعَةُ عَلَى أَهْلِ عَمَلِهِ .

الرابع — أن يَبْرُضَ لِلْخَلِيفَةِ خَلْفٌ فِي حَالِ خِلَافَتِهِ : مِنْ ظُهُورِ مَخَالِفٍ أَوْ مُخْرُجٍ
خَارِجِيٍّ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ الْبَيْعَةِ لَهُ حَيْثُ وَقَعَ الْخِلَافُ .

ولكلٍّ من هذه الأحوال ضَرْبٌ مِنَ الْكِتَابَةِ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى بَيَانِ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ
لَاخْذِ تِلْكَ الْبَيْعَةِ .

المقصود الخامس

(في بيان صورة ما يُكْتَب في بَيْعَات الخلفاء، وفيها أربعة مذاهب)

المذهب الأول

(أن تُنْتَحَ المِبايعةُ بلفظ «تُبَاعِ فُلَانًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»
خطاباً لمن تُؤْخَذُ عليه البيعة)

ويذكر ما يقع عليه عقد المِبايعة، ويأتي بما سَحَّ من أمر البيعة، ثم يذكر الخليفة عليها؛ وعلى ذلك جرى مصطلح كُتِبَ خلفاء بني أمية، ثم خلفاء بني العباس بعدهم بيّنات.

وأعلم أنه قد تَهَدَّم في المقصد الأول من هذا الفصل أنه لم يُنْقَلْ أنه كُتِبَ للصديق رضى الله عنه ولا أن وَلِيَ الخِلافة بعده من الصحابة من غير عهد بيعة. ولما كانت خلافة بني أمية، وآل الأمر إلى عبد الملك بن مروان، وأقام الحجاج ابن يوسف على إمارة العراق، وأخذ في أخذ البيعة لعبد الملك بالعراق، رتب أيماننا معقلته تشتمل على الخليفة بالله تعالى والطلاق والعناق والأيمان المحرجات يحلف بها على البيعة، وأشهرت بين الفقهاء بأيمان البيعة، وأطرد أمرها في الدولة العباسية بعد ذلك. وجرى مصطلحهم في ذلك على هذا الأسلوب.

وهذه نسخة مبايعة، ذكرها أبو الحسين بن إسحاق الصائفي في كتابه "غُرر البلاغة" وهي:

تُبَاعِ عبد الله أمير المؤمنين فلاناً بيعة طوع واختيار، وتبرع وإيثار، وإعلان وإسرار، وإظهار وإظهار، وصحة من نفل، وسلامة من غير دغل، وثبات من غير

تبدیل، ووقار من غیر تأویل، واعتراف بما فيها من اجتماع الشمل، واتصال
الحبل، وانتظام الأمور، وصلاح الجمهور، وحسن الدماء، وسكون الدماء،
وسعادة الخاصة والعامة، وحسن العائدة على أهل الملة والذمة - على أن عباده فلا
أمير المؤمنين عبد الله، الذي أصطفاه، وخليفته الذي جعل طاعته جارية بالحق،
وموجبة على الخلق، وموردة لهم موارد الأمن، وعاقدة لهم معاهد الأمن، ولا يتسه
مؤذنه لهم بجبل الصنع، ومؤدية بهم إلى جزيل النفع، وإمامته الإمامة التي أقرن بها
الخير والبركة، والمصلحة العامة المشتركة، وأمل فيها فتح الملحد الجاحد، ورد الجائر
الحائد، ووقم العاصي الخاليع، وعطف الغايزي المتنازع - وعلى أنك ولي أوليائه،
وعتو أعدائه: من كل داخل في الجملة، وخارج عن الملة، وحائد عن الدعوة.
وتمسك بما يدليه، عن إخلاص من رأيك، وحقيقة من وقائك، لا تنقص
ولا تنكث ولا تخلف ولا توارى ولا تخادع، ولا تدأى ولا تخايل، ولا ينك مثل
نيتك، وقولك مثل طويتك - وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة
وشرائطها على مر الأيام وتطاولها، وتغير الأحوال وتقلها، واختلاف الأزمان
وتقلها - على أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها، وأعوان الدولة
العباسية ورعاتها؛ لا يداخل قولك مواربة ولا مداهنة، ولا تعترضه مغالطة
ولا تتعقبه مخالفة، ولا تخيس به أمانه، ولا تقله خيانه؛ حتى تلقى الله تعالى مقبلاً
على أمرك، وفياً بعهديك؛ إذ كان مباًيوؤلاة الأمور وخلفاء الله تعالى في الأرض
(إِنَّمَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيُظْهِرَ لَكُمْ آيَاتِهِ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى
بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ بِهِ أَجْرًا عَظِيماً)

عليك بهذه البيعة - التي أعطيت بها صفة يترك، وأضيفت فيها سريرة قلبك؛
وألتمت القيام بها ما طال عمرك، وأمتد أجلك - عهد الله إن عهد الله كان

مَسْئُولًا ؛ وَمَا أَخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ مِنْ أَيْمَانٍ مَقْلُطَةٍ
وَهُهُودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَاقِيقَ مَشْلُودَةٍ ، عَلَى أَنْكَ تَسْمَعُ وَتَصْنَعِي ، وَتُطِيعُ وَلَا تَعْصِي ؛
وَتَعْتَدِلُ وَلَا تَمِيلُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَحِيدُ ؛ وَتَقِي وَلَا تَقْدِرُ ، وَتَسْتَبُتُ وَلَا تُتَغَيَّرُ ؛ فَتَقِي
زَلَّتْ عَنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ حَاقِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِدِيَانَتِكَ ؛ فَخَصَلَتْ اللَّهُ تَعَالَى رَبُّوِيَّتَهُ ،
وَأَنْكَرَتْهُ وَخَدَانِيَّتَهُ ؛ وَقَطَعْتَ عِصْمَةَ عَهْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَنَذْتَهَا ، وَرَمَيْتَ
طَاعَتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَتَبَلَّتْهَا ؛ وَلَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْحُشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرْشَ عَلَيْهِ ، مُخَالِفًا
لَأَمْرِهِ ، وَخَائِفًا لِعَهْدِهِ ؛ وَمَقِيًّا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ؛ وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَافِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَاطَلَهُ
اللَّهُ لَكَ مَحْزَمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ بَلَدِكَ ، وَأَرْتَجِاجِكَ مَا أَعْطَيْتَهُ
فِي قَوْلِكَ : مِنْ مَالٍ مُوجُودٍ وَمَدْخُورٍ ، وَمَصْبُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ،
وَسَائِمٍ وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَمِيمَةٍ ، وَعَقَارٍ وَعُقُودَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى
الْمَسَاكِينِ ، مُحَرَّمَةٌ عَلَى مَرِّ السِّنِّينِ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ أَرَادَ لَكَ تَمَلِّكَ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى
تَتَرَوُّجُهَا بَعْدَهَا ، طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَاتًا ، طَلَاقُ الْحَرَجِ وَالسَّنَةِ لَارْجَعَةٍ فِيهِ وَلَا مَتْنُوِيَّةٍ ؛
وَعَلَيْكَ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، رَاجِلًا
مَاشِيًا ؛ فَذَرَا لَازِمًا ، وَوَعَدًا صَادِقًا ؛ لَا يَبْرَأُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛
وَلَا يَقِيلُ اللَّهُ مِنْكَ تَوْبَةً وَلَا رَجْعَةً ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ الْإِسْتِنْبَاصِ بِحُجُولِهِ ، وَأَسَانَتِكَ عِنْدَ
الْإِعْتِصَامِ بِحُجُولِهِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قُلْتَهَا قَوْلًا قَصِيصًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا صَحِيحًا ؛
وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ فِيهَا عَهْدَكَ صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالْنِيَّةُ فِيهَا
نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوِيَّةُ [فِيهَا طَوِيَّتُهُ] دُونَ طَوِيَّتِكَ ؛ وَأَشْهَدُ
اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ بِبَلَدِكَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخة بيعة أخرى من هذا الأسلوب ، أوردها ابن حنبل في تذكرته ، وربما وافق فيها بعض ألفاظ البيعة السابقة ، وهي :

تُبَايَعُ الإمامَ أمير المؤمنين فلانا بيعة طوع وإِشَار ، وَأَعْتَقَاد وإِضْهَار ، وإِعْلَان وإِسْرَار ؛ وإِخْلَاص من طَوَيْتِكَ ، وَصِدْق من نَيْتِكَ ؛ وَأَنْتَرِاح صَدْرِكَ وَحِجَّة عِزِّكَ ؛ طَائِعًا غَيْر مُكْرَه ، وَمُقَادًا غَيْر مُجْبَر ؛ مُقِرًّا بِفَضْلِهَا ، مُدْعِيًا بِحَقِّهَا ؛ مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا ، وَمَعْتَدًا بِحُسْنِ حَالَتِهَا ؛ وَطَائِعًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوَكُّلِهَا مِنْ صَالِحِ الْكَفَاة ، وَأَجْتِنَاعِ الْكَلِمَةِ [من] الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ؛ وَلَمْ الشَّعْث ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِب ؛ وَسُكُونِ الدِّهْمَاء ، وَعِزِّ الْأَوَّلِيَاء ، وَفُجِّحِ الْأَعْدَاء - عَلَى أَنَّ فَلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ طَاعَتُهُ ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْأَمَةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ ؛ الْإِزْمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَالْوَفَاءُ بعهْدِهِ ؛ لَا تَشْكُ فِيهِ ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ . وَأَنْتَ وَلِيُّ وَلِيِّهِ ، وَطَوْؤُ عِدْوِهِ : مِنْ خَاصٍّ وَطَامٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ ، بِمَسْكٍ فِي بَيْعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذِمَّةِ الْمَقْدِ ؛ سِرِّكَ مِثْلُ حِلَابَيْتِكَ ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ وَفَقُ بَاطِنِكَ - عَلَى أَنَّ أُعْطِيتَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَتَوَكَّلْتَ لِإِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ ، لِفَلَانِ أمير المؤمنين عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ ، وَأَسْخِيَامَةٍ مِنْ عِزِّكَ ؛ وَأَسْتَمَرَّ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ - عَلَى أَنْ لَا تَأْوَلَ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلَا تَسْعَى فِي قَبْضِ شَيْءٍ مِنْهَا ؛ وَلَا تَقْعَدَ عَنْ نَصْرِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ وَحَادِثَةٍ ؛ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ مُؤِذِنًا بِهَا ، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ؛ إِذْ كَانِ الدِّينُ بِبَايَعُونَ وَلَوْلَا الْأَمْرُ ، وَخُلَفَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاِمْنًا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

عليك بهذه البيعة - إلى التي طَوَّقَهَا عُنُقُكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ فِيهَا صَفَقَتَكَ ؛ وَمَا شَرِطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وِفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَنُصْحٍ وَمَشَايِعَةٍ ، وَطَاعَةٍ وَمُؤَانَفَةٍ وَأَجْتِهَادٍ وَمُتَابَعَةٍ . - عَهْدُ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْجُولا . - وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ ، وَصِيَدَاتِ مَوَاتِيئِهِ وَعُمُكَمَاتِ عَهْدِهِ ؛ وَعَلَى أَنْ تُنَمَّسَكَ بِهَا وَلَا تُبَدَّلَ ، وَتُسَقِّمَ وَلَا تَيْمَلَ ؛ وَإِنْ نَكَثَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ أَوْ بَدَلَتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ حَقَّتْ رَشْمًا مِنْ رُشُومِهَا ، أَوْ غَيَّرَتْ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ، مَعْلِنًا أَوْ مُسِرًّا أَوْ مُخْتَلَا أَوْ مُتَاوَلًا ؛ أَوْ زَغَتْ عَنْ السَّبِيلِ الَّتِي يَسْلُكُهَا مِنْ لَا يُخْفَرُ الْأَمَانَةُ ، وَلَا يَسْتَمَلُّ الْفَدْرُ وَالْحَيَانَةُ ، وَلَا يَسْتَجِزُّ حَلُّ الْعُقُودِ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرَقٍ أَوْ آتِيَةٍ ، أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ ، أَوْ زَرْعٍ ، أَوْ ضَرْخٍ ، أَوْ فِرْدَازٍ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمُعْتَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمُنْدَرَجَةِ ؛ صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، عَرْمٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرَجَعَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَالِكَ بِجَهْلَةٍ مِنَ الْحَيْلِ ، عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ تَخْرُجَ مِنْ تَخَارِجِ الْإِيمَانِ ؛ وَكُلُّ مَا تَعْتَدُهُ فِي بَقِيَّةِ عَمْرِكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَحِلُّ فَتُك سَبِيلُهُ إِلَى أَنْ تَتَوَفَّاكَ مَيِّتُكَ أَوْ يَأْتِيكَ أَمْلُكَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ أَمَرَ لَكَ الْيَوْمَ ^(١) : وَأُخْرَى تَتَوَجَّعُهَا بَعْدَهَا مَدَّةَ بَقَايِكَ طَالَتْ ثَلَاثًا بَنَانًا ، طَلَاقَ الْحَرْجِ وَالسَّنَةِ لَامْتَنُويَّةٍ فِيهِ وَلَا رُجْصَةٍ ؛ وَعَلَيْكَ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً حَافِيًا ، حَامِرًا رَاجِلًا ؛ لَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ بِهَا ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَحَذْلِكَ يَوْمَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ؛ وَبَرَكَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْلَاكَ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

(١) فِي الْأَصُولِ "وَلَمْ يَمْلِكْ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ شَيْءٍ مَدَّةً" الْخَطُّ وَهُوَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ كَمَا لَا يَخْفَى .



وهذه نسخة أُتِرئ من هذا الأسلوب ، أوردها أبو الحسين الصبائي
في "عُرَر البَلَاة" وهى :

تُبَايِعُ أمير المؤمنين بِقُوَّةٍ من يَصْبِرُكَ ، وَحِجَّةٍ من مَرِيرِكَ ، وَصَفَاءٍ من عَقِيدَتِكَ ،
وَصِدْقٍ من عَزِيمَتِكَ ؛ عَلَى الرِّضَا [به] وَالْوَفَاءَ لَهُ ، وَالْإِخْلَاصَ فى طَاعَتِهِ ، وَالْإِجْتِمَاعَ
فى مُتَابَعَتِهِ ، وَعَقْدَ النِّيَّةِ عَلَى مَوَالِيهِ ، وَبَذْلَ الْقُدْرَةِ فى مَمَالِيهِ ؛ وَأَنْ تَكُونَ لِأَنْصَارِهِ
عَوْنًا ، وَلِأَوْلِيَائِهِ حَرْبًا ، وَلِأَعْدَائِهِ حَرْبًا ؛ عَارِفِينَ بِمَا فى ذَلِكَ من الْحِطِّ ، وَمَعْرِفِينَ
بِمَا يَلْزَمُ فِيهِ من الْحَقِّ ، وَمَحَافِظِينَ عَلَى مَحَرِّسِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَالِدَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ؛
ثَبَّتَ اللهُ قَوَاعِدَهَا ، وَأَحْكَمَ مَقَائِدَهَا ؛ وَزَادَهَا أَسْتِثْرَارًا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ ، وَأَسْتِثْقَارًا
عَلَى كُرِّ الْمُصُورِ ؛ وَبَعِثَ عَلَى تَقْلِيلِ الْأُمُورِ ، وَأَسْتِثْبَادِهَا عَلَى تَقْلِيلِ الْمَقْدُورِ ؛ فَإِنْ خَالَفتُ
ذَلِكَ مُسِرًّا أَوْ مُعْلِنًا ، وَحُلْتُ عَنْهُ مَظْهَرًا أَوْ مُبْطِنًا ، وَحَلَلْتُ عَقُودَهُ نَاقِصًا أَوْ نَاقِضًا ؛
وَتَأَوَّلْتُ فِيهِ مُحَاوَلًا لِلخُرُوجِ مِنْهُ ، وَأَسْتَنْثَيْتُ عَلَيْهِ طَالِبًا لِلرَّجُوعِ عَنْهُ ؛ فَبَرَأَنِ اللهُ مِنْ
حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَسَلَّيْتُ مَا وَهَبَ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ؛ وَمَنْعَنِ مَا وَعَدَ مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛
وَعَلَّانِى مِنْ يَدَيْهِ ، يَوْمَ الْفَرَجِ الْإِكْبَرِ لَدَيْهِ ؛ وَحَنَنْتُ كُلَّ يَمِينٍ حَلَفَهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى
قَدِيمِ الْأَيَّامِ وَحَدِيثِهَا ، وَالتَّيَاهَى فى تَاكِيدِهَا وَتَشْدِيدِهَا ؛ وَأَعْرَضْتُهَا مِنْ لِبَاسِ الشُّبْهِ ؛
وَأَخْلَوْتُهَا مِنْ دَوَاعِي الْخَنَائِلِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ يَمِينِي : أوردتها عَلَى صِدْقٍ من نَبِيِّي ؛
وَحِجَّةٍ من عَزِيمَتِي ، وَأَهْمَاقٍ من مَرِيٍّ وَمَلَائِيَّتِي ؛ وَسَرَدْتُهَا سَرْدًا مُتَلَوًّا مِنْ غَيْرِ
فَقْصَلٍ ، وَتَلَفَّظْتُ بِهَا تَلَفُّظًا مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ ؛ وَالنِّيَّةُ فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ : عَلَى حُضُورِ مَنْسَبِهِ
وَعِيبٍ ، وَبُعْدٍ وَقُرْبٍ ؛ وَأَشْهَدُ اللهُ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُهُ عَلَى نَفْسِي مِنْهَا ، وَكُنْتُ بِاللَّهِ
شَهِيدًا عَلَى مَنْ أَشْهَدُهُ ، وَحَسِيًّا عَلَى مَنْ أَجْتَرَأُ عَلَى إِخْفَارِ عَهْدِهِ ، وَتَقْضِ عَقْدِهِ .

قلت : فإن كان من يؤخذ عليه المبايعة اثنين ، أتى في المبايعة بصيغة التثنية ؛ أو علامة فأكثر ، أتى بصيغة الجمع . ولم أقف على كيفية وضعهم لذلك في الكتابة ، والذي يظهر أن المبايعة كانت تكتب على الصورة المتقدمة ، ثم يكتب المبايعون خطوطهم بصُدورها عنهم ؛ كما يفعل الآن في تحليف من يحلف من الأمراء وضيهم من أرباب الوظائف بالملكة المصرية والملك الشامية ، أو يُشهد عليهم في آخر البيعة بمعاقدتهم عليها ورضاهم بها ونحو ذلك .

المذهب الثاني

(مما يكتب في بيعات الخلفاء)

أن مُنتح المبايعة بلفظ « من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني » إلى أهل دولته ، ونحو ذلك بالسَّلام عليهم ، ويُؤتى بما سَبَّح من الكلام ؛ ثم يُقال : أما بعد ، فالحمد لله ؛ ويُؤتى على وصفه بشريف المنصب ، واستحقاقه للخلافة ، واستيحاظه لشروطها ، وما يجري هذا المجرى ؛ ثم يتخوَّط في ملك البيعة ، ويذكر القائم بأخذها على الناس من سلطان أو وزير عظيم أو نحو ذلك ؛ ويذكر من أمر ولاية الخليفة ما فيه استجلاب قلوب الرعية والأخذ بخواطرم وما يتخوَّط في هذا السلك .

وهذه نسخة بيعة من هذا الأسلوب ، لوليِّ عهد بعد موت العاهد ، كُتِب بها لبعض خُلفاء القاطمين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها ، وهي :

(١) لله ونحو ذلك ويقع ذلك الخ تأمل .

من عبد الله ووليه «أبى فلان فلان بن فلان» الإمام الفلانى، بأمر الله تعالى أمير المؤمنين، إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أسرائها وأعيانها، وكبرائها وأوليائها؛ على أناس شعوبهم، وعساكرها على اختلاف ضروبهم؛ وقبائل عرصتها القيسية واليمانية، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعيه : الأمير منهم والمأمور، والمشهور منهم والمغمور؛ والأسود والأحمر، والأصغر والأكبر؛ وقههم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ورسالة أن يصلّى على عِد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله مولى المنّ الحسيم ، ومبدي الطول العيم ، ومانح جزيل الأجر بالصبر العظيم ، مفيد النعم المتشعبة الفنون ، ومُذِنِ المهج المتعالية لتناوب المنون ؛ ومبيد الأعمار ومفنيها ، وناشر الأموات ومحييها ؛ والفتاح إذا استفتحت الأبواب ، والقائل : (لكل أجل كتاب) الذى لا يغير ملكه مرور الغير ، ولا يصرف سلطانه تصرف القدر ؛ ولا يترك قدمه وأزليته ، ولا ينقذ بقاؤه ومرديته ؛ مسلم الأنام الخيام ، ومُضْمِي الأُنس لبها من الإخترام ؛ ومُورِد البشر من المنية مهلا ما يرحوا في رقبه يركعون ، ولزّه المشرق يتجرعون ؛ ومعز ذلك بقوله : (كل نفس ذائقة الموت ، وتبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) .

والحمد لله الذى نَسَبَ الأنبياء لمرآشده أعلما ، وحفظ بيئهم من الحق والهدى نظاما ؛ وجعل نبوة جدنا عِد صلى الله عليه وسلم لتبوايتهم ختاماً ، وعُضْد بوصيه أينا

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كلاً للدين وإماماً ، واستخلص من ذورتهما أئمة هادين إتهاناً لصنعتيه وإحكاماً ، وأنام المجتمة على الأئمة بأن أقام لكل زمان منهم إماماً ، وعاقب بين أنوار الإمامة فإذا انقبض نور أنبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليشرق طالع إثر غروب يغور ، رحمة شاملة للعالمين ، وحكمة نامية حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، ولم يُخل نبياً مع ما شرفه [به] من تناول وحيه وتلقيه ، ولا عصم إماماً مع اختصاصه بفروع منصب الإمامة وترقيته ، من لقاء المنيّة ، ودعائ الأئمة ، بل أجل لكل منهم أجلاً مكتوباً ، وقسح له أمداً محصوراً محسوباً ، لا يصرفه عن وصوله نصيبه ، ولا يصل إلى تجاوزه بقوة ولا حيلة ، وقدره بحكمة الأسباب ، ومبررة واضحة لأولي الأكباب ، وقضية أوحىها فرقائه الذي أقر بإعجازه الجاحلون ، إذ يقول مخاطباً لنيه : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن منتهى فهم الخلقون ﴾ .

والحمد لله الذي منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامة وأنوارها ، وحازله من ذخايرها وأودعه من أسرارها ، ما خوله فأنثر ثرائها ، وأصار له شرف ميراثها ، وجعله القائم بحقه ، والمرشد لخلق ، والملاحق بهداه ليلاً من الضلال بهيما ، والحاوي بخلافته مجداً لا يزال شأوه عظيماً : ﴿ ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴾ .

يحمده أمير المؤمنين علي أن أفتح باباته الأئمة سبل الحقائق ، فأصبحوا خلفاء الخلق وأئمة الخلائق ، وخوئ ما اختصهم به من الإمامة ، ورقعه بها إلى أتمنخ منازل العلاء وأرفع مواطن الكرامة ، ويستمدّه سُكراً يوازى النعم التي أثبتت [له] على سرير الخلافة وسرّها قلماً ، وصبراً يوازى الفجعة التي قل لها فيض المدامع دماً .

ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد الذي فضّ بجهاده جُوعَ الإلحاد، وحصدَ
باجتهاده من مال عن الهدى وحاد؛ وصدّع بما أمر به حتى عمّ التوحيد، ودانت
لمُحجّزاته الأمم وقد دعاها وهو المفرد الوحيد؛ ولم يزل مبالغاً في مرضاة ربه،
حريصاً على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه؛ حتى استأثر به وقبضه، وبذله من الدنيا
شرف جواره وعوضه؛ وأصاره إليه أفضل نبي بصر وبشر، وأحيا دين الله وأنشره،
وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبي طالب إمام الأمة، وأبي الأئمة؛ وقُدوة
السعداء، وسيّد الشهداء؛ وعاضد الدين بذى الفقار، ومن لم يزل الحق إلى
ذبه شديد الإفتقار؛ صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من نذرتهما الذين
أيقظوا العقول بإرشادهم من السنّة، وأفادوا من العدل والإحسان ما ألحج
بتمجيدهم الأئمة .

وإنّ الإمام الفلاني لدين الله أمير المؤمنين كان ولياً لله شرفه الله واستغفبه،
وأفرده بإمامة عصره وخصّصه؛ وفوض إليه أمر خلافته، وأحلّه علّاً تقع مطارح
الهمم دون علوّ وإناقته؛ فقام بحق الله ونهض، وعمل بأمره فيما سنّ وفرض؛ وقهر
الأعداء بسطواته وعزائمهم، وصرف الأمور بأزمة التدبير وخزائمه؛ وبالغ في الذنب
عن أشباع الله، واجتهد في جهاد أعداء القبلة؛ ووقف على مصلحة العباد والبلاد
أمله، ووفر على ما يحظى عند الله قوله وعمّله؛ ولم يترك في مرضاة خالقه مشقة
إلا أحتملها، ولا روية إلا صرّفها في إرشاد خلقه وأعمالها؛ حتى بلغ الناية المحدودة،
وأستكمل الأفاضل المعنوية؛ وأحسن الله له الاختيار، وآثره الثقل من هذه الدار
والزلفى بسكنى دار القرار، والقوز بمصاحبة الأنبياء الأبرار، والحلول في حفاظ
قُدسه مع آبائه الأئمة الأطهار؛ فصار إليه طاهر السرير، جميل المنهب والصوره؛
مستوجباً بسعفه أفضل رضوانه، مهنّداً بالتقوى لتدبيره أكثاف جنّاته .

وأمر المؤمنين [بحسب] عند الله هذه الرزية التي عظم بها المصائب، وعظم عند تجزئها المصائب؛ وأضرمت القلوب نارا، وأجريت الآفاق دما^(١) ممارا، وأطاشت بهولها الأبد بالحرق، وكلاحت الأجفان بالآرق؛ وكادت لمجومها الصدور تقذف أفئدتها، والدنيا تنزع نضرتها وبهجتها؛ وقواعد الملة تضعف وتهدى، والخطوب الكارثة^(٢) نصير ولا تنهى، فإننا لله وإنا إليه راجعون!! تسلياً لأمره الذي لا يذفع، وإذما لقضائه الذي لا يصد ولا يمنع.

وكان الإمام الغلاتي لدين الله أمير المؤمنين عند قتلته جعل لي عقد الخلفاء، ونص على بارقائه منصبها المخصوص بالإنافه؛ وأفضى إلى سيرها المكتوب، وأودعني غامض علمها المصون؛ وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف والحنان؛ والرحمة والغفران، والمن الرائي الذي لا يكدره امتنان؛ وأن أكون لأعلام الهدى نائرا، وبما أرضى الله مجاهرا، ولأحزاب القبلة مظافرا مظاهرا، ولأعداء الملة مرغما قاهرا؛ ولتأثر التوحيد رافعا، وعن حوزة الإسلام بناية الإمكان دافعا؛ مع علمه بما خصصت به من كرم الشيم، وفطرت عليه من الخلال القاضية مصالح الأمم؛ وأوتيته من استحقاق الإمامة وأستيجابها، ومنحته من الخصائص المبرمة لأسبابها.

فتمنوا جميع الأولياء، وكافة الأشراف؛ وجميع الأجداد، والحاضر من الرعايا والباد؛ عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة، بإمامكم الحاضر الموجود الذي أورثه الله مقامه؛ وأدخلوا في بيعته بصنادير مشروحة قيه، وقلوب على منجس الطاعة مطوية؛ ونيات

(١) مار الدم سال وأماه أساله - انظر القاموس -

(٢) أي تدوم من قولهم أصرم على الأمر دأوم عليه -

فى الولاء والمشاىعة مَرَضِيَّة ، وبصائر لا تزال بنور الهدى والإستبصار مُضِيَّة ، وأمير المؤمنين يسأل الله أن يجعل إمامته محظوظة بالإقبال ، دائمة الكمال ، صافية من الأكدار ، معصودة بموادة الأقدار ، ويوالى حمده على ما منحه من الإصطفاء الذى جعله لأمر الدين والدنيا قواما ، وأقامه للبرية سيّدا وإماما ، فأعلموا هذا وأعملوا به ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى يوم كذا من شهر كذا سنة كذا .



وهذه نسخة بيعة : كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمى بعد وفاة ابن عمه الآخر بأحكام الله ، قام بشقدها الوزير أبو الفتح يانس الحافظى ، أقصر فيها على تسمية واحدة ، وعزى بالخليفة الميت ، ثم أتقل إلى مقصود البيعة ، وهى :

من عبد الله ووليه عبد المجيد أبى الميمون ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى كافة أهل الدولة شرفيهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وأحمرهم وأسودهم ، وفقهم الله وبارك فيهم .

سلام عليكم ، فإن أمير المؤمنين يمدح إلهم الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يعلى على جدته محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله اللطيف بعباده وبريئه ، الرعوف فى أقداره وأقضيته ، المهيمن فلا يخرج شىء عن إرادته ومشيئته ، ذى النعم الفاقضة الغامرة ، والمِنَّ المنتابعة

المتظاهرين؛ والآلاء المتواليّة المتناصرة ، القائل في محكم كتابه : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ . مَدِيرِ أَرْضِهِ بِمُخْلَفَاتِهِ ، الَّذِينَ هُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَةُ ، وَهَادِي خَلْقِهِ بِأَوْلِيَانِهِ ، لئلا يكون للنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ؛ فَسُبْحَانَ الَّذِي هُوَ لِلنَّعْمِ مُسَبِّغٌ وَبِالْكَرَمِ جَدِيرٌ ، وَ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يَحْمَدُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ جَعَلَهُ خَلِيفَةً دُونَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَأَوْجَبَ ثَوَابَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ بِكَفَالَتِهِ وَصَحَابَتِهِ ، وَجَعَلَهُمْ يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ مَكْنُوفِينَ بِحِفْظِهِ مَشْمُولِينَ بِأَمَانَتِهِ ؛ وَأَوْزَعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا اسْتَطَاعَ لِيَأْتِيَ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَنَقَلَهِ إِلَيْهِ مِنْ ثَرَاتِ آبَائِهِ الْهُدَاةِ الْأَيِّمَةِ ، وَكَشَفَهُ بِإِمَامَتِهِ مِنْ أَلْفَحِ نَائِبَةٍ وَأَفْظَحِ مُلْكِهِ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّنَا عَمِيدِ رَسُولِهِ الَّذِي أَخْبَرَ الْأَنْبِيَاءَ الْمُرْسَلُونَ بِصِفَتِهِ وَفَعَلَتْهُ ، وَتَدَاوَلُوا الْبُشْرَى بِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ زَمَانِهِ وَبَعَثَتْهُ ؛ وَذَكَرُوهُ فِيمَا أَتَوْا بِهِ مِنْ كُلِّ كِتَابٍ أَوْحَاهُ اللَّهُ وَأَنْزَلَهُ ، وَاعْتَرَفُوا بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ وَأَرْسَلَهُ ؛ فَيَسِّرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا كَانَ مُرْتَقِبًا مِنْ ظُهُورِهِ ، وَأَذِنَ فِي إِشْرَاقِ الْأَرْضِ بِمَا أَنْتَشَرَ فِي آفَاقِهَا مِنْ نُورِهِ ؛ وَبَعَثَتْهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - إِلَى الْأُمَّةِ بِأَمْرٍ قَاطِبَةٍ ، وَجَعَلَ السَّنَةَ الْأَعْمَادِ بِمَجَادِلَةٍ لِمَنْ خَالَفَ شَرْعَهُ غَاطِبَةٍ ؛ فَكَانَ لَأَيَّةِ الْكُفْرِ مَاحِيًا ، وَفِي مَصَالِحِ الْبَرِيَّةِ سَاحِيًا ، وَإِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ دَاحِيًا ؛ إِلَى أَنْ لَمَعَتْ آيَاتُ الْحَقِّ وَسَطَعَتْ ، وَأَنْجَسَتْ مَادَّةُ الْبَاطِلِ وَأَقْطَعَتْ ؛ وَظَهَرَ مِنْ آيَاتِهِ مَا كَبَّرَهُ الْمُخْتَلُونَ ، وَأَشْهَرَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ مَا حُصِمَ بِهِ الْمُتَعَتِّتُونَ ، وَخَاطَبَهُ اللَّهُ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِتُّونَ ﴾ . فَيُخَيِّدُ قَلْبَهُ اللَّهُ إِلَى مَا أَعَدَّ لَهُ مِنْ جَنَاتِهِ ، وَخَصَّهُ بِشَرَفِ الشَّفَاعَةِ

في يوم مجازاته ، وصدقه وعده فيما بواه من النعيم المقيم : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وعلى أئمتنا أمير المؤمنين صلى بن أبي طالب أولى الناس بالنبي ، وأول من أتبعه من نوري قرابة وأجنبي ؛ وابن عمه الذي آخضه بؤاخاته ، وجعله خليفة على كافة الناس بعد وفاته ، وتعمل بأمر الله ، فيا ولده وأولاده ، وخطب الناس في حجة الوداع فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وعلى أئمة الكرام الأبرار ، وصفيهما المصطفين الأخيار ، وهداة المسلمين وقديتهم ، وأمرأه المؤمنين وأئمتهم ؛ الذين حكموا فأقسطوا وما قسطوا ، وسلك الحاضرون منهم سنن أسلافهم الذين قرطوا ، وأقتفوا آثارهم في السياسة فما قصروا ولا قرطوا ؛ ولم يزل كل منهم عاملاً من ذلك بما حسن أيامه ، فاعلاً في أمر الدين مارع مناره ونشر أعلامه ، حتى اختار الله له ما عنده فنص على من أقامه الاستحقاق مقامه ؛ وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا أنقضه لأئمة ، ولا أنقطع لمندة ؛ فنيل المطالب بكرمه وملكوته كل شيء بيده .

وإن الحق إن خفي حيناً فلا بد لهلاله من الإنبار وأنيساط النور ، وإن الشمس إن توارت بالحجاب لما أوشكت عودتها إلى البروز والظهور ؛ وإن حسن الصبر إلى أن يبلغ الكتاب أجله يؤمن من تدلية الشيطان بالغرور ، قال الله عز وجل في كتابه ، الذي هدانا به : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ .

وإن الله تعالى لأرفعه بن أئمة من خلقه وأشاه ، ولما سبق علمه في عارة هذه الدار على ما أرادته عز وجل وشاه ؛ لا ينجي الأرض من نور يستضيء به السارى في الليل البهيم ، ولا يدع الأمة بلا إمام يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؛ فهو جل وعلا أعلم من أن يعمل جيد الإيمان من حلي الإمامة عاطلاً ، أو يترك

انخلق هملا وقد قال : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِإِلَّاهٍ) .
 بل يقطع أعمار العباد فيما خلقهم له ووقفهم ، ويهديهم بالأئمة إلى التوفيق على عمل
 ما ألزمهم وكلفهم ؛ فالأمور محروسة الترتيب محفوظة النظام ، والأرض إذا غلظت
 لفقد إمام ، أضاعت وأشرقت لقيام إمام . وقد علم الكافة أن حجة الله في أرضه ،
 والمجتنب من الأعمال ما لم يرضه ، والمحسن إلى البرية يبحث على المصالح وحضه ؛
 الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين الذي آتاه الله الحكم صبياً ، ورفعه من إرث
 النبوة مكاناً طيباً ، واستخلفه على خلقه فكان للفضل بإسقاط ولاية العبد ناشر ،
 وجعله لشمل المحاسن جامعاً ولأئمة الخلفاء الراشدين حاشراً ؛ لم يزل ناظراً في البعيد
 والقريب ، عاملاً في سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ؛ مستقياً حرصه
 في المحافظة على إعراز الله ، مستفيداً جهته في الجهاد فيمن خالف أهل القبلة ،
 باذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يعرف معه أحد من خاصته بالفقر ولا يسب
 معه إلى القلة ؛ حتى استوفى مدته الموهوبه ، واستوعب غايته المكتوبه ؛ وناله
 من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقلعه على الله شهيداً ، وأصاره إلى ما عهد
 له من نعيم لا يريد به بديلاً ولا يطلب عليه مزيداً ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربّه تبارك
 وتعالى ، كانتقال أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بقاءً من الكافرين وأغتيالاً .
 وقد كان يذكر ما علمه من حق أمير المؤمنين تارةً مجهرًا وتارةً مخفياً ، إلى أن صار
 على بسط القول في ذلك وتبيينه ثباتاً متهاً ؛ وأفصح بما كان مستبهماً مستحجاً ،
 وصريح بما لم يزل في كشفه ممرضاً وعن إفصاحه محججاً ؛ وذلك لما ألفاه أشرف
 فرع من سنخ النبوة ، وراه أكرم في نخارة الأبوة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم^(١)

(١) المراد به الحافظ لعن الله صاحب هذه البيعة .

(٢) جرى الكاتب على لغة القصر .

عَمَّه سَلامُ الله عليه الذى هو سَليْلُ الإمامة القَليْلُ المِثْلُ ، ونَجَلُ الخِلافةِ المَخصوصِ
 من الفَخْرِ بأَجْزَلِ حَقٍّ وأَوَفَرِ كَفْلٍ ؛ كان المَستَصرُّ باقَه أميرُ المُؤمِنين مَماه ولى عَهْدِ
 المُسلمين ، وتَضَمَّنَ ذَلكَ ما نَخرَجَتْ بِهِ تَوقيعاتُه وتَسيِفاتُه إلى السَواوِين ؛ وَبُتَّتْ
 فى طُرُزِ الأَبْنِيَةِ ، وَكُتِبَ الأَبْتِياعاتُ والأَثَرِيَّةُ ، وصَلَمَتِ الكَافَّةُ عَالمًا بِقَينا ظَلَبَ فِيهِ
 غَيرَ مُرَتابِيَةٍ ولا مَمتَرِيَةٍ ، وفى ضَمَنِ ذَلكَ باطِنٌ لا يَستَغلُّهُ إلا العَالمُونَ ، ولا يَنفِكرُهُ إلا من
 قال فيهِم : ﴿ وَمَا يَحْصُدُ إِيَّائِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ . وَذلِكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنين العَرضُ
 والمَقْصَدُ ، والبُغْيَةُ والمَطْلَبُ ؛ وَلَهُ عَهْدُ بالتَلوِيحِ والإِشارَةِ ، وإِلَيْهِ أَوْحَى بالتَّصَّ وَإِنْ
 لَمْ يَفْصَحْ فِيهِ بِالْعَبَارَةِ ؛ وَكانَ وَالِدُهُ الأميرُ أَبُو القاسِمِ - قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ - بِمِثْلَةِ
 الأَشْجارِ الَّتِي يُتَأَنَّى بِها إلى أَنْ يَظْهَرَ زَهرُها ، والأَسْجَمِ الَّتِي يُنْتَظَرُ بِها إلى أَنْ يَخْرُجَ
 ثَمَرُها ؛ وَالزَّجْجُونَةُ الَّتِي تَقَلَّتْ المِاءَ إلى العُتُقُودِ ، وَالسَّحَابَةُ الَّتِي حَمَلَتْ الغَيْثَ فَمِ
 نَقْضِهِ أَهْلُ السُّهُولِ والتَّجُودِ ؛ وَمما يَبَيِّنُ ذَلكَ وَيُوضِّحُهُ ، وَيَحَقِّقُهُ وَيَصَحِّحُهُ ؛ وَيَتَلَجَّ
 بِهِ لِلْمُؤمِنين صُذُورُ وَقُوى أَفْئِدِهِ ؛ وَتَشْهَدُ البِصائرُ أَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ عَلَى الإِسلامِ مِتابَعَةٌ
 مِتابَعَتُهُ ، أَنَّ الأَمْرَينِ إِذا تَشابَها مِنْ كُلِّ الجِهاَتِ ، وَكانَتْ بَيْنَهما مُدَدُ مُتَطاولاتٍ
 مُتَباعَداتٍ ؛ فَالسَّابِقُ مِنْهُما يُمَهِّدُ لِلتَّالِي ، وَالأَوَّلُ أَبْدا رَمزٌ عَلَى الثَّانِي ؛ وَلا خِلافَ
 بَيْنَ كَافَّةِ المُسلمين فى أَنَّ اللهَ تَعالَى أَمَرَ جَدَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقْدِ وَلايَةِ
 أميرِ المُؤمِنين عَلى- بْنِ أَبي طالِبٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فَتَقَلَّها لَهُ يَومَ غَدِيرِخُمٍّ ، وَأَمِيرُ المُؤمِنين
 عَلى- بْنُ عَمِّهِ وَكانَ لَهُ حينَئِذٍ عَمٌّ حاضِرٌ ، وَأَمضى ما أَمَرَ بِهِ والإِسلامُ يَومَئِذٍ غَضٌّ
 وَعُودُهُ نَاضِرٌ ؛ وَكَذلِكَ أَنَّ أميرَ المُؤمِنين ، هُوَ ابْنُ عَمِّ الإمامِ الأَمْرِ بِأَحْكامِ اللهِ
 أميرُ المُؤمِنين ؛ وَقَدْ نَصَّ مَعَ حَضورِ عُمُومَتِهِ عَلَيْهِ ، وَفَعَلَ ما فَعَلَ جَدُّهُ رَسولُ اللهِ
 أَقْتَداءً بِهِ وَأَتِهاةً إِلَيْهِ ؛ وَكانَ أَبُو عَلى- المَنصُورُ الإمامُ الحَاشِمِيُّ بِأَمْرِ اللهِ أميرُ المُؤمِنين
 صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ ، جَعَلَ ابْنَهُ عَبْدَ الرَّحيمِ إِلِياسَ وَلىَّ عَهْدِ المُسلمين ، وَمِيزَهُ بِذلِكَ

على كافة الناس أجمعين، ونقش اسمه في السَّكَّة، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكة؛
 وألبسه شدة الوَقَار المرسعة بالجوهر، وأستتابه عنه إمام الأعياد في الصلاة وفي رُفَى
 المتبر؛ وأقامه مقام نفسه في الاستغفار لمن يتوفى من خواص أوليائه، وفي الشفاعة
 لهم بتقبل مناجاته ومسموع دُعائه، مع علمه أنه لا ينال رتبة الخلافة، ولا يبلغ
 درجة الإمامة؛ وأن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله - صلى الله عليه - هو الذي
 خلق لها؛ وحين حمل أعباءها ألقاها وما استقبلها؛ وإنما تحت ذلك معنى لطيف
 غامض، وسر عن جمهور الناس مستتر وبرقه لأولى البصائر وامض؛ وهو أن مكثون
 الحِكمه، ومكتوم علم الأسمه؛ يدلان على أن الإمام المنصور أبا علي، سيفعل فيمن
 يستخلفه بعده مثل فعل النبي؛ وقد علم الإمام الحاكم - عليه السلام - أن المراد
 بذلك من يأتي بعده من أولاده أو أنسله، لأن ولده حاضر والمقصود من لا ولده له؛
 بجعل ولاية عبد الرحيم العهد تأسيسا لما سيكون، وقالا للنفوس من الارتزاج إلى
 أن تسلمها الطمانينة والسكون؛ فلما أفضى الله إلى الإمام المنصور أبي علي الإمام
 الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين بالخلافة التي جعلها واجبا له حقا، ووافق جدّه
 - عليه السلام - وكان لقبه من لقبه مشتقا، ظهر المنكتم، وفتح المستتر؛ وعاد
 التعريض تصريحاً، والتمريض تصحيحاً؛ والرمز إبانته، والنص على أمير المؤمنين
 أمانته؛ فاقتدى بجمده رسول الله صلى الله عليه وسلم في استخلاف أمير المؤمنين
 مع حضور غمومه، وقفل في ذلك قبلته وجرى على قضيته؛ وكشف عما أبهمه
 الإمام الحاكم بأمر الله قدس الله لطيفته قساوى الخالص والعالم في معرفته؛ ثم حله
 أمير المؤمنين محل نفسه في الجلوس على الأسيطة، وعمل لأوليائه ورعيته في ذلك
 بالقضايا المحيطة؛ ونصبه منصبه في الصلاة على من جرت عادته بالصلاة على مثله؛
 وجمع في اعتاد ذلك بين إحسانه وقضله وبين امتنانه وعمله؛ وإذا قد تبيين هذا

الأمر الواضح الحلي، وتساوى في علمه الشانئ والولي، وعلم هو ماخص الله به أمير المؤمنين من الإمامه، وأزاله عن القول من ضباب متكافئ وعمامة، وشمله به من فضله ورافته، ونصبه فيه من منصب خلافة، التي أيدتها بوليّه ووزيره، وعضدها بصفيّه وظهيره، السيد الأجل أبي الفتح يانس الحافظي الذي جعله الله على اعتنائه ببلوّة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل، وصرف به عن ملكيته محذور الصروف والقوائل، وأقام منه لمناسبة الخلافة محلها جمع فيه أسباب المتناقب والفضائل، وأيده بالتوفيق في قوله وفعله فاربى على الأواثر والأوائل، ودلت سيرته الفاضلة على أنه قد عمر ما بين الله وبينه، وحكمت سُنّة العادلة أن كل منحه لا يبلغ ثناءه وكل وصف لا يقع إلا دونه، والله يضاعف نعمه عنده ولديه، ويفتح لأمر المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها على يديه، وهذا يحقق أن الإسلام قد أحدث له قوة وعمكيا، وأن ذوي الإيمان قد ازدادوا إيمانا وأستبصارا وقينا، فيجب عليكم لأمر المؤمنين أن تدخلوا في بيعته مُشرحة صدوركم، طيبة نفوسكم، مجتهدين له في خدمة تعالون بها إحسانه، متقربين إليه بمناسبة تحظيكم عند الله سبحانه، حاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يتبعون في فعلهم، ويقع الإجماع بمظهرهم، ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيا، وعن الصفات متجاوزا كريما، وبالكافة رعوفا رقيقا، وعلى الرطبا عطوفا شقيقا، وأن يصفح عن المعصية بالم يأت كبره، ويألف في الإحسان إلى من أحسن السيرة، ويؤلى من الإفضال ما يستخلص الضائر، ويُسيغ من الإنعام ما يقتضي قهّاء المرائر، وأمير المؤمنين يسأل الله أن يعرفكم بركة إمامته، ويؤمن خلافته، وأن يجعلها ضامنة بلوغ المطالب، كافلة لكافةكم بسعادة المبادئ والعواقب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذهب الثالث

(أن تُفتح البيعةُ بعدَ البسملةِ بِحُطْبَةٍ مُفْتَتَحَةٍ بِالْحَمْدِ لله ،
ثم يُقْرَأُ بِالْبُعْدِيَّةِ وَيُخْلَصُ إِلَى الْمَقْصُودِ ؛ وَقَدْ يُذَكَّرُ السُّلْطَانُ الْقَائِمُ بِهَا
وَقَدْ لَا يُذَكَّرُ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَتْ تَكْتُبُ بِيَعَاتُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمَنْ أَدْعَى الْخِلَافَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ)

وهذه نسخةُ بَيْعَةٍ كُتِبَ بِهَا طَاهِرُ الْأَنْدَلُسِيِّ ، فِي اخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِ دَانِيَّةَ
مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، لِلرَّشِيدِ بْنِ الْمَأْمُونِ الْأُمَوِيِّ ، وَهُوَ مُتَصِيبٌ فِي الْخِلَافَةِ : خُلُفَ
تَوَهُّمِهِ مِنَ الرَّعِيَةِ . اقْتَصَرَ فِيهَا عَلَى تَحْمِيدِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَعَرُّضٌ لِسُلْطَانٍ قَائِمٍ
بِنَقْلِهَا ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لله الَّذِي أَسْبَغَ إِيْمَانَهُ بِأَطْنًا وَظَاهِرًا ، وَسَوَّغَ إِفْضَالَهُ هَامِلًا وَهَامِرًا ، وَأَعْجَزَ
عَنْ وَصْفِ إِحْسَانِهِ نَاطِلًا وَنَازِلًا ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ نَاهِيًا وَآمِرًا ، وَتَعَالَى جَدُّهُ فَلَا تَرَى لَهُ
مُضَاهِيًا وَلَا مُظَاهِرًا ، وَلَا مُوَازِيًا وَلَا مُوَازِرًا ؛ وَنَصَرَ الْحَقَّ وَكَفَى بِهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِهِ
نَاصِرًا ، وَجَعَلَ جَدَّ الْمَطِيحِ صَاعِدًا وَجَدَّ الْعَصِيِّ طَائِرًا ؛ وَحَذَرَ مِنَ الْخِلَافِ بِأَدْيَا
وَحَاضِرًا ، وَمَاضِيًا وَظَارًا .

نَحْمَدُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ حَمْدًا مِنْ أَصْبَحَ لُمَلِكِ الْحَمْدِ ذَانِرًا ، وَنُشْكِرُهُ عَلَى مَنِّهِ وَلَنْ
يُسْلِمَ الْمَزِيدَ مِنْهُ شَاكِرًا ؛ وَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ حِفْظَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْإِعْتِمَادِ وَإِفْرَا ،
وَوَجْهَهُ نَبِيْنًا فِي الْأَنْتِظَامِ سَافِرًا ؛ وَأَنْ يَمُنَّحَ أَوْلِيَائِهِ النَّصَرَ ظَاهِرًا وَالْفَتْحَ بَاهِرًا ، وَأَعْدَاءَهُ
الرُّعْبَ شَاجِحًا وَالرُّنْحَ شَاكِرًا ؛ وَنُتَهَدُّ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةً مِنْ أَقْرَلِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ
صَافِرًا ، وَأُحْشَى لِأَوَامِرِهِ مِمْتَتِلًا وَلِنَوَاهِيهِ مُحَازِرًا ؛ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ حَرْبَ الْإِيمَانِ

ظافرا، وبيده بنصره طالبا للثأر نائرا؛ وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الذى اتخذه من صفوة الصفوة كابرا فكايرا، وجعله بالفضيلة أولا وبالسالة آخرا؛ فأيقظ بالدعاية ساهيا ونامنيا وسكن بعد الإبانة متافيا ومتافرا، وأذهب بنوره ليلا من الجهالة سائرا؛ وقام بجهاد الكفرة ليثا خادرا، وبأمر بنفسه المكاره داريا وحاسرا؛ وشهد بدرا مبادرا، وحنينا متنيرا بالخبر نادرا؛ وظهر عليهم فى كل المشاهد غالبا وما ظهرُوا نادرا؛ وعلى آله وأصحابه الذين منهم صاحبه وخليفته، الملوحة راقته، أبو بكر الذى أقتسم لمول الردة مصابرا، وصلّى فى قتال الروم أهل الجلاء والشدة سيفا بائرا؛ ومنهم القوي فى ذات الله عمر الذى أصبح به ريح الإسلام طامرا، ولم يحش فى الله غائلا ولم يرج غادرا؛ ومنهم الأصدق حياء عثمان ملاق البلوى صابرا، وانغمر الذى لم ير للأئمة خافرا؛ ومنهم أقضاهم على الذى قاتل باغيا وكافرا، وبات لخوف الله ساهرا؛ ورضى الله عن الإمام المهدي الذى أطلعه نورا باهرا، وبحرما للعلم زائرا، وأنى به والضللال يمز رسته سادرا، والباطل يثبت وينهى وإردا وصادرا؛ بلقد رسم الحق وكان دائرا، وقام بأرائه علما هاديا وقوما هادرا؛ وعن الخلفاء الراشدين المرشدين من أصبح حائدا عن الحق جائرا، المجاهدين خائلا بالعهد خائرا.

أما بعد، فإن الله سبحانه جعل الإمامة للناس عصبه، ومنجاة من ريب الألباس ونعمه، بها تنهد حمارة الأرض، ويتجدد صلاح الكل والبعض؛ ولولاها ظهر الخلل، وأختلط المزعج والمسل؛ وأرتكبت المآثم، وأستبيحت المحارم؛ وأستطعت المظالم، وانتقم من المظلوم الظالم؛ وفسد الائتلاف وأقرق النظام، وتساوى الحلال والحرام؛ فأختار لأمرهم رعاة أمرهم بالعدل فعدلوا، وبالتواصل

(١) أى لم يخف وفى بعض النسخ «ولا يرج غادرا» وهو غير مناسب.

في ذات الله والتفطع قَطَعُوا في ذاتِ الله ووصلوا ؛ وعدلوا بين أهلهم وأقربهم
 فيما أولوا، ونهضوا بأعباء الكفاية والحماية وأستقلوا؛ وأزهمهم الإثاق والأياد،
 وحظر عليهم الإنشقاق والعناد ؛ فلَكُوا بأزمة العقل قيادَ الأمور ، وأشرقت بسيرتهم
 المباركة أفاضى المعمور؛ وشاهد الناس فواضِل إمامهم ، وتبينوا من سيرتهم العادلة
 علو علهم في الخلّاف ومقامهم ؛ ولم يُطرق في مُنتهم للإسلام جناب ، ولا أفتَحِم
 له باب ؛ وأتى وسبوقهم تحطّر من دماء الأعداء ، وبلأثم ساكنة الدماء ،
 والكفرة بالرغب الخامر والباء العياء ؛ وأهل الإيمان ، يجرّون ذبُول العزائم ، وتبدئة
 الصلبان ، يجرّون في ذيل الهوان الدائم ؛ إلى أن صدمت الأرض منهم بحارها الزواجر ،
 وأنوارها البواهر ، ورأت بعنهم العيون الفواقى والمتون الفواقير ؛ وأكفهر وجه
 اللأواء ، وتفترقت الفرق بحسب الأهواء ؛ وسفكت الدماء ، وركبت المضلة العمياء ؛
 وأجثقت الجوائر ، وأهمل الشرع والشعائر ؛ ثم إن الله تعالى أذن في كشف
 الكرب ، وأطلع بالقرب نورا ملأ الدلو إلى عقد الكرب ؛ وهو النور الذى أضاء
 للبصائر والأبصار ، وطلع على الآفاق طلوع النهار ، وذُبحرت أيامه السعيدة لدرك
 النار ، وكلفت به الخلافة وطال بها كلفه ، وقام بالإمامة مثل ما قام بها الخلفاء
 الراشدون سلفه ؛ وذلك هو الخليفة الإمام أمير المؤمنين الرشيد بالله ابن الخلفاء
 الراشدين رضى الله عنهم أجمعين ، وخَلَد في عقبيهم الإمامة إلى يوم الدين ؛ وهو
 الأسد المصبور ، ومن أبوه المأمون وجده المنصور ؛ العريق في الخلافة ، والحقيق
 بالإمامة والإنافه ؛ فجمع ما أفتقر ، ونظم الأمور ونسّق ؛ ومنع الحوزة أن تُطرق
 والملة أن تفترق أو تُفترق .



وهذه نسخة بيعة كتب بها أبو المطرف بن عُميرة الأتلمى بأخذ البيعة على أهل شاطبة من الأتلمس لأبي جعفر المستنصر بالله العباسي ، قام بقتلها أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود صاحب الأتلمس ، ثم أخذ البيعة بعد ذلك عليهم لنفسه ، وأن يكون أبنته ولي عهد بعده ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأرض قَرَارًا ، وأرسل السماء مِدْرَارًا ، ومَخْرِيلًا ومِهْرَارًا ، وقَدَّرَ أَجَالًا وأَعْمَارًا ، وخالقَ الخَلْقِ أَطْوَارًا ، وجعل لهم إرادةً وأختيارًا ، وأوجد لهم تَفَكُّرًا وأختبارًا ، وتماهَنهم برحمته صَغَارًا وبِكَارًا .

لحمده حمد من يَبْجُوهُ وقَارًا ، ونَبَأُ من طائفة استَجَارًا ، وألحد في آياته سَفَاهَةً وأفْتَارًا ، وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نَجَارًا ، السامي نَفَارًا ، فَرَعَ اللهُ مِنْ شَرِيحَتِهِ لِلأُمَّةِ مَنَارًا ، وأطلقَ برسائله لِلشُّرْكَ نَارًا ، حَتَّى عَلَا الْإِسْلَامُ مِقْدَارًا ، وَعَزَّ جَارًا ودارًا ، وأذعنَ الْكُفْرَ اضْطِرَارًا ، وأسَلِمَ ذِلَّةً وصَغَارًا ، ففضي وقد ملأَ البسيطة أنوارًا ، وعَمَّهَا بَدْعُوته أُنْجَادًا وأغوارًا ، وأوجب لولاه العهد بعده طاعةً وأيمانًا ، فحَازَهُ اللهُ أَفْضَلَ ما جَزَى نِيًّا مَخَارًا ، ورسولًا أجتباه أختصاصًا وإيثارًا ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين آثارًا وأختيارًا ، وعلى أصحابه الكرام مهاجرين وأنصارًا ، صلاة تُولِيها إعلاتنا وإسرارًا ، ونزجوها مغفرة ربنا إنه كان غَفَّارًا .

أما بعدُ ، فإنَّ المستأثر بالنعوم ، اللطيف بالأنام ، أنشأهم على التنأير والتباين ، واضطرهم إلى التجاور والتعاون ، وجعل لهم مصلحة الاشتراك ، ومنفعة الإلتصام

والإشْتَبَاكُ ؛ طريقاً إلى الأفضَل في حَيَاتِهِمْ ، والأُسْعَدَ لِعَايَاتِهِمْ ؛ وَبَعَثَ النَّبِيَّ
مُرْعِيْنَ وَمُعْذِرِينَ ، وَمُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ؛ فَأَدَّأَ عَنْهُ مَا حَمَلَ ، وَبَيَّنَّوْا مَا حَرَّمَ وَحَلَّلَ ؛
وَكَانَ أَعْمَهُمْ دَحْوُهُ ، وَأَوْقَعَهُمْ عُرْوُهُ ؛ وَأَعْلَاهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ حِنْدُهُ ذِرْوُهُ ، وَأَعْطَفَهُمْ
لِلْقُلُوبِ وَهِيَ كَالْجِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَهُ ؛ الْخُصُوصُ بِالْمَقَامِ الْمُحْمُودِ ، وَالْحَوْضِ
الْمُورِدِ ؛ وَشِفَاعَةِ الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ ، وَلَوَاءِ الْحَمْدِ الْمُعْقُودِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَطَلَى آلَهُ وَسَلَّمَ
أَفْضَلَ صَلَاةٍ تُقْضَى إِلَى الظَّلِّ الْمَمْدُودِ ، وَتَبْلُقُنَا مِنْ شِفَاعَتِهِ أَفْضَلَ مَوْعُودٍ ؛ بَعَثَ اللَّهُ
لِلْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَالْأَذْنَى وَالْأَبْسَدِ ؛ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ وَظَلَامُ اللَّيْلِ غَيْرُ مُنْجَابٍ ،
وَالدَّاعِي إِلَى اللَّهِ غَيْرُ مُجَابٍ ؛ وَأَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ ، شَدِيدٌ جَلْدُهُمْ ، بَعِيدٌ
فِي الضَّلَالَةِ وَالْقَوَايِ أَمْدُهُمْ ؛ فَسَلَّكَ مِنْ هِدَايَتِهِمْ سَبِيلًا ، وَصَبَّرَ لَهُمْ صَبْرًا جَمِيلًا ،
يُجِبُّ صَلَاحَهُمْ وَهَمَّ الْعَدُوِّ ، وَيَكِينُ لَهُمْ إِذَا جَدَّ بِهِمُ الْعُتُوُّ ، وَيُجَاهِدُ فِي إظهارِ دِينِهِ
وَلِدِينِ اللَّهِ الظُّهُورَ وَالْعُلُوَّ ؛ حَتَّى أَتَقَادُوا بَيْنَ سَائِقِي سَبَقَتِ لَهُ السَّعَادَةُ ، وَلاحِقِ
تَدَارَكَتْهُ الْمَشِيئَةُ وَالْإِرَادَةُ ؛ وَلَمَّا رَفِيعَتِ رَايَةُ الْإِسْلَامِ ، وَشَفَعَتِ حُجَّةُ الْكَتَابِ حُجَّةُ
الْإِسْلَامِ ، وَدُعِيَ النَّاسُ إِلَى اتِّرَافِ الْأَحْكَامِ ، وَنُهِوا عَنِ الْإِسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ ، أَخْبَتُوا
إِلَى الرَّبِّ الْمَعْبُودِ ، وَأَشْفَقُوا مِنْ تَعَدَّى الْحُدُودِ ، وَوَعِظُوا فِي الْإِيمَانِ وَالْعُهُودِ ؛ فَأَمَرُوا
لِلشَّرْعِ حِينَ أَمَرَ ، وَنَافَقُوا وَخَامَةً مَنْ إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ؛ فَكَانَ الرَّجُلُ يَدْعُ الْخَوْضَ
فِيهَا لَا يَمْلِكُهُ ، وَيَتْرُكُ حَقَّهُ لِأَجْلِ يَمِينٍ تَلَزَمَهُ ، وَشَرَعَتْ الْإِيمَانُ فِي كُلِّ فَنٍّ بِحَسَبِ
الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ ، وَطَلَى قَدْرَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ؛ فَوَاحِدَةٌ فِي الْمَالِ لِحَقِّ الْأَدَاءِ ، وَأَرْبَعٌ مُجَسَّةٌ
عِنْدَ مُلَاعِنَةِ النِّسَاءِ ، وَخَمْسُونَ أَنْتَهَى إِلَيْهَا فِي أَحْكَامِ النِّسَاءِ ، فُتَوِّقْ لِلْحُدُودِ عَلَى
مَقَادِيرِهَا ، وَجَرَتْ أُمُورُ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ عَلَى أَفْضَلِ تَهْدِيرِهَا ؛ وَقَبِضْ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَدْلُ قَائِمٌ ، وَالشَّرْعُ عَلَى الْقَوَى وَالضَّعِيفُ حَاكِمٌ ، وَالرَّبُّ

(١) لعل المراد بالأول الدين وبالتالي الاتقياء إن لم يكن مصحفاً عن الاستسلام .

جلّ جلاله بما تُحقّق الصدور عالم ؛ وقام بعده الخلفاء الأربعة أركان الدين ،
وأعضاء الحقّ المبين ؛ يحملون الناس على سنّته الواضح ، وينقّون أمور المصالح ،
ويتفقّهون في الأحكام وفقاً مع الظاهر وترجيحاً للرأى ؛ وكانوا يتوقّفون في بعض
الأحيان ، ويطلبون للشبه وجه البيان ، ويستظهرون على تحقيق كثير من الوقائع
بالإيمان ؛ حتى كان على كرم الله وجهه يستثبّت في الدراية ، ويستحلف الراوى
على الرواية ؛ وما أنكر ذلك أحدٌ ، ولا أعوزه من الشرع مستند ؛ رضى الله عنهم أئمة
بالعدل قضاة ، وعلى سبيله مَضُوءا ، والسيرة الحليّة تحيروا وآرتضوا ؛ وعن سيد
الأنام ، ومستزّل دَرّ القمام ، عمّ نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ، الحامى الحبيب ،
والمعلّل الأئيب ؛ والنبيّ الهامِلِ المنسكب ، أبى الفضل العباس بن عبد المطلب ؛
وعن الفائزين بالزّينة الكريمه ، والصّحبة القديمه ، والمناقب العظيمة ؛ بنبور الظلام
ومجّور الحِكم ، وصُدُور أنديّة الفضل والكرم ؛ وسائر صحابه عليهم السلام الذين
أسلموا على عُمره^(١) وأسلفوا جدّاً في نصره ، وأدرّكوا من بركة عيانه وزمانيه المأمُور
لحصره ؛ كرم الله ما بهم ، وأجزّل قواهم ، وشكّرهم صبرهم وأحتسابهم ؛ فلقد عقّدوا
نية الصّدق عند قيامهم لأداء فريضة الإطاقة ، واستباحوا صلاة الشكر حين رَعُوا
حدّث الرّدة وأراقوا سُور الشّرك وقد استحقّ بنجاسته الإراقة ، وأبثّروا كسرى زينة
فأبرزوها على مُرافقه ؛ فرأوا عياناً ما أخبر به سيّد المرسلين ، وملّكوا مأزوى له منها
فاطّل عليه بحقه المبين ؛ وذهّبوا فاطمَنت الأرض من بعينهم ، وتكرّرت المعارف
لفقدنهم ، واختلط الحمل والمرعى ، وتشابه الصريح والدّعي ؛ وتارّت الذنن من كل
جانب ، وصارت الحقوق نُهيّة [كل] ناهب ؛ ولما يرحّت اليهود^(٢) ، وتعدّيت

(١) مراده على عهد النبي وفي زمنه .

(٢) لعله لما تركت اليهود . تأمل .

الحُدُود؛ بَلَغَ الْوَقْتُ الْمُحْدُودَ، وَطَلَعَتْ بَيَاضُ الْعَدَلِ الرَّايَاتُ السُّودُ؛ تَحْتَهَا سَادَاتُ
النَّاسِ، وَزَادَتْ مَوَاقِفُ الْإِبَاسِ؛ وَشَهَبُ الْيَوْمِ الْعَمَاسُ، وَجُبَّ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِنْ
بَنِي الْعَبَّاسِ؛ فَأَعَادُوا إِلَى الْأَمْرِ رَوْقَهُ، وَفَقَّوْا عَنْ الصَّفُورِ قَرَقَهُ؛ وَحَمَوْا حَرَّمَ
الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَّةَ آبِنِ عَمَّهِمْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَأَصْبَحَتِ الْأُمُورُ مُضْبُوطَةً،
وَالْفُتُورُ مَحْظُوطَةً؛ وَالسُّبُلُ آمِنَةٌ، وَالرَّعِيَّةُ فِي ظِلِّ الْعَدْلِ وَالْأَمْنِ سَاكِتَةٌ؛ وَكَانَ النَّاسُ
قَبْلَهُمْ قَدْ رَكِبُوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ، وَامْتَطَوْا الْحَزْنَ وَالسُّهُولَ؛ فَوَقَّعُوا مِنْهُمْ بِطَاعَتِهِمْ،
وَأَسْتَحَقُّوهُمْ عَلَى بَيْعَاتِهِمْ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَلْزَمُوهُمْ مِنْهَا وَاجِبًا عَلَى الْقَطْعِ، لِأَزْمًا بِإِلْزَامِ
الشَّرْعِ؛ وَوَجَدُوا لِمَصْلَحَةِ الْإِرْتِبَاطِ بِالْإِيمَانِ شَوَاهِدَ مِنَ الْآثَارِ الْمُنْقُولَةِ، وَالْأَصُولِ
الْمَقْبُولَةِ؛ وَمَنْ أَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا طَلِبَهَا، وَرَاعَى بِخِصْلَةِ الْمَصَالِحِ كُلِّ مَا تَطَرَّقَ
إِلَيْهَا، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ فِي سَعَةِ مِنْ هَذَا التَّكْلِيفِ الْمُسْتَنَدَ إِلَى الْآثَارِ الشَّرْعِيَّةِ،
الِدَاخِلِ فِي أَقْسَامِ الْمَصَالِحِ الْمُرْعِيَّةِ؛ كَمَا سَلَفَ مِنَ الْأَثْمَةِ الْمُتَهْتَدِينَ؛ أَبَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وُخَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، آبِنِ عَمِّ سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

لَمَّا دَمَا النَّاسُ بِالْمَلِكَةِ الْفَلَانِيَّةِ حَمَاهَا اللَّهُ إِلَى مُجْتَمَعِهِمُ الْقَوِيَّةِ، وَأَمْرَتِهِمُ الْهَاشِمِيَّةِ؛
بِمُجَاهِدِ الدِّينِ، بِسَيِّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، جَمَالِ الْإِسْلَامِ، مُحَمَّدِ الْأَنَامِ، تَاجِ خَوَاصِّ
الْإِمَامِ؛ نَحْرُ مَلُوكِهِ، شَرَفُ أُمَرَائِهِ، الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدَ، أَسْعَدَ اللَّهُ أَيْامَهُ، وَنَصَرَ أَعْلَامَهُ؛ وَقَامَ لِنَازِلِكَ مُتَوَحِّدًا
الْمَقَامَ الْكَرِيمَ، مَشْرَعًا عَنْ سَائِدِ التَّضَمُّيمِ؛ مَاضِيًا عَلَى الْهَوْلِ مَضَاءَ الْحُسَامِ
الْقَاضِبِ، غَاضِبًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرِضَاءَ عَلَى غَايَةِ هَذَا الْغَاضِبِ؛ مَا لَتْ إِلَيْهِ الْأَجْيَادُ،
وَأَنثَلَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ؛ فَاتَّظَلَمَهَا مَلِيئَةٌ مَدِينَةٍ، وَجَعَلَ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ شَرِيعَةً
مَنْعِيَةً وَذَرِيعَةً مُعِينَةً؛ وَهَسَّتْ - أَيْدِيهِ - بِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ
قَاطِبَةً لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَبِي جَعْفَرٍ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ؛ وَكَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَرَامِ
السَّعِيدِ، وَالْمَقَامِ الْحَمِيدِ، وَالْقَدَمِ الَّذِي رَضِيَ إِبْدَاءَهُ وَإِعَادَتَهُ الْمُبْدِئُ الْمُبِيدُ، وَخَاطِبُ
الدِّيْوَانِ الْعَزِيزُ النَّبِيُّ - خَلَّدَ اللَّهُ شَرَفَهُ مُتَضَرِّعًا لِمُسَائِلِ خِدْمَتِهِ، مُتَعَرِّضًا لِمَوَاطِفِ
رَحْمَتِهِ ؛ وَبَعَثَ رَسُولَهُ عَلَى أَصْلَاقِ رَجَاءٍ فِي الْقَبُولِ، وَأَثْبَتِ أَمَلٍ فِي الْإِسْعَافِ
بِالْمَأْمُولِ ؛ وَأَثَاءَ هَذِهِ الْإِرَادَةِ الْقَوِيَّةِ، وَالسَّعَادَةِ الْكَرِيمَةِ ؛ فَخَلَوْصُ أَهْلِ الْبِلَادِ
فِي تَوْثِيقِ عَقْدِهِمُ لِلسُّلْطَانِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلِهِ الَّذِي هُوَ حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الْإِجْمَاعِ
الْمُتَعَقِّدِ، وَأَصْلٌ أَفْضَى إِلَيْهِ نَظَرُ النَّاطِلِ، وَاجْتِهَادُ الْمُجْتَهِدِ ؛ إِذْ أَجَالُوا الْأَمْرَ فِيمَا يَزِيدُهُ
وَنَاقَهُ، وَيَكْسُو وَجْهَهُ عَلَى الْأَيَّامِ بُشْرًا وَطَلَاقَهُ ؛ وَيَجْعَلُ الْقُلُوبَ مَطْمَئِنَّةً بِرُسُوحِهِ
فِي الْأَعْقَابِ، وَيُثْبِتُهُ عَلَى الْأَحْقَابِ ؛ فَلَمْ يَرَوْا رَأْيَا أَسَدٍ، وَلَا عَمَلًا أَحْصَفَ وَأَشَدَّ ؛
مَنْ أَنْ يَطْلُبُوهُ بِعَقْدِ الْبَيْعَةِ لِأَنَّهُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ الْمُتَعَصِّمُ بِهِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُجَاهِدِ الدِّينِ،
سَيْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى أَنْ يَكُونَ وَلِيُّ عَهْدِهِمْ مُتَمِّمٌ لِلدَّهْرِ مَذَّابُ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ،
وَأَمِيرُهُمْ عِنْدَ الْأَجَلِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ مُوَفَاتِهِ ؛ فَاغْضَى لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَتْعَافِهِمْ، وَأُثْبِتُوا
عَلَى مَاشَرَّتِهِ بَيْعَتَهُ فِي أَعْتَاقِهِمْ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَتَى صَوْلَةُ الْإِسْلَامِ، وَصِلَةُ دَارِ
السَّلَامِ ؛ وَوَرَدَ رَسُولُ مَثَابَةِ الْجَلَالَةِ، وَنَيْبَابَةِ الرِّسَالَةِ ؛ وَمُتَمِّمٌ لِلْمَلَائِكِ، وَمُعْتَصِمٌ
الْحَمَلِكِ ؛ وَمَعَهُ الْكُتَّابُ الَّذِي هُوَ نَصُّ أَغْنَى عَنِ الْقِيَاسِ، بَلْ هُوَ نُورٌ يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ ؛ وَأَدَّى إِلَى السُّلْطَانِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلِهِ مِنْ تَشْرِيفِ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبِيِّ
بِمَا وَسَّعَهُ مِنَ الْفَخَارِ بِأَجَلٍ وَنَمِيهِ، وَقَلَّدهُ السَّيْفَ الصَّارِمَ وَسَمَّاهُ بِأَسْمِهِ ؛ فَتَلَقَّى السَّيْفَانِ
الْمُضْرُوبُ وَالضَّارِبُ، وَأَشْتَبَهَ الْوَصْفَانِ الْمَاضِي وَالْقَاضِي ؛ وَبَرَزَتْ تِلْكَ الْحِلْمُ
فَافِيضٌ وَجْهَ الْإِسْلَامِ مِنْ مَوَادِعِهَا، وَوَضَحَ الْكُتَّابُ فَكَادَتْ الْمَنَارُ تَسْعَى إِلَيْهِ شَوْقًا
مِنْ أَعْوَادِهَا وَفُتِّرَتْ وَصَايَا الْإِمَامِ، عَلَى الْأَتَامِ ؛ فَعَلِمُوا أَنَّهَا مِنْ تُرَاتِ الرِّسَالَةِ،

(١) ذَكَرَ الْقَدَمُ لِأَنَّهُ بَعْنَى السَّجَى تَامِلُ .

وقالوا : كَافِلُ الْإِسْلَامِ جَدَّ لَهُ بِهَذَا الصُّبْحِ الْغَرِيَّ حُكْمَ الْكَفَالَةِ ؛ وَتَمَعُوا مِنْ
التَّقَدُّمِ بِإِنصَافِهِمْ ، وَالتَّهَمُّ بِمَوَاسِطِهِمْ وَأَطْرَافِهِمْ ؛ جُمْلًا عَقَرُوا لَهَا الْجِبَاهَةَ جُودًا
بِالْجَهْدِ ، وَتَجَدُّوا لِلشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ؛ فَادْرَكُوا مِنْ بَرَكَاتِ الْمَشَاهِدِ أُثْبِتَ شَرَفُ وَأَبْقَاءُ ،
وَرَأَوْا حَقِيقَةَ مَا كَانَتْ الْأَوْهَامُ تُزَوِّلُ عَنْ مَرْقَاهِ ؛ وَأَزْدَادُوا يَقِينًا بِفَضْلِ مَا صَارُوا
إِلَيْهِ ، وَرَأَوْا حَيَاتًا يَمُنُّ مَا يَأْتُوا عَلَيْهِ ؛ فَتَوَافَتْ طَوَائِفُهُمُ الْمَتَّبِعَةُ ، وَجَاهِرُهُمُ
الْمَجْمُوعُ ؛ يَدَارًا إِلَى الْمَرَاضِي الشَّرِيفَةِ ، وَبِنَاءً عَلَى وَصَايَا عَهْدِ الْخَلِيفَةِ ، أَنْ يُجَدِّدُوا
الْيَبْعَةَ بِمُجَاهِدِ الدِّينِ ، سَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ تَوَلَّى اللَّهُ عَصَدَهُ ؛ وَلَا بَنِيهِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ
الْمُعْتَصِمِ بِهِ أَنْهَضَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ ؛ وَلَمْ تَعُدْ أَنْ تَكُونَ الزَّيَادَةُ الطَّارِئَةُ شَرْطًا فِي تَقْرِيرِ
الْإِمْرَةِ الْمُؤَدَّةِ وَإِثْبَاتِهَا ، أَوْ جَارِيَةِ تَجَرُّئِ السَّنَنِ الَّتِي يُؤَمِّرُ الْمَصْلَى بِالْإِعَادَةِ عِنْدَ
فَوَاتِهَا ؛ فَأَعَادُوا يَبْعَتَهُ أَدَاءً لِلْقَرِيبَةِ وَرَجَاءً لِلْفَضِيلَةِ ؛ وَاسْتَنْدُوا إِلَى الْإِشَارَاتِ
الْجَلِيلَةِ ، بَعْدَ الْإِسْتِخَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ؛ وَرَأَوْا أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا عَادَةَ الْبَيْعَاتِ الْعِبَاسِيَّةِ ،
وَاتَّخَذُوا حُكْمَ الْأَصْلِ طَرِيقَ الْإِلْحَاقَاتِ الْقِيَاسِيَّةِ ؛ فَبَايَعُوا عَلَى تَذَكُّرِ بَيْعَةِ أَكْثَرِهَا
بِالْمُؤَدِّ الْمُسْتَحْفَظَةِ ، وَتَقْوَاهَا بِالْإِيمَانِ الْمَغْلُظَةِ ؛ وَبَادَرُوا بِهَا نِدَاءً مُتَدَائِمًا ، وَأَعْطَوْا
عَلَى الْإِصْفَاقِ بِهَا صَفْقَةً أَيُّسِهِمْ .

وَلَمَّا آتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ أَهْلِ فَلَانَةِ وَجْهَاتِهَا ، رَأَوْا أَنْ يَحْلِفَ مِنْ سَبَقِ ،
وَيَصْدُقُوا النَّيَّةَ مِنْ صَدَقَ ، وَيَعْقِدُوا مَا عَقَدُوهُ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الْعَهْدُ الشَّرِيفُ
وَنَطَقَ ؛ فَحَضَرَ مِنْهُمْ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَالْأَجْنَادُ وَالْوُزَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ ، وَالْمَكَافَةُ عَلَى
تَبَائِيهِمْ فِي الْمَرَاتِبِ ، وَتَقَاتِيهِمْ فِي الْمَنَاصِبِ ، وَأَخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَكَاسِبِ ؛
فَامْتَضَوْهَا بَيْعَةً كَرِيمَةً الْمَقَاصِدِ ، سَلِيحَةَ الْمَعَاقِدِ ؛ عَهْدًا مُحْكَمًا ، وَعَقْدًا مُبَرَّمًا ؛
وَمُوجِبًا طَاعَةً وَتَمَعًا ، وَالتَّقِيدَ بِهَا سُنَّةً وَشَرْعًا ؛ وَيَعْمُرُونَ بِهَا أَسْرَارَهُمْ ، وَيُقْبَتُونَ
عَلَيْهَا أَعْمَارَهُمْ ؛ وَيَلْبِثُونَ بِهَا فِي عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، وَرَيْحٍ وَخُمْرٍ ؛ وَضَيْقٍ وَرَفَاهِيَةٍ ، وَحُبَّةٍ

وَكِرَاهِيَهٗ بِهَرَعُوا بِذَلِكَ كُلَّهُ طَوْعًا ، وَأَسْتَوْفَوْهُ فَضْلًا فَضْلًا وَنَوْعًا وَنَوْعًا وَطَاعَدُوا عَلَيْهَا
الَّذِي يَسْلَمُ السَّرُّ وَأَخْفَى ، وَأَضْمَرُوا مِنْهَا عَلَى مَا أَبْرَعَ عَلَى الظَّاهِرِ وَأَوْفَى ؛ وَقَبَّلُوا مِنْ
الْوَفَاءِ بِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ خَلِيلَهُ إِذْ قَالَ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، وَبِمَا أَخَذَهُ عَلَى أُنْيَانِهِ الْكَرَامُ مِنَ
الْعُهُودِ الْمُؤَكَّدَةِ ، وَالْمَوَاقِفِ الْمُشَدَّدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ حَادُوا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ ، وَأَقَادُوا
لِدَاعِي التَّخْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ ؛ فَهُمْ بُرَاءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ ،
تَارِكُونَ ذِمَّتَهُ الْوَاقِفَةَ لِدِمَّتِهِمْ ؛ وَالْإِيمَانُ كُلُّهَا لَازِمَةٌ لَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ ،
وَطَلَّاقُ كُلِّ امْرَأَةٍ فِي مِلْكِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَازِمٌ لَهُمْ ثَلَاثًا ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا
فِي الْبِلَادِ الْفَلَانِيَةِ فَطَلَّاقُهَا لَازِمٌ لَهُ ، كُلُّمَا تَزَوَّجَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَاحِدَةً خَرَجَتْ طَالِقًا
ثَلَاثًا ؛ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَشْيُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، مُحْرِمًا مِنْ مِثْلِهِ
بِحُجَّةِ كِفَارَةٍ لَا تُجْزَى عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَعَيْنُهُمْ وَأَرْقَاؤُهُمْ عَقْلًا لِحُجَّتِهِمْ بِأَحْرَارِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَجَمِيعِ أَمْوَالِهِمْ عَيْنًا وَعَرْضًا ، حَيَوَانًا وَأَرْضًا ، وَسَائِرُ مَا يَمُوتُ بِهِ التَّمَلُّكُ
كُلًّا وَبَعْضًا ، صَدَقَةٌ لِيَتَّي مالُ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَاشِيَ عَشْرَةَ دِينَارٍ . كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَشَدِّ
مَذَاهِبِ الْفَتَوَى ، وَالْإِزْمَا لِكَلِمَةِ التَّقْوَى ؛ وَأَبْعَدُهَا مِنْ عَمَاقَةِ الْحَوَى وَالظَّاهِرِ
وَالْفَحْوَى ؛ أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَا الْخِلَافَةِ الْفَلَانِيَةِ وَالْفَلَانِيَةِ (بَلَقِي السُّلْطَنَةِ) لِلسُّلْطَانِ
وَوَلَدِهِ الْمَأْخُودِ لَهَا الْبَيْعَةُ بِمَدِّ بَيْعَتِهِ ، وَأَشْهَدُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَكُنِيَ بِذَلِكَ أَعْتِرَانَا
وَأَلْتِرَامَا ، وَشَدَّ مَا أَمَرَهُ وَإِحْكَامَا : ﴿ مَنْ نَكَثَ فَاثِمًا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ ﴾
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ . وَهُمْ يَرْفَعُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَضَرُّعًا وَأَسْتِسْلَامًا ،
وَيَسْأَلُونَهُ عِصْمَةً وَكَفَايَةً أَفْتَاتِحَا وَأَخْتِتَامَا ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ أَقْدَفْنَا هَذَا الْعَقْدَ أَقْدَاءَ
وَأَهْنِيَامَا ، وَقَضَيْنَا حَقَّهُ لِكُلِّمَا وَإِسْمَامَا ، وَأَسْلَمْنَا وَجْهَنَا إِلَيْكَ إِسْلَامًا ؛ فَعَرَفْنَا
مِنْ خَيْرِهِ وَبَرَكَتِهِ تَمَاءً وَدَوَامًا ، وَأَشْكَلْنَا بِعَيْنِكَ حَرَكَهَ وَسُكُونَهُ وَحَقْلَهُ وَمَتَامًا :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْعَالَمِينَ إِمَامًا ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ
مُنْتَهَى الرِّغَابِ ، وَجِبُّ الدَّعَوَاتِ ، وَلِلَّهِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على موت خليفة ، أنشأها على هذه الطريقة لموافقها
رأى مُكَلِّبُ الزَّمانِ في افتتاح عهود الملوك عن الخلفاء بالحمد لله كما سيأتي بيانه
في موضعه إن شاء الله تعالى ؛ وتعرضت فيها إلى قيام سلطان بقديها : لمطابقة
ذلك لحال الزَّمان ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأمة المحمدية أبَدَخ الأئمة شرفاً ، وأكْرَمَهَا نِجَاراً وأَفْضَلَهَا
سَلَفاً وجعل رتبة الخلافة أعلى الرتب رتبة وأعزها كنفاً ، وخص الشجرة الطيبة
من قریش بأن جعل منهم الأئمة الخلفاء ، وأثر الأسرة العباسية منها بذلك ، دعوة
سبقت من ابن عمهم المصطفى ، وحفظ بهم نظامها على الدوام بفعل من سلف
منهم خلفاً .

نحمده على أن هباً من مقدّمات الرشد ما طالب الزَّمانُ به وصفاً ، وجتد من رؤوم
الإمامة بخير إمام مدرّس منها وعفاً ، وأقام للمسلمين إماماً تارّج الجوّ بنشره فأصبح
الوجود بعرفه معترفاً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص تمسك بعهدنا فوقاً ،
وأعطاهما صفقة يده للبابعة فلا يئني عنها مصرفاً ؛ وأن عهداً عبده ورسوله الذي
تدارك الله به العالم بعد أن أشقى فشتى ؛ وتسخت آية دينه الأديان وجلا بشرته
المُبيرة من ظلمة الجهل سدفاً ؛ وجعل مبايعه مبايعاً لله يأخذه بالنكث ويؤقيه أجره
على الوفا ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وعترته الشرفاء ؛ ورضى الله عن أصحابه

الذين ليس منهم من عاهد الله ففقدوا ولا واد في الله بقاء، خصوصاً من جاء بالصديق وصلى به فكان له قرابة وصفاة الصفا، والمرجوع إليه في البيعة يوم السقيفة بعد ما أشرأت نحوها فهو كادت تكوب عليها أسفاً، والقائم في قتال أهل الردة من بني حنيفة حتى استقاموا على الحنيفية السمحة حقاً. ومن استحال دلو الخلاف في يده غريباً فكان أئيد عبقرى قام بأمرها فكفى، وعمت فوحه الأمصار ومجئت إليه أموالها فلم يمسكها إقتاراً ولم يندرها سرفاً. ومن كان فضله لسمهم الإختيار من بين أصحاب الشورى هدفاً؛ وجمع الناس في القربان على صحيفة واحدة وكانت قبل ذلك محصفاً. ومن سرى إليه سر: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" فقد يخرج من ذيل الصغار يحفاً؛ وأستولى على المكارم من كل جانب فغاز أطرافها طرقاً طرفاً، وعلى سائر الخلفاء الراشدين يعلم ممن سلك سبيل الحق ولطريق الهدى أقمى؛ صلاة ورضواناً يذهبان الداء العضال من وخامة القدر ويذهبان الشفا، ويرقان قدر صاحبهما في الدنيا ويؤثان متعلهما من جنات النعيم غرفاً.

أما بعد، فإن عقد الإمامة لمن يقوم بأمر الأمة واجب بالإجماع، مستند لأقوى دليل تقطع دون قهضه الأطلاع، وتنبؤ عن سماع ما يخالفه الأسماع؛ إذ العباد مجبولون على التباين والتضارب، مطبوعون على التحالف والتناصر؛ [مضطرون إلى التعاون والتجاوز، مفتقرون إلى التعاضد والتأزر]؛ فلا بد من زعيم يجمعهم من التظام، ويحلهم على التناصف في التداعى والتحاكم، ويقيم الحدود فضاء الحارم عن الإتيهاك، ويحفظ الأساب عن الإختلاط والإشتراك؛ ويحيي بيضة

الإسلام فَيَمْنَعُ أَنْ تُطْرَقَ ، وَيُصَوُّنَ الثُّغُورَ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا أَوْ يَتَطَّرَقَ : لِيَمْنَعَ
الإسلامُ داراً ، وَيَطْمَئِنَّ الْمُسْتَحْفِي لَيْلاً وَيَأْمَنَ السَّارِبُ نَهَاراً ؛ وَيَذُبُّ عَنِ الْحَرَمِ
فَتْحَتِهِمْ ، وَيَلْزَمُ عَنِ الْمَنَكَاتِ فَلَا تُفْشَى بِلَ تَصْطَلَمَ ، وَيُجَهِّزُ الْجِيُوشَ فَتَنْكَأُ الْعُدُوْ ،
وَيُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْكُفْرِ فَيَمْنَعُهُمُ الْقَرَارَ وَالْمُدُّوْ ، وَيُرْفِغُ أَنْفَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَيَقْمَعُهَا ،
وَيُذِغِمُ الطَّائِفَةَ الْمُبْتَدِعَةَ وَيَرُدُّعُهَا ؛ وَيَأْخُذُ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحَقِّهَا فَيُطَاوِعُ ،
وَيَصْرِفُهَا إِلَى مَسْتَحَقِّهَا فَلَا يُنَازَعُ - لِأَجَرِمْ أَعْتَبَرَ لِلْقِيَامِ بِهَا أَكُلَ الشُّرُوطِ وَأَتَمَّ
الْصِّفَاتِ ، وَأَكْرَمَ الشِّيمِ وَأَحْسَنَ السَّمَاتِ .

وكان السيد الأعظم الإمام النبو ، سليل الخلافه ، وولي الإمامه ، أبو فلان
فلان العبّاسي المتوكل على الله « مثلاً » أمير المؤمنين ، سلك الله تعالى به جند آياته
الراشدين ؛ هو الذي جمع شروطها فوقها ، وأحاط منها بصفات الكمال وأستوفأها ؛
ورأى به أدنى مراتبها فبلغت إلى أغياها ، وسور معاليمها ففرق إلى أصلاها ، وأخذ
بها فكان صورتها ومعناها - وكانت الإمامة قد تأيمت ممن يقوم بأعبائها ، وعزّت
خطابها لقلة أكتفائها ؛ فلم تلب لها بلاء يكون لها قرينا ، ولا كففاً تحطبه يكون
لديها مكيئا ، إلا الإمام الفلاني المشار إليه ، فدعته لخطبتها وهي بيت عرسه :
« وَرَأَوْدَتُهُ أَلَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَرَسَ نَفْسِهِ » فاجاب خطبتها ، ولبي دعوتها : لصحفة
رغبته إليه ، وطلبه بوجوب إجابته عليه ؛ إذ هو سبيلها الناشئ بقائها ، وغيتها
المستمطر من محابها ؛ بل هو أسئها المصور ، وقطب قلبها الذي عليه تدور ؛
ومعقلها الأمنح الحصين ، وعقلها الأنفس الثمين ، وفارسها الأروع وليتها الشهير ،
وأبن يحنها الساقطة منه على الخير ؛ وتلاذها العليم بأحوالها ، والحدير بمعرفة أقوالها
وأفعالها ؛ وترجمانها المتكلم بلسانها ؛ وعالمها المتفنن في أفنانها ؛ وطبيبها العارف بطبها ،
ومُنْجِئُهَا الْكَاشِفُ لَكُرْبِهَا .

وحين بلغت من القصد مولاها، وثالث بالإجابة منه مأمولها، وحرم على غيره أن يسومها لذلك تلويحا، أو يرجع على خطبتها تعريضا وتصريحا، أحتاجت إلى ولي يوجب عقدها، وشهود تحفظ عهدها؛ فعندها قام السلطان الأعظم الملك الفلاني (بالألقاب السلطانية إلى آخرها) خلد الله سلطانه، ونصر جنوده وجيوشه وأعدائه؛ فانتصب لها وليا، وأقام يفكر في أمرها مليا، فلم يجد أحق بها منه فتجنب عضلها، فلم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها؛ فجمع أهل الحل والعقد، المعتزين للاختبار والعارفين بالنقد: من القضاة والنبلاء، وأهل الخبر والصلحاء، وأرباب الرأي والنصحاء؛ فاستشارهم في ذلك فصروا، ولم يروا السؤل عنه إلى غيره بوجه من الوجوه؛ فاستخار الله تعالى وبأيمه، فتبعه أهل الاختيار فبايعوا، وأقادوا لحكمه وطاعوا؛ فقابل عقدها بالقبول بمحض من القضاة والشهود فزمت، ومضى حكمها على الصحة وأنبزمت. ولما تم عقدها، وطلع بصبح الثين سعادها، أتمس المقام الشريف السلطاني الملكي الفلاني المشار إليه أجل الله شرف سلطانه ورفع محله، وقرن بالتوفيق في كل أمر عقده وحله، أن يناله عهدها الوفي، ويرد منها مودعها الصفي: ليرقع بذلك عن أهل الدين حجبها، ويؤدّد من البيت النبوي قربا؛ فتعرض لنصائحها من مقرّاتها، وتطلب بركاتها من مظنّاتها؛ ورغب إلى أمير المؤمنين وآين عم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، أن يمدّد له بم عهد السلطنة الشريفة عقدا، ويأخذ له على أهل البيعة بذلك عهدا؛ ويستحلّفهم على الوفاء لها بما عاهدوا، والوفوف عند ما بايعوا عليه واقفوا: ليقترن السعدان فيم نوءهما، ويجمع الثيران فيهرضوءهما؛ فلباه تلبية راغب، وأجابه إجابة مطلوب وإن كان هو الطالب؛ وعهد إليه في كل ما تقتضيه أحكام إمامته في الأمة عموما وشيوعا، وفوض له حكم الممالك الإسلامية جميعا؛ وجعل إليه أمر السلطنة المعظمة بكل

نَطَاقَ ، وَأَتَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا وَصَرَفَهُ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَأَقَامَهُ فِي الْأُمَّةِ لِعَهْدِ الْخِلَافَةِ وَضِيَاءً ، وَجَعَلَهُ لِلْإِمَامَةِ بِتَقْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَلِيًّا ؛ وَفَسَّرَ عَلَيْهِ لَوَاءَ الْمُلْكِ وَقَلْبَهُ سِقْفَهُ الْغَضَبِ ، وَالْبَسَنَةَ الْخِلْعَةَ السَّوْدَاءَ فَابْيَضَ مِنْ سَوَادِهَا وَجْهَ الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ ؛ وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدًا كَتَبَ عَنْهُ ، وَزَادَ شَرْفَهُ وَضَاعَفَ مُنَمُّوهُ ؛ وَطَوَّلَ أَهْلُ الْبَيْعَةِ بِالْبُوثِيْقِ عَلَى الْيَعْتَنِ بِالْإِيمَانِ فَادْعَتُوا ، وَاسْتَحْلَفُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَبَالَغُوا فِي الْإِيمَانِ وَأَمَعَتُوا ؛ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيْمَانِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَشْهَدُوا اللَّهَ طَلِيمَ فِي أَسْرَارِهِمْ وَإِعْلَانِهِمْ ؛ وَأَعْطَوْا الْمَوَاسِيْقَ الْمَغْلُظَةَ الْمَشْدَدَ ، وَحَلَقُوا بِالْإِيمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمُعْقَدَةِ ، عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ أَوْ أَدْبَرُوا ، وَبَدَّلُوا فِيهِ أَوْ غَيَّرُوا ، أَوْ عَرَّجُوا عَنْ سَبِيلِهِ أَوْ حَادُوا ، أَوْ تَقَصُّوا مِنْهُ أَوْ زَادُوا ؛ فَكُلُّ مَنْهُمْ بَرَى مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ إِلَى حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَخَارَجَ مِنْ ذِمَّتِهِ الْحَصِينَةُ إِلَى ذِمَّتِهِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ أَرَادَ فِي نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَجَّعُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا بَيِّنَاتًا ، وَكُلُّمَا رَاجِعُهَا فَهِيَ طَالِقٌ طَلَاقًا لَا يَقْضِي إِقَامَةَ وَلَا بَيِّنَاتًا ؛ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ فِي مِلْكِهِ أَوْ يَمْلِكُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ حُرٌّ لَا حَقَّ بِإِحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُلُّ مَا مَلَكَهُ أَوْ يَمْلِكُهُ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ؛ وَعَلَيْهِ الْحَجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاطِيرِ الْعِظَامِ ؛ مُحْرَمًا مِنْ ذُبُورَةِ أَهْلِهِ مَاشِيًا ، حَاسِرًا عَنْ رَأْسِهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ أَذَى خَافِيًا ؛ يَأْتِي بِذَلِكَ فِي ثَلَاثِينَ حُجَّةً مُتَابِعَةً عَلَى التَّمَامِ ، لِأَنْحِزَّتِهِ وَاحِدَةً مِنْهَا عَنْ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَإِهْدَاءُ نَائِمَةٍ بِدَنِيَّةِ اللَّيْلِ الْعَتِيقِ كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الدَّوَامِ ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ جَمِيعِ النَّهْرِ إِلَّا الْمُتَبَيَّنَ عَنِهِ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَأَنْ يَكُلَّ أَلْفَ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفْرِ فِي كُلِّ عَامٍ ؛ يَمِينُ كُلِّ مَنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَأَوَّلِهِ وَآخِرِهِ ، لَا نِيَّةَ لِلْخَالِفِ فِي ذَلِكَ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ وَلَا فِي ظَاهِرِهِ ، لَا يُؤَدِّي فِي ذَلِكَ وَلَا يَسْتَتِي ، وَلَا يَتَأَوَّلُ وَلَا يَسْتَقِي ؛ وَلَا يَسْعَى فِي قَهْضِهِ ، وَلَا يَخَالِفُ فِيهَا

ولا في بعضها؛ متى جَحَّحَ إلى شيء من ذلك كان آثِماً، وما تقدم من تعقيد الأيمان له لازماً؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، ولا يُجْزئُه عن ذلك كفارة أصلاً؛ كل ذلك على أشد المذاهب بالتخصيص، وأبعدا عن التساهل والترخيص؛ وأَمْضَوْهَا ببيعة ميمونة، بآيمن مبتدأة بالنجح مقرونة؛ وأشهدوا عليهم بذلك من حضر مجلس العقد من الأئمة الأعلام، والشهود والحكام؛ وجعلوا الله تعالى على ما يقولون وكيلًا، فاستحق عليهم الوفاء بقوله عزَّت قدرته: ﴿ وَأَوْفُوا بعهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وهم يرضون إلى الله تعالى أن يُضَاعِفَ لهم بحسن ينهم الأجور، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ غَافِقٌ الْأُمُورِ ﴾ . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بيعة مرتبة على خلق خليفة؛ أنشأتها على هذه الطريقة أيضاً، وتعرضت فيها لذكر السلطان القائم بها، على ما تقدم في البيعة المرتبة على موت خليفة، وهي:

الحمد لله الذي جعل بيت الخلافة مثابة للناس وأمتنا، وأقام سور الإمامة وقاية للأئام وحصناً؛ وشَدَّ لها بالمصابة القرشية أزراً وشاد منها بالعصبة العباسية رُكناً. وأغاث الخلق بإمام هدى حسن سيرة وصفا سريرة فراق صورة ورقى معنى؛ وجمع قلوبهم عليه فلم يستنكف عن الإقياد إليه أعلى ولا أدنى؛ وزرع جلبابها عن شغل بغيرها فلم يعرهما نظرا ولم يصبغ لها أذنًا، وصرف وجهها عن أساء فيها تصرفا فلم يرفع بها رأساً ولم يعمر لها معنى:

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ حَلَّتْ لِلنُّفُوسِ حِينَ حَلَّتْ ، وَمِنَ جَلَّتِ الْخُطُوبَ حِينَ جَلَّتْ ؛
وَمَسَارَّ سَرَتْ إِلَى الْقُلُوبِ فَسَرَتْ ، وَمَبَارَّ أَقْرَبَتِ الْعُيُونُ قَهْرَتْ ؛ وَعَوَارِفَ أُمِّتِ
الْخَلِيقَةِ قَوَّالَتْ وَمَا وَلَّتْ ، وَقَدِمَ صَنِيقٌ ثَبَّتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْخِلَافَةِ فَمَا تَرَزَّلَتْ
وَلَا زَلَّتْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا من درك الشكوك
كالكفة ، ولهاوى الشبه داريه ، وللقاصد الجميلة حاويه ، ولشقة الزئج والإرتياب
طاويه ؛ وأن محمدا عبده ورسوله الذي نصح الأمة إذ بلغ فشفي عليها ، وأوردنا
من متاهل الرشد ما أطفأ وبهجها وبرد غليلها ؛ وأومع لهم مخرج الحق ودعاهم إليها ،
وأبان لهم سبل الهداية : ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَمَّا
يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ صلى الله عليه وعلى آله أئمة الخير وخير الأئمة ، ورضي عن أصحابه أولياء
العدل وعدول الأمة ؛ صلاة ورضوانا بيمان سائرهم ، ويشملان أولهم وآخرهم ؛ سيما
الصديق الفاتر بأعلى الرتبين صليفا وتصديقا ، والحائز قصب السبق في الفضيلتين
علما وتحقيقا ، ومن عدل الأنصار إليه عن سعد بن جادة بعد ما جمعوا على تهديده ،
وبادر المهاجرون إلى بيعته أعترافا بتفضيله وتكريمه . والقاروق الشديد في الله بأسا
واللين في الله جانبا ، والمؤني للخلافة حقا والمؤذي للإمامة واجبا ؛ والقائم في نصرة
الدين حق القيام حتى عمّت فتوحه الأمصار مشارق ومغارب ، وأطاعته العناصر
الأربعة : إذ كان لله طامعا ومن الله خائفا وإلى الله راغبا . وذى الثورين المعول
عليه من بين سائر أصحاب الشورى تنويعا بقدره ، والخصوص بالإختيار تفضيلا
لأمره ؛ من حصر في يده فلم يمنعه ذلك عن تلاوة كتاب الله وذكره ، وشاهد
سيوف قاتليه بيماننا فقابل فتكاتها بحمائل صبره . وأبى الحسن الذي أعرض عن
الخلافة حين سئلها ، وأستغنى منها بعد ما اضطُر إليها وقيلها ؛ وكشف له عن حقيقة

الدنيا فإمَّ قِيلَتْهَا بَقْلُهُ وَلَا وَلَى وَجْهَهُ قِيلَتْهَا، وَصَرَّحَ بِمَقَاطِعَتِهَا بِقَوْلِهِ : « يَا صَفْرَاءُ غُرَّى غَيْرِي يَا بَيْضَاءُ غُرَّى غَيْرِي » لَمَّا وَصَلَهَا مِنْ وَصَلَتِهَا ؛ وَسَائِرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَهُم ، النَّاسِجِينَ نَهْجَهُم وَالْوَارِدِينَ وَرْدَهُمْ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِلْإِمَامَةِ شُرُوطًا يَجِبُ اعْتِبَارُهَا فِي الْإِمَامِ ، وَلَوْازِمَ لَا يَنْقُصُ فَوَائِثُهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ وَلَا فِي النِّوَامِ ، وَأَوْصَافًا يَتَعَيَّنُ أَعْمَالُهَا ، وَأَدَابًا لَا يَسُحُّ إِهْمَالُهَا ؛ مِنْ أَمْرِهَا الْعَدَالَةُ الَّتِي مِلَّاكُهَا التَّقْوَى ، وَأَسَاسُهَا مِرَاقَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَبِهَا تَقَعُ الْهَيْبَةُ لِصَاحِبِهَا فَيَجَلُّ ، وَتَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَيْهَا فَلَا تَمَلُّ ؛ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى تَرْكِ الْكِبَارِ وَاجْتِنَابِهَا ، وَالزَّاحِرَةَ عَنِ الْإِضْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَارْتِكَابِهَا ؛ وَالبَاعِثَةُ عَلَى مُحَافَظَةِ النَّفْسِ وَنَهْيِهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَالصَّارِفَةُ عَنْ أَنْتِهَافِ حُرْمَاتِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْحُرْمَاتِ ؛ وَالمُوجِبَةُ لِلتَّعَقُّفِ عَنِ الْحَاكِمِ ، وَالْحَامِلَةُ عَلَى تَجَنُّبِ الظُّلُمَاتِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ . وَالشَّجَاعَةُ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْبَيْضَةِ وَالذَّبُّ عَنْهَا ، وَالْإِسْتِظْهَارُ بِالْفَزْوِ عَلَى نِكَايَةِ الطَّائِفَةِ الْكَافِرَةِ وَالْفَضْ مِنْهَا ، وَالْقُوَّةُ بِالشُّوْكَ عَلَى شَفِيزِ الْأَوَامِرِ وَامْضَائِهَا ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ وَاسْتِيفَائِهَا ، وَتَشْرِكَةُ الْحَقِّ وَإِعْلَانُهَا ، وَدَحْضُ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ وَإِخْفَائِهَا ، وَقَطْعُ مَادَّةِ الْفَسَادِ وَحُصْنُ أَدْوَاتِهَا ؛ وَالرَّأْيُ الْمُوَدِّي إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنُ التَّدِيرِ ، وَالْمُغْنَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَاجِنِ عَنْ مَزِيدِ الْحِدِّ وَالتَّشْمِيرِ ؛ وَالْمَعِينُ فِي خُدْعِ الْحَرْبِ وَمُكَابِدِهِ ، وَالْمُسْعِفُ فِي مَصَادِرِ كُلِّ أَمْرٍ وَمَوَارِدِهِ .

هَذَا وَقَدْ جَعَلَنَا اللَّهُ أُمَّةً وَسَطًا ، وَوَعَدَنَا بِنِ سَلَفٍ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ تَمَرُّدٍ وَتَوَعَّاتٍ أَوْ تَجَبُّرٍ وَسَطًا ، وَعَصَمَ أُمَّتَنَا أَنْبَ تَجْتَمِعَ عَلَى الضَّلَالِ ، وَصَانَ جَمْعَنَا عَنْ انْتِحَالِ فِي الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ ؛ وَتَدَبَّنَا إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَسَوَّغَ لِأَتَمِّتِنَا الْاجْتِهَادَ فِي النَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ فَاجْتِهَادُهُمْ لَا يُنْكَرُ ، خُصُوصًا فِي شَأْنِ الْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ

٢ كد أسباب المعالم الدينية وأقواها ، وأرفع المناصب الدنيوية وأعلاها ؛ وأعزّ الرتب رتبة وأعلاها ، وأحقّها بالنظر في أمرها وأولها . وكان القائم بأمر المسلمين الآن فلان بن فلان الفلاني ممن حادّ عن الصراط المستقيم ، وسلك غير النهج القويم ؛ ومال عن سنن الخلفاء الراشدين فأذركه الزلل ، وقارف المأثم فعاد بالخلل ؛ فعات في الأرض فسادا ، وخالف الرشد عنادا ؛ ومال إلى النقي أعنادا ، وأسلم إلى الهوى قيادا ؛ قد انتقل عن طور الخلافه ، وعزير الإنافه ؛ إلى طور العامة فاتصف بصفاتهم ، وأسم بسماتهم ؛ فتكره على إنكاره قد بآشره ، وصديق سوء يتعين عليه إيساده قد وازره وظاهره ؛ إن ملك فسبل التهمة والارتباب ، أوقصد أمرا نحا فيه غير الصواب ؛ منهمك على شهواته ، متعكف على لذاته ، متشاكل عن أمر الأمة بأمر بينه وبيناته ؛ الجبن رأس ماله ، وعدم الرأي قرينه في أفعاله وأقواله ؛ قد قنع من الخلافة بأسميها ، ورضى من الإمامة بوسميها ؛ وظن أن السوءد في لبس السواد فال إلى الحيف ، وتوهم أن القاطع الغمد فقطع النظر عن السيف .

ولما أطلع الناس منه على هذه المنكرات ، وعرفوه بهذه السمات ، وتحققوا فيه هذه الوصمات ؛ رغبوا في استبداله ، وأجمعوا على خلعهم وزواله ؛ فلجئوا إلى السلطان الأعظم الملك الفلاني (باللقاب السلطانية إلى آخرها) نصر الله جنوده ، وأسمى جودته ، وأزهد على عداة الله حُدوده ؛ فقوضوا أمرهم في ذلك إليه ، وألقوا كلهم عليه ؛ فجمع أهل الحل والعقد منهم ، ومن تصدر إليهم الأمور وترد عنهم ؛ فاستخاروا الله تعالى وخطبوه من ولايته ، وخرجوا عن بيعته ، وأسلموا عن طاعته ؛ وجرّدوه من خلافته ، تجريد السيف من القرباب ، وطوّوا حكم إمامته ، كطى السجل للكتاب . وعند ماتم هذا الخلع ، وأنطوى حكمه على البت والقطع ، آتمس الناس إماما يقوم بأمور الإمامة فيوفيهما ، ويجمع شروطها ويستوفيهما ؛ فلم يجدوا لها أهلا ،

ولأبنا أحق وأولى، وأوفى بها وأمل، من السيد الأعظم الإمام النبوى سليل
 الخلافة، وولى الإمامة أبى فلان فلان العباسى الطائع لله « مثلا » أمير المؤمنين .
 لازال شرفه باذخا، وعزّيته الشرف شائعا، وعهد ولايته لمهد كل ولاية شائعا،
 فساموه ببعثها فلى، وشاموا برقه لولايتها فأجاب وما تأبى؛ علمنا منه بأنها بعثت
 عليه، وانحصرت فيه فلم نجد أعلى منه فعبدل إليه؛ إذ هو أبى يجتهدا، وفارس
 تجتهدا، ومزىل نعمتها، وكشف كرتها، ومجلى غياها، ومجد عواقيها، وموجع
 مذاها، وحاكمها المكين، بل رشيدها الأمين؛ فنهض المقام الشريف السلطاني
 الملكى الفلاني المشار إليه : قرن الله مقاصده الشريفة بالنجاح، وأعماله الصالحة
 بالفلاح، وبدر إلى بيعته فباع، وأتم به من حضر من أهل الحبل والعقد فتابع،
 وقابل عقدها بالقبول فضلى، ولزم حكمها وأهضى؛ وأتصل ذلك بسائر الرعية
 فأثادوا، وعلموا صوابه فمشوا على سننه وما حادوا؛ وشاع خبر ذلك في الأمصار،
 وطارت به عققات البشار إلى سائر الأقطار؛ فتمزقوا منه الإيمان فسارعوا إلى امتناله،
 وتحققوا صحته وثباته بعد اضطرابه واعتلاله؛ وأستأذوا من قص يصيبه بعد تمامه
 لهذا الخليفة وكاله؛ فعندها أبانت الخلافة العباسية عن طيب عنصراها، وجميل
 وفائها وكرم مظهرها؛ وجادت بجزيل الإمتنان، وتلا لسان كرمها الوفى على وليها
 الصادق : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فخلد له بالسلطنة الشريفة عهدا،
 وطوق جيده بتقويضها إليه عقدا؛ وجعله وصيه في الدين، ووليه في أمر
 المسلمين؛ وقلده أمر الممالك الإسلامية وألقى إليه مقاليدها، وملكة أزمته وحقق
 له مواعيدها، وعقد له لواعها ونشرطه أعلامها، وصرفه فيها على الإطلاق
 وفوض إليه أحكامها؛ وألبسه الخلعة السوداء فكانت لسؤديه شعارا، وأصبح عليه
 رداها فكان له دنارا؛ وكتب له العهد فسقى المعاهد صوب العهاد، ولجج الأنام

بذكره فاطمات العباد والبلاد ؛ وعند ماتم هذا الفصل ، وتقرر هذا الأصل ،
 وأنست الرعايا بما آتاهم الله من فضله فريحين ، وبنعمته مستبشرين ، طولب
 أهل البيعة بما يحملهم على الوفاء ، ويمنع بيعتهم من التكرار بعد الصفاء : من توثيق
 عقدها بمؤكد أيمانها ، والإقامة على الطاعة لخليفتها وسطانها ؛ فبادروا إلى ذلك
 منيرين ، وإلى داعيه مهطعين ؛ وبالغوا في الموائيق وأكدوها ، وشددوا
 في الأيمان وعقدوها ، وأقسموا بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، عالم
 خاتمة الأئين وما تخفي الصدور في البتة والإعادة ، على الوفاء لها والموالاة ، والنصح
 والمصافاة ؛ والمواقفة والمشايعة ، والطاعة والمناجسة ؛ يؤلون من والاها ، ويعدون
 من عاداها ؛ لا يقعدون عن مناصرتها عند المناسخ مالمه ، ولا يقبضون في صدورها
 إلا ولا ذمته ؛ جارين في ذلك على سنن النوام والاستمرار ، والثبوت وال لزوم
 والاستقرار ؛ على أن من بدل منهم من ذلك شرطاً أو عتقاً له رشماً ، أو حاد عن
 طريقه أو غير له حكماً ؛ أو مسلك في ذلك غير سبيل الأمانة ، أو استحل القدر
 وأظهر الخيانة ، معلن أو مسراً في كله أو بعضه ، متأولاً أو مختالاً لإبطاله أو قضه ؛
 فقد برئ من حول الله المتين وقوته الواقية ، ورثته الشديد وذمته الواقية ، إلى
 حول نفسه وقوته ، ورثته وذمته ؛ وكل أمراء في عصمته الآن أو يروجها مدة
 حياته طالق ثلاثاً بصريح لفظ لا يتوقف على نيه ، ولا يفرق فيه بين سنة ولا بدعة
 ولا رجعة فيه ولا متبوية ؛ وكل مملوك في ملكه أو يملكه في بقية عمره من ذكر
 أو أنثى حر من أحرار المسلمين ؛ وكل ما هو على ملكه أو يملكه في بقية عمره إلى
 آخر أيامه من عين أو عرض صدقة للفقراء والمساكين ، وعليه الحج إلى بيت الله
 الحرام ثلاثين حجة بثلاثين عمرة راجلاً حافياً حاسراً ، لا يقبل الله منه غير الوفاء بها
 باطناً ولا ظاهراً ؛ وإهداء مائة بدنة في كل حجة منها في عمرته ويُسرتة ، لأجرتها

واحدة منها عن حجة الإسلام وعمرته ؛ وصوم الدهر خلا النبي عنه من أيام
السنة ، وصلاة ألف ركعة في كل ليلة لأنياح له دون أدائها قمض ولا سته ؛
لا يقبل الله منه صرًا ولا عدلا ، ولا يؤجر على شيء من ذلك قولًا ولا فعلًا ؛ متى
ورى في ذلك أو استغنى ، أو تأول أو استغنى ، كان الحنث عليه طائدا ، وله إلى دار
البوار قائدًا ؛ معتمدًا في ذلك أشد المذاهب في سره وملايئته ، على نية المستحلف ؛
له دون نيته ؛ وأمضوها ببيعة حكمة المباني ثابتة القواعد ، كريمة المساعي جميلة
المقاصد ؛ طيبة الجنى جليلة البوائد ، فاطمة البراهين ظاهرة الشواهد ؛ وأشهدوا
على أنفسهم بذلك من حضر مجلس هذا العقد من قضاة الإسلام وعلمائه ، وأئمة
الدين وفقهائه ؛ بعد أن أشهدوا الله عليهم وكفى بالله شهيذا ، وكفى به شاهدين
خصيما : ((قَن نَكَتَ قَائِمًا يَنْكُثُ عَلَى قَيْمِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَسُؤُتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا) . والله تعالى يعمل أنضالهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى يئى ؛
ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) .
إن شاء الله تعالى .

المذهب الرابع

(مما يُكْتَبُ في بَيْعَاتِ الخلفاء أَنْ يَفْتَحَ البيعةَ بلفظ : هذه بيعة ،
وَيَصِفُهَا وَيَذْكُرَ ما يَنْبَغُ ، ثم يَعزِّي بالخليفة الميت ، وَيَعْنِي بالخليفة المستقبِّر ،
ويذكر في حقِّ كُلِّ منهما ما يَلِيْقُ به من الوصف على نحو مما تقدّم)

وهذه نسخةُ بيعةِ أنشأها المقرّر الشَّهابيُّ بنُ فضل الله ، على ما رأيته في "الجواهر
المُلَقَّطة" المجموعة من كلامه ، للإمام الحاكم بأمر الله ^(١) «أبي العباس» «أحمد بن
أبي الرِّبيع سُليمان» [المستكني بالله] ابن الإمام الحاكم بأمر الله ، بعد موت أبيه .
وذكر القاضي تقي الدين بن ناطِر الجِيش في "دُسْتُورِه" أنه إنما عملها تجرّبة ^(٢)
لخاطره ، وهي مُرتبة على موت خليفة .

ونصها بعد البسملة الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ إِلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

هذه بيعةٌ رضوان وبيعةٌ إحسان ، وبيعةٌ رضا تشهدها الجماعة ويشهد عليها
الرحمن ؛ بيعةٌ يلزم طائرُها المُتَّق ، وتُحومُ بِسائرُها على الأفق ، وتُجملُ أنبأها البراري
والبحار مشحونة الطرُق ؛ بيعةٌ تصلحُ لِنسبها الأُمّة ، وتُفتحُ بِسببها النعمه ، وتؤلّف
بها الأشباب وتُجملُ بينهم مودةٌ ورَحْمه ؛ بيعةٌ تُجرى بها الرِّفاق ، وتتراحمُ زمرُ

(١) كما في تاريخ أبي الفداء وابن أبياس والعبّاد أيضا ووقع في ج ٣ ص ٢٦٥ من هذا المؤلف أن لقبه

المستصم والصواب ما هنا .

(٢) أى امتحانا فذكره .

الكواكِب على حَوْضِ الحِجْرَةِ للوَقَاقِ ؛ بَيْعَةٌ سَعِيدَةٌ مَبْنُوءَةٌ ، بَيْعَةٌ شَرِيفَةٌ بِهَا السَّلَامَةُ
فِي الدِّينِ والدُّنْيَا مَضْمُونَةٌ ؛ بَيْعَةٌ صَحِيحَةٌ شَرِيعَةٌ ، بَيْعَةٌ مَلْحُوظَةٌ مَرِيعَةٌ ؛ بَيْعَةٌ تُسَاقِي
إِلَيْهَا كُلُّ نِيَّةٍ وَتَطْلُوعِ كُلِّ طَوِيلَةٍ ، وَتُجْمَعُ عَلَيْهَا أَشْثَاتُ الدَّرِيَّةِ ؛ بَيْعَةٌ يَسْتَهْلُ بِهَا النَّعَامُ ،
وَيَهْلُ الْبَنَرُ النَّمَامُ ؛ بَيْعَةٌ مَتَّقٌ عَلَى الْإِجْمَاعِ عَلَيْهَا ، وَالْإِجْتِمَاعِ لِيَسْطُرَ الْأَيْدَى إِلَيْهَا ؛
أَنْعَقَدَ عَلَيْهَا الْإِجْمَاعُ ، وَأَنْعَقَدَتْ حِجَّتُهَا بَيْنَ سَمِيعِ اللَّهِ وَأَطَاعِ ، وَبَذَلَ فِي تَمَامِهَا كُلِّ
أَمْرٍ مَا اسْتَطَاعَ ، وَحَصَلَ عَلَيْهَا أَتْفَاقُ الْأَبْصَارِ وَالْإِسْمَاعِ ، وَوَصَلَ بِهَا الْحَقُّ إِلَى
مَسْتَحِقِّهِ وَأَقْرَبُ الْخَصْمِ وَأَقْطَعَ النَّزَاعَ ؛ وَتَضَمَّنَتْهَا كَلَامُ كَرِيمٍ يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ ،
وَيَتَلَقَّاهُ الْأَئِمَّةُ الْأَقْرَبُونَ .

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) : (ذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ) . وَإِلَيْنَا وَفَهُ الْحَمْدُ وَإِلَى نَبِيِّ الْعَبَّاسِ . أَجْمَعَ عَلَى هَذِهِ
الْبَيْعَةِ أَرْبَابُ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ، وَأَصْحَابُ الْكَلَامِ فِيمَا قَلَّ وَجَلَّ ؛ وَوُلَاةُ الْأُمُودِ
وَالْأَحْكَامِ ، وَأَرْبَابُ الْمَنَاصِبِ وَالْحُكْمِ ؛ وَحَمَلَةُ الْعِلْمِ وَالْأَعْلَامِ ، وَحَمَاتُ السُّيُوفِ
وَالْأَقْلَامِ ، وَأَكَاوِثُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَمِنْ أَنْخَفَضَ قَدْرُهُ وَأَنَافٍ ؛ وَمَرَوَاتُ قُرَيْشٍ
وَوُجُوهُ بَنِي هَاشِمٍ وَالبَقِيَّةُ الطَّاهِرَةُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَخَاصَّةُ الْأَئِمَّةِ وَعَامَّةُ النَّاسِ ؛
بَيْعَةٌ تُرْسِي^(١) بِالْحَمِيمِينَ خِيَامُهَا ، وَتُخَفِّقُ عَلَى الْمَازِمِينَ أَعْلَامُهَا ، وَتَعْرِفُ عِرْفَاتُ
بِرْكَاتِهَا وَتَعْرِفُ بَنِي أَيَّامِهَا ؛ وَيَوْمَنْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ، وَتُؤْمُّ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ
وَالْمِئْبَرِ ؛ وَلَا يُخَفَى بِهَا إِلَّا وَجْهُهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ ، وَفَضْلُهُ الْعَمِيمُ ؛ لَمْ يَبْقَ صَاحِبٌ سَتَجِيقِ^(٢)
وَلَا عِلْمَ ، وَلَا ضَارِبٌ بِسَيْفٍ وَلَا كَاتِبٌ بِقَلَمٍ ؛ وَلَا رَبٌّ حُكْمَ وَلَا قَضَاءَ ، وَلَا مَنْ
يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي أَتْفَاقٍ وَلَا إِمضاءٍ ؛ وَلَا إِمَامٌ مُسْجِدَ وَلَا خَطِيبٌ ، وَلَا دُوقَتِيَا يُسْأَلُ

(١) لعله ترى بالمرمين تأمل .

(٢) في الأصل سيف وهي تصعيف .

فِيحِبُّ ، وَلَا مَن بَيْنَ جَنَّتِي الْمَسَاجِدَ وَلَا مَن تَضُمُّهُمْ اجْنِحَةُ الْحَارِيبِ ، وَلَا مَن يَحْتَدُّ فِي رَأْيٍ فَيُخْطِئُ أَوْ يُصِيبُ ؛ وَلَا مَتَحَلَّتْ بِحَلِيثٍ ، وَلَا مَتَكَلَّمٌ بِقَدِيمٍ وَحَلِيثٍ ؛ وَلَا مَعْرُوفٌ بِدِينٍ وَصَلَاحٍ ، وَلَا قُرْسَانٌ حَرْبٍ وَكِفَاحٍ ؛ وَلَا رَاشِقٌ لِّسِهَامٍ وَلَا طَاعِنٌ بِرِمَاحٍ ، وَلَا ضَارِبٌ بِصَفَاحٍ ، وَلَا سَاجٍ عَلَى قَدَمٍ وَلَا طَائِرٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ ؛ وَلَا غَالِطٌ لِلنَّاسِ وَلَا قَاعِدٌ فِي عُرْثِهِ ، وَلَا جَمْعٌ كَثْرَةٍ وَلَا قَلَّةٍ ؛ وَلَا مَن يَسْتَقِيلُ بِالْجُوزَاءِ لِيُؤَاوِهِ ، وَلَا يَقِلُّ فَوْقَ الْفَرْقَدِ تَوَاوُهُ ؛ وَلَا بَايِدٌ وَلَا حَاضِرٌ ، وَلَا مُقِيمٌ وَلَا سَائِرٌ ؛ وَلَا أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ ، وَلَا مُسِرٌّ فِي بَاطِنٍ وَلَا مُعْلِنٌ فِي ظَاهِرٍ ؛ وَلَا عَرَبٌ وَلَا نَجْمٌ ، وَلَا رَاعِي لِبَابِلٍ وَلَا غَنَمٌ ؛ وَلَا صَاحِبُ أَنَاةٍ وَلَا إِدْبَارٍ ، وَلَا سَاكِنٌ فِي حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ يَدَارُ ؛ وَلَا صَاحِبُ عَمَدٍ وَلَا جِدَارٍ ، وَلَا مُلَجِّجٌ فِي الْبَحَارِ الزَّانِعَةِ وَالْبَرَارِيِّ التِّقْفَارِ ؛ وَلَا مَن يَتَوَقَّلُ صَهَوَاتِ الْخَلِيلِ ، وَلَا مَن يُسِيلُ عَلَى السَّجَاجَةِ الذَّلِيلِ ، وَلَا مَن تَطْلُعُ عَلَيْهِ شَمْسُ النَّهَارِ وَتُجُومُ اللَّيْلِ ؛ وَلَا مَن يُظْلِمُ الْمَاءَ وَتُجِلُّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا مَن تُلْدُ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ عَلَى اخْتِلَافِهَا وَتَرْفَعُ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؛ حَتَّى آمَنَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ وَأَتَمَّنَ طَلِبَهَا ، وَمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهَا ؛ وَأَقْرَبَهَا وَصَلَتْ ، وَغَضَّ لَهَا بَصَرَهُ خَاشِعًا وَأَطْرَقَ ؛ وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ بِالْمُبَايَعَةِ ، وَمُتَمَقِّدَهُ بِالْمُتَابَعَةِ ؛ رَضِيَ بِهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَجَازَ حُكْمَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَأَمْضَاهَا ؛ وَدَخَلَ تَحْتَ طَاعَتِهَا وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا : ﴿ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عبادِهِ وهو أحكم الحاكمين ، والحمد لله الذي أَخَذَ حَقَّ آلِ بَيْتٍ نَبِيَّهُ مِنْ أَيْدِي الظَّالِمِينَ ؛ والحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثم الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثم الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ ، والحمد لله رب العالمين .

وإنه لما استأثر الله بعبيده سُلَيْمَانَ أَنِي الرَّبِّيعِ الْإِمَامِ الْمُسْتَكْنَى بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - كَرَّمَ اللَّهُ مَنَواهُ - وَعَوَّضَهُ عَنْ دَارِ السَّلَامِ بِدَارِ السَّلَامِ ، وَقَلَبَهُ فَرْكِي بَدَنَهُ عَنْ

شهادة السلام بشهادة الإسلام؛ حيث آثره ربه بقربه، ومهد لجنه وأقدمه على ما أقدمه من يرجوه لعمله وكسبه، وخارله في جواره رقيقا، وجعل له على صالح مسلفه طريقا، وأزله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا). الله أكبر ليومه لولا غلظه كادت تضيق الأرض بما رحبت، وتجزئ كل نفس بما كسبت؛ وتلقى كل سريرة بما أذعرت وما خبت؛ لقد اضطرم سعي، إلا أنه في الجوانح، لقد اضطرب مبر وسرر، لولا خلقه الصالح، لقد اضطرب مأمور وأمير، لولا الفكر بعده في طاقية المصالح؛ لقد غاصت البحار، لقد غابت الأتوار، لقد غالب البلور ما يلحق الأهلة من المحاق ويذكر البدر من السرار؛ تُنبت الجبال تسفا، وخبت مصابيح النجوم وكانت تطفئ: (وجاء ربك والملك صفا صفا). لقد جمعت الدنيا أطرافها وأزمت على المسير، وجمعت الأمة قول المصير، وزاغت يوم موته الأبصار: (إن ربهم يوم يومئذ نكير). وقيت الألباب حيارى، ووقفت تارة تُصنق وتارة تمارى؛ لا تعرف قرارا، ولا على الأرض استقرارا: (إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تلهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى).

ولم يكن في النسب العباسي ولا في جميع من في الوجود، لافي البيت المسترشدي ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لم وجنود، ولا من تلده أخرى اللبالي وهي عاقر غير ولود؛ من تسلم إليه أمة عهد صلى الله عليه وسلم عقد نبياتها، ومير طوياتها؛ إلا واحد وأين ذلك الواحد؟ هو واقع من انحصر فيه استحقاق ميراث آباءه الأطهار، وتراث أجداده ولا شيء هو إلا ما اشتمل عليه رداء الليل والنهار؛ وهو ابن المتقل إلى ربه، وولد الإمام الناهب لصلبه؛ المجمع على أنه في الأنام،

فرد الأيام، وواحد وهكذا في الوجود الإمام ؛ وأنه الحائز لما زُزرت عليه جُوبُ
المشاريق والمغارب، والفائز بملك ما بين الشارق والغارب ؛ الراق في صفيح السماء
هذه الذروة المنيفة، الباقي بعد الأئمة الماضين رضى الله عنهم ونعم الخليفة ؛ المجتمع
فيه شروط الإمامة ، المتضع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة ؛
الذى تصفح السحاب نائله ، والذى لا يغره عاذره ولا يُغيره عاذله ؛ والذى :

تَعَوَّدَ بَسَطَ الكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * تَشَاهَا لَقَبِضَ لَمْ تَطْفئه أَنَامِلُهُ

والذى :

لَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيجٌ نَصِييَه * وَلَا وَرَقٌ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ

والذى ما أرتقى صهوة المتبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال ناصره وقام قائمه ؛
ولا قعد على سرر الخلافة إلا وعُرف بأنه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكبه ؛
نائب الله في أرضه ، والقائم بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وأبن عمه ،
وتابع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه « أحمد أبو العباس »
الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، أيد الله تعالى ببقائه الدين ، وطوق بسيفه [رقاب
المُلاحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ؛ وكتب له النصر إلى يوم الدين ؛ وكف
بجهاده طوائف المُفسدين ، وأعاد به الأرض ممن لا يدين يدين ؛ وأعاد بعذله أيام
آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ؛ الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ،
وعليه كانوا يعملون ؛ ونصر أنصاره ، وقدر اقتداره ؛ وأسكن في قلوب الرعية سكينته
ووقاره ، ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره .

ولمَّا آتَقَلَّ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ السَّيِّدُ وَلَحِقَ بِدَارِ الْحَقِّ أَسْلَافُهُ ، وَثَقَلَ إِلَى سَرِيرِ الْجَنَّةِ
عَنْ سَرِيرِ الْخِلَافَةِ ؛ وَخَلَا الْعَصْرُ مِنْ إِمَامٍ يُتَمَسَّكُ مَا بَقِيَ مِنْ نَهَارِهِ ، وَخَلِيفَةُ يُغَالَبُ

مُرَبَّدُ اللَّيْلِ بِأَنوَارِهِ ، وَوَارِثُ بَنِي بَيْتِهِ وَمِثْلُ أَبِيهِ أَسْتَفْنَى الْوُجُودَ بَعْدَ ابْنِ عَمِّهِ خَاتَمِ
الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَبِيِّ مَقْتَبٍ عَلَى آثَارِهِ ؛ وَنَبِيِّ وَلِمَ يَعْهَدَ قَلَمٌ يَبْقَى إِذْ لَمْ
يُوجَدِ النَّصُّ إِلَّا الْإِجْمَاعُ ، وَعَلَيْهِ كَانَتْ الْخِلَافَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِلَا تَرَاوَعٍ ، أَقْتَضَتِ الْمَصْلَحَةُ الْجَامِعَةُ عَقْدَ مَجْلِسٍ كُلِّ طَرَفٍ بِهِ مَعْقُودٌ ، وَعَقْدَ بَيْعَةٍ
عَلَيْهَا اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ شُهُودٌ ، وَجُمِعَ النَّاسُ لَهُ ﴿ ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ
يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴾ . فَخَضَرَ مَنْ لَمْ يُعَبِّأْ بَعْدَهُ مِنْ تَخَلَّفَ ، وَلَمْ يُرَبِّأْ مَعَهُ وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ طَائِعًا
بِمَنْ مَدَّهَا وَقَدْ تَكَلَّفَ ؛ وَاجْتَمَعُوا عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ وَاسْتَخَارُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ تَخْفَرُ ،
وَنَاهَيْكَ بِذَلِكَ مِنْ مُخْتَارٍ ؛ وَأَخَذَتْ يَمِينُ مُمَدِّ إِلَيْهَا الْإِيمَانَ ، وَتُسَكِّدُ بِهَا الْإِيمَانَ ؛
وَتُعْطِي عَلَيْهِا الْمَوَاقِفَ ، وَتُفَرِّضُ أَمَانَتَهَا عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ ؛ حَتَّى تَهْتَدِيَ كُلٌّ مِنْ حَضَرَ
فِي عُنُقِهِ هَذِهِ الْأَمَانَةُ ، وَحِطَّ يَدُهُ عَلَى الْمَصْحَفِ الْكَرِيمِ وَحَلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَتَمَّ
إِيمَانَهُ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَسْتَنْ وَلَمْ يَتَرَدَّدْ ، وَمَنْ قَطَعَ مِنْ خَيْرِ قَصِيدٍ أَعَادَ وَجَدَهُ ؛ وَقَدْ
نَوَى كُلٌّ مِنْ حَلَفَ أَنَّ النِّيَّةَ فِي يَمِينِهِ نِيَّةٌ مِنْ عَقْدَتِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لَهُ . وَنِيَّةٌ مِنْ حَلَفَ لَهُ ،
وَتَذَمُّ بِالْوَفَاءِ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْفُلُهُ ؛ عَلَى عَادَةِ إِيْمَانِ الْبَيْعَةِ بِشُرُوطِهَا وَأَحْكَامِهَا الْمُرَدَّدَةِ ،
وَأَقْسَامِهَا الْمُؤَكَّدَةِ ؛ بَانَ يَبْذُلُ لِهَذَا الْإِمَامِ الْمَقْتَرَضَةِ طَاعَتَهُ الطَّاعَةَ ، وَلَا يُفَارِقُ الْجُمْهُورَ
وَلَا يُظْهِرُ عَنْ الْجَمَاعَةِ انْجِمَاعَهُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَضَمَّنَتْهُ تُسَخُّ الْإِيمَانَ الْمَكْتُوبُ
فِيهَا أَسْمَاءُ مَنْ حَلَفَ عَلَيْهَا مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ بِمُحْطُوطٍ مِنْ يَكْتُبُ مِنْهُمْ ، وَخُطُوطِ
الْعُلُولِ الثَّقَاتِ عَمَّنْ لَمْ يَكْتُبْ وَأَذْنُوا لِمَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ ؛ حَسَبَ مَا يَشْهَدُ بِهِ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ ، وَيَتَصَادَقُ عَلَيْهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ بَيْعَةٌ تَمَّ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَعَمَّ بِأَصْوَابِ الْفَلَاقِ تَعَمُّامُهَا ؛ ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . وَوَهَبَ
لَنَا الْحَسَنَ ؛ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي عَبْدَهُ ، الْوَاقِفِ وَعْدَهُ ، الْمُوَافِقِ لِمَنْ يُضَاعِفُ عَلَى كُلِّ

مَوْجِبَةً مَحْدَه؛ ثم الحمد لله على نعيم رِغْبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَزْدِيَادِهَا، وَرِغْبٍ إِلَّا أَنْ
يَقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِأَمْنِهَا؛ وَرِغْبٍ بِهَا مَا أَثَرُهَا أَثَرُ مَا لَيْكَ (٩) مَا بَانَ مِنْ ثُبَانَةٍ
أَضْدَادِهَا .

نَحْمَدُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةً لَا تَمَلُّ مِنْ تَرْدَادِهَا، وَلَا تَجَلُّ بِمَا يُقَوِّقُ السَّهَامَ
مِنْ سَدَادِهَا؛ وَلَا تَنْظُلُ إِلَّا عَلَى مَا يَوْجِبُ كَثْرَةَ أَعْدَادِهَا، وَتُسَيِّرُ إِقْرَارَ عَلَى أَوْرَادِهَا؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَتَقَايَسُ دَمُ الشَّهَدَاءِ وَمَدُّ مِدَادِهَا،
وَتَتَقَايَسُ طَرْدُ الشَّيْبَابِ وَغُرُ السَّحَابِ عَلَى أَسْتِمْدَادِهَا؛ وَتَتَجَاوَسُ رُقُومُهَا الْمَدِيَّةُ
وَمَا تُلَاسَهُ الدُّوَلَةُ الْعَبَاسِيَّةُ مِنْ شِعَارِهَا، وَاللَّيَالِي مِنْ دِكَارِهَا، وَالْأَعْدَاءُ مِنْ حِدَادِهَا؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمَاعَةِ آلِهِ مِنْ سَفَلٍ
مِنْ أَبْنَائِهَا وَمَنْ سَلَفَ مِنْ أَجْدَادِهَا؛ وَرَضَى اللَّهُ عَنْ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ
لَهُمْ بِأَحْسَنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَا أَكْسَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ مَا كَانَ بَلَدُهُ،
وَوَهَبَهُ مِنَ الْمُلْكِ السُّلْطَانِيَّ عَنْ أَبِيهِ مَا لَا يُنْبِغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَعَلَيْهِ مَنَظِقُ الطَّيْرِ
بِمَا تَحْمِلُهُ حَمَائِمُ الْبَطَاطِقِ مِنْ بَدَائِعِ الْبَيَاسِ، وَتَحْزَلُهُ مِنَ الْبَرِيدِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ
مَا تَحْزَنُ مِنَ الرِّيحِ لِسُلَيْبَانٍ؛ وَأَتَاهُ مِنْ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَا أَمَلَهُ بِهِ أَبُوهُ سُلَيْمَانُ وَتَصَرَّفَ،
وَأَعْطَاهُ مِنَ الْفَخَّارِ مَا طَاعَهُ بِهِ كُلُّ خَلْقٍ وَلَمْ يَخْتَلَفْ؛ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ لِبَاسِ بَنِي الْعَبَّاسِ
مَا يَفِضُّ لَهُ سَوَادُهُ بُسُودَ الْأَجْنَادِ، وَيَنْفُضُ عَلَى كُلِّ الْهَيْبِ مَا فَضَّلَ عَنْ سُوءِئِهِ
الْقَلْبِ وَسَوَادَ الْبَصَرِ مِنَ السَّوَادِ؛ وَيَمُدُّ ظِلَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّهَ دَارُ مُلْكٍ
وَكُلُّ مَدِينَةٍ بَنَدَادٍ؛ وَهُوَ فِي لَيْلَةِ السَّجَادِ، وَفِي نَهَارِهِ الْعَسْكَرِيُّ وَفِي كَرَمِهِ جَعْفَرُ
الْخَوَادِ سَيِّدِ الْإِبْتِهَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ، وَالْإِتِّهَاجِ بِمَا يُنْصَحُ كُلُّ عُلُوٍّ بِرِيقِهِ؛
وَيَسْدُ يَوْمَ هَذِهِ الْمُبَاعَةِ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ مِنْ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ، وَمَصَالِحِ الْأَعْمَالِ مَا يَحْتَطُّ

به الإمام، ويَهْدُمُ التقوى أَمَامَهُ، وَيَقْرُنُ عليها أحكامه، وَيُنَبِّعُ الشرع الشريف
ويَقِفُ عنده وَيُوقِفُ الناس، وَمَنْ لَا يَجْعَلُ أَمْرَهُ طَائِعًا عَلَى الْعَيْنِ حَلَّةً بِالسَّيْفِ
غَضَبًا عَلَى الرَّأْسِ، وَيَسْجُلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَتَسَفَى بِهِ النُّفُوسُ، وَيُزِيلُ بِهِ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ يَسُوسُ، وَيَأْخُذُ بِقُلُوبِ الرِّبَايَا وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا وَلَكِنْ يَسُوسُ؛
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُشْهَدُ اللَّهُ وَخَلِيقَتُهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَقْرَبُ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ وِلَاةِ الْأُمُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ
عَلَى حَالِهِ، وَأَسْتَمْتَرَهُ فِي مَقِيلِهِ تَحْتَ كَنْفِ ظِلَالِهِ؛ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِ وِلَاةِ
الْأُمُورِ، وَغَرَضُهُمْ فِي الْمَالِكِ وَالنُّفُورِ؛ بَرًّا وَبَحْرًا، سَهْلًا وَوَعْرًا، وَشَرْقًا وَغَرْبًا،
وَبُعْدًا وَقُرْبًا؛ وَكُلُّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ، وَقَلِيلٍ وَكَثِيرٍ؛ وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَمَلِكٍ وَمَمْلُوكٍ
وَأَمِيرٍ وَجُنْدِيٍّ يَرْفِقُ لَهُ مَنِيْفٌ شَهِيْرٌ، وَرُوحٌ طَوِيْرٌ؛ وَمَنْ مَعَ هَؤُلَاءِ مِنْ وُزَرَاءَ وَقَضَاةٍ
وَكُتَّابٍ، وَمَنْ لَهُ يَدٌ تَسْقَى فِي إِنْشَاءِ وَتَحْقِيقِ حِسَابٍ؛ وَمَنْ يَتَحَلَّثُ فِي بَرِيدٍ وَتَرَاجٍ،
وَمَنْ يُتَحَاجُّ إِلَيْهِ وَمَنْ لَا يُتَحَاجُّ؛ وَمَنْ فِي الدُّرُوسِ وَالْمُنَاسِرِ وَالرُّطْبِ وَالزَّوَايَا
وَالخَوَاقِ، وَمَنْ لَهُ أَعْظَمُ التَّعَلُّقَاتِ وَأَذْنَى الْعِلَاقِ؛ وَمَسَائِرُ أَرْبَابِ الْمَرَاتِبِ،
وَأَنْصَابِ الرُّوَاتِبِ؛ وَمَنْ لَهُ فِي مَالِ اللَّهِ رِزْقٌ مَقْسُومٌ، وَحَقٌّ مَجْهُوْلٌ أَوْ مَعْلُومٌ؛
وَأَسْتِمَارُ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَسْتَخِيرَ اللَّهَ وَيَقِيْنَ لَهُ مَا يَنْ يَدِيْهِ؛ فَا زَادَ
تَاهِيْلُهُ، زَادَ تَفْضِيْلُهُ؛ وَإِلَّا فَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُرِيدُ سِوَى وَجْهِ اللَّهِ، وَلَا يُجَاهِي أَحَدًا
فِي دِيْنٍ، وَلَا يُجَاهِي [عَنْ] أَحَدٍ فِي حَقٍّ؛ فَإِنَّ التَّحَامَةَ فِي الْحَقِّ مَدَاجَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛
وَكُلُّ مَا هُوَ مُسْتَمِرٌّ إِلَى الْآلَيْنِ، مُسْتَقَرٌّ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ بِمَا فَهَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَفَهَمَهُ سَلِيَانٌ،
لَا يَنْبَغِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي بَعْضِهِ، مُعْتَبَرٌ مُسْتَمِرٌّ بِمَا شَكَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً
وَهَكَذَا يُجَازِي مِنْ شَكَرٍ، وَلَا يَكْدَرُ عَلَى أَحَدٍ مُوَدَّةَ اللَّهِ بِهِ نِعْمَةً الصَّافِيَّةَ عَنْ
الْكَدَرِ، وَلَا يَتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ مَتَأَوَّلٌ وَلَا مِنْ بَحْرِ النِّعْمَةِ أَوْ كَفَرٍ، وَلَا يَتَعَلَّلُ مُتَعَلِّلٌ فَإِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَوِّدُ بِاللَّهِ وَيُعِيذُ بِأَمَانِهِ مِنَ الْفِتْرِ؛ وَأَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرَهُ -

أَنْ يُبَيِّنَ الْخُطْبَاءُ بِذِكْرِهِ وَذِكْرِ سُلْطَانِ زَمَانِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْأَفَاقِ، وَأَنْ تُضْرِبَ
بِاسْمِهِمَا التَّقْوَدُ الْمُتَعَامِلُ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَيُتَّبَعُ بِالدُّعَاءِ لَهَا عَطْفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
وَيُصَرِّحَ مِنْهُ بِمَا يُشْرَقُ بِهِ وَجْهُ الدَّرْهِمِ وَاللِّينَارِ؛ وَتُبَاهَى بِهِ الْمَنَابِرُ وَدَوْرُ الضَّرْبِ :
هَاتِكِ تَرْفَعُ أَسْمَهُمَا عَلَى أَسْرَةِ مُهُودِهَا، وَهَذِهِ عَلَى أَسَارِيرِ مُهُودِهَا؛ وَهَذِهِ تَقَامُ بِسَبِّهَا
الصَّلَاةُ، وَتِلْكَ تُدَامُ بِهَا الصَّلَاتُ؛ وَكِلَاهُمَا تُسْتَمَلُّ بِهَ الْقُلُوبُ، وَلَا يَلَامُ عَلَى مَا تَعْبَهُ
الْأَذَانُ وَتَوْعِيدُ الْجُيُوبِ؛ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ تُحَدِّقُ بِجَوَارِهِ الْأَحْدَاقُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
الْأَعْنَاقُ؛ وَتُبَلِّغُ بِهِ الْمَقَاصِدَ، وَيَقْوِي بِهِمَا الْمُنَافِذَ؛ وَكِلَاهُمَا أَمْرُهُ مَطَاعٌ، مِنْ غَيْرِ
نَزَاعٍ، وَإِذَا لَمَعَتْ أَرْزَمَةُ الْخُطْبِ طَارَ لِلنَّهَبِ شُعَاعٌ؛ وَلَوْلَاهُمَا مَا أَجْتَمَعَ جَمْعُ
وَلَا انْتَضَمَ، وَلَا عَرَفَ الْإِنَاءُ مِنْ تَأْتَمُّ؛ فَانْخُطَبَ وَالنَّهَبُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَبِهِمَا
يَذْكُرُ اللَّهُ قِيَمَةَ الْمَسَاجِدِ؛ وَلَوْلَا الْأَعْمَالُ، مَا بَدَلَتْ الْأَمْوَالُ، وَلَوْلَا الْأَمْوَالُ، مَا وُلِّتِ
الْأَعْمَالُ؛ وَلَا جُلَّ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ النِّسْبَةِ، قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ لَهُ السُّكَّةُ وَالْخُطْبَةُ؛ وَقَدْ
أَسْمَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْجَمْعِ الْمُشْهُودِ مَا يَتَنَاقَلُهُ كُلُّ خُطِيبٍ، وَتَتَدَوَّلُهُ كُلُّ بَعِيدٍ
وَقَرِيبٍ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِأَوَامِرٍ وَنَهَى عَنْ نَوَاهٍ وَهُوَ رَقِيبٌ؛ وَتُسْتَفْزَعُ الْأَوْلِيَاءُ لَهَا
السَّجَايَا، وَتُتَضَرَّعُ الْخُطْبَاءُ فِيهَا بِنُعُوتِ الْوَصَايَا؛ وَتَكْتَلُّ بِهَا الْمَزَايَا، وَتَكَلِّمُ بِهَا الْوَاعِظُ
وَيُخْرِجُ مِنَ الْمَشَاجِخِ الْخَلَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا؛ وَتُسَمَّرُ بِهَا السُّمَارُ وَيَقْرَأُ الْحَادِي وَالْمَلَّاحُ،
وَيُرْوَقُ تَجَبُّوْهَا فِي اللَّيْلِ الْمُقْمِرِ وَيُرْقَمُ عَلَى جَنْبِ الصَّبَاحِ؛ وَتُعْطَرُ بِهَا مَكَّةُ بَطْحَاهَا
وَنَحْيَا بِمَجْدِهَا قُبَاهُ، وَيَلْقَنَهَا كُلُّ أَبٍ فَهَمَّ أَيْتُهُ وَيَسْأَلُ كُلُّ أَبْنٍ أَنْ يُجِيبَ أَبَاهُ؛ وَهُوَ
لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رُشْدٌ وَعَلَيْكُمْ بَيْتُهُ، وَالْيَمِينُ مَا دَعَاكُمْ بِهِ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ وَلَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةُ وَلَوْلَا قِيَامُ الرِّيَايَا بِهَا
مَا قِيلَ اللَّهُ أَعْمَالُهَا، وَلَا أَمْسَكَ بِهَا الْبَحْرُ وَدَحَا الْأَرْضُ وَأَرْسَى جِبَالُهَا؛ وَلَا أَنْفَقَتِ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي بَعْضِ النُّسخِ وَلَمَّا صَوَّبَ قِيَامَ، أَوْ قِيَامَ - تَامَلُ .

الآراء على من يسحق وجاءت إليه الخلقة تجزأذيالها ، وأخذها دون بني أبيه
ولم تكن تصلح إلا له ولم يكن يصلح إلا لها ؛ وقد كفأكم أمير المؤمنين السؤال بما
فتح لكم من أبواب الأرزاق ، وأسباب الإزفاق ؛ وأحسن لكم على وفائكم وعلمكم
مكارم الأخلاق ، وأجراكم على حوائدكم ولم يمسك خشية الإملاق ؛ ولم يسق على
أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل
بما ينفع به من يبيح - أطل الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على كل
من تقدم ، ويقيم فروض الحج والجهاد ، ويقيم الرعايا بمنله الشامل في مهاد ؛
وأمير المؤمنين يقيم على عباده مؤتم الحج في كل عام ، ويشمل سكان الحرمين
الشرعيين وسدنة بيت الله الحرام ؛ ويجهز السبل على عابته ويرجو أن يعود إلى
حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاهر ويرسل إلى
ثالثهما البيت المقدس ساكب الغمام ؛ ويقوم بقومة قبور الأنبياء - صلوات الله
عليهم - أين كانوا وأكثرهم في الشام ؛ والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها ،
وقويم سنتها ؛ وسترد في أيام أمير المؤمنين بن أنعم إليه ، وبما يقسمه من بلاد
الكفار ويسلم على يديه .

وأما الجهاد ، فيكتفي بأجتهاد القائم عن أمير المؤمنين وأموره ، المقلد عنه جميع
ما وراء سريره ؛ وأمير المؤمنين قد وكل إليه - خلد الله سلطانه - عناء الأيام ، وقلته
سيفه الراعب بوارقه ليسله واجده على الأعداء [وإلا] سل خياله عليهم في الأحلام ؛
ويؤكد أمير المؤمنين في أرجاع ماغلب عليه العدا ، وانتزاع [مابا] يدهم من بلاد
الإسلام فإنه حقه وإن طال عليه المدئ ؛ وقد قدم الوصية بأن يوالي غزو العدو
المخذول برا وبحرا ، ولا يكف عن يظفره منهم قتلا وأسرا ، ولا يفك أغلالا
ولا إضرأ ؛ ولا ينفك يرسل عليهم في البحر غرابا ، وفي البر من الخيل عقبا ، يحمل

فيهما كل فارس صفرا، ويحى المالك من يحوز أطرافها بإقدام، ويتخول أكانها الإقدام؛ وينظر في مصالح القلاع والحصون والتغور، وما يحتاج إليه من آلات القتال، وما يحتاج به الأعداء ويجز عنه المحتال؛ وأمهات المالك التي هي مرابط البؤد، ومرابط الأسود، والجناح الملود؛ ويتفقد أحوالهم بالعرض، بما لهم من خيل تعقد [بالعاج] ما بين الماء والأرض؛ وما لهم من زرد مصون، وبيض مسها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون؛ وسيف قواضب، ورماح لكثرة طعنها من الدماء خواضب، وسهام توأصل القسي وتنفقها فتحن حين مفارق وتزجر القوس زجيرة مغاضب.

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها تطيب قلوبكم، وإطالة ذيل التطويل على مظلومكم؛ وماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حياية إلا ما أباح الشرع المظهر، ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما ينحنى منكم ويظهر.

وأما جزئيات الأمور، فقد علمتم بأن فيمن تقلد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكري، وفتى حق لا يشغل بطلب شيء فكرا؛ وفي ولادة الأمور، ورواة الجمهور؛ ومن هو سيد عمله، ومداد أمله، ومبدأ من هو منكم معشر الرعايا من قبله؛ وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ومن خولكم وأنتم وهم فامنكم إلا من استعزف أمير المؤمنين وتمشى في مرضى الله على خلقه، وينظر ما هو عليه ويسير بسيرته المثل في طاعة الله في خلقه؛ وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة، وإبداء الطاعة بسيرة صحيحة؛ وقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رأيه، ولزم حكم بيعته، وألزم طائره في عقه، ويستعمل كل منكم في الوفاء ما أصبح به عليا: (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما).

هذا قول أمير المؤمنين، وعلى هذا عهد إليه وبه يتهد، وماسوى هذا فهو مجور لا يشهد به عليه ولا يشهد به وهو يعمل في ذلك كله ما محمد طاقته من الأعمال، ويعمل منه ما يصلح به الحال والمال؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال، ويستعيد بالله من الإفصال؛ ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان، ويحمد الله وهو من الخلق «أحد» وقد آتاه الله ملك سليمان؛ والله تعالى يجمع أمير المؤمنين بما وهبه، ويعلمه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل حقه؛ ولا يزال على أمرة العلياء قعوده، وليأس الخلافة به أئمة الجلالة كأنه مامات منصوره ولا ردى مهديه ولا ذهب رشيده^(١).

المقصود السادس

(فما يكتب في آخر البيعة)

إذا انتهى إلى آخر البيعة، شرع في كتابة الجوامع على ما هتتم، فيكتب: «إن شاء الله تعالى» ثم يكتب التاريخ. ثم الذى يقتضيه قياس العهود أنه يكتب المستند عن الخليفة فيكتب «بالإذن العالى المولوى الإمامى النبوى المتوكلى - مثلاً - أعلام الله تعالى» وكان الخليفة الذى عقدت له البيعة هو الذى أذن في كتابتها.

قلت: ولو أسقط المستند في البيعات فلا حرج بخلاف العهود: لأنها صادرة عن مول وهو العاهد، فحسن إضافة المستند إليه، بخلاف البيعة فإنها إنما تصدر عن أهل الحل والعقد كما هتتم. ويكتفى في المستند عنهم بكتابة خطوطهم في آخر

(١) هذه المعاملة من قبل القاضي الفاضل ليست لابة حال بلاغة ولا مفسدة جلايب فصاحت هى تجربة لم تنجح ومنودة لم تنجح كما أشار إليه ابن ناطر الجيوش طينته.

اليعة كما سيأتي ؛ ثم بعد كتابة المستند - إن كُتِبَ - تُكْتَبُ الحمدُ والصلاةُ على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة ، على ما هتَمُّ في الكلام على القَوَائِمِ والخَوَاتِمِ في مقدمة الكتاب .

ثم يُكْتَبُ مَنْ يَابِعَ مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ والعقد والشهود على اليعة .

فأما مَنْ تَوَلَّى عَقْدَ اليعة مِنْ أَهْلِ الْحَلِّ والعقد فيكتب : « يابعتُ على ذلك ، وكتب فلانُ بْنُ فلانٍ » ويدعو في خلال ذلك قبل اسمه بما يناسب : مثل أن يقال « يابعتُ على ذلك قدس الله خلافتَه » أو « زاد الله في شرفه » أو « زاد الله في اعتلائه » وما أشبه ذلك .

وأما الشهود على اليعة فالواجب أن يكتب كلُّ منهم : « حَضَرْتُ بِرَيانَ عقد اليعة المذكورة ، وكتب فلانُ بْنُ فلانٍ » كما يكتب الشاهد بِرَيانَ عقد النكاح ونحوه ؛ ولا بأس أن يدعو في رسم شهادته قبل كتابة اسمه بما يناسب : مثل « قرَّنها الله تعالى باليمين أو بالسداد » أو « عَرَّفَ الله المسلمين بركَّتِها » وما أشبه ذلك .

المقصود السابع

(في قَطْعِ الورق الذي تُكْتَبُ فيه اليعة ، والقلم الذي تُكْتَبُ به ،

وكيفية كتابتها ، وصورة وضعها)

وأعلم أنَّ اليعاتِ لم تكن متداولةً الإستعمال لقلَّةِ وَقُوعِها ، فلم يكن لها قَطْعُ ورق ، ولا تصويرٌ متعارفٌ فيتبع ؛ ولكنَّه يُؤخَذُ فيها بالقياس وعموم الألفاظ .

فأما قَطْعُ ورقها ، فقد هتَمُّ في الكلام على مقادير قَطْعِ الورق قَلًا عن محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » أنَّ قطع البندادي الكامل المُقَفَّاء والمُلَوَّك . ومقتضى

ذلك أن البيعات تُكتب فيه ، وهو قياس ما ذكره المقرئ الشهابي بن فضل الله في "التعريف" من أن لليهود قطع البغدادى الكامل على ماسياتى ذكره .

قلت : لكن ماسياتى فى الكلام على عهود الخلفاء أنها الآن قد صارت تكتب فى قطع الشامى الكامل ، وبينهما فى العرض والطول بون كبير على ما تقدم بيانه فى الكلام على قطع الورق ؛ وحيث فينبى أن تكون كتابة البيعات فى قطع الشامى مناسبة لما تكتب فيه عهود الخلفاء الآن .

وأما القلم الذى يكتب به فيصّب الورق الذى يكتب فيه : فإن كتبت البيعة فى قطع البغدادى ، كانت الكتابة بقلم مختصر الطومار إذ هو المناسب له ؛ وإن كتبت فى قطع الشامى ، كانت الكتابة بقلم الثلث الثقيل إذ هو المناسب له .

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها ، فقياس ما هو متداول فى كتابة العهود وغيرها ، أنه يبدأ بكتابة الطرة فى أول الدرج بالقلم الذى تكتب به البيعة سطورا متلاصقة لا خلوا بينها ، ممتدة فى عرض الدرج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة فى قطع البغدادى الكامل ، جرى فيه على القاعدة المتداولة فى عهود الملوك عن الخلفاء على ماسياتى ذكره ؛ وترك بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بياضا من غير كتابة : لتصير بوصل الطرة سبعة أوصال ؛ ثم يكتب البسملة فى أول الوصل الثامن بحيث تكون أعلى ألفاته تكاد تلحق الوصل الذى فوقه بهامش عريض عن يمينه قدر أربعة أصابع أو خمسة مطبوعة ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطرا من أول البيعة ملاصقا لها ؛ ثم ينل مكان بيت العلامة قدر شبر جريا على قاعدة العهود وإن لم تكن علامة تكتب ، كما ينل بيت العلامة فى بعض المكاتبات ولا يكتب فيه شيء ؛ ثم يكتب السطر الثانى تحت بيت العلامة على

تمت السطر الذي تحت البسملة في بقية الوصل الذي فيه البسملة؛ ويحرص أن تكون نهاية السجدة الأولى في أثناء السطر الأول أو الثاني؛ ثم يستريح في كتابة بقية البيعة ويجعل بين كل سطرين قدر ربع ذراع بذراع القماش كما مسياتي في اليهود؛ ويستحب ذلك إلى آخر البيعة، فإذا انتهى إلى آخرها كتب "إن شاء الله تعالى" ثم التاريخ، ثم المستند، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والحسبة، على ما تقدم بيانه في الفوائح والخواتم في مقدمة الكتاب؛ ثم يكتب من بايع من أهل الحل والعقد خطوطهم، ثم الشهود على البيعة بعدهم. وإن كانت الكتابة في القطع الشامي، فينبغي أن ينقص عدد أوصال البياض الذي بين الطرة والبسملة وصلين فتكون خمسة، وينقص الهامش فيكون قدر ثلاثة أصابع على ما يقتضيه قانون الكتابة.

وهذه صورة وضعه في الورق ممثلاً لها بالطرة التي أنشأها لذلك، والبيعة الثانية من البيعتين اللتين أنشأتهما

بياض بأعلى الفرج بقدر أصبع

هذه بيعة ميمونه، بإيمن مبتدأة بالسعد مقرونة؛ لمولانا السيد الجليل الإمام النبوي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد أمير المؤمنين، ابن الإمام المتعصب بالله أبي الفتح أبي بكر العباسي: زاد الله تعالى شرفه علواً، ونفاره شموماً. قام بعقدها السلطان السيد الأعظم، والشاهنشاه المعظم، الملك الظاهر أبو سعيد برقوق، خلد الله تعالى سلطانه، ونصر جيوشه وأعدائه؛ يجمع من أهل الحل والعقد، والاعتبار والنقد: من القضاة والعلماء والأمرء، ووجوه الناس والوزراء والصلحاء والنصحاء؛ وإمضائها على السبباد، والتصحح والرشاد. على ما شرح فيه

بإذن من أوصال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلَ بَيْتَ الْخِلافةِ مَتَابَعًا لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَأَقَامَ

هامش

بَيْتَ الْعِلَادةِ

تَقْدِيرُ شَرْحٍ

مُسَوِّرَ الْإِمَامَةِ وَقَابَهُ لِلْأَنَامِ وَحَضَّنَا ؛ وَشَدَّ مِنْهَا بِالْمُعَصَبَةِ

تَقْدِيرُ رَجْعِ ذِرَاعٍ

الْقُرَشِيَّةِ أَزْرًا وَشَادَ مِنْهَا بِالْمُعَصَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ رُكْنًا . وَأَعَاثَ

تَقْدِيرُ رَجْعِ ذِرَاعٍ

الْخَلْقَ بِإِمَامِ هُدًى حَسَنٍ مَبْدِيَّةٍ وَصَفًا مَرِيرَةً فَرَاقَ صُورَةٍ وَرَقٍّ مَعْنَى .

ثم يأتى على الكلام إلى آخر البيعة على هذا النمط إلى أن ينتهى إلى

قوله : والله تعالى يجعلُ أَسْتَقْلَامَهُ مِنْ أَدْنَى إِلَى أَعْلَى وَمَنْ يُسْرَى إِلَى يَنْفَى ،

ويحقق لهم بمن أَسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِمْ وَعَدَهُ الصَّادِقَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ

عاش الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

إن شاء الله تعالى

كتب في الثاني من جمادى الأولى ١١٧٠

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

بالإذن العالي المولوي الإمامي النبوي المتوكلي ١١٧٠

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

بايعته على ذلك	بايعته على ذلك	بايعته على ذلك
فقدس الله تعالى خلافته	زاد الله تعالى في شرفه	زاد الله تعالى في أعتابه
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

بإذن
من
أهل
العلم
والفضل

حضرت	حضرت	حضرت
جرّان عقد	جرّان عقد	جرّان عقد
البيعة المذكورة	البيعة المذكورة	البيعة المذكورة
عرف الله المسلمين	قرّنها الله تعالى	قرّنها الله تعالى
يركتها	بالسداد	باليمن والبركة
وكتب	وكتب	وكتب
فلان بن فلان	فلان بن فلان	فلان بن فلان

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع الثاني

(من البيعات، بيعات الملوك)

وأعلم أنّ المقرّ الشهابي بن فضل الله قد ذكر في "التعريف" : أنّ من قام من الملوك بغير عهد من قبله لم تجر العادة بأن تُكتب لهم مبايعة ، وكأنّه يريد اصطلاح بلاد المشرق والديار المصرية ؛ أما بلاد المغرب فقد جرت عادة مصطلحهم بكتابة البيعات للملوكهم ، وذلك أنه ليس عندهم خليفة يلينون له ، يتقلّدون الملك بالعهد منه . بل جلّهم أوكلهم يدعى الخلافة فهم يكتبون البيعات لهذا المعنى .

وهذه نسخة بيعة من هذا النوع ، كتبت بها للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي الجحّاج بن نصر بن الأحمر الأنصاري ، صاحب حمراء غرناطة من الأندلس ، مفتحة بخطبة على قاصلتهم في بيعات الخلفاء على ما همّهم ذكره ؛ وربما تكرّر الحمد فيها دلالة على عظم النعمة . من إنشاء الوزير أبي عبد الله محمد بن الخطيب صاحب ديوان إنشائه ، على ما رأيته في ديوان ترسله ، وهي :

الحمد لله الذي جل شانا، وعز سلطانا، وأقام على ربوبيته الواجبة في كل شيء خلقه برهانا، الواجب الوجود ضرورة إذ كان وجود ماسواه إمكانا؛ حتى القيوم حياة أبدية سرمدية متزهة عن الابتداء وال انتهاء [فلا تعرف وقتا ولا تستدعي زمانا؛ العليم الذي يعلم السر وأخفى^(١)] فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا أحاط بها علما وأدركها عيانا؛ القدير الذي ألقت الموجودات كلها إلى عظمته يد الخضوع استسلاما له وإذعانا . المرید الذي بمشيئته تصريف الأقدار، واختلاف الليل والنهار، فإن منع متع عدلا وإن منع متع إحسانا؛ شهيد تداول الملوك بدوام ملكه ودل حدوث ماسواه على قدمه، وأثبت السنة إلى الحيات والجناد على مواهبه وقسمه، وفاض على عوالم السماء والأرض بمرجوه العيم النوال من قبل السؤال وكرمه، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ويثني على نعمه سرا وإعلانا . فهو الله الذي لا إله إلا هو ليس في الوجود إلا فعله، ألا له الخلق والأمر واليه يرجع الأمر كله، وسبح الأكوان على تباينها فضله، وقدر المواهب والمقاسم صله، منما ومنحا وزيادة ونقصانا .

والحمد لله الذي بيده الاختراع والإنشاء، مالك الملك يورق الملك من ينشاء ويترع الملك من ينشاء، سبق في مكنون غيبه القضاء، وخفيت عن خلقه الأسباب وعييت عليهم الأنباء، وعجزت عقولهم أن تدرك منها كنهها أو تكشف منها بيانا .

والحمد لله الذي رفع قبة السماء ما اتخذ لها عمادا، وجعل الأرض فراشا ومهادا، وخلق الجبال الراسية أوتادا، ورتب أوضاعها أجناسا متفاضلة، وأنواعا متباينة متقابلة . : فحيواتا ونباتا وجمادا، وأقام فيها على حكمة الإبداع دلائل باهرة الشعاع

(١) الزيادة من رحمة الكتاب لابن الخطيب (ص ٤٨ ج ١)

وأشهادا ، وجعل الليل والنهار خِلْفَةً والشمس والقمر حُصْبَانَا . وقدر السياسة
مسيجا لعالم الإنسان يضمُّ منه ما آتَنَّتْ ، ويَطْوِي من تعديهِ ما نَشَر ، ويجعله حلًّا
الآداب التي تُرِشِدُهُ إِنْما ضَلَّ ويُقيمه إِذا مَرَّ ، وتجبرُّه حلًّا أَنْ يَلْتَمِ السَّن ويَبْغِ
الآثَر ، لُطْفًا مِنْهُ تَمِيلُ الْبَشَرُ وَحَنَانَا .

ولما عَمَّرَ الْأَرْضَ بهذا الجنس الذي فضله وشرَّفه ، ووَهَبَ له العقل الذي تَمَكَّنْ
به في حكمه حتَّى عَرَفَهُ ، وبِمَا يَجِبُ لِرُؤْيَيْهِ الْوَاجِبَةِ وَصَفَهُ ، جعلهم درجاتٍ
بعضُها فوقَ بعضٍ قَرَأَ وَغَيَّ وَطَاعَةً وَعِصْيَانًا . وأختار منهم سَقَرَةَ الْوَحْيِ وَحَمَلَةَ
الآيَاتِ ، وأرسل فيهم الرُّسُلَ بِالْمُعْجِزَاتِ ، وعَرَّفَهُمْ بِمَا كَلَّفَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
الْمُقَدَّرَاتِ : (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) .
يَوْمَ اعْتِبَارِ الْأَعْمَالِ وَاعْتِبَارِ الْحَسَنَاتِ ، وَنَصَبِ الْعُدْلِ وَالْمُجَازَاةِ فِي يَوْمِ الْقَرَضِ عَلَيْهِ
قِسْطًا وَمِيزَانًا .

تَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ، وَتُثْنِي عَلَى مَوَاهِبِهِ الْجَمَّةِ وَالْآيَةِ الْوَافِرَةِ ،
وَتُعَدُّ يَدَ الضَّرَاعَةِ ، فِي مَوْقِفِ الرَّجَاءِ وَالطَّلَاعَةِ ، إِلَى الْمَزِيدِ مِنْ مِثْنِهِ الْهَامِيَةِ الْهَامِرَةِ ،
وَسَأَلَهُ دَوَامَ الطَّافَةِ الْخَافِيَةِ وَعِصْمَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَأَتَصَالُ نِعْمِهِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَتَعَرَّفُهَا
مَتْنًى وَوُحْدَانًا . وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . [شَهَادَةُ
نَحْمَدُكَ فِي الْمَعَادِ عِلَّةً وَاقِيَهُ ، وَوَسِيلَةً لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَيْهِ رَاقِيَهُ ، وَذَخِيرَةً صَالِحَةً
بَاقِيَهُ ، وَتُورًا يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِينَا وَيَكُونُ عَلَى الرِّضَا وَالْقَبُولِ فِيْنَا عُنْوَانًا^(١)] . وَنَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا النَّبِيَّ الْعَرَبِيَّ الْقُرَشِيَّ الْهَاشِمِيَّ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَصْطَفَاهُ
وَاخْتَارَهُ ، وَرَفَعَ بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مِقْدَارَهُ ، وَطَهَّرَ قَلْبَهُ وَقَدَّسَ أَسْمَارَهُ ، وَبَلَّغَهُ

من رِضاهِ أَخْيَارَه، وأعطاهِ لَوَاءَ الشَّفَاعَةِ يَقْفُو آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ
 آثارَه، وجعله أَقْرَبَ الرُّسُلِ مَكَانَةً وَأَرْفَعَهُمْ مَكَانًا . رَسُولُ الرَّحْمَةِ، وَنُورُ الطُّلُوعِ،
 وإمامُ الرُّسُلِ الْأَيَّمِّه، الذي جمع له بين مَرْيَةِ السَّبْقِ وَمَرْيَةِ التَّيَمِّه؛ وجعل طاعته
 من العَذَابِ الْمُقِيمِ أَمَانًا . صاحبُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي تَقُولُ، وَالْوَسِيلَةِ الَّتِي إِلَى اللَّهِ بِهَا
 يَتَوَسَّلُ، وَالدرَجَةِ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا الْمَلَكُ الْمُقَرَّبُ وَلَا النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ، وَالرَّتَبَةِ الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا
 اللَّهُ سِوَاهُ إِنْسَانًا . انتخبه من أَشْرَفِ الْعَرَبِ أُمًّا وَأَبًا، وَأَزَكَّى الْبَرِيَّةِ طِينَةً وَأَرْفَعَهَا
 نَسَبًا، وَأَبْتَعَتْهُ إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ عِيًّا وَعَرَبِيًّا، وَمَلَأَ بُيُوتَ دَعْوَتِهِ الْبَسِيطَةَ جُنُوبًا وَشَمَالًا
 وَمَشْرِقًا وَمَغْرِبًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ الْخَلْقُ لَمَّا سَمِعَتْهُ وَقَالُوا (إِنَّا سَمِعْنَا
 قُرْآنًا عَجَبًا) . تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَثَبَاتًا . فَصَدَعَ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ مِنْ اخْتَارَ ذَاتَهُ الطَّاهِرَةَ وَأَصْطَفَاهَا، وَأَدَّى أَمَانَةَ اللَّهِ وَوَفَّاهَا،
 وَرَأَى الْخَلْقَ عَلَى شَفَى الْمَتَالِفِ فَتَلَّاهَا، وَتَبَعَ أَدْوَاءَ الضَّلَالِ فَشَفَّاهَا، وَعَمَّا بَعَالِمِ
 الْجَهْلِ وَعَفَّاهَا، وَشَادَ الْخَلْقَ فِي الْحَقِّ بَيِّنَاتًا . مُؤَيِّدًا بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي تُجْجِبُهَا قَبْلُ
 وَمُسَلِّمًا : فَمَنْ جَدَّعَ لِقِرَاقِهِ يَتَأَلَّمُ، وَبِحَمْدٍ يَصْدُقُ نُبُوءَتُهُ يَتَكَلَّمُ، وَجَيْشُ شَكَا الظُّلَمِ
 فَفَجَّرَ لَدَيْهِ الْمَعِينِ مِنْهُ بَنَانًا . وَأَيُّ مُعْجِزَةٍ كَكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا تَنْقُضِي عَجَابُهُ،
 فَهُوَ أَلِيمٌ وَالْعُلُومُ النَّافِعَةُ كُلُّهَا مَذَانِيهِ، وَأَفْقُ الْحَقِّ الَّذِي تَهْدِي فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 كَوَاكِبُهُ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ الَّتِي أَصْبَحَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فُرْقَانًا . فَاشْرَقَتْ الْأَرْضُ
 بِنُورِ رَبِّهَا وَأَيَّاتِهِ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللَّهِ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مِبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَبَلَغَ مُلْكُ أَمَّتِهِ
 مَا زُرِيَ لَهُ مِنْ أَقْطَارِ الْمَعْمُورِ وَجِهَاتِهِ، حَتَّى عَمَرَ مِنْ أَكْثَافِ الْبَسِيطَةِ، وَأَرِيفِ
 الْبَحَارِ الْمُحِيطَةِ، وَبَعَادَا وَثَقَانَا . وَقُلْتُ كُنُوزُ كَسْرِي يُعِزُّ دَعْوَتَهُ الْغَالِبَةِ، وَظَفِيرُ
 بَلْعِ الْخِصَامِ أَيْدِي عَزَائِمِهَا الْمُطَالِيَةِ، وَأَصْبَحَ إِيوَابُ فَارَسِ سَجَرِ رِيحِ الْعَرَبِ
 الْعَارِبَةِ، وَقَذَفَتْ جُنُودَ قَيْصَرَ مِنْ ذَوَائِلِهَا بِالشُّهْبِ الثَّاقِبِ، حَتَّى قَرَعَ عَنْ مَدْرَةِ الطَّيْبَةِ

أُتِيبَ بِالصَّفْقَةِ الْخَالِيبَةِ، وَخَلَصَتْ إِلَى قُسْطَاطٍ مَصْرَ بَكَائِهَا الْمُتَعَايَةِ، فَلَا تَسْمَعُ
الْإِنْفَاتُ فِي إِقَامَتِهِمْ إِلَّا إِقَامَةً وَأَذَانًا . وَلَا دَلِيلَ أَظْهَرَ مِنْ هَذَا الْقَطْرِ الْأَيْمُنِيِّ
لِلْغَزِيْبِ الَّذِي خَلَصَتْ إِلَيْهِ سُيُوفُهَا أَشْبَاجُ الْبَحَارِ، عَلَى بُعْدِ الْمَرَاحِلِ وَزُجُوجِ الدِّيَارِ،
وَتَكَائُفِ الْعَالَمَاتِ وَأَجْنَافِ الْأَمْصَارِ، وَمُتَقَطِّعِ الْعِمَارَةِ بِأَقْصَى الشَّالِ وَحِطِّ السُّفَارِ،
طَلَعَتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللَّهِ طُلُوعَ النَّهَارِ، وَأَسْتَوْطَقَتْ قِبَالَ الْعَرَبِ الْإِحْرَارِ، وَأَرْجَعَتْ فِيهِ
أَنْوَفَ الْكُفَّارِ، ضِرَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَطَعَانًا .

وَلَا أَنْتَقَامَ الدِّينِ، وَتَمَّ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ الرُّسُولُ الْأَمِينِ، وَظَهَرَ الْحَقُّ الْمُبِينِ،
وَرَأَى مِنْ وَجْهِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الْحَمِينِ، وَأَخَذَ الْمَسَالِكَ وَالْمَاخِذَ الْإِفْصَاحِ
وَالْتَّبِينِ، وَتَهَرَّزَتْ الْمُسْتَنْدَاتُ الْمُعْتَمِدَاتُ مُنَّةً وَقَرَأْنَا، أَشْعَرَهُ الْوَحْيُ بِالرَّحْلَةِ
عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، وَالْإِنْتِقَالِ إِلَى عَمَلِ الْكَرَامَةِ وَدَارِ الْقَرَارِ، وَخَيَّرَهُ الْمَلَكُ فَاخْتَارَ الرَّفِيقَ
الْأَعْلَى مُوقِفًا إِلَى كَرَمِ الْإِخْتِيَارِ، [و] وَجَدَ صَحْبَهُ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْإِسْتِخْلَافِ بَعْدَهُ
وَالْإِشَارِ حُجَّجًا مُشْرِقَةً الْأَنْوَارِ، أَطْلَقَتْ بِالْحَقِّ يَدًا وَأَنْطَقَتْ بِالْبَصْنِ لِسَانًا .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَأَسْرَتْهُ الطَّاهِرَةُ وَعِصَابَتُهُ، وَأَنْصَارُهُ وَأَصْحَارُهُ
وَقَرَاتِهِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي مُعَاظِدَتِهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى إِعْلَاءِ إِسْمَةِ الْحَقِّ أَعْوَانًا . مُجْمَعُ
الْمِلَّةِ وَأَقْبَارِهَا، وَغُيُوبِهَا الْمَسَامِيَةِ وَبِحَارِهَا، وَسُيُوفِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُبْشِرُ شَقَرَهَا، وَأَعْلَامِ
الْهُدَى الَّتِي لَا تُبْشِرُ آثَارَهَا، وَدَعَائِمِ الدِّينِ الَّتِي رَفَعَتْ مِنْهُ عَلَى الْبِرِّ وَالْتِقْوَى أَرْكَانًا .

وَحَيَّا اللَّهُ وَجْهَ حَيِّ الْأَنْصَارِ بِالنِّعَمِ وَالنِّقْمِ، أُولَى الْبَاسِ عِنْدَ الْحَفِظَةِ وَالْعَوْرِ
عِنْدَ الْقُدْرَةِ، الرَّاغِبُونَ أَنْ يَنْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ وَيَنْهَبُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَعِمَتِ الْمُتَقَبُّةُ وَالْأَثَرُ، الْحَازِلُونَ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَبِرِضْوَانِهِ .
وَوُزَّرَ أَوُّهُ وَظَهَرَ أَوُّهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَخَالَصَتْهُ يَوْمَ أَحُدٍ وَبَدْرٍ، لَمْ يَزَالُوا صُدُّوا فِي كُلِّ

قَلْبَ وَقَلْبَ فِي كُلِّ صَدْرٍ ، يَصَلُّونَ دُونَهُ كُلِّ جَمْرٍ ، وَيَقْدُرُونَ بِقُومِهِمْ فِي كُلِّ مَرٍّ وَجَهْرٍ ، وَيَعْمَلُونَ فِي إِعْلَاءِ دِينِهِ بِيَضًا عَضَابًا وَنُفْرًا لِدَانَا . صَلَاةٌ لَا تَرَالُ مَحَائِبُهَا تَزُهُ ، وَنَحْيَةٌ دَائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ ، مَا لَمَحَتْ الْأَلْسُنُ بَنَاتِهِمْ ، وَوَقَفَتْ الْمَفَاخِرُ عَلَى عَلَائِهِمْ ، وَتَعَلَّمَتِ الْمَوَاهِبُ مِنَ آلَائِهِمْ ، وَقُصِرَتِ الْحَامِدُ عَلَى مُسْمِيَاتِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ ، وَكَانَ حُبُّهُمْ عَلَى الْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ حَمَانًا .

وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ لِهَذَا الْأَمْرِ النَّصْرَ الَّذِي سَبَّيْهِ بِسَبَبِهِمْ مُؤْصُولٌ ، وَهَمُّ لِقُرُوعِهِ السَّامِيَةِ أَصُولٌ ، فَيَأْتِيكَ مِنْ نُصُولِ خَلْقَتِهَا نُصُولٌ ، أُنْجِزَتْ وَعَدَ النَّصْرِ وَهُوَ مُمَطْلُودٌ ، وَأُحْيَتْ رُبُوعَ الْإِيمَانِ وَهِيَ مُطْلُودٌ ، نَصْرًا عَزِيزًا وَقَتًا مَبِينًا ، وَتَأْيِيدًا عَلَى أَعْدَائِكَ وَتَمْكِينًا ، وَمُلْكًا يَبْقَى فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَابِ وَسُلْطَانًا . وَأَعِنَّا اللَّهُمَّ عَلَى مَا أَوْجَبَتْ لَهُ مِنْ مَفْرُوضِ الطَّاعَةِ ، وَتَأْدِيَةِ الْحَقِّ بِجَهْدِ الْإِسْطِطَاعَةِ ، وَأَعْصِمْنَا بِإِلَائِهِ الْعَادِلَةَ مِنَ الْإِضَاعَةِ ، وَآحِلْنَا مِنْ مَرَضَاتِهِ عَلَى مَنَنِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَاجْعَلْهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَآخِرُ لَنَا وَآرَحِمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾ .

أَمَّا بَعْدُ مَا أَفْتِخَ بِهِ مِنْ تَحْمِيدِ اللَّهِ وَتَعْجِيدِهِ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي تَعَطَّرُ الْأَنْدِيَةُ بِتَرْيْدِهِ ؛ فَإِنَّ مِنَ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَعْصِدُهُ الْوُجُودُ وَيُؤَيِّدُهُ ، وَالْمَعْلُومِ الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ ضَلَّ مِنْ يُنْكِرُهُ أَوْ يُنْصَحِدُهُ ، وَالنَّائِلِ بِكُلِّ قَطْرٍ تَرْوِيهِ رُؤَاةُ الْأَنْبِيَاءِ وَتُسْنِدُهُ ؛ مَا عَلَيْهِ هَذَا الْمُلْكُ النَّصْرِيُّ الْحَيُّ ، الْأَنْصَارِيُّ الْمُتَمَتِّعُ ؛ الَّذِي يُصِيبُ شَاكِلَةَ الْحَقِّ إِذَا رَمَى ، وَيَسِمُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ غَيْثُهُمَا هَمِي ؛ مِنْ أَصَالَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ؛ وَالْفَضْلِ الْبَاهِرِ الْإِشْرَاقِ ، وَالْجِهَادِ الَّذِي هُوَ سَمَرُ الرُّكْبِ وَحَدِيثُ الرَّفَاقِ ؛ وَأَنَّ قَوْمَهُ الْمُلُوكَ الْكَرَامَ إِنْ قَوَّعُوا بِنَسَبٍ ذَكَرُوا سَعْدَ بَنِ عُبَادَةَ وَبَعْدَهُ ، أَوْ كُوْثُرُوا بِعَدَدِ غَلْبَا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، أَوْ اسْتَنْصَرُوا فَرَجُوا كُلَّ شِدَّةٍ ، وَاسْتَظْهَرُوا مِنْ [عِزِّهِمْ] الْمَوْهُوبِ ،

وصبرهم على الخطوب، بكلِّ عَدَدٍ وعُدَّةٍ؛ دارهم النحرُ الأقصى، ونِعَمَتِ النَّارِ،
 وشِعَارُهُمْ «لا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ» ونِعَمَ الشَّعَارِ؛ زُحَّادٌ إِذَا ذُكِرَ الدِّينُ، أَسُودٌ إِذَا حَمِيَتْ
 الْمِيَادِينُ؛ جِبَالٌ إِذَا زَحَفَتِ الصُّفُوفُ، بُدُورٌ إِذَا أَظْلَمَتِ الرُّحُوفُ؛ غِيُوثٌ إِذَا
 مُنِعَ الْمَعْرُوفُ، أَفْرَادٌ إِذَا ذُكِرَتِ الْأُلُوفُ؛ إِنْ بُوِيَعُوا فَاَلْمَلَأْتَهُمْ وَفُودَ [وحملته العلم^(١)]
 وحملته السِّلَاحَ شُهُودٌ، وَإِنْ وَلَّوْا فَالْأَسْيُوفُ تَمَاهٍ، وَالشُّرُجُ مُهُودٌ، وَإِنْ أُتْخِرُوا
 لِلْعُدُوِّ فَالظُّلَالُ بُدُودٌ، وَجُنُودُ السَّيِّئِ الطَّبَاقِ جُنُودٌ، وَإِنْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَسْمَرُوا جُفُونَهُمْ
 فِي حِيَاطَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْجُفُوفُ رُقُودٌ .

وإِنَّ هَذَا الْقَطْرَ الَّذِي آتَمَى سَيْلُ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ، وَأَجِلَتْ قِدَاحُ
 الْفُوزِ بِاللَّعْوَةِ الْخَفِيفَةِ عَلَى الْأَفْطَارِ فَاخَذَ الْإِسْلَامُ بِنَاصِيَتِهِ؛ كَانَ مِنْ قَتْلِهِ الْأَوَّلِ
 مَا قَدْ عَلِمَ، حَسَبَ مَاسْطَرٍ وَرُيُوسٍ؛ وَإِنَّ مُوسَى بْنَ قُصَيْرٍ وَقَتَاهُ، حَلَّ مِنْ قُرْضَةِ بَحَارِهِ
 حَلَّ مُوسَى وَقَتَاهُ، وَحَلَّ الْإِسْلَامُ مِنْهُ دَارَ قَرَارٍ، وَخِطَّةُ خَلِيقَةٍ بِإِثْبَادٍ وَاخْتِيَارٍ؛
 وَبَلَدًا لَا يَحْصِي خَيْرُهُ، وَلَا يَقْضِيهِ بَشَرٌ مِنَ الْمَزِيَّةِ مَاعِدَا الْحَرَمَيْنِ خَيْرُهُ؛ وَأَمْتَلَتْ
 الْأَيَّامُ حَتَّى تَأْتِيَ الْعُدُورُ رُوحِيهِ، وَخَفَّ طَلِبُهُ مَا كَانَ مِنْ صَرَعَتِهِ؛ وَقَدَحَ فَأَوْرَى،
 وَأَعْضَلَ دَاوَاهُ وَأَسْتَشْرَى، وَصَارَتْ الصُّغُرَى الَّتِي كَانَتْ الْكُبْرَى؛ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَمَدَ
 الدِّينِ مِنْهُمْ بِالْعُمْدَةِ الْوَثِيقَةِ، حُمَاةَ الْحَقِيقَةِ، وَأَعْمَةَ الْخَلِيقَةِ، وَسُلَالَةَ مَفْتِيحِي الْيَمَامَةِ
 وَمَفْتِيحِي الْحَدِيقَةِ، لِأَجْهَزِ النِّصْلِ، وَأَجْتَنَّتْ مِنَ الدِّينِ الْفِرْعُ وَالْأَصْلُ؛ لَكُنْهُمْ
 أَتَدْبُوا إِلَى إِمْسَاكِ الدِّينِ بِمَا أُنْجِدَابَا، وَوَصَلُوا لِلْإِسْلَامِ أَسْبَابَا؛ وَتَوَلَّوْا مِنْهُمْ صَقْرٌ
 قَيْسِلَ الْخَزْرَجِ، ذُو الْحَسَامِ الْمَضْرَجِ، وَالتَّاءُ الْمَوْجِجِ؛ أَبُو عَيْدٍ اللَّهُ الْغَالِبُ بِاللَّهِ مُحَمَّدٌ
 آبَنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرٍ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ، الْمُتَنَبِّ إِمَامَةِ سَنَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، قُدْوَةُ الْمُلُوكِ
 الْمَجَاهِدِينَ : نَصَرَ اللَّهَ وَجْهَهُ وَتَقَبَّلَ جِهَادَهُ، وَشَكَرَ دِفَاعَهُ عَنْ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ

[وَجَلَادَهُ ۖ فَأَقْبَعَتِ الظُّلُمَةُ ۖ وَتَمَسَّكَتِ الْأُمَمُ ۖ وَكَفَّ الْعِدُوُّ وَأَقْصَرَ ۖ وَرَأَى
 الْإِسْلَامُ بَيْنَ أَسْتَبْصَرَ ۖ وَأَسْتَبْصَرَ فِي الطَّاعَةِ ^(١) مَنْ أَسْتَبْصَرَ ۖ وَهَبَّتْ بِنَصْرِ اللَّهِ
 الْعَزَائِمُ ۖ وَكَثُرَتْ عَلَى الْعِدُوِّ الْمَزَائِمُ ۖ وَتَوَارَتْهَا مُلْكُهَا وَلَدَا عَنْ أَب ۖ مُسْتَبْدِينَ
 إِلَى عَدْلٍ وَبَذَلَ وَبَسَّالَةً وَجَلَّالَةً وَحَسْبَ ۖ تَضَعُ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ نَجْمٌ مِثْرَهُمْ هَادِيَةٌ
 لِلنَّسَائِرِ ۖ وَتَفَرَّقَ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ فِي اللَّهِ أَسْوَدُ الْعَرِينِ ۖ إِلَى أَنْ قَامَ بِالْأَمْرِ وَسَطَى
 مَسْكُوكِهِمْ ۖ وَبَرَكَهُ مُلْكُهُمْ ۖ الْخَلِيفَةُ الْوَاجِبُ الطَّاعَةِ بِالْحَقِّ عَلَى الْخَلْقِ ۖ الشَّهِيرُ
 الْجَلَّالَةُ وَالْبَسَّالَةُ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ۖ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ يُوَاجِبُ الْحَقَّ ۖ مَسَاحُ أَذْيَالِ
 الْعَفَافِ وَالطَّاهِرَةِ ۖ السَّعِيدُ الْإِبَالَةَ وَالْإِمَارَةَ ۖ الْبَعِيدُ الْفَنَاءَ ۖ مَنْ دُعِيَ الْعِدُوُّ لِبَاسِ
 حُسَامِهِ ۖ وَدُخِرَ الْفَتْحُ الْهَنِيءُ لِأَيَّامِهِ ۖ صَدْرُ الْمُلُوكِ الْمُجَاهِدِينَ ۖ وَكَبِيرُ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ ۖ
 الْبَعِيدُ الْمُنْدَى فِي حَيَاةِ الدِّينِ ۖ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ ۖ أَبُو الْوَلِيدِ ۖ ابْنُ الْمَوْلَى الْهَامِ الْأَوْحَدِ ۖ
 الرَّفِيعُ الْمَجِيدُ ۖ الطَّاهِرُ الظَّاهِرُ الْأَعْلَى ۖ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ الْجَلِيلُ الْمُقَدَّسُ الْأَرْضِي ۖ
 «أَبِي سَعِيدٍ» بَنَ أَبِي الْوَلِيدِ ۖ بَنَ نَصْرٍ ۖ فَأَحْيَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَالِمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ۖ
 وَبَعَثَ بِشُورِ عَدْلِهِ ضِيَاءَ الْجَنَّةِ ۖ وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَجَمَّاهُ ۖ وَرَمَى ثُغْرَةَ الْكُفْرِ فَأَصْحَاهُ ۖ
 قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ الطَّيِّبَ ۖ وَسَقَى لِحَدِّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ النَّيَّامَ الصَّهْبَ ۖ وَأَوْرَثَ الْمُلُوكَ
 الْإِبْرَاهِيمِيَّ مِنَ وَلَدِهِ خَيْرَ مَلِكٍ قُبِلَتْ مِنْهُ كَفٌّ ۖ وَأَسْتَدَارَ بِهِ مَوْكِبُ الْجِهَادِ مُلْتَفٌ ۖ
 وَتَمَيَّحَ بِمُذْمَتِهِ أَنْفٌ ۖ وَسَمَّا إِلَى مَشَاهِدَتِهِ طَرْفٌ ۖ وَتَأَرَّجَ مِنْ ذِكْرِهِ عَرَفٌ ۖ وَجَرَى
 إِلَى بَابِهِ حَرْفٌ ۖ مَوْلَانَا الْمَلِكُ الْهَامُ ۖ الْخَلِيفَةُ الْإِمَامُ ۖ مَنْ أَشْرَقَ بِشُورِ لِمَاتِهِ الْإِسْلَامُ ۖ
 وَتَشَرَّفَتْ بِوُجُودِهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ۖ بِدَّرُ الْمُلُوكِ وَشَمْسُهُ ۖ وَسِرُّ الزَّمَانِ الَّذِي قَصُرَ عَنْ
 يَوْمِهِ أُمُوسُهُ ۖ الَّذِي أَشْهَرَتْ عَدْلُهُ ۖ وَبَهَّرَ فَضْلُهُ ۖ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عِزِّيَّةُ رَبِّهِ ۖ وَكَانَ
 الْخُضُوعَ لَهُ فِي سُلْمِهِ وَخَرَبِهِ ۖ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ۖ وَقُدْوَةُ الْمُلُوكِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْأُمَمِ

(١) الزيادة عن رِجَالِ الْكُتُبِ لِأَبْنِ الْخَلِيطِ وَهِيَ لَازِمَةٌ لِاسْتِقَامَةِ الْكَلَامِ .

العارفين ؛ السعيد ، الشهيد ، الطاهر ، الظاهر ، الأوحى ، الخليفة الإمام
(أبو المجتاج) رفع الله درجته في أوليائه ، وحضره مع الذين أنعم عليهم من أنبيائه
وشهاده ؛ فوصحت المسالك وبانت ، وأشرقت المعاهد وأزدانت ؛ وتبيل الصنع
الإلهي واللطف الخفي . أقطار هذه الأمة حيث كانت . ولما أختار الله له
ماجنده ، وبلغ الأمد الذي قدره سبحانه لحياته وحده ؛ وقبضه إليه مستغفرا لذنبه ،
نطلبنا في الحالة التي أقرب ما يكون العبد فيها من ربه ؛ كأنما تأهب للشهادة
[فاختار] مكانها وزمانها ، وطهر بالصوم نفسه التي كرم الله شأنها ، وطيب روحها
وزيحاتها ؛ فوقعت آراء أرباب الشورى التي تصبغ الإمامة بألوانها ؛ وتعتقد بعقد
ميثاقها . من أعلام العلم بقاعدة [ملكه] غرناطة جرمها الله تعالى التي غيرها لما تبع ،
ومخاة الإسلام الذين في آرائهم للدين والدنيا متنع ؛ وخضبان الثقات ، ووجوه
الطبقات ، على مبايعة وارث ملكه بحقه ، الحائز في ميدان الكمال وإحراز مالا لإمامة
من الشروط ولا للال خصل تنبئه ؛ كبير ولده ، وسابق أميه ؛ ووارث ملكه ،
ومستطلي ملكه ؛ وعماد قسطاطه ، وبدر الهالة من نساطه ؛ مولانا قمر العلياء ، ودرة
الخلفاء ، وفرع الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ؛ الذي ظهرت عليه غايل
الملك ناشئا ووليدا ، واستشعرت الأقطار به وهو في المهد أمانا وتمهيدا ؛ واستشرف
الدين الحنيف فأطلع جديدا ، واستأنف شبابا جديدا ؛ ناصر الحق ، وغياث الخلق ؛
الذي حمى بالنسكية والوقار ، والحياء المنفدل الأستار ، والبسالة المرهوبة الثغارة ؛
والجود المبسك الأمطار ، والعدل المشرق الأنوار ؛ وجمع الله فيه شروط الملك
والإختيار ، ومولانا ، ومحمد دينا ودنيانا ؛ السلطان الفاضل ، والإمام العادل ؛ والمهام
الباسل ، الكريم الشامل ؛ شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصديقه ؛ أمير المسلمين ،
وقرة عين المؤمنين ، أبو عبد الله ؛ وصل الله أسباب مسعده ، كما سأل أجناد .

المنابر بالدعاء تجده ؛ وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بنصره العزيز فـ النَّصْرُ
إلا من عنده ؛ ورأوا أن قد ظفرت بالعروة الوثقى أيديهم ، وأمن ظل الله
رائعهم وغايبهم ، ودلت على حسن الخواتم مبادئهم ؛ فتبادروا وآثلوا ، وتبخروا
في ملاس الأمن وآثلوا ؛ وهبوا إلى بيعته تطير بهم أجنحة السرور ، ويهين
أطلاق وجوهرهم بانسراج الصدور ؛ واجتمع منهم طوائف انحصاة والجمهور :
ما بين الشريف والمشروف ، والرؤساء أولى المنصب المعروف ؛ وحكمة العلم وحكمة
السيوف ، والأمانة ومن أدبهم من الألوف ، وسائر الكافة أولى البدار لمنزلها
والخوف ؛ فقدوا له البيعة الوثيقة الأساس ، السعيدة بفضل الله على الناس ،
البرى عهدا من الإرتياب والاثنياس ؛ الحائرة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان
ظلم الإشكال ؛ الضمينة حسن العقبى ونجح المال ، على ما بوسع عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن له من الصحابة والآل ؛ وعلى السمع والطاعة ، وملازمة
السنة والجماعة ؛ فأيديهم في السلم والحرب ردة ليده ، وطاعتهم إليه خالصة في يومه
وفيه ؛ وأهواؤهم تنفقه في حالي الشدة والرخاء ، وعقودهم محفوظة على تدابير السراء
والضراء ؛ أشهدوا عليها الله وكفى بالله شهيدا ، وأعطوا صفقات إيمانهم تبئنا لوفاء
بها وتأكيدها ، وجعلوا منها في اعتاقهم ميثاقا وثيقا وعهدا شديدا ؛ والله عز وجل
يقول : ﴿ قَدْ نَكْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ . ومن أصدق من الله وعدا أو وعيدا . وهم قد بسطوا أيديهم
يستتركون رحمة الله بالإخلاص والإتابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالسوء
وعندهم بالإجابه ؛ يسألونه خير ما يقضيه ، والسير على ما يرضيه .

اللهم بآبك عند قلب الأحوال عرفتنا ، ومن بحر نعمك العيمة أغترفنا ،
وعفوك ستر من عيوبنا كل ما أجتزنا وأقترفنا ؛ ومن فضلك أغنيتنا ، وبشيرك التي

لَا تَسَامُ حَرَمَتَنَا وَحِمَّتَنَا [فَانْصُرْ حَيَّا وَأَرْحَمْ مَيِّتَنَا] وَأَوْزِعْنَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَنَا؛ وَاجْعَلْ لَنَا الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فَيَا إِلَهَ هَدَيْتَنَا .

اللَّهُمَّ إِنَّ قَطْرَنَا مِنْ مَادَّةِ الْإِسْلَامِ بَعِيدٌ ، وَقَدْ أَحْدَقَ بِنَا بَحْرُ زَانِحٍ وَعَدُوٌّ شَدِيدٌ ، وَفِينَا أَيْمٌ وَضَعِيفٌ وَمَرْمٌ وَوَلِيدٌ [وَأَنْتَ مَوْلَانَا وَنَحْنُ عِيدٌ .

اللَّهُمَّ مَنْ بَايَعْنَا فِي هَذَا الْعَقْدِ^(١) فَاسْعِدْنَا بِبَايَعَتِهِ وَطَاعَتِهِ ، وَكُنْ لَهُ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ اسْتِغَاذِ جُهِدِهِ فِي التَّحْفِظِ وَاسْتِطَاعَتِهِ ؛ وَكُفَّ عَنْهُ عَذُوكَ وَمَلُوءَهُ كُلَّمَا هَبَّتْ بِهِ رِيَّاحُ طَاعَتِهِ ؛ يَا مَنْ يُفَرِّدُ الْعَبْدَ بِضِرَاعَتِهِ ، وَيَعُوذُ بِحِفْظِهِ مِنْ إِضَاعَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَدْعَا حَقَّهِ فَإِنَّا لَا تَقْوَى عَلَى إِدَائِهِ ، وَتَوَلَّ عَنَّا شُكْرَ مَا حَمَدْنَاهُ مِنْ مَسِيرَتِهِ وَسِيرَةِ آبَائِهِ ، وَاجْعَلْهُ مِنْ تَوْفِيقِكَ عَلَى سَوَائِهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا إِلَيْهِ نَاطِرُونَ ، وَعَنْ أَمْرِهِ صَادِرُونَ ، وَإِلْإِنْجَازِ وَعْدِكَ فِي نَصْرِ مَنْ يَنْصُرُكَ مَتَقَرِّرُونَ ؛ فَأَعِنَهُ عَلَى مَاقَلَدَتِهِ ، وَأَنْجِزْ لَدَيْنَا عَلَى يَدَيْهِ مَا وَعَدْتَهُ ؛ فَاقْدِرْ شَيْئًا مِنْ وَجْدِكَ ، وَلَا خَافَ مِنْ قَصْدِكَ ، وَلَا ضَلَّ مِنْ أَعْتَمَدِكَ ، آمِينَ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ .

وكتب المملأ المذكورون أسماءهم بخطوط أيديهم في هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما آتروه دُنْيَا وَدِينًا ، وَسَلَكُوا [منه] سَبِيلًا مُبِينًا ؛ وَذَلِكَ فِي الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ لَشَوَّالٍ مِنْ حَاجِ تَمِيسَ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

قلت : وقد أخبر آخر هذه البيعة بأن المبايعين للسلطان تَوَخَّذُ خُطُوطُ أَيْدِيهِمْ فِي كِتَابِ الْبَيْعَةِ شَاهِدَةً عَلَيْهِمْ بِمَا بَايَعُوا عَلَيْهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ دَابَّةَ الْبَيْعَةِ عَنْدهُمْ كَمَا فِي مَكَاتِبَتِهِمْ فِي طُومَارٍ وَاحِدٍ كَبِيرٍ مُتَضَائِقِ السُّطُورِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ طَرَّةٌ بِأَعْلَاهُ كَمَا فِي دَابَّةِ الْمَصْرِيِّينَ .

(١) الزيادة عن رِجَالِ الْكِتَابِ لِأَيُّمِ الْخَطِيبِ .

الباب الثالث

من المقالة الخامسة في العهود، وفيه فصلان

الفصل الأول

(في معنى العهد)

العهد لفظ مشترك يقع في اللغة على ستة معانٍ :

أحدها — الأمان . ومنه قوله تعالى : (فَأَيُّ الْيَوْمِ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ) .

الثاني — اليمين . ومنه قوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) .

الثالث — الحفاظ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ " .

الرابع — النعمة . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ وَلَا ثَوْعٌ عَهْدٌ فِي عَهْدِهِ " .

الخامس — الزمان . ومنه قولهم : " كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ عَهْدِ فُلَانٍ " .

السادس — الوصية . ومنه قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ) وهو المراد هنا .

قال الجوهري : ومنه اشتق العهد الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ ^(١) .

(١) بهامش الأصل هنا حاشية نصها «ولم سابع» وهو قولهم في الدعاء لآلِكَ بعد موته : سقى الله عهده

برحمته أى مكانه المذخور فيه يسقى بالرحمة . فصح أن يطلق على الزمان والمكان .

الفصل الثاني

(في بيان أنواع العهود ، وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(عهود الخلفاء عن الخلفاء ، ويتعلق النظر به من ثمانية أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعيتها)

والأصل في ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قيل لعمَرَ عِنْدَ موته "أَلَا تَهْتَدُ؟" قَالَ: أَتَجْعَلُ أَمْرَكُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا؟ إِنْ اسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ اسْتَخْلَفْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، [يعني أبا بكر] (١) وَإِنْ أَتَزَكُّ فَقَدْ تَزَكَّى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَثَبْتُ اسْتَخْلَافَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِذَلِكَ، مَشِيرًا إِلَى مَا رَوَى: "أَنَّهُ لَمَّا أَشْتَدَّ بِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَجْعُ، أَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ وَرِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: قَدْ حَضَرَ مَا تَرَوْنَ، وَلَا بُدَّ مِنِّي قَائِمٍ بِأَمْرِكُمْ، فَإِنْ شِئْتُمْ اسْتَخَرْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ اسْتَخَرْتُ لَكُمْ. قَالُوا: بَلِ اخْتَرْنَا، فَأَمَرَ عُثْمَانَ فَكَتَبَ عَهْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (عَلَى مَا سَأَلَنِي ذَكَرَهُ) فَقَالَ عُمَرُ: لَا أُطِيقُ الْقِيَامَ بِأُمُورِ النَّاسِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَاتُوا سَيْفِي! وَتَهَيَّأْ فَاقْدَادَ عُمَرَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ طَلْعَةُ فَعَاتَبَهُ عَلَى اسْتَخْلَافِ عُمَرَ. فَقَالَ: إِنْ عَمِرَ وَاللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَتَمُّ شَرًّا لَهُ، وَاللَّهِ لَوْ وَلَّيْتُكَ لَجَلْتُ أَتَقَلَّكَ فِي قَعَاكَ، وَلَرَفَعْتُ نَفْسَكَ فَوْقَ قَدْرِهَا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَضَعُهَا. أَتَيْتَنِي وَقَدْ وَكَّفْتُ عَيْنَكَ، تَرِيدُ أَنْ تَفْتَتِنَنِي عَنْ دِينِي

(١) الزيادة من صحيح مسلم (ج ٢ ص ٨٠) .

وَرَدَّنِي عَنْ رَأْيِي، قُمْ لَأَقَامَ اللَّهُ رَجَاكَ، وَاللَّهُ لَيَنْ بَلِّغَنِي أَنْكَ عَمَصَتَهُ وَذَكَرْتَهُ بِسُوءٍ
لَا لِحِفَتِكَ بِمَحْضَاتٍ قُنَّةٍ حَيْثُ كُنْتُمْ تُسَفُونَ وَلَا تَرَوُونَ، وَتَرَدُّونَ وَلَا تَسْبَعُونَ، وَأَنْتُمْ
بِذَلِكَ يَجْحُونَ رَاضُونَ، قَامَ طَلْعَةُ نَفْرَجَ .

قال العسكري : المحضات جمع حمضة ضرب من التبت، والقنة أعلى الجبل .

قال الماوردي : وكان استخلاف أبي بكر رضي الله عنه عمرًا باتفاق من الصحابة
من غير تكبير فكان إجماعًا .

وقد عهد عمر رضي الله عنه إلى ستة، وهم عثمان، وطى، وطلحة، والزبير،
وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وتركها شورى بينهم، فدخلوا فيها
وهم أعيان العصر وأشراف الصحابة رضوان الله عليهم .

الوجه الثاني

(في معنى الاستخلاف)

قال البغوي رحمه الله في كتابه " التهذيب " في الفقه : الاستخلاف أن يجعله
خليفة في حياته ثم يخلفه بعده . قال : ولو أوصى بالإمامة فوجهان : ^(١) لأنه يخرج
بالموت عن الولاية فلا يصح منه تولية الغير . واستشكل الرافضى رحمه الله هذا
التوجيه بكل وصية ؛ وبأن ما ذكره من جعله خليفة بعده : إن أريد به استنابته
فلا يكون ذلك عهدًا إليه بالإمامة . وإن أريد جعله إمامًا في الحال، فهو :
إما خلع نفس العاهد، وإما اجتماع إمامين في وقت واحد . وإن أريد جعله خليفة
أو إمامًا بعد موته فهو الوصية من غير فرق .

(١) أى وأصحهما منه طم الجواز . بليل التليل .

قلت : وهذا جُنُوحٌ من الرافعي رحمه الله إلى صحبة الخلافة بالوصية أيضا ،
كما تصحح بالإستخلاف .^(١)

الوجه الثالث

(فيما يجب على الكاتب مراعاته)

وأعلم أنه يجب على الكاتب أن يرعى في كتابة العهد بالخلافة أموراً :

منها — براعة الإستهلال بذكر ما يتفق له : من معنى الخلافة والإمامة
وأشتقاقهما ، وحال الولاية ، ولقب العاهد والمعهود إليه ، ولقب الخلافة ، إلى غير
ذلك مما سبق بيانه في الكلام على البيعات .

ومنها — أن يُنبّه على شرف رتبة الخلافة ، وعُلو قدرها ، ورفعة شأنها ، وميسر
الحاجة إلى الإمام ، ودعاية الضرورة إليه ، ونحو ذلك مما سبق في البيعات أيضا .

ومنها — أن يُنبّه على اجتاج شروط الإمامة في المعهود إليه من حين صدور
العهد بها من العاهد ، فقد قال الماوردي : إنه تُعتبر شروط الإمامة في المعهود
إليه من وقت العهد ، حتى لو كان المعهود إليه صغيراً أو فاسقاً وقت العهد وبالمنا
[مثلاً] عند الموت ، لم تصح خلافته حتى يستأنف أهل الاختيار بيعته . قال
الرافعي رحمه الله : وقد يُتوقّف في هذا . قال النووي رحمه الله في "الروضة" :
لا يُتوقّف . والصواب ما قاله الماوردي .

ومنها — أن يُنبّه على اجتهد العاهد وتروى نظره في حقبة المعهود إليه : فقد
قال الماوردي : وإذا أراد الإمام أن يعهد بالإمامة ، فعليه أن يُبيّنه رأيه في الأحقّ
بها ، والأقوم بشروطها ؛ فإذا تعيّن له الاجتهاد في أحد ، عهد إليه .

(١) في الأصول كما لا تصح الخ والظاهر أن « لا » زائدة من النسخة تأمل .

ومنها — أن يُشِير إلى تَقْدِم الاستخارة على العهد ، وأن استخارته أدته إلى المهود إليه ؛ فإن الاستخارة أمرٌ مطلوب في كل أمر ، خصوصاً أمر المسلمين وعموم الولاية عليهم ، فإن اختيار الله للخلق خيرٌ من اختيارهم لأنفسهم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ومنها — أن يَنْبَغ على أئمة عهده إليه بعد مشورة أهل الاختيار ومراجعتهم في ذلك ، وتصويبهم له ، خروجاً من الخلاف . فقد حكى الرافعي رحمه الله وجهين فيما إذا كان المهود إليه أجنبياً من العاهد ليس بولد ولا والد : هل يجوز أن ينفرد بعقد البيعة له وهو يرضى العهد إليه ولا يستشير فيه أحداً؟ أصحهما الجواز : لأن العهد إلى غير رضى الله عنه لم يُوقَف على رضا الصحابة رضوان الله عليهم ، ولأن الإمام أحقُّ بها ، فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أفقد .

وحكى الماوردي في جواز أفراد العاهد بالبيعة فيما إذا كان المهود إليه والدًا أو ولدا ثلاثة مذاهب :

أحدها — ما اقتصر الرافعي رحمه الله على نسبته إلى الماوردي ، ومقتضى كلامه ترجيحه : أنه يجوز الأفراد بعقدها للولد والوالد جميعاً ؛ لأنه أمير للأمة نافذ الأمر لهم وعليهم ؛ فغلب حكم المنصب على حكم النسب ؛ ولم يجعل للثمة طريقاً على أمانته ، ولا سبيلاً إلى معارضته .

والثاني — أنه لا يجوز أفرادها بها لولد ولا والد حتى يساور فيه أهل الاختيار فيرونه أهلاً لها ، فيصح منه حينئذ عقد البيعة : لأن ذلك [منه] تركية [له] تجري مجرى الشهادة ، وتقليده على الأمة مجرى مجرى الحكم ؛ والشهادة والحكم ممتنعان من الولد والوالد للثمة ، لما أُجِيل عليه من الميل إليهما .

والثالث — أنه يجوز أن ينفرد بعقد البيعة لوالده دون ولده : لأن الطبع إلى الولد أميل ؛ فأما عقدُها لأخيه وغيره من الأقارب والمناسيين فكعقدها للأجانب في جواز الأفراد بها .

ومنها — أن يَنْبَئَ على العلم بحياة المَعْهُودِ إليه وجُوده إن كان غائبا . فقد قال الماوردي : إنه لو عَهِدَ إلى غائب مجهولِ الحياة لم يَصِحَّ عَهْدُهُ ، وإن كان معلومِ الحياة صح ، ويكونُ موقُوفًا على قُدُومه .

ومنها — أن يَنْبَئَ على أن المَعْهُودَ إليه منصوبٌ عليه بغيره ، أو وقع العهدُ شورى في جماعة وأفضيت الخلافةُ إلى واحدٍ منهم بإخراج الباقيين أنفسهم منها ، أو اختيار أهل الحل والعقد أحدَهم : إذ يجوز للخليفة أن يعهد إلى اثنين فأكثَرَ من غير تقديم البعض على البعض ؛ ويختار أهل الاختيار بعد موته واحداً من عهد إليه : فإن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه جعلها شورى في ستة ، فقال : الأمرُ إلى علي وبِإِزَاهِهِ الزبيرُ بن العوام ؛ وإلى عثمان وبِإِزَاهِهِ عبدُ الرحمن بن عوف ؛ وإلى طلحة وبِإِزَاهِهِ سعدُ بن أبي وقاص . فلما توفى عمر رضى الله عنه ، جعل الزبير أمره إلى علي ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف ؛ فخرج منها ثلاثة ، وبقيت شورى في عثمان وعلي ؛ ثم باع علي عثمان . والمعنى في الشورى أنه لا يجوز أن تجعل الإمامة بعد العاهد في غير المَعْهُودِ إليهم .

ومنها — أن يَنْبَئَ على عدد المَعْهُودِ إليهم وترتيبهم إن كان قد رتب الخلافة في أكثر من واحد ، إذ يجوز أن يعهد إلى اثنين فأكثَرَ على الترتيب . فلورتب

(١) أى بعد أن أخرج عبد الرحمن منها نفسه . وفي كتاب الأحكام السلطانية لـ الماوردي فصارت الشورى بعد السنة في هؤلاء الثلاثة ونرج منها أولئك الثلاثة ثم بعد الثلاثة في اثنين علي وعثمان .

الخليفة في ثلاثة مثلاً - قال : الخليفة بعدى فلان ، فإذا مات ، فالخليفة بعده فلان ؛ [فإذا مات فالخليفة بعده فلان] كانت الخلافة منتقلة إليهم على ما رتبها : ففى صحيح البخارى من رواية ابن عمر رضى الله عنهما " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ عَلَى جَيْشِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ - وقال : إِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ أَصِيبَ فَعِدُّ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَإِنْ أَصِيبَ فَلَيْتُضَ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا ، فَتَقْتَمِ زَيْدٌ فَقُتِلَ ، فَاخْذَ الرِّايَةَ جَعْفَرٌ وَتَقْتَمِ فَقُتِلَ ، فَاخْذَ الرِّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَتَقْتَمِ فَقُتِلَ ، فَاخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ " . قال الماوردى : وإذا جاز ذلك فى الإمارة جاز مثله فى الخلافة . قال : وقد عمل بذلك فى الدولتين مَنْ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَصْرِ :

فعهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، ثم بعده إلى يزيد بن عبد الملك ، وأقره عليه مَنْ عاصره من الناس ، وَمَنْ لَا تَأْخُذُهُ فى الله لَوْمَةُ لَائِمٍ .
ورتبها الرشيد فى ثلاثة من يديه : الأمين ، ثم المأمون ، ثم المؤمن ، من غير مَشُورَةٍ من عاصره من قُضَلَاءِ الْعُلَمَاءِ .

ولو قال العاهد : عهدت إلى فلان ، فإن مات فلان بعد إفضاء الخلافة إليه ، فالخليفة بعده فلان ، لم تصح خلافة الثانى ، ولم ينعقد عهده بها : لأنه لم يعهد إليه فى الحال ، وإنما جعله ولى عهده بعد إفضاء الخلافة إلى الأول ، وقد يموت قبل إفضائها إليه فلا يكون عهد الثانى بها مثبِتاً .

ومنها — أن يُنبّه على أن صكّور العهد فى حال نُقُوضِ أمر العاهد وجَوَازِ تَصَرُّفِهِ ، فإنه لو أراد ولى العهد قبل موت العاهد أن يُرد ما إليه من ولاية العهد إلى غيره

(١) از زيادة من الأحكام السلطانية ص ١٠ ويظهر أنها سقطت من قلم الناح .

(٢) فى "الأحكام السلطانية" من مشورة الخ حرد .

لم يُجْزَ : لأنَّ الخلافة لا تستقرُّ إلا بعد موت المستخلف . وكذا لو قال : جعلته ولى عهد إذا أفضت الخلافة إلى لم يُجْزَ : لأنه ليس في الحال بخليفة ، فلم يصحَّ عهدُه بالخلافة .

ومنها — أن يُبَيَّنَّ على قبول المهود إليه العهد ، فإنه إذا عهد الإمام بالخلافة إلى من يصحَّ العهد إليه على الشروط المعتبرة فيه ، كان العهد موقوفاً على قبول المهود إليه : فإن قيل صحَّ العهد وإلا فلا ، حتى لو امتنع من القبول ببيع غيره . والعبرة في زمن القبول بما بين عهد العاهد وموته على الأصح ، لتنتقل عنه الإمامة إلى المهود إليه مستقرة بالقبول المتقدم . وقيل : إنما يكون القبول بعد موت العاهد : لأنه الوقت الذي يصح فيه نظر المهود إليه .

ومنها — أن يُورِدَ من وصايا العاهد للمهود إليه ما يليق به . وقد ذكر الماوردي أن الذي يلزمه من أمور الأئمة عشرة أشياء :

أحدها — حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأئمة ، وأنه إن نجم مبتدع أو زاعج دوشبهه عنه ، أوضح له الحجّة ، وبين له الصواب ، وأخذ به ما يلزمه من الحقوق والحدود : ليكون الدين محروساً من النخل ، والأئمة ممنوعة من الزلل .

الثاني — تنفيذ الأحكام ، بين المتشاجرين ، وقطع الخصام ، بين المتنازعين ؛ حتى تمَّ النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يقبض مظلوم .

الثالث — حماية البيضاء ، والدّب عن الحرم : ليتصرف الناس في المعاش ، ويتشربوا في الأصفار آمنين من تفرير بنفس أو مال .

الرابع — إقامة الحدود لئلا يحارم الله تعالى عن الإتيانك ، وتحفظ حقوق عباده من الإخلال والاستهلاك .

الخامس — تحصين الثغور بالعتدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا يظفر الأعداء بفرصة يتهمكون بها محرماً ، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهدين دماً .

السادس — جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة : ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله .

السابع — جباية الفىء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير حيف ولا صنف .

الثامن — تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير ، ودفعه في وقت لا تهدم فيه ولا تأخير .

التاسع — استكفاء الأمناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه [إليهم من الأعمال ^(٢)] ويكله إليهم من الأموال : لتكون الأعمال بالكفاة مضبوطة ، والأموال بالأمناء محفوظة .

العاشر — أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصرف الأحوال : لينتض بسيااسة الأمة ، وجراسة الملّة ، ولا يؤول على التفويض تشاغلاً بلة أو عبادة ، فقد ينون الأمين وينش الناصح . وقد قال تعالى : ﴿ يَادَاوُدْ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَافِظَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ . فلم يقتصر الله

(١) يطلق الفىء على الغنمة والحراج والمراد هنا الثاني .

(٢) الزيادة من "الأحكام" .

تعالى على التفويض دون المباشرة ، بل أمره بمباشرة الحكم بين الخلق بنفسه .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : " كُلُّكُمْ رَايَ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " ، والله در
محمد بن يزيد وزير المأمون ، حيث قال مخاطبا له :

مَنْ كَانَ حَارِسَ دُنْيَا إِيَّاهُ قَنَّ * أَنْ لَا يَنَامَ وَكُلُّ النَّاسِ تَوَامٌ
وَكَيْفَ تَرْقُدُ عَيْنَا مَنْ تَعْيِفُهُ * هَيَّانَ مِنْ أَمْرِهِ : حَلٌّ وَإِبْرَامُ !

وحينئذ فيجب على الكاتب أن يضمّن هذه الأمور العشرة في وصايا المعهود
إليه . وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في " التعريف " في وصية ولي العهد
بالخلافة ومن في معناه من الملوك وولاء عهدهم هذه الأمور ممتزجة بأمر آخر
من مهمات الملك وحسن تديره وسياسته .

قلت : إنما يحسن إيراد هذا كله في وصايا ولّاه العهد إذا كان الأمر على ما كانت
الخلافة عليه أولا من عموم التصرف ، أما الآن فالواجب أن يقتصر في وصاياهم
على حُسن التأني في العهد بالسلطنة لمن يقوم بأعبائها ، وأن يكون ما تقدم غنصا
بوصايا الملوك في المعهود عن الخلفاء .

الوجه الرابع

(فيما يكتب في الطرّة ، وهو تلخيص ما يتضمنه العهد)

وهذه نسخة طرّة أنشأها ليُتسج على منوالها ، وهي :

هذا عهد إمامي قد ملّت جدوده ، وزاد في الارتقاء في العلياء صعوته ، وتصلت
بالجواهر قلائده ونظمت بنفس اللز عقوده . من عبد الله ووليه الإمام المتوكل

على الله أبي عبد الله محمد بن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، بالخلافة
المقدمة، لولده السيد الجليل ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين، أبي الفضل
العباس : بلغه الله فيه غاية الأمل ، وأقر به عين الأمة كما أقر به عين أمير المؤمنين
وقد فعل على ما شرح فيه .

الوجه الخامس

(فيما يكتب لأولياء العهد من الألقاب)

[وهو] كما سيأتي في الطريقة الثانية من المذهب الأول مما يكتب في متن
العهد من كلام المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " أنه يقال فيه : الأمير
السيد الجليل ، ذخيرة الدين ، وولي عهد المسلمين ، أبي فلان فلان . وفي المذهب
الثالث فيما كتب به للسوتوني بن المستكفي ما يوافقُه ؛ وقد هتم أنه لا يقع
في ألقابهم إطناب ، ولا تعدد ألقاب ، فليقتصر على ذلك أو ما يشابهه .

الوجه السادس

(فيما يكتب في متن العهد ، وفيه ثلاثة مذاهب)

المذهب الأول

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « هذا »)

مثل : « هذا ما عهد به فلان لفلان » أو « هذا عهد من فلان لفلان » أو « هذا
كتاب أكتبه فلان لفلان » ونحو ذلك .
والكتاب فيه طريقتان :

الطريقة الأولى

(طريقة المتقدمين)

وهي أن لا يأتي بحُطبة في أثناء المَهد، ولا يتعرَّض إلى ذكر أوصاف المَهد إليه والثناء عليه، أو يتعرَّض لذلك باختصار؛ ثم يأتي بالوصايا؛ ثم يختمه بالسلام أو بالدعاء أو بغير ذلك مما يُناسب. وعلى ذلك كانت جهود السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، أتباعاً للصدِّيق رضي الله عنه فيما كتَب به لعمربن الخطاب، كما تقدَّمت الإشارة إليه في الاستشهاد.

ونسختُه فيما رواه البيهقي في "السنن" وأقتصر عليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في "حسن التوسل".

«هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأوَّل عهده بالآخرة: إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن برَّ وصدَل فلذلك ظنِّي به، وإن بدَل أو فَر فلا عِلْم لي بالغيب، والخير أردتُ بكم، ولكلِّ أمرئٍ ما اكتسَب مِن الإثم: (وسيعلم الذين ظلموا أي مقلبٍ يقلبون)».

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" عن المدائني أنه حين دعا عثمان ابن عفَّان رضي الله عنه لكتابة المَهد بالخلافة بعده قال: «أكتب» هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة في آخر عهده بالدنيا [نازحاً عنها] وأوَّل عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يتوب الفاجر، ويؤمن الكافر، ويصِلُ الكاتب؛ وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وقد استخلف - ثم دهمته غشية فكتب عثمان: «عمر بن الخطاب». فلما أفاق، قال: أكتبْتُ شيئاً؟ قال نعم عمر

(١) الزيادة من كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة.

ابن الخطاب . قال : « رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَمَا إِنَّكَ لَو كُتِبَتْ نَفْسُكَ لَكُنْتَ أَهْلًا لَهَا ، أَكْتُبُ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَرَضِيهِ لَكُمْ ، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَرَأْيِي فِيهِ ، وَإِنْ بَدَلَ فَلِكُلِّ نَفْسٍ مَا كُتِبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ ، وَلَا أَعْلَمُ الْقَيْبَ : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُتَقَلِّبِي بَنَاتِي) » .

وعلى هذه الطريقة كُتِبَ عهدُ عمر بن عبد العزيز بالخلافة عن سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ يُزَيْدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وهذه نسخة فيما ذكره أَبُو قَتَيْبَةَ فِي تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ :

هَذَا مَا عَهَدَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ .
عَهْدَ أَنَّهُ يَشْهَدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَأَنْ عَمَّادًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعَثَهُ إِلَى تُخَسِّنِي عِبَادِهِ بِشِيرَا ، وَإِلَى مُذْنِبِهِمْ نَذِيرًا . وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ خُلُوقَتَانِ خَدَا : خَلَقَ الْجَنَّةَ رَحْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ رَهْمَةً وَجَزَاءً لِمَنْ عَصَاهُ ، وَأَوْجَبَ الْعَفْوَ جُودًا وَكَرَمًا لِمَنْ عَفَا عَنْهُ . وَأَنَّ سُلَيْمَانَ مُقَرَّرٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ، وَبِمَا تَعْلَمُهُ نَفْسُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ، مُوجِبًا عَلَى نَفْسِهِ أَمْتَحَقَاتٍ مَا خَلَقَ مِنَ النَّقْمَةِ ، رَاجِيًا لِنَفْسِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَوَعَدَ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَأَنَّ الْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرٌهَا وَشَرُّهَا مَقْدُورَةٌ بِإِزَادَتِهِ ، مَكُونَةٌ بِتَكْوِينِهِ ، وَأَنَّهُ الْهَادِي فَلَا مُغْوِي وَلَا مُضِلٌّ لِمَنْ هَدَاهُ وَخَلَقَهُ لِرَحْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ يُفْتَنُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ بِالسُّؤَالِ عَنْ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أُمَّتِهِ ، لَأَمْتَجِي لِمَنْ نَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا لِمَنْ اسْتَنَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ . وَسُلَيْمَانُ يُسْأَلُ اللَّهُ الْكَرِيمَ بِوَاسِعِ قَضَلِهِ ، وَعَظِيمِ مَنِّهِ ، الثَّبَاتِ عَلَى مَا أَمَرَ وَأَعْلَنَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَقِّهِ وَحَقِّ نَبِيِّهِ عِنْدَ

(١) كَذَا فِي الْأَسْوَالِ بِالنَّصْبِ وَكَذَلِكَ رَفَعَ فِي تَبَابِ الْأَمَامَةِ وَالْبَيَاسَةِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ .

(٢) فِي تَبَابِ الْأَمَامَةِ وَالْبَيَاسَةِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ « خَيْرُهَا وَشَرُّهَا مِنْ اللَّهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْهَادِي إِلَى الْخَيْرِ » .

مَسْأَلَةُ رُسُلِهِ ؛ وَالنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ قِتَّةِ قَتَانِيهِ . وَيَشْهَدُ أَنَّ الْمِيزَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ
يَقِينٌ ، يَزُنُ سِيَّئَاتِ الْمُسِيئِينَ ، وَحَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ : لِيُرَى عِبَادَهُ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ ،
مَا أَرَادَهُ مِنْ [الْخَيْرِ] لِعِبَادِهِ بِمَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ؛ وَأَنَّ مِنْ قَلَّتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَئِذٍ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنَّ
حَوْضَ عَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمَوْقِفِ لِلْعَرْضِ حَقٌّ ، وَأَنَّ
صَدَدَ آتِيهِ كُتُجُومُ السَّمَاءِ ، مِنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، وَسَلِيمَانَ يَسْأَلُ اللَّهُ بِوَاسِعِ
رَحْمَتِهِ أَنْ لَا يُرَدَّهُ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ حَطْشَانٌ . وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرُؤُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ
نَبِيِّنَا ، وَآلِهِ يَلْمُ بَعْدَهُمَا حَيْثُ الْخَيْرُ وَفِيمَنْ الْخَيْرِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ . وَأَنَّ هَذِهِ الشَّهَادَةَ كُلَّهَا
الْمَذْكُورَةُ فِي عَهْدِهِ هَذَا يَعْلَمُهَا اللَّهُ مِنْ سِرِّهِ وَإِعْلَانِهِ وَعَقْدِ ضَمِيرِهِ ، وَأَنَّهُ بِهَا عَبْدٌ ربه
فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَمَاضِي عُمْرِهِ ، وَعَلَيْهَا أَتَاهُ يَقِينُ رَبِّهِ ، وَتَوَفَّاهُ أَجَلُهُ ، وَعَلَيْهَا يُبَيِّتُ بَعْدَ
مَوْتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ كَانَتْ لَهُ بَيْنَ هَذِهِ الشَّهَادَةِ بَلَايَا وَسَيِّئَاتٌ ^(١) لَمْ يَكُنْ لَهُ
عِنْدَ تَحِيدِهَا وَلَا بُدَّ ، جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ مِنَ الرَّبِّ النَّافِدُ إِلَى إِمَامٍ مَاحِدٍ ، فَإِنْ يُعْفَ
وَيُصْفَحَ فَذَاكَ مَا عُرِفَ مِنْهُ قَدِيمًا وَنُسِبَ إِلَيْهِ حَدِيثًا ، وَتِلْكَ صِفَتُهُ الَّتِي وَصَفَ
بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الصَّادِقِ ، وَكَلَامِهِ النَّاطِقِ ؛ وَإِنْ يُعَاقَبُ وَيُنْقِمَ فَمَا قَلِمْتُ يَدَاهُ ،
وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَأَنَّ سَلِيمَانَ يُخْرِجُ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَهْدَهُ هَذَا وَسَمِعَ مَا فِيهِ مِنْ
حِكْمَةٍ أَنْ يَنْتَبِىَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَعَجْدِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ؛ وَأَنْ يَدْعَ
إِلَى الْإِحْسَنِ الْمُضْفَعَةِ ، وَيَأْخُذَ بِالْمَكَارِمِ الْمُتَدَجِّنَةِ ؛ وَيَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ بِالضَّمِيرِ النَّصُوحِ
وَالدُّعَاءِ الصَّحِيحِ ، وَالصَّفْحِ الصَّرِيحِ ؛ يَسْأَلُهُ الْعَفْوَ عَنِّي ، وَالْمَغْفِرَةَ لِي ، وَالنَّجَاةَ مِنْ
فَزَعِي وَالْمَسْأَلَةِ فِي قَبْرِي ، لَعَلَّ الْوُدُودَ ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْكُمْ مُجَابَبَ الدَّعْوَةِ بِمَا مِنْ اللَّهِ عَلَى

(١) فِي كِتَابِ الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ « لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَهَا مَحِيصٌ وَلَا دُونُهَا مَقْصَرٌ بِالْقَدْرِ السَّابِقِ وَالْقَلَمِ النَّافِذِ

فِي مُحْكَمِ الرَّحْمَنِ قَانَ يَصِفُ » أَخْرَجَ .

من صفحته يعود؛ إن شاء الله. وأنّ وليّ عهد سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين، وصاحب أمره بعد موته، في جنسه وريثه وخاصته وطائفة؛ وكلّ من استخلفني الله عليه، واستقراني النظر فيه؛ الرجل الصالح «عمر بن عبد العزيز» بن مروان ابن عمي، لما بلّوت من باطن أمره وظاهره، ورجوت الله بذلك [وأردت] رضاه ورحمته إن شاء الله. ثم من بعده أسلم إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان إن بقي بعده، فإني ما رأيت منه إلّا خيراً ولا أطلعت له على مكروه. وصغار ولدي وكبارهم إلى عمر، إذ رجوت أن لا يألوهم رشداً وصلاً؛ والله خليفتي عليهم وعلى جماعة المؤمنين والمسلمين وهو أرحم الراحمين؛ وأقرءوا عهدي عليكم السلام ورحمة الله. ومن أبي أمي هذا أو خالف عهدي هذا - وأرجو أن لا يخالفه أحد من أمة عهد - فهو ضالّ مضلّ يستعيب؛ فإنّ أعتب وإلّا فإني لمن صاحب (١) عهدي فيهم بالسيف السيف والقتل القتل، فانهم مستوجبون لهم، وهم لهيئته ملقحون، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله القديم الإحسان.

ثم ذلك والمحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا عهد وآله.



وعلى نحو من ذلك كتب المأمون العباسي عهداً على بن موسى العلوي (المعروف بالرضي) بالخلافة بعده.

وهذه نسخته فيما ذكر صاحب العقد :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلي بن موسى بن جعفر وليّ عهده.

(١) في كتاب الامامة والسياسة « والا فالسيف والله المستعان » وهي واضحة.

أما بعد، فإن الله عز وجل أصطفى الإسلام ديناً، وأصطفى له من عباده رُسلًا
 دالّين عليه، وهادين إليه، ينشرون أوّلهم بأنهم، ويصدق عليهم ما فيهم؛ حتى انتهت
 نبوة الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم على قرة من الرسل، ودروس من العلم، وأقطاع
 من الوحي، وأقتراب من الساعة؛ فغتم الله به النبيين وجعله شاهداً لهم، ومهيئاً
 عليهم؛ وأنزل عليه كتابه العزيز الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
 تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) . فاحلّ وحرم، ووعد وأوعد؛ وحذر وألّح، وأمر به
 ونهى عنه: لتكون له الحجة البالغة على خلقه: (وَلِيْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا
 مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) . فبلغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما
 أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهد والنظرة
 حتى قبضه الله إليه، وأختر له ما عنده صلى الله عليه؛ فلما أفضت النبوة وحتم
 الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الوحي والرسالة، جعل قوام الدين، ونظام أمر
 المسلمين، بالخلافة وإتمامها وعزّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تُقام بها
 فرائض الله وحُدوده، وشرائع الإسلام وسُننه، ويُجاهد بها علوه . فعلى خلفاء الله
 طاعته فيما استفظهم وأستراطهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم
 ومعاونتهم على إقامة حق الله وعقله، وأمن السبل وحقق النساء، وصالح ذات
 اليقين، وجمع الألفة؛ وفي إخلال ذلك اضطراب خيل المسلمين واختلاطهم،
 واختلاف ملتهم، وقهر دينهم، واستعلاء علوهم، وتفرق الكلمة، وخضرار الدنيا
 والآخرة . فحق على من استظفه الله في أرضه، وأئمنه على خلقه [أن] يؤثّر مانيه
 رضا الله وطاعته وبعد [ل] فيما الله وأقنه عليه وسأله عنه، ويحكم بالحق ويعمل
 بالعدل فيما حمّله الله وقلّده؛ فإن الله عز وجل يقول لنبيه داود عليه السلام :

(١) لعل الجار والمجرور في المثلين زائد من علم الناصح .

(يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) . وقال عز وجل : (فَوَرَبَّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال : « لَوْ ضَاعَتْ سَخْلَةٌ بِجَانِبِ الْقُرَاتِ لَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَسْأَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا » . وَأَيُّ اللَّهِ إِنَّ الْمَسْئُولَ عَنْ خَاصَّةٍ نَفْسِهِ ، الْمَوْقُوفُ عَلَى عَمَلِهِ ، فِيمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ ، لَمُتَعَرِّضٌ لِأَمْرٍ كَبِيرٍ ، وَعَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ ، فَكَيْفَ بِالْمَسْئُولِ عَنْ رِعَايَةِ الْأُمَّةِ ؟ وَبِإِلَهِ الثِّقَةِ ، وَإِلَى الْمَفْرَعِ وَالرَّغْبَةِ فِي التَّوْفِيقِ مَعَ الْعِصْمَةِ ، وَالتَّسَدِيدِ وَالْمُهْدَايَةِ إِلَى مَا فِيهِ ثُبُوتُ الْحُجَّةِ ، وَالْفَوْزُ مِنَ اللَّهِ بِالرِّضْوَانِ وَالرَّحْمَةِ . وَأَنْظُرُوا الْأُمَّةَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْصَحْهُمْ فِي دِينِهِ وَعِبَادِهِ وَخِلَافَتِهِ فِي أَرْضِهِ ، مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَدَّةِ أَيَّامِهِ ، وَاجْتَهَدَ وَأَجْهَدَ رَأْيَهُ وَنَظَرَ فِيهِمْ يُؤَلِّيه عَهْدَهُ ، وَبَخَّاهُ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَرِثَائِهِمْ بَعْدَهُ ، وَيَنْصِبُهُ عَلَمًا لَهُمْ ، وَمَقَرًّا فِي جَمْعِ أَقْبَتِهِمْ ، وَلَمْ شَعْبِهِمْ ، وَحَقَّنْ دِمَائِهِمْ ، وَالْأَمْنُ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ فُرْقَتِهِمْ ، وَفَسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ ، وَرَفَعَ نَزْعَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ عَنْهُمْ ؟ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْعَهْدَ بِالْخِلَافَةِ مِنْ تَمَامِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَكِبَالِهِ وَعِزِّهِ وَصَلَاحِ أَهْلِهِ ، وَأَلْهِمْ خُلَفَاءَهُ مِنْ تَوْسِيدِهِ لِمَنْ يَنْتَارُونَهُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَظُمَتْ بِهِ الْعَمَّةُ ، وَتَمَلَّتْ مِنْهُ الْعَافِيَةُ ، وَتَقَضَّى اللَّهُ بِذَلِكَ مَرَأًهُ الشَّقَاقَ وَالْعَدَاوَةَ وَالسَّعْيَ فِي الْفُرْقَةِ وَالرَّفْضِ ^(١) لِلْفِتْنَةِ ؛ وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَنْصَبَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ فَاخْتَبَرَ بِسَاعَةِ مَذَاقِهَا ، وَتَهَلَّلَ بِحَمَلِهَا وَشَدَّةِ مَثْوِيَّتِهَا ؛ وَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ تَقَلَّدَهَا مِنْ أَرْبَابِ طَاعَةِ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ فِيمَا حَمَلَهُ مِنْهَا ؛ فَانْصَبَ ^(٢)

(١) في اللسان ج ٧ ص ١٥ « المرتفع المم الحبل » .

(٢) أي تركها تسير في الناس ، ففى اللسان الرفض أن يطرد الرجل غشه وابله إلى حيث هوى فإذا بلغت لها عنها وزركها .

(٣) لهه ناظرا فيها بما يقتضيه مصها وما يجب الخ وهو يستقيم الكلام بعد تأمل .

بدنه، وأسهر عينه؛ وأطال فكره فيا فيه عز الدين، وقمع المشركين؛ وصلاح الأئمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنة؛ ومنعه ذلك من الخفص والدعة بني العيش : علما بما الله سائله عنه، ومجبة أن يلقي الله مناصحه في دينه وعباده، وغنارا لولاية عهده، ورعاية الأئمة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وطلبه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه؛ مناجيا لله بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومعيلا في طلبه وأتماسه من أهل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلى بن أبي طالب فكره ونظره، ومقتصرا فيمن حله حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالفا في المسألة عن خفي عليه أمره جهده وطاقته، حتى استغشى أمورهم بعرفه، وأبتلى أخبارهم مشاهدته، وكشف ما عندهم مسأله؛ فكانت خبرته بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده، من البتين جميعا «علي بن موسى بن جعفر» بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : لما رأى [من] فضله البار، وعليه الناصح، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخلبه من الدنيا، وتسامه من الناس؛ وقد استبان له ما لم تبي الأخبار عليه متواطئه، والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة؛ ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا وناشئا، وحداثا ومكتبلا؛ فعقد له بالعقد والخلافة إيثارا لله والدين، ونظرا للسلمين، وطلباً للسلامة وثبات المحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين .

ودما أمير المؤمنين ولده، وأهل بيته، وخاصته، وقزاده، وخدمته، فبايعوه مسيرعين مشرورين، تالين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رحما وأقرب قرابة، وسماه «الرضي» إذ كان رضيا عند أمير المؤمنين .

فَبَايَعُوا مُعْتَرِيَتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِالْمَدِينَةِ الْحَرُوسَةَ مِنْ قُوَّادِهِ وَجُنْدِهِ ، وَطَائِفَةِ
الْمُسْلِمِينَ « الرِّضَى » مِنْ بَعْدِهِ ، عَلَى أَسْمِ اللَّهِ وَبَرَكَتِهِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ لِدِينِهِ وَعِبَادِهِ ؛
بِيعَةً مَهْسُوطَةً إِلَيْهَا أَيْدِيكُمْ ، مُفْشِرَةً لَهَا صُدُورُكُمْ ، طَائِلِينَ بِمَا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِهَا ، وَآثَرُ طَاعَةِ اللَّهِ وَالنَّظَرِ لِنَفْسِهِ وَلَكُمْ فِيهَا ، شَاكِرِينَ لِلَّهِ عَلَى مَا أَلْهَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ نَصَاحَتِهِ فِي رِيَاسَتِكُمْ ، وَخَرَصُهُ عَلَى رُشْدِكُمْ وَصَلَاحِكُمْ ، رَاجِينَ عَاتِدَهُ فِي ذَلِكَ
فِي جَمْعِ أَلْفَتِكُمْ ، وَحَقْنِ دِمَائِكُمْ ، وَلَمْ شَعْنِكُمْ ، وَسَدِّ ثُقُورِكُمْ ، وَقُوَّةِ دِينِكُمْ ، وَرَغْمِ
صَدُوقِكُمْ ، وَاسْتِقَامَةِ أُمُورِكُمْ . وَسَارِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ
إِنْ سَارِعْتُمْ إِلَيْهِ ، وَحَدَّثْتُمْ اللَّهَ عَلَيْهِ ، عَرَفْتُمْ الْخَطَّ فِيهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ كَتَبَ الْوَزِيرُ أَبُو حَفْصٍ بْنُ بَرْدٍ عَهْدَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي طَامِرٍ السَّامَرِيِّ ، عَنِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ هَشَامِ بْنِ الْحَكَمِ
الْأُمَوِيِّ ، الْخَلِيفَةِ بِالْأَنْدَلُسِ . وَهَذِهِ نَسْخَتُهُ :

هَذَا مَا عَهَدَ هَشَامُ الْمُؤَيَّدُ بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى النَّاسِ طَائِفَةً ، وَعَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ
مِنْ نَفْسِهِ خَاصَّةً وَأَعْطَى بِهِ صَفَقَةً يَمِينَهُ بِبَيْعَةِ تَائِمَةٍ ؛ بَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ النَّظَرَ وَأُطَالَ
الِاسْتِخَارَةُ وَأَهْمَهُ مَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِمَامَةِ ؛ وَعَصَبَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَتَقَى
حُلُولَ الْقَدَرِ بِمَا لَا يُؤْمَنُ ، وَخَافَ تَزُولَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُصَرَّفُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَهْمَ عَتَمُومُ
ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَتَزَلَّ مَقْدُورُهُ بِهِ ، وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُذِهِ الْأُمَّةَ عَلَمَا تَأْوِي إِلَيْهِ ، وَمَلْجَأَ تَحِطُّفِ
عَلَيْهِ ، أَنْ يَكُونَ يَلْقَى رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُفَرَّطًا سَاهِيًا عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ إِلَيْهَا ؛
وَيُقْمَضَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ أَجْيَاءِ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَدَّ هَذَا الْأَمْرُ
إِلَيْهِ ، وَيُحْمَلَ فِي الْقِيَامِ بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَيَسْتَوْجِبُهُ بِدِينِهِ وَأَمَانَتِهِ ، وَهَدْيِهِ وَصِيَّانَتِهِ ؛

بعد أطراح الهوى والتحرى للحق ، والتلف إلى الله جلّ جلاله بما يرضيه .
وبعد أن قطع الأواصر ، وأنشط الأقارب ؛ فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهدته ،
ويفوض إليه الخلافة بعده : لفضل نفسه ، وكرم خيمه ، وشرف مرتبته ، وعلو
منصبه ؛ مع ثقاه وعفافه ، ومعرفته وحزمه وقاوته ؛ من المأمون العيب ، الناصح
الحبيب «أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور» أبي عامر محمد بن أبي عامر وقفه
الله ؛ إذ كان أمير المؤمنين - أيده الله - ابتلاه واختبره ، ونظر في شأنه وأخبره ؛
فراه مسارطا في الخيرات ، سابقا في الحلبات ؛ مستوليا على الغايات ، جامعاً للآثارات ؛
ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ؛ فلا غرو أن يبلغ من سبيل البر مداه ،
ويحوي من خلال الخير ما حواه ؛ مع أن أمير المؤمنين - أيده الله - بما طالاه من
مكتون العلم ، ووطاه من مخزون الأثر ؛ يرى أن يكون وليّ عهده التخطائي الذي
حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » فلما
استوى له الاختيار ، وتماثلت عنده فيه الآثار ؛ [و] لم يجد عنه ملهبا ، ولا إلى غيره
معدلا ، صرح إليه في تدبير الأمور في حياته ، وفوض إليه الخلافة بعد وفاته ؛ طامعا
راضيا مجتهدا ، وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجلزه وأتمهذه ، ولم يشترط فيه مشيئة
ولا خيارا ؛ وأعطى على الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه ؛
وذمة نبيه عهد صلى الله عليه وسلم ، وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه ؛ وذمة نفسه ؛
أن لا يبدل ، ولا يغير ، ولا يحول ، ولا يزول ؛ وأشهد الله على ذلك والملائكة
(وكفى بالله شهيدا) . وأشهد من أوقع اسمه في هذا ، وهو جازي الأمر ، ماضى
القول والفعل ، مجتهد من وليّ عهده المأمون أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور .
وقفه الله ، وقبوله ما قلده ، وإلزاه نفسه ما ألزمه ؛ وذلك في شهر ربيع الأول

سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة . وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط
أيديهم بذلك .

الطريقة الثانية (طريقة المتأخرين من الكتاب)

أن يأتي بالتحديد في أثناء العهد، ويأتي من أقاب ولي العهد بما يناسب على
الاختصار؛ وعليها أقصر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" فقال : وأعلم
أن عهود الخلفاء عن الخلفاء لم تجر عادة من سلف من الكتاب أن يستفتحها إلا بما
يذكر، وهو :

«هذا ما عهد [به] عبد الله ووليّه فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين،
عهد إلى ولده، أو [إلى] أخيه الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، ووليّ عهد
المسلمين أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمدّه بالنصر المئين، وأقربّه حين
أمير المؤمنين» . ثم ينفق كل كاتب بعد هذا على قدر سعته، ثم يقول :

«أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويصلّي على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم» ويخطب في ذلك خطبة يكثر فيها التحميد ويتّهي
فيه إلى سبعة؛ ثم يأتي بعد ذلك بما يناسب من القول : يصف فكر الذي يعهد
فيمن بعده؛ ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجالسة . ثم يقول :
«عهد إليه وقلده بعده جميع ما هو مقلده، لما رآه من صلاح الأمة، أو صلاح
الخلق، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبر ذلك ويروى فيه
فكره وخاطرّه، ويستشير أهل الرأي والنظر، فلم يراقوم منه بأمر الأمة ومصلح

الدنيا والدين» ومن هذا ومثله ؛ ثم يقال : «إنَّ المهودَ إليه قَبِلَ ذلك منه» ويأتى في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسين الكلام .

قلت : ولم أظفرَ بنسخة عهدٍ على هذا الأسلوب الذى ذكره المقرُّ الشهابي ؛ وقد أنشأت عهدًا على الطريقة التى أشار إليها ، امتحانًا لمخاطر : لأنَّ يكونَ عن الإمام المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد أبى الفتح أبى بكر ، خليفة العصر ، ولولده العباس : ليكونَ أُمُودًا يُنَسَّجَ على مِنواله .

ومن غريب الإخفاق أنى أنشأته في شهور سنة إحدى وثمانمائة امتحانًا لمخاطر كما تقدّم ، وضمتته هذا الكتاب وتماضى الحال على ذلك إلى أن قبضَ الله تعالى الإمام المتوكل - قدس الله تعالى روحه - في سنة ثمان وثمانمائة ؛ فأجمع أهل الحل والعقد على مبايعته بالخلافة ؛ فبايَعوه وحققَ الله تعالى ما أجراء على اللسان من إنشاء العهد باسمه في الزمن السابق ؛ ثم دعَتني داعية إلى التمثيل بين يديه الشريفتين في مستهل شهر ردى القعدة الحرام سنة تسع وثمانمائة ، فقرأته عليه من أوله إلى آخره ، وهو مُصنَّع له مظهرُ الابتهاج به ؛ وأجاز عليه الجائزة السنية . ثم أنشأت له رسالةً وضمتته إياها وأُورِعتَ بخزائنه العالية عمرها الله بطول بقائه .

وهذه نسخته :

هذا عهدٌ سعيدُ الطالع ميمونُ الطائر ، مباركُ الأول جميلُ الأوسط حميدُ الآخر ؛ تشهد به حضراتُ الأملاك ، وترتُّبه كَفُّ الثريا بأقلام القبول في صحائف الأنلاك ؛ وتُبَاهي به مُلُوكُ الأرض ملائكة السماء ، وتُسرى بنشره القبول إلى الأفطار فتنتشر له بكلِّ ناحية قلما ، وتُطْلَعُ به سعادةُ الجدد من ملوك العدل في كلِّ أفق نِجْمًا ، وترتُّص من فرحها الأنهار فتقططها شمسُ النهار بنهبِ الأصيل على صفحات الماء ؛ عهدٌ به

عبد الله ووليّه أبو عبد الله محمد المنيكل على الله أمير المؤمنين إلى ولده السيد الجليل عده الدين وذخيره ، وصني أمير المؤمنين من ولده وخيره ؛ المستعين بالله أبي الفضل العباس بلغ الله فيه أمير المؤمنين غاية الأمل ، وأقر به عين الخلافة العباسية كما أقر به عين أبيه وقد فعل .

أما بعد ، فالحمد لله حافظ نظام الإسلام وواصل سببه ، ورافع بيت الخلافة . وماذ طنبه ، ونظم عقد الإمامة المعظمة في سلك نبي العباس وجاعلها كلمة باقية في عقبه .

والحمد لله الذي صدق أمر الأمة منهم بأعظمهم خطرا ، وأرفعهم قدرا ، وأرجحهم عقلا وأوسعهم صدرا ، وأجزلهم رأيا وأسامهم فكرا .

والحمد لله الذي أقر عين أمير المؤمنين بخير ولي وأفضل ولد ، وشد أزره بأكرم سيد وأعز سند ، وصرف اختياره إلى من إذا قام بالأمر بعده قيل هذا الشبل من ذاك الأسد .

والحمد لله الذي جمع الآراء على اختيار العاهد فما قلوه ولا رفضوه ، وجبل القلوب على حب المعهود إليه فلم يروا العدول عنه إلى غيره بوجه من الوجوه .

والحمد لله الذي جدد للرجة نعمة مع بقاء النعمة الأولى ، وأقام لأمر الأمة من نبي عم نبيه المصطفى الأولى بذلك فالأولى ، واختار لعهد المسلمين من سبقت إليه في الأزل إرادته فأصبح في النفوس معقلا وفي القلوب مقبولا .

والحمد لله الذي أضحك الخلافة العباسية بوجود عباسها ، وأطاب بذكره رايها فتعطر الوجود بطيب أتماسها ؛ ورفع قدره بالعهد إليه إلى أعلى رتبة مئيفه ،

وخصَّه بمشاركة جده العباس في الاسم والكُنية فجاز بما لم يُغز به قبله منهم ست وأربعون خليفة .

والحمد لله الذي أوجب على الكافة طاعة أولى الأمر من الأئمة ، وألزَمهم الدخول في بيعة الإمام والافتاد إليه ولو كانت عبداً أسود فكيف بمن أجمع على سُودده الأئمة ، وأوتى السبيل في التعريف بمقام الآل والعتره النبوية (فلا يكن أمرهم عليكم عمة) .

يحمده أمير المؤمنين على ما منحه من طيب أروية سمّت أصلاً وزكّت قرطاً ، وجبّه من شرف تحيّد راق نظراً وشاق سمّاً ، ووصله به من فم آثرت نقاعاً وأثرت نقعاً ، ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتوارثونها كالخلافة كارباً عن كارب ، ويوصى بها أبداً الأول منهم الآخر ، ويؤذن قيامهم بُصرتها أنهم معدن جوهرها النفيس ونظام عقدها الناصر ، ويشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي خصَّ عمه العباس بكرم الحياء وشريف الإنافة ، ونبّه على بقاء الأمر في يده بقوي ضلّ من أظهر عناده أو أضمحلّ خلفه ؛ حيث أمر إليه : " ألا أُشركُ بإعم في ختم النبوة وبولديك تحتم الخلفه " صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تم بركتها الولد والوالد ، ويشمل معروفها المعهود إليه ويعرف شرفها العاهد ، ويعترف بفضلها المقيّر ولا ينسح إنكارها الجاحد ؛ مانؤه بذكر الخلافة العباسية على أعواد المنابر ، وحققت الرايات السود على عساكر المواقب ومواقب العساكر ؛ وسلم تسلياً كثيراً .

(١) ذكر اسم العدد على حد ما أنشده القراء .

أيوك خليفة ولده أنرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

هذا وكل راج مستول عن رعيته ، وكل أمرئ محمول على نيته ، خير بظاهره عن جميل ما أكنه في صدره وما أسرّه في طويته ؛ والإمام منصوب للقيام بأمر الله تعالى في عبادته ، مأمور بالنصيحة لهم جهد طاقته وطاقة اجتهاده ، مطلوب بالنظر في مصالحهم في حاضر وقتهم ومستقبله وبذم أمرهم ومعاذ ؛ ومن ثم آخلفت آراء الخلفاء الراشدين في العهد بالخلافة وتباينت مقاصدكم ، وتوعدت اختياراتهم بحسب الاجتهاد وآخلفت موايدكم ؛ فعهد الصديق إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستتباً وتركها عمر شورى في سنة وقال : « اتحمل أمركم حياً وميتاً ! » وأنى رضى الله عنه لكل من المنهين بما أذن له الخضم وسلم ، فقال : « إن أعهد فقد عهد من هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم » فأخذ الخلفاء في ذلك بسننهما ، ومشوا فيه على طريقتهما ؛ فن راعى عن العهد وراعى فيه ، وعاهد إلى بعيد منه وآثر إلى أنه أو أخيه ؛ كل منهم بحسب ما يؤدى إليه اجتهاده ، وتقوى عليه عزيمته ويرجح لديه اعتاده .

ولما كان أمير المؤمنين - أحسن الله مآبه - قد تور الله عين بصيرته ، وخصه بطهارة سره وصفاء سيرته ؛ وآناه الله الملك والحكمه ، وأقامه لمصالح الرعية وصلاح أمر الأمة ؛ وعلمه مما يشاء فكان له من علم الفراسة أوفر قسم ، وأصطفاه على أهل عصره وزاده بسطة في العلم والحكم ؛ فلا يعزى أمراً إلا كان رشاداً ، ولا يعتمد فعلاً إلا ظهر سداداً ؛ ولا يرتضى رأياً إلا ألقى صواباً ، ولا يشير بشئ إلا حمداً آثاره بداية ونهاية وأستصحاباً ؛ ومع ذلك فقد بلا الناس وخبرهم ، وعلم بالتجربة حالهم وخبرهم ، وأطلع بحسن النظر على خفايا أمورهم ، وما به مصلحة خاصتهم وجمهورهم ؛ وترجح عنده جانب العهد على جانب الإهمال ، ورأى المبادرة إليه أولى من الإهمال ؛ ولم يزل يروى فكرته ، ويصنع رويته ؛ فيمن يصلح لهذا الأمر

بعده ، وينهض بأعبائه الثقيلة وحده ، ويتيسع فيه سبيله ويسلك طريقه ، ويقضى في السيرة الحسنة أثره ويشيم في العدل بوارقه ، وقيل على الأمر بكلية ويقطع النظر عما سواه ، ويتفرغ له من كل شاغل فلا يخطئه بما عناه .

وقد علم أن الأحق بأن يكون لها خليفة من كان بها خليفة ، والأولى بأن يكون لها قريتنا من كان بوصلها حقيقا ، والأجدر أن يكون لسيما ميكتا من اتخذ معها يدا إلى مرضاتها طريقا ، والأليق بمنصبها الشريف من كان بطلوبها مليا ، والأحرى بمكانها الرفيع من كان بمقصودها وفيا ، والأوفق لمقامها العالي من كان خيرا مقاما وأحسن نديا ، وكان ولده السيد الأجل أبو الفضل المشار إليه هو الذي وجهت الخلافة وجهها إلى قبلته ، وبالقوت في طلبه وألحت في خطبته ؛ على أنه قد أُرِضَ بليانها وربى في حجرها ، وأنسب إليها بالبنة فضمته إلى صدرها ، وكيف لانتشبت بجباله ، وتتلاق بأذياله ، وتطمع في قربه ، وتتعالى في حبه ، وتميل إلى أنسه ، وتراوده عن نفسه ، وهو كفوها المستجيب لشرائطها المتصف بصفاتنا ، ونسبها السامى إلى أعاليها الراقى على شرفاتها ، إذ هو شبلها الناشئ في آجامها ، بل أسدنا الحامى لحماها ومجيرها الوافى بذماتها ، وفارسها المقدم في حلبة سباقها ووارثها الحائر لجميع سهامها ، وحاكمها الطامع لأسررها ، ورشيدها المأمون على سرها ، وفاصرها القاتم بواجبها ، ومهديها الهادى إلى أفضل مآلها ؟ قد ألحف من الخلافة بردائها ، وسكن من القلوب في سويدائها ، وتوسمت الآفاق تقويض الأمر إليه بعد أبيه فظهر الخلق في أرواحها ، وأتبع سيرة أبيه في المعروف وأقضى أثره في الكرم ، ونسبه به في المقام (ومن يسأله أبه فما ظلم) وتقبل الله دعاء أبيه فوهب له من لدنه وليا ، وأجاب ندائه فيه فكان له في الأرض آتاه الحكم صبيا ، فاستوجب أن يكون حينئذ للمسلمين وليا عنهم ، وإيا على أمورهم في حلهم وعقدهم ، متكفلا بالأمر في قربه وبعده ،

مُعِينًا لِأَمْرِهِ فِي حَيَاتِهِ خَلِيفَةً لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَأَنْ يَصَّرَحَ لَهُ بِالِاسْتِخْلَافِ وَيُوضِّحَ ،
وَيَتَلَوَّعَ عَلَيْهِ بِلِسَانِ التَّفْوِضِ ﴿ أَخْلُقْنِي فِي قَوِيٍّ وَأَصْلَحْ ﴾ .

وَأَقْتَضَتْ شَفَقَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأْفَتُهُ ، وَرِقَّتُهُ بِالْأُمَّةِ وَرَحْمَتُهُ ؛ أَنْ يَنْصِبَ لِمَنْ
وَلَّى عَهْدَ يَكُونُ بِهِذِهِ الصِّفَاتِ مَتَصِفًا ، وَمَنْ يَحْمَدُهُ الْكَرِيمَ مُقْتَرِفًا ، وَمَنْ يَمَارِعُ مَعْرُوفَهُ
الْمَعْرُوفَ مُقْتَضِفًا ؛ وَلْيَنْهَلْ الْعَذْبَ وَارِدًا ، وَلْيَلْبِثْ الشَّرِيفَ وَسَائِرَ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
عَالِمًا ؛ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ هُوَ مُسْتَكْمَلٌ لْجَمِيعِهَا ، مُسْتَوْعِبٌ لِأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا ؛ وَهُوَ بِمَطْلُوبِهَا
أَمْلَى ، وَلْيَلْبِثْ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ أَهْلًا ؛ وَلِلْعَلِيلِ أَشْفَى ، وَبِالْعَهْدِ الْجَمِيلِ أَوْفَى ؛ مِنْ وَلَدِهِ
الْمُشَارِإِلِهِ . فَاسْتَشَارَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُضَايَةِ وَعِلَمَاتِهِ ، وَأَمْرَانِهِ
وَوُزَرَائِهِ ، وَخَاصَّتَهُ وَنَوِيهِ ، وَأَقَارِبِهِ وَبَنِيهِ ، وَأَعْيَانَ أَهْلِ الْعَصْرِ وَطَائِفَتِهِ ، وَجُمْهُورِهِ
وَكَافَّةً ؛ فَرَأَوْهُ صَوَابًا ، وَلَمْ يَرَوْهُ فِيهِ ظَنَّةٌ وَلَا مُسْتَرَابًا ، وَلَا وَجَدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى بَابِ
غَيْرِهِ طَرِيقًا وَلَا إِلَى طَرِيقِ غَيْرِهِ بَابًا ؛ فَاسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فَأَقْبَلَ خَاطِرُهُ الشَّرِيفُ
عَلَيْهِ ، وَكَرَّرَ الْاسْتِخَارَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَنْهُ حَيْدًا إِلَّا إِلَيْهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ قَدْ ائْتَقَدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَعَدِمَ فِيهِ الْمَخَالَفُ
بَلْ لَمْ يَكُنْ أَصْلًا ؛ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَثْنِ عَلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ وَرَغِبَ إِلَيْهِ ؛ وَجَدَّ
الِاسْتِخَارَةَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَقَلَّدهُ مَا هُوَ مُتَقَلِّدُهُ مِنَ الْخِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ بَعْدَهُ
عَلَى جَادَةٍ مِّنْ تَقَدُّمِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْمَاضِينَ ، وَقَاعِدَةٍ مِّنْ سَلَفٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ ؛
وَقَوْضِ إِلَيْهِ مَا هُوَ مِنْ أَحْكَامِهَا وَلَوَازِمِهَا ، وَأَصُولِهَا وَمَعَالِمِهَا : مِنْ عَهْدٍ وَوَصَايَاهُ ،
وَعَزْلِ وَوَلَايَةٍ ؛ وَتَفْوِضٍ وَتَهْلِيلٍ ، وَاتِّزَاجٍ وَتَحْلِيلٍ ؛ وَتَرْجِيٍّ وَجَمْعٍ ، وَإِعْطَاءٍ
وَمَنْعٍ ، وَوَصْلِ وَقَطْعٍ ؛ وَصِلَةٍ وَإِدْرَارٍ ، وَتَهْلِيلٍ وَإِنْكَارٍ ؛ جَزْئِيًّا وَكُلِّيًّا ، وَخَفِيًّا

وجليتها، ودانها وقاصيها، وطائعا وعاصيا، فهو أيضا شرعيا، تاما مرضيا، جامعا لأحكام الولاية جمعا يعم كل نطاق، ويسرى حكمه في جميع الآفاق، ويدخل تحته سائر الأقاليم والأمصاير على الإطلاق، لا يغير حكمه، ولا ينجي رشمه، ولا يطيش منحه، ولا يافل تجه.

قبل الممهود إليه - أعلى الله مقامه - ذلك بغض من القضاة والحكام، والعلماء الأعلام، ولزم حكمه وأبهر، وكتب في سجلات الأفلاك وأرسم، ومجلت رسائله مع برد السحاب فطافت به على سائر الأمم، وهو - أبقاه الله - مع ما طيعت عليه طباعه السليمة، ومجلت عليه بحجابه الشريفة وأخلاقه الكريمة، قد تلقى عن أمير المؤمنين من شريف الآداب ما غذى به في مهله، وتقف منه من حسن الأدوات ما برؤيه بالسند عن أبيه وجده، مما أنطبع في صفاء ذهنه الصقيل وانتش في فهمه، واختلط من حال طفولته بدمه ولحمه وعظمه، حتى صار طبعا ثانيا، وحققا على تمر الزمان باقيا، واجتمع لديه الفريز فكان أصلا ثانيا، وقرط على ذلك الأصل القوى ثانيا، لكن أمير المؤمنين يوصيه تبركا، ويشرح له ما يكون به - إن شاء الله - متمسكا والمرء إلى الأمر بالخير مندوب، ووصية الرجل لبيه مطلوبة فقد قال تعالى: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) .

ضميك بمراقبة الله تعالى فمن راقب الله نجى، و [اجعل] التقوى رأس مالك: (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وألبا إلى الحق فقد فاز من إلى الحق لبا، وكتب الله هو الحبل المتين، والكتاب المبين، والمنتج القويم، والسبيل الواضح والصراط المستقيم، فتمسك منه بالعروة الوثقى، وأسلك طريقته المثلى وأهتد بهديه فلا تضل ولا تسقى، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عليك بالإقتداء بأفعاله الواضحة، والإصغاء لآثار أقوالها الشارحة، عالما بأن الكتاب والسنة أخوان لا يفترقان،

وَمُتَلَاذِمَانِ بِجَبَلِ التَّيْنِ لَا يَعْثِقَانِ ؛ وَالْبِلَادَ وَالرَّعَايَا خَطُوهَا بَنَظْرِكَ مَا اسْتَطَعْتَ ،
وَتَثَبَّتْ فِي كُلِّ قَطْعٍ وَوَصَلَ فَأَنْتَ مُسْتَوْلٍ عَنْ كُلِّ مَا وَصَلْتَ وَقَطَعْتَ ؛ وَالْأَكْلَ
وَالْعِتْرَةَ النَّبَوِيَّةَ فِيهِمَا حَقَّ الْقَرَابَةِ مِنْكَ وَمَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي
أَشْرَفَتْ بِهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا أَكْرَمْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَإِنَّمَا أَكْرَمْتَهُ بِسَبِيهِ ؛ وَأَتَّبِعْ فِي السَّيْرِ
سِيْرَةَ آبَائِكَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَا تَزْغُ عَنْهَا ، وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا بِهَا وَبِمَا هُوَ - إِنْ
أَسْتَطَعْتَ - خَيْرٌ مِنْهَا ؛ وَأَقِفْ فِي الْمَعْرُوفِ آثَارَهُمُ الْمُقْلَسَةَ لَصَحْوِي مِنَ الْمَائِثِ مَاحَوْهَا ،
وَأَحْذُ حَذْوَهُمْ فِي طَرِيقِهِمُ الْمُبَارَكَةِ وَأَبْنِ الْمَجْدَ كَمَا بَنَوْا ؛ وَأَخِي مِنَ الْعَمَلِ سَنَةَ سَلَكِ
الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، وَأَحْرِضْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الَّذِينَ يُظَلِّهِمُ اللَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ :
(يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .
وَأَسْلَفَ خَيْرًا تَذَكُّرُهُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي ، وَيَنْتَظِمُ ذِكْرُهُ فِي عُقُودِ الْأَيَّامِ كَمَا تَنْتَظِمُ فِي السَّلَكِ
الْأَلَايِ ؛ وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ وَجْهَ اللَّهِ لِيَكُونَ فِي نُصْرَتِكَ فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى فِي نُصْرَتِهِ
لَا يَلِيَالِي ؛ وَلِتَعْلَمْ حَقَّ الْيَقِينِ أَنَّ حَسَنَةَ الْإِمَامِ تُضَاعَفُ بِحَسَبِ مَا يَرْتَبُ عَلَيْهَا مِنْ
الْمَصَالِحِ أَوْ يَجْتَنِدُ بِسَبِيلِهَا ، وَسَيِّئَتُهُ كَنُكُلُ فَنَ سَنٍ سَيِّئَةٍ كَانَ عَلَيْهِ إِعْمَاهَا وَإِثْمٌ مِنْ
عَمَلِهَا ؛ وَدُرُّهُمُ الْحَقِّ كَيْفَ دَارَ وَمِلَّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَقِصَمِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ ثَوْنِهِ
مِنْ وَالٍ ؛ وَلَا تُحْطِرُ بِإِلَّاكَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَتَيْتُ إِلَيْكَ بِقُوَّةٍ ، أَوْ يَرْكَ مَا قَاتَمْتَاهُ مِنْ
الشَّاءِ عَلَيْكَ فَالْثَّأَثُ بِالْمَدْحِ يُحِلُّ بِالْمُرُوءَةِ ؛ وَلَا تُتَكَلَّمُ عَلَى نَسَبِكَ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَخَذَهُ
الْجَنَّةَ وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَمَنْ عَصَاهُ أَخَذَهُ النَّارَ وَلَوْ كَانَ هَاشِمِيًّا قُرَشِيًّا ، وَأَسْتَنْصِرُ
اللَّهَ يَنْصُرَكَ وَأَسْتَعِينُ بِهِ يَكُنْ لَكَ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، وَأَسْتَهْدِيهِ يَهْدِكَ (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا) وَكُنْ [مِنْ] اللَّهِ خَاشِعًا وَمِنْ مَكْرِهِ مِنَ الْمُشْفِقِينَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مِنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينَ .

هنا عهد أمير المؤمنين إليك ، ووصيته ثملي عليك ؛ (وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ
 تَفَحُّهُ الْمُؤْمِنِينَ) والله تعالى يبلغه منك أملاً ، ويحقق فيك علماً ويزكي بك عملاً ؛
 والاعتماد على الخط المقدس الإمامي المتولي - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، حجة فيه
 إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(أن يفتتح العهد بعد البسملة بلفظ « من فلان إلى فلان » كما يكتب في المكاتبات
 ثم يأتي بالعبدية ويأتي بما يناسبه مما يقتضيه الحال من ذكر الولاية ،
 ووصف المتولي ، واختيار المولى له ونحو ذلك)
 ثم قاعدة كتابهم أنهم يأتون بعد ذلك بالتحديد في أثناء العهد .

وهذه نسخة عهد من ذلك ، كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمي ، لولده
 حيدرة بأن يكون ولي عهد الخلافة بعده ؛ وليس فيها تعرض لتحديد أصلاً ، وهو .
 من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
 إلى ولده وتعلمه ، وسلالته الطاهرة ونسله ، والمجتمع على شرفه والعامل بمرضاة
 الله في قوله وفعله ، وعقده وحله ؛ الأمين أبي تراب حيدرة ، ولي عهد
 أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين محمدك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
 يصلي على جده محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ،
 الأئمة المهديين ، وسلم تسلياً .

أما بعد ، فإن الله تعالى ليدبح حركته ، ويوسع رحمته ، استودع خلفاءه من خلقه
 وبراه ، واستكفى أئمناءه من صورته وذرأه ؛ ورتبهم مرتبة النفوس من الأجساد ،

وَنَزَلَتْ بِمَنْزِلَةِ الْقَضِيَاءِ مِنَ الْأَزْدَادِ ؛ وَجَعَلَهُمْ مُسْتَعْدِمِينَ لِأَفْكَارِهِمْ فِي مَصَالِحِ الْبَرِيَّةِ
الَّتِي غَلَّتْ فِي أَمَانِهِمْ ، وَحَصَلَتْ فِي ضَمَائِهِمْ ؛ فَظَلَّتْ فِي ذِمَامِهِمْ ، وَسَعِدَتْ فِي عِزِّ
مَقَامِهِمْ وَظَلَّ أَيْامُهُمْ : لِأَنَّهُمْ نَصَبُوا لِلنَّظَرِ فِيهَا جَلَّ وَدَقَّ ، وَتَعَبُوا لِرَاحَةِ الْكَافَّةِ تَعَبًا
صَعَبٌ وَعَظَمٌ وَشَقٌّ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ ، وَضَرْبًا مِنْ أَفْضَلِ تَذْوِيرِ
الْأَمَّةِ ؛ إِذْ لَوْ مَسَاوَى بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْئُوسِ ، وَالسَّائِسِ وَالْمُسَّوسِ ؛ لَأَخْتَلَطَ
الْخُصُوصُ بِالْعُمُومِ ، وَلَمْ يَبْقَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ .

وَقَدْ اسْتَخْلَصَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَشْرَفِ أُمَرَاءِ أَكْرَمِ عِصَابِهِ ، وَأَيَّدَهُ فِي جَمِيعِ
آرَائِهِ بِالْحَزْمَةِ وَالْجَزَالَةِ وَالْأَصَالَةِ وَالْإِصَابَةِ ؛ وَقَطَعَى لِأَعْرَاضِهِ أَنْ يَكُونَ السَّعْدُ لَهَا
خَادِمًا ، وَحَتَمَ لِمَقَاصِيدِهِ أَنْ يُصَاحِبَهَا التَّوْفِيقُ وَلَا يَتَفَكَّكْ لَهَا مُلَازِمًا ؛ وَجَمَعَ لَهُ مَا تَفَرَّقَ
فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ الْمَفَاحِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَأَلْهَمَهُ النَّظَرَ فِي حُسْنِ الْخُلُوفِ وَحَمِيدِ الْعَوَاقِبِ .

وَلَمَّا كَانَ وَلِيُّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرَ أَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمُنْتَهَى لِأَشْرَفِ
الْمَرَاتِبِ مِنْ تَقَادُمِ السِّنِّ ؛ وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَى الْقَفْرِ بِاِكْتِسَابِهِ وَأَتِسَابِهِ ، وَتَصَدَّتْ لَهُ
مُخْطَوِبَاتُ الرَّتَبِ لِيُجَوِّزَهَا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَأَسْتِجَابِهِ ؛ وَلَهُ مِنْ فَضِيلَةِ ذَاتِهِ مَا يَبْدُلُ عَلَى
النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَطَلِعَ مِنْ أَنْوَارِ النُّبُوَّةِ مَا يَهْتَدِي بِهِ السَّارِي فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ؛ وَحِينَ حَوَى
تَالِدَ الْقَفْرِ وَطَارِفَهُ وَلَمْ يَسْتَفِنِ بِالْقَدِيمِ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَا بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقَدِيمِ ؛
وَالصَّبَاقُ إِذَا اخْتَلَفَتْ أَرْبَابُهَا لَا تَقَعُ إِلَّا دُونَهُ ، وَالثَّوَابُ الْجَزِيلُ مِمَّا أَمَدَّهُ اللَّهُ
لِلَّذِينَ يُجْلِصُونَ فِيهِ وَيَتَوَلَّوْنَهُ ؛ وَلِيُفَخَّرَ بِأَنْ خُصَّ مِنَ الْعَنَاءِ الْمَلَكُوتِيَّةِ بِالْحِظِّ الْأَجْزَلِ ،
وَلِيَتَسَمَّحَ عَلَى الْبَرَاءِ أَنْ يَكُونَ مَدْمُومًا بِالنَّكَابِ الْمَتَرَّلِ ؛ وَلِيَتَدَخَّلَ فَإِنْ وَصَفَهُ لَا تَبْلُغَ غَايَتُهُ
وَأِنْ اسْتَخْلِمَتْ فِيهِ الْفِكْرُ ، وَلِيَبْجَحَّ فَإِنْ فَضَلَهُ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا إِذَا تَلَيْتِ السُّورَ ،
فَاتَمَعَهُ اللَّهُ بِمَوَاهِبِهِ لَدَيْهِ وَأَمَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَأَجْرَى أُمُورَهُ عَاجِلًا وَأَجَلًا بِسَبَبِهِ .

رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخْتَصَّ بِوَلَايَةِ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَمِيزًا لَهُ بِهَذَا النِّعْتِ الشَّرِيفِ ، وَتُمَوُّ بِهِ إِلَى مَا يَجِبُ لِمَجْدِهِ الشَّائِعِ وَعَمَلِهِ الْمُتَنِيفِ ؛ وَأَقْدَاءَ بِأَسْلَافِهِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ فِيمَا يُسْرَفُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمُ الْأَكْرَمِينَ ، وَتَخْصِيصًا لَهُ بِمَا يَبْقَى نَفْرُهُ عَلَى مُتَجَدِّدِ الْأَزْمَانِ وَمُتَطَوِّلِ السَّيِّئِينَ . وَأَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُخَيَّرَ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهِ ، وَوُجُوهِ أَجْنَادِهِ وَشَبِيحَتِهِ ؛ طَائِفَةٌ يَكُونُ إِلَيْهِ انْتِمَاؤُهَا ، وَإِلَى شَرَفِ هَذَا النِّعْتِ انْتِسَابُهَا وَاعْتِرَافُهَا ؛ فَتَوْسَمَ بِالطَّائِفَةِ الْمَهْدِيَّةِ ، وَتَحْتَظِلُ إِذَا أَخْطَصَتْ فِي الْوَلَايَةِ بِالسَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَتَظَلَّ مَوْقُوفَةً عَلَى خِدْمَتِهِ ، مُتَصَرِّفَةً عَلَى أَوَامِرِهِ وَأَمَلَّتِهِ ؛ مُنْتَهِيَةً فِي طَاعَتِهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ وَمَا رِيهِ ، مُلَازِمَةً لِلْأَزَمِ الْمُتَعَيَّنِ مِنْ مُلَازِمَةِ الْخِدْمَةِ فِي مَوَاقِفِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَجْعَلُ مَا رَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ كَافِلًا بِالْخَيْرَاتِ ، ضَامِنًا لَشُمُولِ الْمَنَافِعِ وَعُمُومِ الْبَرَكَاتِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى : وَالسَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وهذه نسخة بولاية المهدي من خليفة لولده بالخلافة على هذه الطريقة ، من إنشاء القاضي الفاضل ؛ أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات ، وهي :

من عبد الله ووليه فلان أبي فلان الإمام الفلاني إلى فلان الفلاني ، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم في العهد قبله .

أما بعد ، فالحمد لله الذي استحق الحمد بقضيه ، وأجرى القضاء [على ما أراده] ^(١) ووسّع الجرائم بعفوهِ وعذله ؛ وصرف المراحم بين قوله وقضيه ، وأعلى منار الحق

(١) لعل هذا جواب الشرط في أول الفقرة قبل ويكون العامل في حين بعده محذوفًا دل هذا

طيه . تأمل .

(٢) يابض في الأمل والتصحيح من المقام .

وَأَرْشَدَ إِلَى أَهْلِهِ ؛ وَاخْتَارَ الْإِسْلَامَ دِينًا وَعَصَمَ الْمُعْتَلِقِينَ بِحَبْلِهِ ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ النِّجَاةِ بِمَا أَوْضَحَ لِسَالِكِيهِ مِنْ مُبْتَلَاهِ ؛ وَتَعَالَى مُلَاهُ إِلَى الصَّنْفَتِ ، فَلَمْ يُوصَفْ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ)** وَتَرَفَّعَ عَنْ أَشْتَرَكَ التَّشْبِيهَاتِ ، فِي كُلِّ جَلِيلٍ الْوَصْفِ مُسْتَقْبَلَهُ وَضَرِيرِ مُسْتَقْبَلَهُ ؛ وَلَمْ يَأْشْتَمَلْ عَلَيْهِ خَطَرَاتُ الْأَسْرَارِ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ نَظَرَاتُ الْأَبْصَارِ ، وَأَتَفَرَّجَتْ عَنْهُ عَمَرَاتُ الْأَخْطَارِ ، وَأَخْفَتَتْ سَرَاتُ الظُّلُمَاءِ وَبَاحَتْ بِهِ جَهْرَاتُ الْأَنْوَارِ : **(سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ)** .

وَالْحَمْدُ لَهُ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ عِنْدَهُ الْإِسْلَامَ ، فَتَنَ آتَنَى فِيهِ ضَلَّ الْمُنْتَهَى ، وَأَبْدَعَ الْمَعْرَجَ ، وَأَسْتَقْبَحَ الْمُتَدَجَّ ، وَغَلَطَ الْمَخْرَجَ ، وَفَارَقَ النُّورَ الْأَبْلَجَ ، وَرَكِبَ الطَّرِيقَ الْأَعْوَجَ ، وَأَتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاللِّسَانِ الْمُلَطَّجِ ؛ وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ فَازَ بِالسَّعْيِ النَّجِيجِ ، وَحَازَ الْمُنْتَجَرَ الرَّيِّجَ ؛ وَوَرَدَ الْمَوْرِدَ الْأَمْحَدَ ، وَبِمِ الْقَصْدِ الْأَقْصَدَ ، وَوَجَدَ الْجَدَّ الْأَسْعَدَ ، وَسَلَكَ الْمُنْتَهَى الْأَرْشَدَ ؛ فَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ، وَالدرَجَةُ الْعُلْيَا ؛ وَأَمَرَ بِهِ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ ، الْمُنْعَوْتُ فِي سَيْرِ الْأَوَّلِينَ ، الْمُبْعُوْتُ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَالتَّقَاتُ رَسُولًا فِي الْأَمِينِ ، وَالْمُهَادَى إِلَى الْحَقِّ وَالْإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَالدَّاعِي الَّذِي مَنْ أَجَابَهُ وَأَمَّنَ بِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأُجِرَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، وَالْمُسْتَقِيلُ [بِالْعَبَاءِ] الْعَظِيمِ ، بِفَضْلِ مَا تُنْجَحُ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، وَالْمُتَوَّجُّ بِقَوْلِهِ : **(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)** .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَلَ النُّبُوَّةَ بِالْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَخَصَّهَا بِالْخَصَائِصِ الَّتِي لَا تُبْنَى إِلَّا لِأَسْمَاءِ الْكَرَامَةِ ، وَأَجَارَهَا بِخَلْقِهِ مِنْ مَتَاكِلِفِ

الطامة وبوادي الندامة ، وهدى بشرف مقامه إلى دار المقامه ؛ وأسترد بأنوار تكميله
من ظلام الباطل الظلامه ، وأحسن بما أجراه من نظره النظر للخاصة والعامه ،
(إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِين) .

يحمده أمير المؤمنين أن رفعه إلى ذلك المحل المنيف ، وأستعمر به المقام الشريف ،
وأظهر كلمة الدين الخفيف ، ونفى عنه تعالى التعقق وتجديف التعريف ،
ويين بموافقة توفيق هديه طريق التكليف ، وأمله بمواد إلهية تشهر قستفتي عن
التعريف ، وتصيل ففقطع مواد التكليف .

ويسأله أن يصلي على جده محمد الذي تسخ بشريته الشرائع ، وهذب بهدياته
المشارع ، وأيده بالحجج التواطع ، والأشوار السواطع ، وجعل من ذريته جبال الله
القوارع ، ومن مشكاته نجوم الهدى الطوالع ، وصلقت صمائه بالله إذا اقتضرت
المتعمون بالصنائع ؛ وعلى أخيه وأبنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المخصوص
بأخوته ، وأبي التقلين من عثرته ، والسابق إلى الإسلام فهو بعده أبو عثرته ؛
وإلى تفرج الكرب عن وجهه في الحرب فهو ابن محمدته . وعلى الأئمة من ذريتهما
مصاييح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك للبهائم ، والمنحويين من شرف السمات ،
ماجل عن المسامات ، والمندوحين بفضل الجاه في الأرضين والسّموات .

وإن الله بحكمته البديعه ، ورحمته الوسيعة ؛ أقام الخلقاء خلقه قواماً وبحقه
قواماً ، وجعل ناز الحوادث بنورهم برذا وسلاماً ، وجعل لهم الهداية بأمره إزاماً ،
وأستصرف بهم عن الخلق مذاب جهنم (إِنَّ مَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً) ؛ فهم أرواح
والخلق أجسام ، وصباح والمسالك أظلام ، وثمرات والوجود أحكام ، وحكام
والحقائق أحكام ، يسمرون في منافع الآثام وهم نيام ، وينفردون بوصب النصب

وَيُرِيدُونَهُمْ بِلَذَاتِ الْجَنَامِ ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدَايَاتِهِمْ إِلَى مَا تَلْقَى عَنْهُ حَوَاطِطُ الْأَفْهَامِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بَوَاسِطِطِ الْهَامِ . وَقَدْ أَصْطَفَى اللَّهُ الْأَمِيرَ مِنْ تِلْكَ الْأَشْرَةِ ، وَرَفَّاهُ شَرَفَ تِلْكَ الْمَنَاسِيرِ وَمُلْكَ تِلْكَ الْأَمِيرَةِ ، وَأَنَارَ بِمَقَامِهِ نُجُومَ السَّعَادَةِ الْمُسْتَمِيرَةِ ؛ وَاسْتَخْدَمَ الْعَالَمَ لِأَغْرَاضِهِ ، وَوَسَّدَ كُلَّ سَهْمٍ فِي رَمِيهِ إِلَى أَغْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَهُوَ وَاقِعٌ بِحُسْنِ عَوَاقِبِ إِقْرَاضِهِ ، وَأَقْرَضَ طَاعَتَهُ فِي خَلْقِهِ فَالسَّعِيدُ مِنْ تَلَقَّى طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِقْرَاضِهِ ، وَأَمَضَى أَوَامِرُهُ عَلَى الْآيَامِ فَمَا يَقَالُهَا صَرْفٌ مِنْ صُرُوفِهَا بِإِعْزَاضِهِ ، وَأَدَارَ الْحَقِّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ ، وَكَشَفَ لَهُ مَا اسْتَجَنَّ تَحْتَ أَسْتَارِ الْأَقْدَارِ ، وَوَقَفَ خَلِيلِيَّةً وَالتَّنَصُّرَةَ عَلَى آرَائِهِ وَرَايَاتِهِ فَهُوَ الْمُسْتَشَارُ وَالْمُسْتَخَارُ ؛ وَالْهَمُّ أَنْ يَحْفَظَ لِلْأُمَّةِ قَدْهَا كَمَا حَفِظَ لَهَا يَوْمَهَا ، وَأَنْ يُجَرِّىَ لَهَا مَوَارِدَ تَوْفِيقِ الْإِرْتِيَادِ وَلَا يُعْطِلَ حَوَمَهَا ؛ وَأَنْ يَجْعَلَ الْمُؤْمِنَ عَلَى تَلَجٍّ مِنَ الصُّنُورِ ، وَفَلَجٍ مِنَ الظُّهُورِ ، وَيُودِعَ صَنْدَهَا بَرْدَ الْيَقِينِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى مُسْتَوْدَعِ النُّورِ ؛ وَيَجْعَلَهَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَتَتَّبِعُهَا ، وَيُجَلِّسَهَا بِمِثْلَةِ الْخُصْبِ قَرْنَيْمَهَا ؛ وَيُسَلِّمَ نَدَى خَيْرِهِ لِيَكُونَ ظَايِمًا وَمَقْرَعًا ، وَيُعْرِفَهَا مِنْ تَنْتَظَرُهُ فَتَنْتَظِرُهُ مَالَمَّا وَصَرَّجَهَا ؛ وَيَقْتَدِي فِي ذَلِكَ بِسِيْدِ الْمُرْسَلِينَ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ ، وَيُشِيرُ إِلَى مَنْ يَقُومُ بِهِ الْمَشِيرُ مَقَامَ الْبَشِيرِ .

وَلَمَّا كُنْتَ حَافِظَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالسَّيِّدِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَتَوَجَّعَ بِهِ السَّرِيرُ ، وَالتَّجَمُّ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ نَسْتَطِيلَ إِلَى أَنْوَارِهِ وَنَسْتَطِيرَ ، وَالذَّخِيرَةَ الَّتِي ادَّخَرَهَا اللَّهُ لِنَيْلِ كُلِّ خَطَرٍ وَدَفْعِ كُلِّ خَطِيرٍ ، وَالسَّحَابَ الَّذِي فِيهِ الثَّجُّ الْمَطِيرُ ، وَالنَّجْمُ الْمُنِيرُ ، وَالرَّجْمُ الْمُنِيرُ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ لَكَ أَوْجُهُ الْكَرَامَاتِ وَتَبَدَّتْ ، وَتَبَرَّجَتْ لَكَ مَخْطُوبَاتِ الْمَقَامَاتِ وَتَصَدَّتْ ، وَطَلَبَتْكَ كُفًفًا لِنَيْلِ حَقِيقَتِهَا وَسُكْنَى مَقِيلِهَا فَمَا تَصَدَّتْ ، وَأَذَتْ إِلَيْكَ لَطَائِفَ فَهْمِكَ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ مَا أَدَتْ ؛ وَعَرَفْتَ مِنْ سِيَمَاكَ هَذَى النَّبَوَةِ ، وَاجْتَمَعَ لَكَ مَزِيَّةُ الشَّرَفَيْنِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْأَيْوَةِ وَالْبُيُوتِ ، وَأَخَذْتَ كِتَابَ الْحِكْمَةِ

وَمَصُونِ الْعِصْمَةِ بِقُوَّةٍ ، وَأَجْرَتِ الْقُلُوبَ الَّتِي بِعَوَارِضِ الشَّكِّ مَمْنُونَةٌ ، وَاتَّزَتْ الْعُقَاتِدَ
الَّتِي بِتَوَاقُضِ الْعَقْدِ مَمْلُوءَةٌ ، وَغَلَّتْ وَجْهَهُ الْأَنَامُ بِأَيَّامِكَ مَجْلُوءَةٌ ، وَتَوَافَقَتْ الْأَنْسُنُ عَلَى
مَدْحِكَ وَلَا مِثْلَ مَا مَدَّخَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَلَوَّةِ ، وَكَنتَ بِحَيْثُ تَهْبُّ بِالْأَهْوَالِ
الْمُسْلُوءِ ، وَتُقْبِلُ بِالْأَمَالِ الْمَرْجُوءِ ؛ وَلَوْ أَنَّ رَجَا ضَلَّ لَمَدَّهُ نُورُكَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ،
وَلَوْ أَنَّ ذِكْرَكَ شَدَّ تَبَدُّدِي فِي الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ أَنَّكَ طَلَمْتَ عَلَى الْأَوَّلِينَ
لِمَا تَسَاءَلُوا وَلَا اخْتَلَفُوا فِي النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ قَدِيمًا عَلَا فَوْقَ كُلِّ حَدِيثٍ لَقَامَ لَكَ
الْحَدِيثُ مَقَامَ الْقَدِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنَامِ فِي صَمِيدٍ وَاحِدٍ لَصِمِدَتْ كُتُوبُهُنَّ الْمَقَامِ
الْكَرِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ تَجَسَّسَتْ لِلنَّاظِرِينَ لَأَمَلَتْ آيَةً مُوسَى الْكَلِيمِ ، وَلَوْ أَنَّ
هِدَايَتَكَ الْغُرَاءَ تَسَمَّتْ لِلذَّاكِرِينَ لِأَحْيَيْتَ بِهَا الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، وَلَوْ أَنَّ حُلُومَكَ
أَنْتَشَرَتْ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ثَلَاثًا : (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) وَلَوْ أَنَّ لَيْلَةَ وِلَادَتِكَ رَصَبَتْهَا
الْبَصَائِرُ ، رَأَتْ كَيْفَ يُفَرَّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، وَالصِّفَاتُ إِذَا أَحْتَفَلُ أَرْبَابُهَا وَقَفَتْ
لَكَ عِيْدًا ، وَالْأَيَّامُ إِذَا كَانَتْ طُرُوقًا لِعِضَائِكَ كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا لِلْعِيْدِ عِيْدًا ،
وَالْأَنْسَابُ إِذَا عُدَّتْهَا كَانَ الْجَدُّ سَعِيدًا ، فَلْتَفَخَّرْ قَبْلَ السَّيْرِ بِأَنْ أَمَلَيْتَ عَلَيْهَا السُّورَ ،
وَأَبَشِّرْ بِأَنْ الْمُتَنَظَّرُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ لَكَ فَوْقَ مَا تَسْجَلُهُ النَّظَرُ ، وَأَسْتَبِخْ بِأَنْ سَادَةَ الْقَبَائِلِ
مُضَرٌّ وَأَنْكَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدُ مُضَرَ ، وَأَبْدُخْ بِأَنْكَ عِيْضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ غَلَبَ
وَمَاعَنَكَ عِيْضٌ فِي كُلِّ مَنْ حَضَرَ ، وَأَبْجَحْ بِأَنْكَ قَدْ أَهْلَتْ لِأَمْرِ أَبِي اللَّهِ لَهُ إِلَّا أَوْلَى
الْعَزْمِ وَالْحَقَرِ ، وَأَشْكُرْ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ خَلْقِكَ لَهَا يَقْدَرُ ، وَمُزْنِيَّةٍ لَا يُوقِي حَقَّهَا مِنْ أَضْمَرِ
فَاغْرَقَ أَوْ نَطَقَ فَشَكَرَ : وَقِيلَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ
هَدَانَا اللَّهُ) : (وَقُلْ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) .

فإليك هذا الأمر بصير، وأنت له والله لك نعم المولى ونعم النصير؛ وتأهب له في درجته التي لا ينالها باع قصير، ولا يتخطاها إلا من اختاره الله على علم من أهل الثقلين ولو أن بعضهم لبعض ظهير، ولا ترى لها أهلاً إلا من أراه الله من آياته أنه هو السميع البصير، وفأوض أمير المؤمنين في مشكلات الأمر ولا ينبتك مثل خير، وأقعد منه بن هو [في] أهل دهره وصي الوصي ونظير النذير، وأهتد بنوره الذي هو بالثور الباتن دون الخلق بشير، وسر إذا استعملك الله فيهم بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير، وأدع الله بأن يسر على يدك متاجهم إن ذلك على الله يسير، وأعرف ما آثر الله به من أنه لم يجعل ليلك كفوًا إلا ذا الفقار ولا لقدمك كفوًا إلا المنيبر والسرير، وتحدثت بنعمة الله وإجرائها فأمر المؤمنين اليوم طبعك أمير وأنت غذا على المؤمنين أمير : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ .

وأما العدل وإفاضته، والجور وإغاضته، والصعب وإرياضته، والجلب وترويضه، والخطب وتقويضه، والجهد ورفع علمه، والذب عن دين الله وحفظ حرمه، والأمر بالمعروف ونشر دوائه، والنهي عن المنكر وطى اعتدائه، وإقامة الحد بالصفح والحد، والمساواة في الحق بين المولى والعبد؛ وبث دعوة الله في كل غور من البلاد وتجد، وأمر عباد الله إن عباد الله في زمناك الرغد؛ فلذلك عهد الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عهد مؤكد القصد : وهو سنة فضل الخلفاء التي لا تحيد لها تحويلا، ومعنى العهد الذي أمر الله بالوفاء به فقال : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

وهل يؤضى البحر بتلاطم أمواجه؟ وتدافع أقواجه؟ وبتر آخر عجاجه؟ وهل يحض البدر المتير على أن يتبر سراجة، ويطلع ليتضح للسالك منهاجه؟ أو ينبه على هدايته

إذا تهادته أبرأجه ؟ عليك من سرائر أنوار الله ما يغنيك أن تُوصى ، ولديك من
ظواهر لطائف الله ما يميز به عن الخلق إذ أخفيت به خصوصاً ، ومن شواهد اختيار
الله ما تظاهرت عليك آياته نُصوصاً ؛ فيسَلِّمُ الله بِحَبْلِكَ الْمُؤْمِنُونَ ، وبِالْإِعْلَاقِ
بِعَصْمَةِ وَلَائِكَ فِي يَوْمِ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَأْمَنُونَ ، والله مُنْجِزُكَ وَعَلَهُ كَمَا أَنْجَزَهُ لِمَنْ
جَهِلَهُمْ أُمَّةٌ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ؛ والله سَبَّحَانَهُ يَهْدِي إِلَيْكَ نَجْمَهُ مِنْ
عِنْدِهِ مَبَارَكَةً طَيِّبَةً ، وَيُسَدِّي إِلَى مَقَامِ شَرِّكَ سَحَابَةً رَحْمَةً فَلَيْقَ صَدِّيقِهِ وَيَجْعَلُ
مَارَاهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وَلَائِكَ عَهْدَهُ ، وَكَفَالَتِكَ لِلأُمَّةِ بَعْدَهُ ، لِلْسَّرَاتِ نَاطِقَهَا ،
وَلِلْأَسْوَاطِ حَاسِمَهَا ، وَلِلْبَاطِلِ خَافِضَهَا وَلِلْحَقِّ رَافِعَهَا . وَأَمْرَ أُمَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْ يَصْنَعُوا عَلَى رِجَالٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِهِ ، وَوُجُوهِ شَيْعَتِهِ ؛ وَأَنْصَارِ سِرِّيَّتِهِ ، حِدَّةٌ يَكُونُ
إِلَيْكَ أَعْتَرَاؤُهَا وَيَكُ أَعْتَرَاؤُهَا ، وَبَيَاكِ الْعَالِي إِيْمَانُهَا وَإِلَى جَنَابِكَ أَعْيَازُهَا ؛ فَتَكُونُ
مَوْسُومَةً بِالْعُبُودِيَّةِ ، وَمَتَعَرِّضَةً بِالْوَلَاءِ لِلْسَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ ؛ فَتُمَثِّلُ عَلَى مَا تُمَثِّلُهُ مِنْ
الْمَرَامِ ، وَتَتَصَرَّفُ عَلَى مَا تُتَصَرَّفُهَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَزَائِمِ ؛ وَتَكُونُ أَبَدًا لِمَا يَنْقُذُ عَنْكَ مِنْ
أَحْكَامِ الْهَبَاتِ وَالْمَكَارِمِ ، وَتَقُومُ مِنْ مَلَازِمَةِ الْخِلْمَةِ فِي مَوَاقِفِكَ بِمَا هُوَ لِكُلِّ خَادِمٍ
فَرَصٌ لَازِمٌ ، وَتُسَارِعُ فِي مَطَالِبِكَ إِلَى مَا يُسَارِعُ إِلَيْهِ الْحَازِمُ ، وَتُجُودُ بِأَسْمَاءِ الْإِنْعَامِ
بِالْقَدَقِ السَّاجِمِ . وَتَهْتَدِي لَهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالزِّيَادَاتِ مَا تَهْتَضِيهِ هِمَمُ الْمَكَارِمِ ؛ تَبْلُغُ
فِي الْخِلْمَةِ الْإِحْتِمَادَ ، وَتُنَافِسُ فِيهَا تَسْتِمِدَّةً [بِهِ] الْخُطْوَةَ بِحَضْرَتِهِ وَالْإِحْمَادَ ؛ وَعَرَضُهَا
مِنْ الْإِحْسَانِ الْجَمِّ لِلزَّيْدِيَّادِ ، وَبَلَقُهَا الْمُرَادَ بِمَا تَبْلُغُ بِهَا مِنَ الْمُرَادِ : تَتَشَرَّفُ بِأَنْ تَكُونَ
تَحْتَ رِكَابِهِ الْعَالِي مَتَصَرِّفَةً ، وَتَفْتَخَرُ بِأَنْ تَكُونَ أَنْسَابُهَا بِاسْمِهِ الْعَالِي مَتَشَرِّفَةً ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المذهب الثالث

(أن يفتح العهد بعد البسملة بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» ثم يأتي بالبعدية،
ويأتي بما يناسب الحال على نحو ما تقدم؛ وعليه عمل أهل زماننا
مع الاختصار على تسمية واحدة، والاختصار في القول)

وهذه نسخة أوردها علي بن خلف من إنشائه في كتابه «مواد البيان» لترتيب
الكتابة في زمن الفاطميين، وهي :

الحمد لله مِعْزَ دِينِهِ بِخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَمُرْتَبِ حَقِّهِ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ؛ الَّذِي آخْتَارَ
دِينَ الْإِسْلَامَ لَصَفْوَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ، وَخَصَّ بِهِ مَنْ أَسْتَخْلَصَهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ؛ وَجَعَلَ
حَبْلَهُ الْمُتَيْنِ، وَدِينَهُ الَّذِي أَظْهَرَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ؛ وَسَبِيلَهُ الْأَوْسَعَ، وَطَرِيقَهُ الْأَوْضَحَ؛
وَأَبْتَعَتْ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ، وَأَطَاعَ بِذِكْرِهِ؛ وَالنَّاسُ فِي فِتْرَةِ
الضَّلَالَةِ، وَغَمْرَةِ الْجَهْلَالَةِ؛ فَلَمَّا أُنْجِزَ فِي نُصْرَةِ حَقِّهِ، وَتَأْيِيدِهِ لِسُوءِ خَلْقِهِ ^(١) [قبضه]
إِلَيْهِ عَمُودَ الْأَثَرِ، طَيَّبَ الْخَلْبَ ^(٢) [وَقَامَ] بِخِلَافَتِهِ، مَنْ أَتَقَبَّعَ مِنْ طَهْرَةِ عِثْرَتِهِ؛ وَأَوْدَعَهُمْ
حِكْمَتَهُ، وَكَفَّلَهُمْ شَرِيعَتَهُ؛ فَاتَّقَفُوا سَبِيلَهُ، وَأَتَّبَعُوا دَلِيلَهُ؛ كُلُّمَا قَبِضَ مِنْهُمْ سَلَقًا إِلَى
مَقَرِّ جَنَدِهِ، أَصْطَفَى خَلْفًا لِلْإِمَامَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

يُحْمَدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَفْضَى إِلَيْهِ بَرَاثَ الْإِمَامَةِ وَالرَّسَالَةِ، وَهَدَى بِهِ كَمَا هَدَى
يُحْمَدُ مِنَ الرِّيقِ وَالضُّلَالَةِ؛ وَأَخْتَصَّ بِمِيرَاثِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ، وَنَصَبَهُ رَحْمَةً لِلْكَافَةِ؛ وَأَتَمَّ
نِعْمَتَهُ [عَلَيْهِ] كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى آبَائِهِ، وَأَجَزَلَ حَقْلَهُ مِنْ حُسْنِ بَلَانِهِ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ،
وَوَقَّعَهُ فِيهَا وَلَّاهُ؛ وَأَنْهَضَهُ بِإِعْزَازِ اللَّهِ، وَإِكْرَامِ الْأُمَّةِ؛ وَإِمَامَةِ الْبِدْعِ، وَإِهْطَالِ

(١) يبايض بالأصل، والصحيح مما يقتضيه المقام .

المُتَّحِبِ الْمُتَّحَرِّجِ ؛ وإِخْيَاءِ السُّنَنِ ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى لِاحِبِ السُّنَنِ ؛ وَوَجْهٍ مِنْ بَيْنِهِ
وَقُزَيْبَتِهِ ، مُؤَاوِزِينَ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنْ أَعْيَاءِ خِلَافَتِهِ ، وَمُظَاهِرِينَ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنْ إِمْعَانِ
النَّظَرِ فِي بَرِّيَّتِهِ .

وَبِسَائِلِهِ الصَّلَاةَ عَلَى عِدِّ خَاتَمِ أُنْبِيَائِهِ ، وَإِلْخِيرَةِ مِنْ خُلَصَائِهِ ؛ الَّذِي شَرَّفَهُ بِخِتَامِ
رُسُلِهِ ، وَإِقْرَارِ نَبَاتِهِ فِي أَهْلِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ وَبَابِ حِكْمَتِهِ ،
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَصِيِّهِ فِي أَمْتِهِ ؛ وَعَلَى الْأُئِمَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، مَتَّاعٍ رَحْمَتِهِ ،
وَسُرَّجِ هِدَايَتِهِ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْكَافَّةِ عِصْمَةً ، وَلِأَهْلِ الْإِيمَانِ رَحْمَةً ، فَجَمَعَ
كَلِمَتَهُمْ ، وَتَحَفَّظَ أَلْفَتَهُمْ ؛ وَتَصْلَحَ طَائِفَتُهُمْ ، وَتُحِيمَ فِرَاقَتُهُ وَسُنَنُهُ فِيهِمْ ، وَتُمَدُّ رُؤَاؤُ
الْعَدْلِ وَالْأَمْنَةِ عَلَيْهِمْ ؛ وَتَحْصِمُ أَسْبَابَ الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ ، وَتَجْمَعُ أَهْلَ الْعِنَادِ
وَالشَّقَاقِ ؛ وَلِذَلِكَ وَصَلَ اللَّهُ جَبَلَ الْإِمَامَةِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقَبِ أَوْلِيَائِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَلَمَّا نَظَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعِينَ الْيَقِينِ ، وَأَقْبَسَ مِنَ الْحَقِيقَةِ قَبَسَ [الْحَقِّ] الْمُبِينِ ،
عَرَفَ مَا نَبَّهَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا مِنْ مُرْعَةِ الزَّوَالِ ، وَوَشَكَ التَّحَوُّلِ وَالْإِنْفِقَالِ ؛ وَأَنَّ
مَاقُوسَ اللَّهِ إِلَيْهِ مِنْ خِلَافَتِهِ لَا يَدَّ أَنْ يَقْتَلِعَ عَنْهُ إِلَى أَبْنَائِهِ الْمَيَامِينِ ، كَمَا أُنْقَلَتْ إِلَيْهِ
عَنْ آبَائِهِ الرَّاشِدِينَ ؛ فَلَمْ يَقْتَرَبْ بِمَوَاعِيدِهَا الْمُخَالَ ، وَأَضْرَبَ عَمَّا تَتَخَدَّعُ بِهِ مِنَ الْأَمَانِيِّ
وَالْأَمَالِ ؛ وَأَشْفَقَ عَلَى مَنْ كَفَّلَهُ اللَّهُ بِسِيَاسَتِهِ ، وَحَمَلَهُ رِعَايَتَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
الْمُعْتَصِمِينَ بِجَبَلِ دَعْوَتِهِ ؛ الْمُشْتَمِلِينَ بِظِلِّ بَيْعَتِهِ ، عِنْدَ تَقْصِي مَدَّتِهِ وَتَزْوَعِهِ إِلَى آخِرَتِهِ ؛
فِي الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ، بِالْأَجْلِ الْمُخْتَوِّمِ : مِنْ أَنْشَارِ الْكَلْبَةِ ، وَأَنْبِيَاءِ الْعِصْمَةِ ؛
وَأَنْشِقَاقِ الْمَصَا ، وَإِرَاقَةِ النَّمَاءِ ؛ وَأَسْتِيْلَاءِ الْفَتَنِ ، وَتَمْطِيلِ الْفُرُوضِ وَالسُّنَنِ ؛ فَنَظَرَ

لهم بما ينظم شملهم ، ويوصل حبلمهم ؛ ويبرز ظلمتهم ، ويجمع كلمتهم ، ويؤلف
أفئدتهم ؛ ورأى أن يهتد إلى فلان ولده : لأنه قريته في عليه وقضله ، وعقبه
في انصافه وقضله ؛ والمملوح من بعده ، والمرجؤ ليومه وقده ، ولما جمع الله له
من شروط الإمامه ، وكله له من أدوات الخلافة ، وجعله عليه من الرحمة والرفاه ؛
وخصه به من الرصانة والرحاحه ، والشجاعة والسماحه ؛ وآتاه من فضل الخطاب ،
وجوامع الصواب ومحاسن الآداب ؛ ووقايه الدين ، والنظرة على الظالمين ، واللطف
بالمؤمنين ؛ بعد أن قدم استخاره الله تعالى فيه ، وسأله توفيقه لما يرضيه ؛ ووقف
فكره على اختياره ، ولم يكن باختياره مع إيتاره ؛ ويؤج في شمله ، ويستوضح
في غايه ؛ أنه الولي المحتج ؛ والخليفة المصطفى ؛ الذي يحيى الله به ذمار الحق ،
ويعلئ بسلطانه شعار الصديق ؛ وأنه - سبحانه - قد أفضى إليه بما أفضى به إلى
الخلفاء من قبله ، وأفاض عليه من الكامئات ما أفاضه على أهله ؛ وبعد أن عاقده
وعاهدته على مثل ما عاهدته عليه آبأؤه : من تقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعار
خيفته ومراقبته والعمل بكتابه وسنته ؛ وإقامة حدود الله التي حثها ، بفروضة التي
وكدتها ، والافتداء بسلفه الراشدين ، في المكافئة عن الدين ، والمسامحة عن أوزار
المساكين ؛ وبسبب العدل على الرعية ، والحكم بينهم بالسوية ؛ وإنصاف المظلوم
من الظلوم ، وكف يد المتعصب العشوم ؛ وصرف ولاة الجور عن أهل الإسلام ،
وتخير من ينظر بينهم في المظالم والأحكام ؛ وأن لا يؤلئ عليهم إلا من يثق بمدايته ،
ويسكن إلى دينه وأمانته ؛ ولا يقسح لشريف في التعدي على مشروف ، ولا يقوى
في التسلط على مضعوف ؛ وأن يجهل الناس في الحقوق على التساوي ، ويحريمهم
في دولته على التناصف والتكافي ؛ ويأمر بحجابه وتوابعه بإبصال الخاصة والعامة إليه ،
ويمكنهم من عرض حوائجهم ومظالمهم عليه : ليعلموا : الولاء والعامل ، أن رعيته

على ذكر منه وبآل؛ فيتحاموا التحيل عليهم والإضرار بهم. وأشهد عليه بكل ماشرطه
وحسنه، والعمل بما يحمد إليه فيما قلناه. على أنه غنى عن وصية وتبصير، وتبصيره
وتذكيره؛ إلا أن عهداً سيد المرسلين يقول لعل صلى الله عليهما «أرسل عاقلاً^(١)
الافأوصه».

فأيسوا على بركة الله تعالى طامعين غير مكرمين، برغبة لا برغبة، وبإخلاص
لا بمداينة، ببيعة رضا واختيار، وأقياد وإيثار؛ بصحة من نيأتكم، وسلامة
من صلوركم؛ وصفاء من عقائدكم، ووفاء واستقامة فيما تضعون عليه إيمانكم؛
ليعرفكم الله [من] سبوغ النعمة، وتتمول الخبرة؛ وحسن العاقبة؛ وأتاق الكلمة؛
ما يقر نواظركم، ويبرد ضمائركم؛ ويذهب غل صلوركم ويعز جانبكم، ويذل
جنانكم؛ فاصلوا هذا وأعملوا به إن شاء الله.

وقد يفتي هذا الكتاب الذي ذكرناه معنى العهد، فلا يحتاج إلى عهد:

وعلى ذلك كتبت عن الإمام المستكفي باقة أبي الربيع سليمان؛ ابن الحاكم بأمر
الله أحمد، عهد ولده المستوفى باقة «بركة» بالخلافة بعده. وهذه نسخته:

الحمد لله الذي أيد الخلافة العباسية بأجل والد وأبز ولد، وجعلها كلمة باقية
في عقبه والسند كالسند، وآواهم من أصرهم إلى الكهف فالكهف وإن تنأى
العدد؛ وزان حطفا بسود سواد شعارهم المسجلة أنوارهم ولا شك أن النور
في السواد، وعلق بصوتهم النبوي معجزها كل مناد.^(٢)

(١) كذا في الأصول مضياً عليه وجر.

(٢) لله وقح. أى كف. تأمل.

محمده على ما من به من تمام النعمة فيهم ، وتزول الرحمة بتوافيقهم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة محضّة الإخلاص ، كافلاً محضها بالتمكّك من أسر الشرك والخلاص ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بما أوصح سبيل الرّشاد ، وقمّ أهل العناد ، والشفيع المشفع يوم التّناد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا آتقضاء لها ولا نقاد ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فإنّ أمير المؤمنين (ويذكر اسمه) يعتصم بالله في كلّ ما يأتي ويذرّ ما جعل الله [له] من التّفويض ، ويشير إلى الصّواب في كلّ تصرّح منه وتقرّض ؛ وإنه شدّ الله أزره ، وعظّم قدره ؛ استخار الله سبحانه وتعالى في الوصية بما جعله الله له من الخلافة المعظّمة المفضّحة الموروثة عن الآباء والأجداد ، الملقاة إليه مقاليدها كما نصّ عليه أبْن عمّه صلى الله عليه وسلم في الوالد من قُرَيْش والمولود ؛ ولولده السيّد ، الأجلّ ، المعظّم ، المكرّم ، فلان ؛ سليل الخلافة وشبيل غايبها ، ونخبه أحسابها وأنسابها ؛ أجلّه الله وشرّفه ، وجعل به عطف الأمانة وقوّفه : لما تلمّحه فيه من النّجاة اللامحة على شمائله ، وظهر من مستوثق إبداء سرّه فيه بدلائل برهانه وبرهانه دلائله ؛ وأشهد على نفسه الكريمة - صانها الله تعالى - مولانا أو سيدنا أمير المؤمنين ، من حضر من حُكّام المسلمين : قضاة قضائهم ، وعلماهم ، وعلوهم ، يجلسه الشريف ؛ أنه رضى أن يكون الأمر في الخلافة المعظّمة ، الذي جعله الله له الآن لولده السيّد الأجلّ فلان بعد وفاته ، فسح الله في أجله ؛ وعهد بذلك إليه ، وعول في أمر الخلافة طيه ؛ وألقى إليه مقاليدها ، وجعل بيده زمام مُبْدئها ومُعِيدها ؛ وصّى له بذلك جريته وكُليّه ، وظامضه وجليّه ؛ وصية شرعية بشروطها اللازمة المعبرة ، وقواعدها المحرّرة ؛ أشهد عليه بذلك في تاريخ كذا .

الوجه السابع

(فيما يكتب في مستند عهد ولى الخلافة عن الخليفة ، وما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، وما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته من قبول المهود إليه ، وشهادة الشهود على العهد)

أما ما يكتب في المستند ، فينبى أن يكون كما يكتب في عهد الملوك عن الخلفاء ، على نحو ما تقدم في السبعات ؛ وهو أن يكتب : « بالاذن العالى ، المولى ، الإمامى ، النبوى ، الفلانى » (بقلب الخلافة) أعلاه الله تعالى « أو نحو ذلك من الداء .

وأما ما يكتبه الخليفة في بيت العلامة ، فينبى أن يكتب : « عهدتُ إليه بذلك » : لأنه اللفظ الذى يتعقد به العهد . ولو كتب : « فوضتُ إليه ذلك » كما يكتب الخليفة في عهد السلطان الآن على ماساى ، كفى ذلك . والأبقى بالمقام الأول .

وأما ما يكتب في ذيل العهد بعد إتمام نسخته ، فالمعقول فيه من المتقدمين ما كتب به « على الرضى » تحت عهد المأمون إليه بالخلافة ، وهو :

الحمد لله الفاعل لما يشاء ، لأمتعّ لحكمه ، ولا رادّ لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين . أقول وأنا على بن موسى بن جعفر : إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ، ووقفه للرشاد ؛ عرف من حقنا ما جهله غيره : فوصل أرحاما قطعت ، وأمن أنفسا فرغت ، بل أحيانا وقد تلتقت ، وأغناها إذ انفقرت ؛ متبعا رضا رب العالمين ، لأريد جزاء من غيره وسيجزى الله الشاكرين ، ولا يصيب أجر المحسين ؛

وإنه جعل إلى عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده؛ فمن حلَّ عُقْدَةَ أمر الله بشئها، أو فَمَّ عُرْوَةَ أحبَّ الله إيثاقها، فقد أباح حريمه وأحلَّ محرَّمه؛ إذ كان بذلك زارياً على الإمام، متبهاً حُرْمَةَ الإسلام؛ بذلك جرى السالف فصر منهم على الفتات، ولم يَعرَضْ بعدها على العزَمَات؛ خوفاً على شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين؛ ولتقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تتهمز، وباقية تُتَدَرَّ؛ وقد جعلت لله تعالى على نفسى إن استرطاني على المسلمين، ولقدنى خلَاقته، العملَ فيهم حاشية وفي بنى العباس بن عبدالمطلب خاصة بطاعته وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيع فرجاً ولا مالاً؛ إلا ماسفكته حُدُودَه، وأباخته فرائضه؛ وأن أتحير الكُفَّةَ جُهْدى وطاقى. جعلتُ بذلك على نفسى عهداً مؤكداً يسألني [الله] عنه، فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾. فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت، كنت للغير مستحقاً، وللتكامل متعرضاً؛ وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين مغيبيته، (في حاشية المسلمين؛ والخاصة والحزيرد لانب على ضد ذلك) : ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. لكننى أمتلتُ أمرَ أمير المؤمنين وآثرتُ رضاه، والله يعصمنى وإياه؛ واشهدتُ الله على نفسى بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبْتُ بخطى بحضرة أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - والفضل بن سهل، ومهمل بن الفضل، ويحيى بن أكتم، ويشير بن المعتز، وحماد ابن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين.

ثم كتب فيه من حَضَرَ من هؤلاء، وهذه صورة كتابتهم.

فكتب الفضل بن سهل وزير المأمون ماصورته :

(١) ثبتت هذه العبارة في الأصل وعلها علامة التوقف - ولم نثرطها في غير هذا الكتاب - تأمل.

”رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة مضمون هذا المكتوب : ظهره وبطنه ، بحرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد ، ومرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد ؛ وهو يسأل الله أن يعرف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق ، بما أوجب أمير المؤمنين المحجة به على جميع المسلمين ، وأبطل الشبهة التي كانت أعترضت آراء الجاهلين : (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) . وكتب ”الفضل بن سهل“ في التاريخ المعين فيه “ .

وكتب عبد الله بن طاهر ماضوره « أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر بن الحسين » .

وكتب يحيى بن أكرم القاضي ماضوره : « شهد يحيى بن أكرم على مضمون هذه الصحيفة ظهرها وبطنها ، وكتب بخطه بالتاريخ » .

وكتب حماد بن النعمان ماضوره : « شهد حماد بن النعمان بمضمون ظهره وبطنه ، وكتب بيده بتاريخه » .

وكتب بشر بن المعتمر ماضوره : « شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر ، وكتب بخطه بالتاريخ » .

قلت : وعلى نحو ما تقدم من كتابة المعهود إليه بالقبول وشهادة الشهود على العهد ينبغي أن يكون العمل أيضا في زماننا : ليجتمع خط العاهد بالتفويض على ما تقدم ، وشهادة الشهود . ولو اقتصر المعهود إليه في الكتابة على قوله : « قُبلت ذلك » كان كافيا ، وإن كان أميا اكتفى بشهادة الشهود .

الوجه الثامن

(في قطع الورق الذي يُكْتَب فيه عهود الخلفاء، والقلم الذي يُكْتَب به،
وكيفية كتابتها وصورة وضعها)

أما قُطْعُ الورق فمقتضى قول المقرِّ الشَّهابيِّ بن فضل الله في "التعريف" أنَّ للعهود قُطْعَ البغدادىِّ الكامل، وأنَّ عهود الخلفاء تُكْتَب في البغدادىِّ كما هو مستعمل في عهود الملوك عن الخلفاء، على ما سياتى في موضعه إن شاء الله تعالى. وهو مقتضى ما تقدم في الكلام على قُطْعِ الورق في مقدِّمة الكتاب قَلاً عن محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أنَّ القُطْع الكامل للخلفاء.

قلت : وقد أخبرني من يُوثِّق به أنه وقَّف على عهد المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر، والد المتوكل على الله : أبي عبد الله محمد خليفة العصر، وهو مكتوب في قطع الشامى الكامل ؛ وأنه كُتِبَ عهد المتوكل على ظهره بخط الشهود دون كاتب إنشاء. وكانهم لما تهقَّرت الخلافة وُضِعَ شأنها، وصار الأمر إلى الملوك المتفلين على الخلفاء، تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع كامل البغدادى إلى قطع الشامى. وهذا هو المناسب للحال في زماننا.

وأما القلم الذي يُكْتَب به، فالحكم فيه ما تقدم في البيعات، وهو إن كُتِب العهد في قطع البغدادى، كُتِبَ بقلم غنَّصر الطومار. وإن كُتِب في قطع الشامى، كُتِبَ بقلم الثلثين الثقيل.

وأما كيفية الكتابة وصورة وضعها، فعلى ما تقدم في كتابة البيعات، وهو أن يُتَبدَأَ بكتابة الطَّزَّة في أول الدَّرج بالقلم الذي يُكْتَب به العهد سَطورا متلاصقة ممتدة

في عَرْض النَّزَج من أوله إلى آخره من غير هامش . ثم إن كانت الكتابة في قطع
البغدادى الكامل، جرى فيه على القاصدة المتناولة في عهود الملوك عن الخلفاء؛ فترك
بعد الوصل الذى فيه الطرة ستة أوصال بياضاً من غير كتابة، ثم يكتبُ البسملة
في أول الوصل الثامن بحيث يُلْحَقْ أَعْلَى أَلْفَاتِهِ بالوصل الذى فوقه، بهامش قدر
أربعة أصابع أو خمسة؛ ثم يكتب تحت البسملة سَطْرًا من أول العهد ملاصقاً لها؛
ثم يخلّى مكان بيت العلامة قدر شبر كما في عهود الملوك؛ ثم يكتب السطر الثانى
تحت بيت العلامة على سِتْمِ السطر الذى تحت البسملة . ويحرص أن تكون نهاية
السجدة الأولى في السطر الأول أو الثانى؛ ثم يَسْتَرِيسُ في كتابة بقية العهد إلى آخره،
ويجعل بين كل سطرين قدر رُبع ذراع بذراع القماش . فإذا انتهى إلى آخر العهد،
كتب « إن شاء الله تعالى » ثم المستند، ثم الحملة، والصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم والحبلة، على ما تَهْتَمُّ في الفوائض والخواصم . ثم يكتب المعهود إليه
والشهود بعد ذلك . وإن كُتِبَ في قطع الشامي، فعلى ما تَهْتَمُّ في البيعات : من
أنه ينبغي أن يُقْتَصَرَ في أوصال البياض على خمسة أوصال ، ويكون الهامش قدر
ثلاثة أصابع .

وهذه صورة وضعه في الورق، ممثلاً فيها بالطرة التي أنشأها، على ما تَهْتَمُّ ذكره
في العهد الذى أنشأه على لسان الإمام المتوكل على الله خليفة العصر لولده العباس .
وهو العهد الأخير من المذهب الأول من عهود الخلفاء عن الخلفاء

هذا عهد إمامي قد حلتْ جُدُودُهُ ، وزاد في الارتقاء في العُلْيَاءِ صُعودُهُ ، وفُصِّلَتْ
بِالجواهر قَلَائِدُهُ وَنُظِّمَتْ بِنفيس الدَّرْعُودِ ؛ من عِبدِ الله وولِيهِ الإمامِ المَؤَكَّلِ
على الله أبي عبد الله محمد ابن الإمام المعتضد بالله أبي الفتح أبي بكر ، بالخلافة
المُقَدِّمَةِ لولاه السيد الجليل ، ذَخِيرَةِ الدِّينِ ، وولِيَّ عهدِ المسلمين ، أبي الفضل
العبَّاس ، بَلَّغَهُ الله تعالى فيه غَايَةَ الأَمَلِ ، وأَقْرَبَهُ عَيْنَ الأَمَّةِ كما أَقْرَبَهُ عَيْنَ أَبِيهِ
وقد فَعَلَ على ما شرح فيه

بياض ستة أوصال

بسم الله الرحمن الرحيم

هاش هذا عهد سعيد الطالع ميمون الطائر مبارك الأول

عهدت إليه بذلك

وكتب فلان بن فلان

قوله
فلان بن فلان

صورة خط الخليفة

جميل الأوسط حيد الآخر تشهد به حضرات الأملاك

وترقبه كف الثريا بأفلام القبول في صحائف الأفلاك وتباهي

به ملائكة الأرض ملائكة السماء ، ومسرى بنشره القبول إلى الأمطار

تدريج فراق
والباقي بالنسب

هاتش فتشترله بكل ناحية علما، وتطلع به سعادة الجدد من ملوك العدل
في كل أفتى نجا .

ثم يأتي على الكلام إلى آخر العهد على هذا النمط إلى أن ينتهي إلى
قوله فيه « والله تعالى يسلطه منك أملا، ويحقق فيك علما ويزكي بك عملا »

إن شاء الله تعالى

كتب في اليوم الأول من المحرم
سنة إحدى وثمانمائة

بالإذن العالي ، المولوي ، الإمامي ، النبوي ، التوكل ،

أعلاه الله تعالى

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل

شهد على العاهد والمعهود إليه	قبلت ذلك	<p>كتبه عبد الملك المسلمين</p>
فيه زادها الله شرفا	وكتب فلان ولي	
وكتب فلان بن فلان	عهد أمير المؤمنين	
وكذا بقية الشهود		

النوع الثاني

(عهود الخلفاء للملوك ، ويتعلق النظر به من سبعة أوجه)

الوجه الأول

(في أصل مشروعيتهما)

والأصل فيها ما رواه ابن إسحاق وغيره : أنه لما رجع وقد بنى الحريث بن كعب إلى قومهم باليمن بعد وفود [هم] على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأربعة أشهر ، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ولى وقدم عمرو بن حزم ، يُقِّقُهُم في الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم . وكتب له كتاباً عهد فيه عهده ، وأمره فيه أمره ، على ماسيات ذكره في أول نسخ اليهود الواردة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم أمر اليمن في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه . وذلك أصرح دليل وأقوم شاهد لما نحن فيه .

الوجه الثاني

(في بيان [معنى] الملك والسلطنة اللتين يقع العهد بهما)

قد تقدم في الكلام على الألقاب نقلاً عن " الفروق " في اللغة للمسكوي أن الملك أخص من السلطنة : لأن الملك لا يطلق إلا على الولاية العامة ، والسلطنة تُطلق على أنواع الولايات ؛ حتى إن الفقهاء يعبرون عن القاضي ووالي البلد في أبواب الفقه بالسلطان .

ثم تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يديرها ويقوم بإعمالها على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — وهو اعلاما وزارة التفويض، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدير الأمور برأيه وإمضاءها على أجهاده، وينظر فيها على العموم . وعلى ذلك كانت السلطنة في زمن الخلفاء الفاطميين بمصر على ماسياتي ذكره . قال المسعودي في "الأحكام السلطانية" : ولا يمتنع جواز مثل ذلك : لأن كل ما وكل إلى الإمام من تدير [الأمة] لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستئابة، ونياية الوزير المشارك له في التدير أصح في تنفيذ الأمور، [من تفزده بها] ليستظهر به على نفسه ولنفسه، فيكون أبسد من الزلل، وأمتع من الخلل . قال : وتعتبر في [تقليد] هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده . وقد تقدم بيان شروط الإمامة في الكلام على البيعات . ثم قال : وكل ما صح من الإمام صح من وزير التفويض إلا في ثلاثة أشياء :

أحدها — ولاية العهد . فإن لإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

الثاني — أن للإمام أن يستعفى الأمة من الإمامة وليس ذلك للوزير .

الثالث — أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام .

وتفارق هذه الوزارة الخلافة في عموم النظر فيما عدا ذلك من وجهين :

(١) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

(٢) الزيادة من الأحكام السلطانية ص ١٨ .

أحدهما — تختص بالإمام وهو أن يتصفّح أفعال الوزير وتدير الأمور : يُقتر منها ماوافق الصواب ، ويستترك ماخالفه : لأنّ تدير الأمة إليه موكلون ، وعلى اجتهد محمول .

والثاني — تختص بالوزير . وهو مطالعة الإمام بما أمضاه من تدير ، وأفضده من ولاية وتقليد : لئلا يصير بالاستبداد كالإمام .

أما وزارة التنفيذ فسيأتي الكلام عليها في تقليد الوزارة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني — إمارّة الاستكفاء .

وهي التي تتعقد عن اختيار من الخليفة . وتشتمل على عمل محدود ونظير معهود ، بأن يفوض الخليفة إليه إمارة بلد أو إقليم ولاية على جميع أهله ؛ ونظراً في المهود من سائر أعماله ، فيصير ما من النظر فيما كان محدوداً من عمل ، ومعهوداً من نظر . قال الماوردي : فينظر فيما إليه في تدير الجيش ، وترتيبه في التواحي ، وتقدير أرزاقهم إن لم يكن الإمام قد قدرها ، وإدارتها عليهم إن كانت الإمام قدرها ؛ وكذلك [النظر في] الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام ، وجباية الخراج ، وقبض الصدقات والعمل فيهما ، وتخريق ما يستحق منهما ، وحماية الحرم ، والذب عن البيضة ، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل ، وإقامة الحدود في حقوق الله تعالى وحقوق الآدميين ، والإمامة في الجمع والجماعات بالقيام بها ، والإستخلاف عليها ؛ وتسيير الحجيج من عمله ومن يؤكله من غير عمله ؛ وجهاد من يليه من العدو ، وقسم الغنائم في المقاتلة ، وأخذ ثمنها لاهل الجبس . وله أن يتخذ وزير تنفيذ لا وزير تقويض .

وعلى هذا كانت الأمراء والعلماء في الأقاليم والأمصار من ابتداء الإسلام إلى أن قلب المغلوبون على الأمر واستضعف جانب الخلفاء .

قال الماوردي : ويعتبر في هذه الإمارة ما يعتبر في وزارة الفويض من الشروط : إذ ليس بين عموم الولايات وخصوصها فرق في الشروط المعبرة فيها .

القسم الثالث — إمارة الاستيلاء .

وهي أن يقلبه الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تدبيرها، فيستولى عليها بالقوة ، فيكون [الأمير] باستيلائه مستقلاً بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه ينفذ أحكام الدين : لتخرج عن الفساد إلى الصحة ، ومن الحظر إلى الإباحة ، نافذ التصرف في حقوق الملة وأحكام الأمة . وهذا ما صار إليه الأمر بعد التغلب على الخلفاء ، والاستيلاء بالأمر بالقبلة والقوة .

قال الماوردي : وهذا وإن خرج عن عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ، ففيه [من] حفظ قوانين الشرع وحراسة الأحكام الدينية مالا يجوز أن يترك غتلاً منخولاً ، ولا فاسداً معلولاً ؛ فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ، ما امتنع في تقليد الاستكفاء والإختيار : لوفوق الفرق بين شروط المكنة والعجز . قال : والذي يحفظ بتقليد المستولى من قوانين الشريعة سبعة أشياء ، يشترك في التزامها الخليفة المولى والأمير المستولى ، ووجوبها في جهة المستولى أظن .

(١) عبارة "الأحكام السلطانية" وإمارة الاستيلاء التي تمعد عن اضطراب فهي أن يستولى بالقوة على بلاد يقلبه الخليفة إمارتها ويفوض إليه الخ وهو أوضح وأمرح .

(٢) في المصباح . وله نيكة أى قوة وشدة .

أحدها — حِفْظُ مَنْصِبِ الإمامة في خلافة النبوة، وتدبير أمور الأمة : ليكون ما أوجبه الشرع من إقامتها محفوظاً، وما تفرّج عنها من الحقوق محروساً .

والثاني — ظهور الطاعة الدينية التي يزول معها حكم العناد في الدين ، وينتهي بها ما تمّ المبينة له .

والثالث — اجتماع الكلية على الألفة والتناصر : ليكون المسلمون يداً على من سيواهم .

والرابع — أن تكون عقود الولايات الدينية جائزة، والأحكام والأفضية [فيها] نافذة؛ لا تبطل بفساد عقودها، ولا تسقط بحلل عقودها .

الخامس — أن يكون استيفاء الأموال الشرعية بحق تبرأ به ذمة مؤديها ، ويستطيعه أخذها ومُعطيها .

السادس — أن تكون الحدود مستوفاة بحق ، وقائمة على مستحق ؛ فإن جنب المؤمنين حمى إلا من حقوق الله تعالى وحُودوه .

السابع — أن يكون للأمة في حفظ الدين وإزعج عن محارم الله تعالى، يأمر بحقه إن أطيع ، ويدعو إلى طاعته إن عصي . ثم قال : فإن كُتبت فيه شروط الاختيار المتقدمة ، كان تقليده حتماً استدعاءً لطاعته ، وذهباً لمشاقته ومخالفته ؛ وجرى على من استوزره أو استتابه أحكام من استوزره الخليفة أو استتابه . وإن لم تتكفل [فيه] شروط الاختيار ، جاز له إظهار تقليده استدعاءً لطاعته وحسماً لمخالفته ومعاندته ؛ وكان فهو تصرفاته في الحقوق والأحكام موقوفاً على أن يستتبع الخليفة

له مَنْ تَكاملَتْ فيه الشُّروط . قال : وِجاز مِثْلُ هِذا وَإِنْ شَدَّ عَنِ الْإِصْطِلَاحِ : لِأَنَّ
الضَّرُورَةَ تُسْقِطُ مَا عُوِزَ مِنْ شُرُوطِ الْمَكْنَةِ .

قلت : ومملكة الديار المصرية من حين الفتح الإسلامي وهلمَّ جرًّا إلى زماننا
دائرةٌ بين هذه الأقسام الثلاثة ، لا تكادُ تخرجُ عنها : فكانت في بداية الأمر « إمارة
استكفاء » يولَّى عليها الخليفة في كلِّ زمنٍ مَنْ يَقومُ بأعبائها ، ويتصرَّف في أمورها ،
قاصرُ الولاية عليها ، واقِفٌ عند حدٍّ ما يردُّ عليه من الخليفة من الأوامر والنواهي ،
إلا ما كان في أيام بني طُلوْن من الخُبرُوج عن طاعة الخلفاء في بعض الأحيان .
فلَمَّا اسْتَوْلَى عليها الفاطميون واستَوَزُّوا أربابَ السيوف في أوامر دولتهم ،
وعظمتْ كلمتهم عندهم ، صارتْ سُلْطَنُهَا « وزارة تفويض » . وكان الخليفة يُختِجِبُ
والوزير هو المتصرِّف في المملكة كالمُلك الآن أو قريب منهم . وكانوا يُقْبِونَ بالقابِ
المُلوْك الآن : كالمُلك الأفضل رضوان وزير الحافظ ، وهو أوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بالملك
منهم فيما ذكره المؤيد صاحبُ حِمْيَ في تاريخه . والملك الصالح طلائع بن رُزَيْك
وزير الفاتح العاضد . والملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شاذي وزير العاضد ،
وَأَبْنُ أَخِيهِ صلاح الدين يوسف بن أيُّوب وزير العاضد أيضا ، قبل أن يستقلَّ
بالمُلك ويخطبَ بالديار المصرية لبني العباس بيقُداد . ولا تُنكَرُ في تسمية الوزير مُلِكًا ،
فقد قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ
أَسْتَخْلِفُهُ يَنْفُسِي ﴾ إِنَّ المراد بالملك الوزير لا الملك نفسه . ولما اتَّزَعَتْ من
الفاطمين وصارت إلى بني أيُّوب ، وكانوا يُلَوِّنها عن خُلَفاء بني العباس ،
صارت « إمارة استيلاء » لاستيلائهم عليها بالقوَّة ، واستبداهم بالأمر والتدبير
مع أصل إذن الخليفة وتقليده . وكان الرشيد قد لُقِّبَ « جَعْفَر بن يحيى البرمكي »

في زمن وزارته له بالسلطان ، ولم يأخذ الناس في التلقيب به . فلما تغلب
 الملوك بالشرق على الخلفاء واستبدوا عليهم ، صار لقب السلطان سمة لهم ، مع
 ما يختصهم به الخليفة من ألقاب التشريف : كَشَرَف الدَّوْلَة ، وَعَضُد الدَّوْلَة ،
 وَرَكْن الدَّوْلَة ، وَمِعْز الدَّوْلَة ، وَعِزُّ الدَّوْلَة ، ونحو ذلك . وشاركهم في لقب السلطنة
 غيرهم من ملوك النواحي ، فتلقب بذلك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتلقب
 بالملك الناصر عند استبداده بالملك على العاضد الفاطمي بعد وزارته له ، وقيل
 ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارت الوزارة عن السلطان
 معدومة بقدر خصوص من التصرف . وبقي الأمر على ما هو عليه من الاستيلاء
 والاستبداد بالملك ، مع أصل إذن الخليفة وكتابة العهد بالملك ، وهي على ذلك إلى
 زماننا ؛ إلا ما كان في زمن تعطيل جيد الخلافة من الخلفاء ، من حين قتل التتار
 « المستعصم » آخر خلفاء بني العباس ببغداد إلى حين إقامة الخليفة بمصر
 في الدولة الظاهرية ببرس . على أن في السلطنة الآن شبهة من وزارة التفويض ،
 فإن الخليفة يفوض إليه في تهليده تدبير جميع الممالك الإسلامية بالتفويض العام
 لا يستثنى منها شيئا . وغير هذه المملكة وإن كان خارجا عن يده فهو داخل في عموم
 ولايته ، حتى لو غلب على شيء منها أوفعه لم يحتج فيه إلى تولية جديدة من
 الخليفة . ولا مانع لذلك : فسيأتي في الكلام على المناشير أنه يجوز للإمام أن يقطع
 أرض الكفر قبل أن تفتح ، وإذا جاز ذلك في الإقطاع ففي هذا أولى . وحينئذ
 فتكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء .

الوجه الثالث

(فما يجب على الكاتب مراعاته فيه)

وأعلم أنه يجب على الكاتب مراعاة أمور :

منها — براءة الاستهلال بما يتبناه من أمم السلطان أو لقبه الخاص : مثل فلان الدين ، أو لقبه بالسلطنة : مثل الناصر ، والظاهر ، ونحوهما ؛ أو غير ذلك مما يدل على ما بعده قبل الإتيان به كما تقدم في البيئات وعهود الخلفاء .

ومنها — التنبؤ على شرف السلطنة وعلو رتبها ، ووجوب القيام بأمر الرياسة ، وتحمل ذلك عن الخليفة .

ومنها — الإشارة إلى اجتهد الخليفة وأعمال فكره فيمن يقوم بأمر الأمة ، وأنه لم يجد بذلك أحق من المعهود إليه ولا أولى به منه ، فيصنعه بالصفات الجميلة ، ويثني عليه بما يليق بمقام الملك .

ومنها — الإشارة إلى جريان لفظ تعقد به الولاية من عهد أو تقليد أو توقيض ، وقبول ذلك ، ووقوع الإشهاد على الخليفة بالعهد .

ومنها — إيراد ما يليق بالمقام من الوصية ، بحسب ما يقتضيه الحال : من علو رتبة الخلافة وانخفاضها ، ميثا لما يلزمه القيام به : من حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وتنفيذ الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، وحماية البيضاء ، والذب عن الحرم ، وإقامة الحدود ، وتحصين الثغور ، وجهاد أعداء الله وغزوهم ، وجباية الفتن والصدقات على ما أوجبه الشرع من غير حيف ولا عسف ،

وتقدير العطاء، وصرف ما يستحق في بيت المال من غير صرف ثولا فختير، في وقت الحاجة إليه، واستيفاء الأمتاء، وتقليد النصحاء للأعمال والأموال، ومباشرة الأمور بنفسه وتصفح الأحوال؛ إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالإمامة: من إقامة مواسم الحج، وتأمين الحرم الشريف وإكرام ضرائح الأنبياء وبيت المقدس، وتحرير مقادير المعاملات، وغير ذلك مما يقتضيه أمر المملكة.

الوجه الرابع

(فما يكتب في الطرة، وهو نعلان)

النمط الأول — ما كان يكتب في وزارة التفويض في دولة الفاطميين .

وكان الخليفة هو الذي يكتب بيده . وهذا أمر وإن كان قد ترك فالمعرفة به خير من الجهل ، خصوصاً وقد أثبت المقر الشهابي بن فضل الله عهدى أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالوزارة عن العاضد، في جملة عهود الملوك على ما سيأتي ذكره . وستوردُهما في جملة عهود الملوك عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما كتب به العاضد في طرة عهد أسد الدين شيركوه المتقتم ذكره، وهو :

«هذا عهد لا عهد لوزير بمثله ، وتقليد أمانة رآك الله تعالى وأمير المؤمنين أهلاً لحمله ، والجمعة عليك عند الله بما أوصى لك من مرأشده سبله ، فخذ كتاب أمير المؤمنين

يُقَوِّه، وَاصْحَبَ ذَيْلَ الْفَخَّارِ بَانَ اعْتَرَتْ خِدْمَتُكَ إِلَى بَيْتَةِ النَّبِيِّ، وَاتَّخَذَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْقُوَّةِ سَبِيلًا (وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) .



ومن ذلك ما كتب به العاضد أيضا في طرة العهد المكتتب عنه بالوزارة
للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استيلائه بالسلطنة ، وهو :

« هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عند الله تعالى عليك؛ فأوف بهمهلك
ويعينك، وخذ كلاب أمير المؤمنين يمينك؛ ولن مضى يحدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحسن أسوة، ولن بقي بقربنا أعظم سلوة (تلك النار الآخرة تجعلها للذين
لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والماقية للفتين) » .

النقط الثاني — ما يكتب في طرة عهود الملوك الآن .

وهو قريب مما كان يكتب أولا مما تقدم ذكره؛ إلا أنه يكتل فيه لفظة الوزارة
بالملك والسلطنة؛ ويكون الذي يكتبه هو الذي يكتب العهد دون الخليفة . ثم هو
بحسب ما يؤثره الكاتب مما يدل على صلو العهد على ما يقتضيه الحال .

وهذه نسخة طرة عهد ، كتب بها القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،
في نسخة عهد أنشأه للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، في سنة سبع عشرة
وسبعمائة، وهو :

« هذا عهد شريف تجددت ممرات الإسلام بتجديده، وتاكثت أسباب
الإيمان بتأكيده؛ ووجد النصر العزيز والفتح المبين بوجوده، ووعد الأمن والإقبال

على الخليفة بوثوده ، وورد الأمان مؤرد الأمان بوثوده . من عبدالله وولته الإمام
المستكني بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين ، ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس
أحمد . عهد به إلى السلطان الملك الناصر أبي الفتح محمد ، خلد الله سلطانه ،
ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه » .

تم الجزء التاسع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء العاشر

بأمره الوجه الخامس

(فيما يكتب في ألقاب الملوك عن الخلفاء ، وهو نمطان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

